(الجزء الرابع)

من تفسير الامام الكبير والعلامة الشهير من أطبقت
الامة على تقدمه فى التفسير وجعلته حجة اذا
وقع النزاع فى التعبير الامام أبى جعفر
محمد بن جرير الطبرى المسمى
جامع البيان فى تفسير
القرآن رحمه الله
وأثابه رضاه
آمين

(ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش الجزء الرابع من تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره)

(تنبيه)

طبع تفسير ابن جرير على النسخة المحضرة من خزانة (أمراء نجد) آل رشيد * لازالت الايام تتلألأ بزواهر مجدهم ولا برح الانام يغترف من بحار برهم وذلك بعد مقابلة تلك النسخة على النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية لازالت أشعة النفع بها تستمد منها سائر البريه وقد بذلنا الطاقة فى تصحيحها ومراجعة ما يحتاج الى المراجعة من مظانه الموثوق بترجيحها مع عناية جمع من أفاضل علماء مصر بالتصحيح تذكر أسماؤهم آخر الكتاب

(طبع بالمطبعة الميمنية)

على نفقة أصحابها (مصطفى البابى الحلبى وأخويه) بمصر

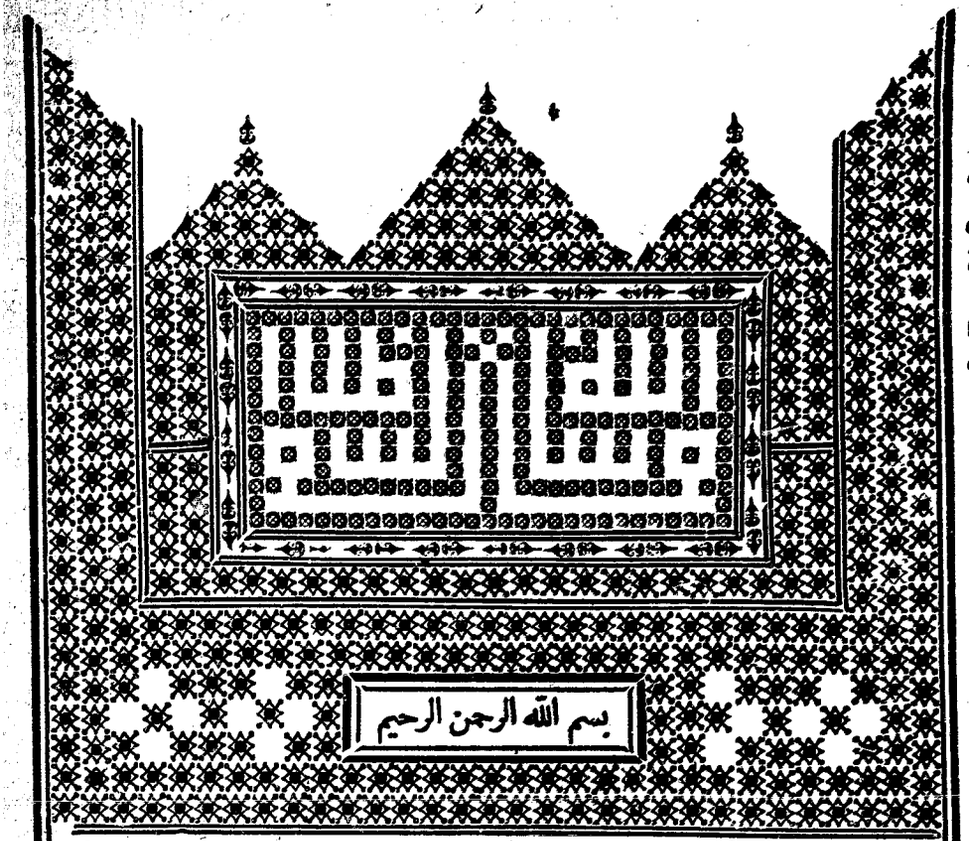

كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) ﴿القراآت﴾ ان تنزل خفيفا ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء يزيد وحمزة على وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون بفتحها ﴿الوقوف﴾ تحبون ط عليم ه تنزل التوراة ط صادقين ه الظالمون ه حنيفا ط المشركين ه للعالمين ه ج لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا فمقام ابراهيم ج للابتداء بالشرط مع

﴿القول في تأويل قوله﴾ (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) يعني بذلك جل ثناؤه انه لم يكن حرم على بني اسرائيل وهم ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن شيأ من الاطعمة من قبل أن تنزل التوراة بل كان ذلك كله لهم حلالا الا ما كان يعقوب حرمه على نفسه فان ولده حرموه استنانا بابيهم يعقوب من غير تحريم الله ذلك عليهم في وحي ولا تنزيل ولا على لسان رسول له اليهم من قبل نزول التوراة ثم اختلف أهل التأويل في تحريم ذلك عليهم هل نزل في التوراة أم لا فقال بعضهم لما أنزل الله عز وجل التوراة حرم عليهم من ذلك ما كانوا يحرمونه قبل تنزولها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين قالت اليهود انما تحرم ما حرم اسرائيل على نفسه وانما حرم اسرائيل العروق كان يأخذه عرق النسا كان يأخذه بالليل ويتركه بالنهار فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عرقا أبدا فحرمه الله عليهم ثم قال قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ما حرم هذا عليكم غيري ببغيكم فذلك قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فتأويل الآية على هذا القول كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فان الله حرم عليهم من ذلك ما كان اسرائيل حرمه على نفسه في التوراة ببغيهم على أنفسهم وظلمهم لها قل يا محمد فاتوا أيها اليهود ان أنكرتم ذلك بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ان الله لم يحرم ذلك عليكم في التوراة وانكم انما تحرمونه لتحريم اسرائيل اياه على نفسه وقال آخرون ما كان شيء من ذلك عليهم حراما ولا حرمه الله عليهم في التوراة وانما هو شيء حرموه على أنفسهم اتباعا لابيهم ثم أضافوا تحريمه الى الله فكذبهم الله عز وجل في اضافتهم ذلك اليه فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد ان كنتم صادقين فاتوا بالتوراة فاتلوها حتى ننظر هل ذلك فيها أم لا ليتبين كذبهم لمن يجهل أمرهم ذكر من قال ذلك حدثت عن

الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب أخذ عرق النسا فكان لا يبيت الليل من وجعه وكان لا يؤذيه بالنهار فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا وذلك قبل نزول التوراة على موسى فسأل نبي الله صلى الله عليه وسلم اليهود ما هذا الذي حرم اسرائيل على نفسه فقالوا انزلت في التوراة بتحريم الذي حرم اسرائيل فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله فاولئك هم الظالمون وكذبوا وافتروا ولم تنزل التوراة بذلك وتاويل الآية على هذا القول كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل من قبل أن تنزل التوراة بعد نزولها الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بمعنى لكن اسرائيل حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بعض ذلك وكان الضحاك وجه قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه الى الاستثناء الذي تسميه النحويون الاستثناء المنقطع وقال آخرون تاويل ذلك كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فان ذلك حرام على ولده بتحريم اسرائيل اياه على ولده من غير أن يكون الله حرمه على اسرائيل ولا على ولده ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فانه حرم على نفسه العروق وذلك انه كان يشتكي عرق النسا فكان لا ينام الليل فقال والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد فليس مكتوبا في التوراة وسأل محمد صلى الله عليه وسلم نفرا من أهل الكتاب فقال ما شأن هذا حراما فقالوا هو حرام علينا من قبل الكتاب فقال الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الى ان كنتم صادقين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس أخذه يعني اسرائيل عرق النسا فكان لا يبيت بالليل من شدة الوجع وكان لا يؤذيه بالنهار فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا وذلك قبل أن تنزل التوراة فقال اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم نزلت التوراة بتحريم الذي حرم اسرائيل على نفسه قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وكذبوا ليس في التوراة * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل من قبل أن تنزل التوراة الا ما حرم اسرائيل على نفسه من غير تحريم الله ذلك عليه فانه كان حراما عليهم بتحريم أبيهم اسرائيل ذلك عليهم من غير أن يحرمه الله عليهم في تنزيل ولا بوحي قبل التوراة حتى نزلت التوراة فحرم الله عليهم فيها ما شاء وأحل لهم فيها ما أحب وهذا قول قالته جماعة من أهل التأويل وهو معنى قول ابن عباس الذي ذكرناه قبل ذكر بعض من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة واسرائيل هو يعقوب قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين يقول كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل من قبل أن تنزل التوراة الا ما حرم اسرائيل على نفسه فلما أنزل الله التوراة حرم عليهم فيها أشياء وأحل لهم ما شاء حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة نحوه واختلف أهل التأويل في الذي كان اسرائيل حرمه على نفسه فقال بعضهم كان الذي حرمه اسرائيل على نفسه العروق ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن يوسف بن ماهك جاء اعرابي الى ابن عباس فقال انه جعل امرأته عليه حراما قال ليست عليك بحرام قال فقال الاعرابي ولم والله يقول في كتابه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال فضحك ابن عباس وقال وما يدريك ما كان اسرائيل حرم على نفسه قال ثم أقبل على القوم يحدثهم فقال اسرائيل عرضت له الانساف فاشتد فجعل لله ان شفاه الله منها لا يطعم عرقا قال فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة

الواو لان الامن من الآيات آمنا ط تبيلا ط العالمين ٥ بآيات الله ط قد قيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون ٥ شهداء ط تعملون ٥ كافرين ٥ رسوله ط لتناهي الاستفهام الى الشرط مستقيم ٥ * التفسير انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر ألبتة علم المؤمنين كيفية الانفاق الذي ينتفعون به في الآخرة وهو الانفاق من أحب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهي انه سبحانه وتعالى سمى جوامع خصال الخير برا في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله الآية وذكر في هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى انكم وان أتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا باحراز خصلة البر ولم تبلغوا حقيقتها حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا أحبوا شيأ جعلوه لله يروى انها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله حائط لي بالمدينة يعني بيرحاء وهو أحب أموالي الي صدقة فقال صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح واني أرى ان تجعلها في الاقربين فقال أبو طلحة افعل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها صلى الله عليه وسلم في أقاربه وروى انه صلى الله عليه وسلم جعلها بين حسان ابن ثابت وأبي بن كعب وروى ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الآية بفرس له كان يحبه وجعله في سبيل الله فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسامة فوجد زيد في نفسه وقال انما أردت أن أتصدق به فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان الله مدائن كسرى فلما رآها أعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ولم يصب منها ونزل بابي فروسيف فقال الراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فلما ذكرت يوم حاجتك اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم أوضع في حفرتي وفي تفسير البر قولان أحدهما ما به يصيرون ابرارا اليد خلوا في قوله ان الابرار لفي نعيم ليكون المراد بالبر ما يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله ولكن البر من آمن وجملتها التقوى لقوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون والثاني الجنة أي تنالوا ثواب البر وقيل المراد بر الله أولياءه واكرامه اياهم من قول الناس برني فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني وقال تعالى أن تبروا وتتقوا ومن في قوله مما تحبون للتبعيض نحو أخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد بما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقيل هو ما يكون محتاجا اليه كقوله ويطعمون الطعام على حبه ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل هو أطيب المال وأرفعه كما مر وعن ابن عباس أراد به الزكاة أي حتى تخرجوا زكاة أموالكم ورد عليه انه لا يجب على المزكي ان يخرج أشرف أمواله وأكرمها وقال الحسن هو كل ما أنفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة بآية الزكاة وضعف بان ايجاب الزكاة لا ينافي الترغيب في بذل المحبوب

عن أبي بشر قال سمعت يوسف بن ماهك يحدث ان اعرابيا أتى ابن عباس فذكر رجلا حرم امرأته فقال انها ليست بحرام فقال الاعرابي أرأيت قول الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فقال ان اسرائيل كان به عرق النسا فحلف لئن عافاه الله لا يأكل العروق من اللحم وانها ليست عليك بحرام **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال ان يعقوب أخذه وجع عرق النسا فجعل لله عليه أو أقسم أو قال لا يأكله من الدواب قال والعروق كلها تبع لذلك العرق **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان الذي حرم اسرائيل على نفسه ان الانسا أخذته ذات ليلة فاسهرته فتألى ان الله شفاه لا يطعم نسا أبدا فتتبعت بنوه العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة بنحوه وزاد فيه قال فتألى لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا فجعل بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق يخرجونها من اللحم وكان الذي حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة العروق **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال اشتكى اسرائيل عرق النسا فقال ان الله شفاني لا حرمن العروق فحرمها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان اسرائيل أخذه عرق النسا فكان يبيت له زقاء فجعل لله عليه ان شفاه أن لا يأكل العروق فانزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال سفيان له زقاء يعني صياح **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال كان يشتكي عرق النسا فحرم العروق **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال حدثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس في قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قال كان اسرائيل يأخذه عرق النسا فكان يبيت له زقاء فحرم على نفسه أن يأكل عرقا * وقال آخرون بل الذي كان اسرائيل حرم على نفسه لحوم الابل وألبانها ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير قال سمعنا انه اشتكى شكوى فقالوا انه عرق النسا فقال رب ان أحب الطعام الى لحوم الابل وألبانها فان شفيتني فاني أحرمها على قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح لحوم الابل وألبانها حرم اسرائيل **حدثني** محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل قال كان اسرائيل ٧ حرم على نفسه لحوم الابل وكانوا يزعمون انهم يجدون في التوراة تحريم اسرائيل على نفسه لحوم الابل وانما كان حرم اسرائيل على نفسه لحوم الابل قبل أن تنزل التوراة فقال الله فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فقال لا يجدون في التوراة تحريم اسرائيل على نفسه الا لحم الابل **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنا حبيب بن أبي ثابت قال ثنا سعيد عن ابن عباس ان اسرائيل أخذه عرق النسا فكان يبيت بالليل له زقاء يعني صياح قال فجعل على نفسه لئن شفاه الله منه لا يأكله يعني لحوم الابل قال فحرمه اليهود وتلا هذه الآية كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين أي ان هذا قبل التوراة **حدثنا** ابن كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال حرم العروق ولحوم الابل قال كان به عرق النسا فكان لا يأكل من لحومها فبات بليلة يزقو فحلف أن لا يأكله أبدا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن

٧ هكذا هذه العبارة بالاصل وهي غير واضحة فلعل فيها تحريفا يدرك بالسابق واللاحق اه مصححه

مجاهد

لونه المؤمن في من شيء للتبيين يعني من أي شيء كان طيبا أو خبيثا فان الله به عليم فيجازيكم

بحسبه أو يعلم الوجه الذي لاجله تتفقون من الاخلاص والرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعد توجيه الالزامات الواردة على أهل الكتاب في هذا الباب أجاب عن شبهة للقوم وتقرير ذلك من وجوه أحدها انهم كانوا يعولون في انكار شرع محمد صلى الله عليه وسلم على انكار النسخ فورد عليهم ان الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى أولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فامر النبي بان يطالبهم باحضار التوراة الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا فامتنع ان يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التوراة الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعي انك على ملة ابراهيم فكيف تاكل لحم الابل وألبانها وتعتبر بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابراهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا ان يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في أولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التوراة وثالثها لما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الآيات الدالة على انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم فاظلهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل ان ذلك يقتضي وقوع النسخ ومن قبل انه تسجيل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا اسنادا أول من حرمت هي عليه وما هو الا تحريم قديم فنزلت

مجاهد في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال حرم لحوم الانعام قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب قول ابن عباس الذي رواه الاعمش وابن حبيب عن سعيد عنه ان ذلك العروق ولحوم الابل لان اليهود مجمعة الى اليوم على ذلك من تحريمهما كما كان عليه من ذلك أوائلها وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك خبر وهو ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد ابن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها فقالوا اللهم نعم وأما قوله فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فان معناه قل يا محمد للزاعمين من اليهود ان الله حرم عليهم في التوراة العروق ولحوم الابل وألبانها ائتوا بالتوراة فاتلوها يقول قل لهم حيوا بالتوراة فاتلوها حتى يتبين لمن خفي عليه كذبهم وقيلهم الباطل على الله من أمرهم أن ذلك ليس مما أنزلته في التوراة ان كنتم صادقين يقول ان كنتم محقين في دعواكم ان الله أنزل تحريم ذلك في التوراة فاتوا بها فاتلوا تحريم ذلك علينا منها وانما ذلك خبر من الله عن كذبهم لانهم لا يجيئون بذلك أبدا على صحته فاعلم الله بكذبهم عليه نبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اعلامه اياه ذلك حجة له عليهم لان ذلك اذ كان يخفى على كثير من أهل ملتهم فمحمد صلى الله عليه وسلم وهو أمي من غير ملتهم لولا ان الله أعلمه ذلك بوحي من عنده كان أحرى أن لا يعلمه فكان في ذلك له صلى الله عليه وسلم من أعظم الحجة عليهم بانه نبي لله صلى الله عليه وسلم اليهم لان ذلك من أخبار أوائلهم كان من خفي علومهم الذي لا يعلمه غير خاصة منهم الا من أعلمه الذي لا يخفى عليه خافية من نبي أو رسول أو من أطلعه الله على علمه ممن شاء من خلقه ۞ القول في تاويل قوله (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون) يعني جل ثناؤه بذلك فمن كذب على الله منا ومنكم من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم اياها وعدمكم ما ادعيتم من تحريم الله العروق ولحوم الابل وألبانها فيها فاولئك هم الظالمون يعني فمن فعل ذلك منهم فاولئك يعني فهؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الظالمون يعني فهم الكافرون القائلون على الله الباطل كما حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن زكريا عن الشعبي فاولئك هم الظالمون قال نزلت في اليهود ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد صدق الله فيما أخبر به من قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل وان الله لم يحرم على اسرائيل ولا على ولده العروق ولا لحوم الابل وألبانها وان ذلك انما كان شيأ حرمه اسرائيل على نفسه وولده بغير تحريم الله اياه عليهم في التوراة وفي كل ما أخبر به عباده من خبر دونكم أنتم يا معشر اليهود الكذبة في اضافتكم تحريم ذلك الى الله عليكم في التوراة المفتريه على الله الباطل في دعواكم عليه غير الحق فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين يقول فان كنتم أيها اليهود محقين في دعواكم انكم على الدين الذي ارتضاه الله لانبيائه ورسله فاتبعوا ملة ابراهيم خليل الله فانكم تعلمون أنه الحق الذي ارتضاه الله من خلقه دينا وابتعثه به أنبياءه وذلك الحنيفية يعني الاستقامة على الاسلام وشرائعه دون اليهودية والنصرانية والمشركة وقوله وما كان من المشركين يقول لم يكن بشركك في عبادته أحدا من خلقه فكذلك أنتم أيضا أيها اليهود فلا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله تطيعونهم كطاعة ابراهيم ربه وأنتم يا معشر عبدة الاوثان فلا تتخذوا الاوثان والاصنام أربابا ولا تعبدوا شيأ من دون الله فان ابراهيم خليل الرحمن كان دينه اخلاص العبادة لربه وحده من غير اشراك أحد معه فيه فكذلك أنتم أيضا فاخلصوا له العبادة ولا تشركوا معه في العبادة أحدا فان جميعكم مقرون بان ابراهيم كان على حق

كل الطعام أي المطعومات كلها الملائة يفيد العموم أولا والطعام اسم لكل مايطعم ويؤكل وعن بعض أصحاب أبي حنيفة انه اسم البر خاصة ويرد عليه ان المستثنى في الآية من الطعام كان شيأ سوى الحنطة وما يتخذ منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل أن تكون المراد الاطعمة التي كان يدعي اليهود في وقت نبينا صلى الله عليه وسلم انها كانت محرمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة وأما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام والشراب اليه لحمان الابل وألبانها وهذا قول أبي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفاه الله أن لا يأكل شيأ من العروق وجاء في بعض الروايات ان الذي حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار تحريم يعقوب سببا لحرمة فأجاب المفسرون بان الانبياء أشاروا اليه باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء وأيضا لا يبعد أن يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المرأة والجارية وأيضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم فاعتبروا ولقوله في معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد

وهدى مستقيم فاتبعوا ما قد أجمع جميعكم على تصويبه من ملته الحنيفية ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها أيها الاحزاب فانها بدع ابتدعتموها الى ما قد أجمعتم عليه أنه حق فان الذي أجمعتم عليه أنه صواب وحق من ملة ابراهيم هو الحق الذي ارتضيته وابتعثت به أنبيائي ورسلي وسائر ذلك هو الباطل الذي لا أقبله من أحد من خلقي جاء بي به يوم القيامة وانما قال جل ثناؤه وما كان من المشركين يعني به وما كان من عددهم وأوليائهم وذلك أن المشركين بعضهم من بعض في التظاهر على كفرهم ونصرة بعضهم بعضا فبرأ الله ابراهيم خليله أن يكون منهم أو نصيرا لهم وأهل ولايتهم وانما عنى جل ثناؤه بالمشركين اليهود والنصارى وسائر الاديان غير الحنيفية قال لم يكن ابراهيم من أهل هذه الاديان المشركة ولكنه كان حنيفا مسلما ۞ القول في تأويل قوله (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله ان أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه مباركا وهدى للعالمين الذي ببكة قالوا وليس هو أول بيت وضع في الارض لانه قد كانت قبله بيوت كثيرة ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال قام رجل الى علي فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الارض فقال لا ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت خالد بن عرعرة قال سمعت عليا وقيل له ان أول بيت وضع للناس الذي ببكة هو أول بيت كان في الارض قال فأين كان قوم نوح وأين كان قوم هود قال ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سألت حفص الحسن وأنا أسمع عن قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا قال هو أول مسجد عبد الله فيه في الارض حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي قال ثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر في قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة قال قد كانت قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للعبادة حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن قوله ان أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه للذي ببكة حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا قال وضع للعبادة * وقال آخرون بل هو أول بيت وضع للناس ثم اختلف قائلو ذلك في صفة وضعه أول فقال بعضهم خلق قبل جميع الارضين ثم دحيت الارضون من تحتها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله ابن موسى قال أخبرنا شيبان عن الاعمش عن بكير بن الاخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال خلق الله البيت قبل الارض بالفي سنة وكان عرشه على الماء على زبدة بيضاء فدحيت الارض من تحته حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال سمعت مجاهدا يقول ان أول ما خلق الله الكعبة ثم دحى الارض من تحتها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ان أول بيت وضع للناس كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين أما أول بيت فانه يوم كانت الارض كانت زبدة على الارض فلما خلق الله الارض خلق البيت معها فهو أول بيت وضع في الارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا قال أول بيت وضعه الله عز وجل فطاف به آدم ومن بعده * وقال آخرون موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الارض ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن البيت هبط مع آدم حين هبط قال أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين حتى اذا كان زمن الطوفان زمن

أغرق الله قوم نوح ورفعه الله وطهره من أن يصيبه عقوبة أهل الارض فصار معمورا في السماء ثم ان ابراهيم تتبع منه آثارا بعد ذلك فبناه على أساس قديم كان قبله * والصواب من القول في ذلك ما قال جل ثناؤه فيه ان أول بيت مبارك وهدى وضع للناس للذي ببكة ومعنى ذلك ان أول بيت وضع للناس أي لعبادة الله فيه مباركا وهدى يعني بذلك ومالنسك الناسكين وطواف الطائفين تعظيما لله واجلالا له الذي ببكة لعمة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قال ثم أي قال المسجد الاقصى قال كم بينهما قال أربعون سنة ثم بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه الله في الارض على ما قلنا فما في وضعه بيتا بغير معنى بيت للعبادة والهدى والبركة ففيه من الاختلاف ما قد ذكرت بعضه في هذا الموضع وبعضه في سورة البقرة وغيرها من سور القرآن وبينت الصواب من القول عندنا في ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله للذي ببكة مباركا فانه يعني للبيت الذي يزدحم الناس لطوافهم في حجهم وعمرهم وأصل البك الزحم يقال منه بك فلان فلانا اذا زحمه وصدمه فهو يبكه بكا وهم يتباكون فيه يعني به يتزاحمون ويتصادمون فيه فكان بكة فعلة من بك فلان فلانا زحمه سميت البقعة لفعل المزدحمين بها فاذا كانت بكة ما وصفنا وكان موضع ازدحام الناس حول البيت وكان لا طواف يجوز خارج المسجد كان معلوما بذلك أن يكون ما حول الكعبة من داخل المسجد وان ما كان خارج المسجد فكة لا بكة لانه لا معنى لخارجه يوجب على الناس التبالك فيه واذ كان ذلك كذلك كان بينا بذلك فساد قول من قال بكة اسم لبطن مكة ومكة اسم للحرم ذكر من قال في ذلك ما قلنا من أن بكة موضع مزدحم الناس للطواف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن حصين عن أبي مالك الغفاري في قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة قال بكة موضع البيت ومكة ما سوى ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن أبي جعفر قال مرت امرأة بين يدي رجل وهو يصلي وهي تطوف بالبيت فدفعها قال أبو جعفر انها بكة تبك بعضها بعضا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا سلمة عن مجاهد قال انما سميت بكة لان الناس يتباكون فيها الرجال والنساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جاد عن سعيد قال قلت لاي شئ سميت بكة قال لانهم يتباكون فيها قال يعني يتزاحمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن الاسود بن قيس عن أخيه عن ابن الزبير قال انما سميت بكة لانهم يأتونها حجاجا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا فان الله بك به الناس بيعافيصلي النساء قدام الرجال ولا يصلح ببلد غيره حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بكة بك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن فضيل بن مسروق عن عطية العوفي قال بكة موضع البيت ومكة ما حولها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يحيى بن أزهر عن غالب بن عبيد الله انه سأل ابن شهاب عن بكة قال بكة البيت والمسجد وسأله عن مكة فقال ابن شهاب مكة الحرم كله حدثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء ومجاهد قالا بكة بك فيها الرجال والنساء حدثني عبد الجبار بن يحيى الرملي قال قال ضمرة ابن ربيعة بكة المسجد ومكة البيوت وقال بعضهم بما حدثني به يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة قال هي مكة وقيل مباركا لان الطواف به مغفرة للذنوب فما نصب قوله مباركا فانه على الخروج من قوله وضع لان في وضع ذكرا

أنورو أذهانهم أصفى وتوفيق الله وتسديده معهم أوفى ثم اذا حكموا بحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفتهم في ذلك الحكم كما ان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص والا لقيل الا ما حرمه الله على اسرائيل فلما نسب الى اسرائيل دل على انه باجتهاده كما يقال الشافعي يحلل لحم الخيل وأبو حنيفة يحرمه وقال الاصم لعل نفسه تتوق الى هذه الانواع فامتنع من أكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب ومعنى قوله من قبل أن تنزل التوراة ان هذا الاستثناء انما كان قبل نزول التوراة أما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم أنواعا كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا الى آخر الآية ثم ان القوم نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الله تعالى فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروى انهم لم يجسروا على اخراج التوراة فبهتوا فلزمت الحجة عليهم وظهر اعجاز النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه فلهذا قال فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذي ظهر من الحجة الباهرة فأولئك هم الظالمون الواضعون الباطل في موضع الحق والكذب في مقام الصدق والعناد في محل الانصاف وأيضا ان تكذيبهم وافتراءهم ظلم منهم لانفسهم ولمن يقتدي بهم من أشياعهم قل صدق الله في جواب الشبه الثلاث وفيه تعريض تكذيبهم فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وهي التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه حتى تخلصوا من

من البيت هو به مشغول وهو معرفة ومبارك نكرة لا يصلح أن يتبعه في الاعراب وأما على قول من قال هو أول بيت وضع للناس على ما ذكرنا في ذلك قول من ذكرنا قوله فانه نصب على الحال من قوله للذي ببكة لان معنى الكلام على قولهم ان أول بيت وضع للناس البيت ببكة مباركا فالبيت عندهم من صفة الذي ببكة والذي نصبته معرفة والمبارك نكرة فنصب على القطع منه في قول بعضهم وعلى الحال في قول بعضهم وهدى في موضع نصب على العطف على قوله مباركا ۞ القول في تأويل قوله (فيه آيات بينات) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ قراء الامصار فيه آيات بينات على جماع انه بمعنى فيه علامات بينات وقرأ ذلك ابن عباس فيه آية بينة يعني بها مقام ابراهيم يراد بها علامة واحدة ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله فيه آيات بينات وما تلك الآيات فقال بعضهم مقام ابراهيم والمشعر الحرام ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم والمشعر حدثنا اسحق بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ومجاهد فيه آيات بينات مقام ابراهيم قالا مقام ابراهيم من الآيات البينات وقال آخرون الآيات البينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله فيه آيات بينات قال مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا وقال آخرون الآيات البينات هو مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم أما الآيات البينات فمقام ابراهيم والذي قرؤا ذلك فيه آية بينة على التوحيد فانهم عنوا بالآية البينة مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فيه آيات بينات قال قدماء في المقام آية بينة يقول ومن دخله كان آمنا هذا شيء آخر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث عن مجاهد فيه آية بينة مقام ابراهيم قال أثر قدميه في المقام آية بينة * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال الآيات البينات منهن مقام ابراهيم وهو قول قتادة ومجاهد الذي رواه معمر عنهما فيكون الكلام مرادا فيه منهن فترك ذكرها اكتفاء بدلالة الكلام عليها فان قال قائل فهذا المقام من الآيات البينات فما سائر الآيات التي من أجلها قيل آيات بينات قيل منهن المقام ومنهن الحجر ومنهن الحطيم وأصح القراءتين في ذلك قراءة من قرأ فيه آيات بينات على الجماع لاجماع قراء أمصار المسلمين على ان ذلك هو القراءة الصحيحة دون غيرها وأما اختلاف أهل التأويل في تأويل مقام ابراهيم فقد ذكرناه في سورة البقرة وبينا أولى الاقوال بالصواب فيه هنالك وانه عند المقام المعروف به فتأويل الآية اذا ان أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين للذي ببكة فيه علامات بينات من قدرة الله وآثار خليله ابراهيم منهن أثر قدم خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم في الحجر الذي قام عليه ۞ القول في تأويل قوله (ومن دخله كان آمنا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله الخبر عن ان كل من جرى في الجاهلية جريرة ثم عاذ بالبيت لم يكن بها ماخوذا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن دخله كان آمنا وهذا كان في الجاهلية كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه ثم لجأ الى حرم الله لم يتناول ولم يطلب فاما في الاسلام فانه لا يمنع من حدود الله من سرق فيه قطع ومن زنى فيه أقيم عليه الحد ومن قتل فيه قتل وعن قتادة ان الحسن كان يقول ان الحرم لا يمنع من حدود الله لو أصاب حدا في غير الحرم فلجأ الى الحرم لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد ورأى قتادة ما قاله الحسن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ومن دخله كان آمنا قال ذلك كان في الجاهلية فاما اليوم فان سرق فيه أحد قطع وان قتل فيه قتل ولو قدر فيه على المشركين قتلوا حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال ثنا

اليهودية التي فيها فساد دينكم ودنياكم حيث أجلتكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلت لابراهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين وفيه تنبيه على أن محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم في الفروع لما ثبت ان الذي حكم صلى الله عليه وسلم بحله حكم ابراهيم بحله وفي الاصول لان محمدا صلى الله عليه وسلم وابراهيم كليهما صلى الله عليهما وسلم لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى وخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله سبحانه ان أول بيت وضع للناس قال مجاهد هو جواب عن شبهة أخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت المقدس أفضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وأرض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الآية المتقدمة سيقت لجواز النسخ وان أعظم الامور التي أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى الكعبة وقيل لما انجر الكلام في الآية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابراهيم وكان الحج من أعظم شعائر ملته أردفها بفضيلة البيت ليفرغ عليها ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى انه على ملة ابراهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابراهيم وأهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال أول عبد اشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لعدم تعيين الفرد ولو اشترى في المرة الثانية عبدا ولم يعد الى بيعتق أيضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه محل تعبدهم وموضع طاعتهم

عبد

يتوجهون نحو من جميع الاقطار وليس كل أول يقتضي أن يكون له ثان فضلا أن يشاركه في جميع خواصه فلا يلزم من كونه أول أن يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه أول بيت وضع للناس يحتمل أن يكون المراد انه أول في البناء والوضع ويحتمل أن يراد انه أول في الوضع وان كان متأخرا في البناء فلا جرم حصل فيه المفسرين قولان الاول انه أول في بنائه ووضعه جميعا روى الواحدي رحمه الله في البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارضين وفي رواية أخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارض بالفي سنة وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروى أيضا عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن آبائه قال ان الله تعالى بعث ملائكة فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وأمر الله تعالى من في الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم وقد ورد في سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمر وابن مجاهد والسدي انه أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض من تحته وعن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابراهيم ثلاثة صفوح منها كتاب في الصفح الاول أنا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أفلاك حفافا باركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الثاني أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الثالث أنا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير

عبد السلام بن حرب قال ثنا خصيف عن مجاهد في الرجل يقتل ثم يدخل الحرم قال يؤخذ فيخرج من الحرم ثم يقام عليه الحد يقول القتل **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن حماد مثل قول مجاهد **حدثنا** ابن كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا هشام عن الحسن وعطاء في الرجل يصيب الحد ويلجأ الى الحرم يخرج من الحرم فيقام عليه الحد فتأويل الآية على قول هؤلاء فيه آيات بينات مقام ابراهيم والذي دخله من الناس كان آمنا بها في الجاهلية وقال آخرون معنى ذلك ومن دخله يكن آمنا بها بمعنى الجزاء كنحو قول القائل من قام لي أكرمته بمعنى من يقم لي أكرمه وقالوا هذا أمر كان في الجاهلية كان الحرم مفزع كل خائف وملجأ كل جان لانه لم يكن يهاج به ذو جرة ولا يعرض الرجل لقاتل أبيه وابنه بسوء قالوا وكذلك هو في الاسلام لان الاسلام زاده تعظيما وتكريما ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال ثنا مجاهد قال قال ابن عباس اذا أصاب الرجل الحد قتل أو سرق فدخل الحرم لم يبايع ولم يؤو حتى يتبرم فيخرج من الحرم فيقام عليه الحد قال فقلت لابن عباس ولكني لا أرى ذلك أرى ان يؤخذ ومنه ثم يخرج من الحرم فيقام عليه الحد فان الحرم لا يزيده الا شدة **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا عبد الملك عن عطاء قال أخذ ابن الزبير سعدا مولى معاوية وكان في قلعة بالطائف فارسل الى ابن عباس من يشاوره فيهم انهم لناعين فارسل اليه ابن عباس لو وجدت قاتل أبي لم أعرض له قال فارسل اليه ابن الزبير ألا تخرجهم من الحرم قال فارسل اليه ابن عباس أفلا قبل أن تدخلهم الحرم زاد أبو السائب في حديثه فاخرجهم فصلبهم ولم يصغ الى قول ابن عباس **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس قال من أحدث حدثا في غير الحرم ثم لجأ الى الحرم لم يعرض له ولم يبايع ولم يكلم ولم يؤو حتى يخرج من الحرم فاذا خرج من الحرم أخذ فاقيم عليه الحد قال ومن أحدث في الحرم حدثا أقيم عليه الحد **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابراهيم بن اسمعيل بن نصر السلمي عن أبي حبيبة عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس انه قال من أحدث حدثا ثم استجار بالبيت فهو آمن وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شيء الى أن يخرج فاذا خرج قاموا عليه الحد **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا حجاج عن عطاء عن ابن عمر قال لو وجدت قاتل عمر في الحرم ما هجته **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن عطاء ان الوليد بن عتبة أراد أن يقيم الحد في الحرم فقال له عبيد بن عمير لا تقم عليه الحد في الحرم الا أن يكون أصابه فيه **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مطرف عن عامر قال اذا أصاب الحد ثم هرب الى الحرم فقد أمن فاذا أصابه في الحرم أقيم عليه الحد في الحرم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن فراس عن الشعبي قال من أصاب حدا في الحرم أقيم عليه في الحرم ومن أصابه خارجا من الحرم ثم دخل الحرم لم يكلم ولم يبايع حتى يخرج من الحرم فيقام عليه **حدثنا** سعيد بن يحيى الاموي قال ثنا عبد السلام بن حرب قال ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعن عبد الملك عن عطاء بن أبي رباح في الرجل يقتل ثم يدخل الحرم قال لا يبيعه أهل مكة ولا يشترون منه ولا يسقونه ولا يطعمونه ولا يؤونه عد أشياء كثيرة حتى يخرج من الحرم فيؤخذ بذنبه **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الرجل اذا أصاب حدا ثم دخل الحرم أنه لا يطعم ولا يسقى ولا يؤوى ولا يكلم ولا ينكح ولا يبايع فاذا خرج منه أقيم عليه الحد **حدثني** المثنى قال ثنى حجاج قال ثنا حماد عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال اذا أحدث الرجل حدثا ثم دخل الحرم لم يؤو ولم يجالس ولم يبايع ولم يطعم ولم يسق حتى يخرج من الحرم **حدثني** المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد

عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما قوله ومن دخله كان آمنا فلو أن رجلا قتل رجلا ثم أتى الكعبة فقام بفنائها ثم لقيه أخو المقتول لم يحل له أبدا أن يقتله * وقال آخرون معنى ذلك ومن دخله يكن آمنا من النار ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن مسلم قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا رزيق بن مسلم المخزومي قال ثنا زياد بن أبي عياض عن يحيى بن جعدة في قوله ومن دخله كان آمنا قال آمنا من النار * وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول ابن الزبير ومجاهد والحسن ومن قال معنى ذلك ومن دخله من غيره ممن لجأ اليه عائذا به كان آمنا ما كان فيه ولكنه يخرج منه فيقام عليه الحد ان كان أصاب ما يستوجب به في غيره ثم لجأ اليه وان كان أصابه فيه أقيم عليه فيه فتأويل الآية اذن فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن يدخله من الناس مستجيرا به يكون آمنا مما استجار منه ما كان فيه حتى يخرج منه * فان قال قائل وما منعك من اقامة الحد عليه فيه قيل لاتفاق جميع السلف على ان من كانت جريرته في غيره ثم عاذ به فانه لا يؤخذ بجريرته فيه وانما اختلفوا في صفة اخراجه منه لاخذه بها فقال بعضهم صفة ذلك منعه المعاني التي يضطر مع منعه وفقده الى الخروج منه وقال آخرون لا صفة لذلك غير اخراجه منه بما أمكن اخراجه من المعاني التي توصل الى اقامة حد الله عليه معها فلذلك قلنا غير جائز اقامة الحد عليه فيه الا بعد اخراجه منه فاما من أصاب الحد فيه فانه لا خلاف بين الجميع في أنه يقام عليه فيه الحد فكانت المسئلتين أصل مجمع على حكمها على ما وصفنا * فان قال لنا قائل وما دلالتك ان اخراج العائذ بالبيت اذا أتاه مستجيرا به من جريرة جرها أو من حد أصابه من الحرم جائز لاقامة الحد عليه وأخذه بالجريرة وقد أقررت بان الله عز وجل قد جعل من دخله آمنا ومعنى الآمن غير معنى الخائف فبماذا هما فيه مختلفان قيل قلنا ذلك لاجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان اخراج العائذ به من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها وجبت عليه بها عقوبة منه ببعض معاني الاخراج لاخذه بما لزمه واجب على امام المسلمين وأهل الاسلام معه وانما اختلفوا في السبب الذي يخرج به منه فقال بعضهم السبب الذي يجوز اخراجه به منه ترك جميع المسلمين مبايعته واطعامه وسقيه وايواءه وكلامه وما أشبه ذلك من المعاني التي لاقرار للعائذ به فيه مع بعضها فكيف مع جميعها وقال آخرون منهم بل اخراجه لاقامة ما لزمه من العقوبة واجب بكل معاني الاخراج فلما كان اجماعا من الجميع على ان حكم الله فيمن عاذ بالبيت من حد أصابه أو جريرة جرها اخراجه منه لاقامته فرض الله على المؤمنين اقامته عليه ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز اخراجه به منه كان اللازم لهم ولامامهم اخراجه منه باي معنى أمكنهم اخراجه منه حتى يقيموا عليه الحد الذي لزمه فلو جاءه اذا كان لجأ اليه من خارج على ما قد بينا قبل وبعد فان الله عز وجل لم يضيع حدا من حدوده على أحد من خلقه من أجل بقعة وموضع صار اليها مما لزمه ذلك وقد تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ولا خلاف بين جميع الامة ان عائذا لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي صلى الله عليه وسلم يؤاخذ بالعقوبة فيه ولولا ما ذكرت من اجماع السلف على ان حرم ابراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه لكان أحق البقاع أن تؤدى فيه فرائض الله التي ألزمها عباده من قتل أو غيره أعظم البقاع الى الله كحرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ولكنا أمرنا باخراج من أمرنا باخراجه من حرم الله لاقامة الحد عليه لما ذكرنا من فعل الامة ذلك وراثة عن الكلام اذ كان الامر على ما وصفنا ومن دخله كان آمنا ما كان فيه فاذا كان ذلك كذلك فمن لجأ اليه من عقوبة لزمته عائذا به فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه وانما يصير الى الخوف بعد الخروج به أو الخروج منه فحينئذ هو غير داخله ولا هو فيه * القول في تأويل قوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) يعني بذلك

على يديه ويل لمن كان الشر على يديه (١٨) وقد يستدل على صحة هذا القول بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا بعد وجودها ولانه تعالى سماها أم القرى وهذا يقتضي سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلاة كان ثابتا في أديان جميع الانبياء وأيضا قال تعالى في سورة مريم أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله خروا سجدا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم غير الكعبة لم تكن هي أول بيت وضع للناس هذا محال خلف القول الثاني روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فسئل كم بينهما قال أربعون سنة وعن علي أن رجلا قال له هو أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة اعلم أن الغرض الاصلي من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس ولا تاثير لاولية البناء في هذا المقصود وان كان الاولى ثبوت تلك الاولية أيضا كما روينا آنفا في سورة البقرة أيضا من الاخبار والآثار في فضائل البيت أن الآمر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبرائيل والبانيه ابراهيم الخليل وتلميذه ابنه اسمعيل ومنها أنه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابراهيم كما يجيء ومنها قلة ما يجتمع من الحصى الجمار فيه فانه منذ آلاف سنة ترمى في كل سنة ستمائة ألف انسان كل واحد منهم سبعون حصاة ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمرات سيل ماء أو مهب رياح شديدة وقد جاء في الآثار أن كل من جبل

عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما قوله ومن دخله كان آمنا فلو أن رجلا قتل رجلا ثم أتى الكعبة فقام بفنائها ثم لقيه أخو المقتول لم يحل له أبدا أن يقتله * وقال آخرون معنى ذلك ومن دخله يكن آمنا من النار ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن مسلم قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا رزيق بن مسلم المخزومي قال ثنا زياد بن أبي عياض عن يحيى بن جعدة في قوله ومن دخله كان آمنا قال آمنا من النار * وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول ابن الزبير ومجاهد والحسن ومن قال معنى ذلك ومن دخله من غيره ممن لجأ اليه عائذا به كان آمنا ما كان فيه ولكنه يخرج منه فيقام عليه الحد ان كان أصاب ما يستوجب به في غيره ثم لجأ اليه وان كان أصابه فيه أقيم عليه فيه فتأويل الآية اذن فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن يدخله من الناس مستجيرا به يكون آمنا مما استجار منه ما كان فيه حتى يخرج منه * فان قال قائل وما منعك من اقامة الحد عليه فيه قيل لاتفاق جميع السلف على ان من كانت جريرته في غيره ثم عاذ به فانه لا يؤخذ بجريرته فيه وانما اختلفوا في صفة اخراجه منه لاخذه بها فقال بعضهم صفة ذلك منعه المعاني التي يضطر مع منعه وفقده الى الخروج منه وقال آخرون لا صفة لذلك غير اخراجه منه بما أمكن اخراجه من المعاني التي توصل الى اقامة حد الله عليه معها فلذلك قلنا غير جائز اقامة الحد عليه فيه الا بعد اخراجه منه فاما من أصاب الحد فيه فانه لا خلاف بين الجميع في أنه يقام عليه فيه الحد فكانت المسئلتين أصل مجمع على حكمها على ما وصفنا * فان قال لنا قائل وما دلالتك ان اخراج العائذ بالبيت اذا أتاه مستجيرا به من جريرة جرها أو من حد أصابه من الحرم جائز لاقامة الحد عليه وأخذه بالجريرة وقد أقررت بان الله عز وجل قد جعل من دخله آمنا ومعنى الآمن غير معنى الخائف فبماذا هما فيه مختلفان قيل قلنا ذلك لاجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على ان اخراج العائذ به من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها وجبت عليه بها عقوبة منه ببعض معاني الاخراج لاخذه بما لزمه واجب على امام المسلمين وأهل الاسلام معه وانما اختلفوا في السبب الذي يخرج به منه فقال بعضهم السبب الذي يجوز اخراجه به منه ترك جميع المسلمين مبايعته واطعامه وسقيه وايواءه وكلامه وما أشبه ذلك من المعاني التي لا قرار للعائذ به فيه مع بعضها فكيف مع جميعها وقال آخرون منهم بل اخراجه لاقامة ما لزمه من العقوبة واجب بكل معاني الاخراج فلما كان اجماعا من الجميع على ان حكم الله فيمن عاذ بالبيت من حد أصابه أو جريرة جرها اخراجه منه لاقامته فرض الله على المؤمنين اقامته عليه ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز اخراجه به منه كان اللازم لهم ولامامهم اخراجه منه باي معنى أمكنهم اخراجه منه حتى يقيموا عليه الحد الذي لزمه فلو جاءه اذا كان لجأ اليه من خارج على ما قد بينا قبل وبعد فان الله عز وجل لم يضيع حدا من حدوده على أحد من خلقه من أجل بقعة وموضع صار اليها مما لزمه ذلك وقد تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ولا خلاف بين جميع الامة ان عائذا لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي صلى الله عليه وسلم يؤاخذ بالعقوبة فيه ولولا ما ذكرت من اجماع السلف على ان حرم ابراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه لكان أحق البقاع أن تؤدى فيه فرائض الله التي ألزمها عباده من قتل أو غيره أعظم البقاع الى الله كحرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ولكنا أمرنا باخراج من أمرنا باخراجه من حرم الله لاقامة الحد عليه لما ذكرنا من فعل الامة ذلك وراثة عن الكلام اذ كان الامر على ما وصفنا ومن دخله كان آمنا ما كان فيه فاذا كان ذلك كذلك فمن لجأ اليه من عقوبة لزمته عائذا به فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه وانما يصير الى الخوف بعد الخروج به أو الخروج منه فحينئذ هو غير داخله ولا هو فيه * القول في تأويل قوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) يعني بذلك

جل ثناؤه وفرض واجب لله على من استطاع من أهل التكليف السبيل الى بيته الحرام الحج اليه وقد بينا فيما مضى معنى الحج ودللنا على صحة ما قلنا من معناه بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل من استطاع اليه سبيلا وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج فقال بعضهم هي الزاد والراحلة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد ابن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمرو بن دينار الزاد والراحلة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن ابن حباب عن الضحاك عن ابن عباس في قوله من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والبعير حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا والسبيل أن يصح بدن العبد ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل عن أبي عبد الله البجلي قال سألت سعيد بن جبير عن قوله من استطاع اليه سبيلا قال قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فهو السبيل اليه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن اسحق بن عثمان قال سمعت عطاء يقول السبيل الزاد والراحلة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اما من استطاع اليه سبيلا فان ابن عباس قال السبيل راحلة وزاد حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال أخبرنا الربيع بن صبيح عن الحسن قال الزاد والراحلة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحسن قال قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فقال رجل يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة واعتل قائلوا هذه المقالة باخبار رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ما قالوا في ذلك ذكر الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابراهيم بن يزيد الجوزي قال سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر قال قام رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما السبيل قال الزاد والراحلة حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن ابراهيم الجوزي عن محمد بن عباد عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله عز وجل من استطاع اليه سبيلا قال السبيل الى الحج الزاد والراحلة حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر ابن المفضل قال ثنا يونس وثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة حدثنا أبو عثمان المقدمي والمثنى بن ابراهيم قالا ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا هلال بن عبيد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي قال ثنا أبو اسحق عن الحرث عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك ان الله عز وجل يقول في كتابه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال له قائل أو رجل يا رسول الله ما السبيل اليه قال من وجد زادا وراحلة حدثنا أحمد ابن الحسن الترمذي قال ثنا شاذ بن فياض البصري قال ثنا هلال بن هشام عن ابن اسحق الهمداني عن الحرث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة فلم يحج مات يهوديا أو نصرانيا وذلك ان الله يقول في كتابه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الآية حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا حماد بن سلمة عن

ودفعه عن سعيد بن جبير كيف لا نعلم يقينا كون قبلها أو بعدها وفي الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر رضي الله عنه وقوله تعالى لبيت بحج

عنها البتة اذا وصلت الى محاذاتها ومنها أن الحيوانات المتضادة في الطباع لا يؤذي بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها أمن سكانها فلم ينقل البتة ان ظالما هدم الكعبة أو خرب مكة بالكلية وأما بيت المقدس فقد هدمه بختنصر بالكلية مرتين أصحاب الفيل سوف تجيء في وضعها ان شاء العزيز ومنها انه تعالى وضعها بوادغير ذي زرع لفوائد منها انه قطع بذلك رجاء أهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها أنه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات كل شيء بدعوة خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم وانه من أعظم الآيات ومنها أن لا يسكنها أحد من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فيبقى ذلك الموضع المنيف والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود أرباب الهمم الدنية ومنها أن لا يقصدها الناس للتجارة بل يأتون لمحض العبادة والزيارة ومنها أنه تعالى أظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع أشرف البيوت في أقل المواضع نصيبا من الدنيا فكأنه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا أهل البلد الامين لأجعلهم في الآخرة أهل المقام الامين ومنها كأنه قيل كما لم أجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا أجعل كعبة المعرفة الا في قلب خال عن محبة الدنيا للذي ببكة البيت الذي ببكة قال في الكشاف وهي علم البلد الحرام ومكة وبكة لغتان كراتب وراتم وضربة لازم ولازب مما يعتقب فيه الميم والباء لتقارب مخرجهما وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة وأما اشتقاق بكة من قولهم بكه اذا زحمه

ابن علي الباقر يصلي فمرت امرأة بين يديه فذهبت أدفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا فمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي ولا باس بذلك في هذا المكان ويؤكد هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان المطاف هناك وفيه الازدحام ولا شك أن بكة غير البيت لان الآية تدل على أن البيت حاصل في بكة والشئ لا يكون مظروفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه وأما مكة فاشتقاقها من قولك أمك الفصيل ضرع أمه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجتذب الناس من كل جانب وقطر أو لغلة مائها كأن أرضها امتصت ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تملك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين أما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير الذي ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار وأما معناه فالبركة تارة النمو والتزايد وكثرة الخير وأما البقاء والدوام وكل شئ ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة تشبه الحوض لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل في نفسه أن الكعبة كالنقطة ومعروف المتوجهين اليها في الصلوات في أقطار الارض وأكنافها ولعمري انها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا

قتادة وحميد عن الحسن ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل اليه قال الزاد والراحلة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن قتادة عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وقال آخرون السبيل الذي اذا استطاعها المرء كان عليه الحج الطاقة للوصول اليه قال وذلك قد يكون بالمشي وبالركوب وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول اليه بامتناع الطريق من العدو الحائل وبقلة الماء وما أشبه ذلك قالوا فلا بيان في ذلك أبين مما بينه الله عز وجل بان يكون مستطيعا اليه السبيل وذلك الوصول اليه بغير مانع ولا حائل بينه وبينه وذلك قد يكون بالمشي وحده وان أعوزه المركب وقد يكون بالمركب وغير ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن خالد بن أبي كريمة عن رجل عن ابن الزبير قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال على قدر القوة حدثنا علي بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة فان كان شابا صحيحا ليس له مال فعليه أن يؤاجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضي حجته فقال له قائل كاف الله الناس أن يمشوا الى البيت فقال لو أن لبعضهم ميراثا بمكة أكان تاركه والله لا نطلق اليه ولو حبوا كذلك يجب عليه الحج حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكير قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء من وجد شيأ يبلغه فقد وجد سبيلا كما قال الله عز وجل من استطاع اليه سبيلا حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو هانئ قال ثنا سهل بن عامر عن هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال السبيل ما يسره الله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن من وجد شيأ يبلغه فقد استطاع اليه سبيلا وقال آخرون السبيل الى ذلك الصحة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد ومحمد بن عبيد الله بن عبد الحكم والمثنى بن ابراهيم قالوا حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ قال ثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة قالا أخبرنا شرحبيل بن شريك المغافري انه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول في هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال السبيل الصحة وقال آخرون بما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال من وجد قوة في النفقة والجسد والحلال قال وان كان في جسده ما لا يستطيع الحج فليس عليه الحج وان كان له قوة في مال كما اذا كان صحيح الجسد ولا يجد مالا ولا قوة يقولون لا يكلف أن يمشي * وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء ان ذلك على قدر الطاقة لان السبيل في كلام العرب الطريق فمن كان واجدا طريقا الى الحج لا مانع له منه من زمانة أو عجز أو عدو أو قلة ماء في طريقه أو زاد وضعف عن المشي فعليه فرض الحج لا يجزيه الا أداؤه فان لم يكن واجدا سبيلا أعني بذلك فان لم يكن مطيقا الحج بتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه فهو ممن لا يجد اليه طريقا ولا يستطيعه لان الاستطاعة الى ذلك هو القدرة عليه ومن كان عاجزا عنه ببعض الاسباب التي ذكرنا أو بغير ذلك فهو غير مطيق ولا يستطيع اليه السبيل وانما قلنا هذه المقالة أولى بالصحة مما خالفها لان الله عز وجل لم يخصص اذ ألزم الناس فرض الحج بعض مستطيعي السبيل اليه بسقوط فرض ذلك عنه فذلك على كل مستطيع اليه سبيلا بعموم الآية فاما الاخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فانه الزاد والراحلة فانها أخبار في أسانيدها نظر لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين واختلف القراء في قراءة الحج فقرأ ذلك جماعة من قراء أهل المدينة والعراق بالكسر ولله على الناس حج البيت وقرأ ذلك جماعة أخر منهم بالفتح ولله على الناس حج البيت وهما لغتان معروفتان للعرب فالكسر لغة أهل نجد والفتح لغة أهل العالية ولم نر أحدا من أهل العربية ادعى فرقا بينهما في معنى ولا غيره غير ما ذكرنا من اختلاف اللغتين الا ما حدثنا به أبو هشام الرفاعي قال قال حسن الجعفي الحج مفتوح اسم والحج مكسور عمل وهذا قول لم نر أهل المعرفة

بلغاته

بلغات العرب ومعانى كلامهم يعرفونه بل رأيتهم مجمعين على ما وصفت من أنهما الفتان بمعنى واحد والذى نقوله فيه فى قراءة ذلك ان القراءتين اذا كانتا مستفيضتين فى قراءة أهل الاسلام ولا اختلاف بينهما فى معنى ولا غيره فهما قراءتان قد جاءتا بحجة فبأى القراءتين أعنى بكسر الحاء من الحج أو فتحها قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته وأما من التى مع قوله من استطاع فانه فى موضع خفض على الابدال من الناس لان معنى الكلام ولله على من استطاع من الناس سبيلا الى حج البيت حجه فلما تقدم ذكر الناس قبل من بين بقوله من استطاع اليه سبيلا الذى عليه فرض ذلك منهم لان فرض ذلك على بعض الناس دون جميعهم ۞ القول فى تأويل قوله (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) يعنى بذلك جل ثناؤه ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته فانكره وكفر به فان الله غنى عنه وعن حجه وعمله وعن سائر خلقه من الجن والانس كما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الواحد ابن زياد عن الحجاج بن أرطاة عن محمد بن أبى المجالد قال سمعت مقسما عن ابن عباس فى قوله ومن كفر قال من زعم أنه ليس بفرض عليه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا الحجاج عن عطاء وجويبر عن الضحاك فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال من جحد الحج وكفر به حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء قال من جحد به حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عمران القطان يقول من زعم ان الحج ليس عليه حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر عن عباد عن الحسن فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال من أنكره ولا يرى ان ذلك عليه حقا فذلك كفر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن كفر قال من كفر بالحج حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن أبى بشر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال من كفر بالحج كفر بالله حدثنى المثنى قال ثنا يعلى بن أسد قال ثنا خالد عن هشام بن حسان عن الحسن فى قول الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر قال من لم يره عليه واجبا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن كفر قال بالحج وقال آخرون معنى ذلك أن لا يكون معتقدا فى حكمه ان له الاجر عليه ولا اثر عليه بتركه اثما ولا عقوبة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن جريج قال ثنى عبد الله بن مسلم عن مجاهد فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال هو ما ان حج لم يره براوان قعد لم يره ماثما حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن ابن جريج عن مجاهد قال هو ما ان حج لم يره براوان قعد لم يره ماثما حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مطر عن أبى داود نفيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فقام رجل من هذيل فقال يا رسول من تركه كفر قال من تركه ولا يخاف عقوبته ومن حج ولا يرجو ثوابه فهو ذاك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ومن كفر فان الله غنى عن العالمين يقول من كفر بالله فلم يرجه براولا تركه ماثما وقال آخرون معنى ذلك ومن كفر بالله واليوم الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال سألته عن قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ما هذا الكفر قال من كفر بالله واليوم الآخر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله ومن كفر قال من كفر بالله واليوم الآخر حدثنا يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان كلهم فقال يا أيها الناس ان الله عز وجل كتب عليكم الحج

نورانية وضمائرهم وبانية علم أنه اذا توجهت تلك الارواح الصافية الى كعبة المعرفة واستقبلت أجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت أنوار أولئك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية فى سره قال العقال يجوز أن تكون بركته ماذكر فى قوله يجبى اليه ثمرات كل شئ فيكون كقوله الى الارض المقدسة التى باركنا فيها وان فسرنا البركة بالدوام فلا شك أنه لا تنفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكل آن يفرض فانه صبح لقوم ظهر لآخرين وعصر لغيرهم أو مغرب أو عشاء فلا تخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وأيضا بقاء الكعبة على هذه الحالة ألوفا من السنين دوام وأما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم أولانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد صلى الله عليه وسلم بما فيه من الآيات والاعاجيب أولانه يهدى الى الجنة ومعنى هدى هاديا أو ذا هدى قاله الزجاج وجوز أن يكون محله رفعا أى وهو هدى فيه آيات بينات يحتمل أن يراد بها ما عددنا من بعض فضائله ويكون قوله مقام ابراهيم غير متعلق بما قبله فكأنه قيل فيه آيات بينات ومع ذلك فهو مقام ابراهيم وموضعه الذى اختاره موجد الله فيه وقال الاكثرون ان الآيات بيانه وتفسيره قوله مقام ابراهيم اما بان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز ففيه دليل أيضا على علم الصانع وقدرته وارادته وحياته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله

ان ابراهيم كان أمة وأما بان يجعل المقام مشتملا على آيات لان أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة

فجعلوا آمنت به ملة واحدة وهي من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نستقبله فانزل الله عز وجل ومن كفر فان الله غني عن العالمين حدثني أحمد بن حازم قال أخبرنا أبو نعيم قال ثنا أبو هانئ قال سئل عامر عن قوله ومن كفر قال من كفر من الخلق فان الله غني عنه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن ابراهيم عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله ومن كفر بالله واليوم الآخر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن عكرمة مولى ابن عباس في قول الله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فقالت الملل نحن مسلمون فانزل الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين فحج المؤمنون وقعد الكفار وقال آخرون معنى ذلك ومن كفر بهذه الآيات التي في مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال قرأ ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا فقرأ حتى بلغ من استطاع اليه سبيلا ومن كفر قال من كفر بهذه الآيات فان الله غني عن العالمين ليس كما يقولون اذا لم يحج وكان غنيا وكانت له قوة فقد كفر بها وقال قوم من المشركين فانا نكفر بها ولا نفعل فقال الله عز وجل فان الله غني عن العالمين وقال آخرون بما حدثني ابراهيم بن عبد الله بن مسلم قال أخبرنا أبو عمر الضرير قال ثنا حماد عن حبيب بن أبي بقية عن عطاء بن أبي رباح في قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال من كفر بالبيت وقال آخرون كفره تركه اياه حتى يموت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اما من كفر فمن وجد ما يحج به ثم لم يحج فهو كافر * وأولى التأويلات بالصواب في ذلك قول من قال معنى ومن كفر ومن جحد فرض ذلك وأنكر وجوبه فان الله غني عنه وعن حجه وعن العالمين جميعا وانما قلنا ذلك أولى به لان قوله ومن كفر بعقب قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا بان يكون خبرا عن الكافر بالحج أحق منه بان يكون خبرا عن غيره مع ان الكافر بفرض الحج على من فرضه الله عليه بالله كافر وان الكفر أصله الجحود ومن كان له جاحدا وتفرضه منكرا فلا شك ان جاحد ما لم يرج بحجه براوان تركه فلم يحج لم يره مأثما فهذه التأويلات وان اختلفت العبارات بها فمتقاربات المعاني ۞ القول في تأويل قوله (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) يعني بذلك يا معشر يهود بني اسرائيل وغيرهم من سائر من ينتحل الديانة بما أنزل الله عز وجل من كتبه ممن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد نبوته لم تجحدون بآيات الله يقول لم تجحدون حجج الله التي أتاها محمدا في كتبكم وغيرها التي قد ثبتت عليكم بصدقه ونبوته حجته وأنتم تعلمون يقول لم تجحدون ذلك من أمره وأنتم تعلمون صدقه فاخبر جل ثناؤه عنهم أنهم متعمدون الكفر بالله وبرسوله على علم منهم ومعرفة من كفرهم وقد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله أن آيات الله محمد صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن في قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات والله شهيد على ما تعملون قال هم اليهود والنصارى ۞ القول في تأويل قوله (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون) يعني بذلك جل ثناؤه يا معشر يهود بني اسرائيل وغيرهم ممن ينتحل التصديق بكتب الله لم تصدون عن سبيل الله يقول لم تضلون عن طريق الله ومحجته التي شرعها لانبيائه وأوليائه وأهل الايمان من آمن يقول من صدق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله تبغونها عوجا يعني تبغون لها عوجا والهاء والالف اللتان في قوله تبغونها عائدتان على السبيل وانثها لتأنيث السبيل ومعنى قوله تبغون لها عوجا من قول الشاعر

دون بعض آية بإبقاء هذا الأثر دون آثار

الوفا من السنين آية قال الزجاج قوله ومن دخله كان آمنا من تتمة تفسير الآيات وهذه الجملة وان كانت من مبتدأ وخبر أ ومن شرط وجزاء الا أنه في تقدير مفرد من حيث المعنى فكأنه قيل فيه آيات بينات وأمن من دخل كما لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا كان معناه فيه آية بينة أمن من دخله وهذا التفسير بعد تصحيحه مبني على أن الاثنين جمع كما قال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القرآن هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر آيتان وطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله وكثيرا مما سواهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة ومنهم من تمم الثلاثة فقال مقام ابراهيم وأمن من دخله وان لله على الناس حجه وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع والمراد مقامات ابراهيم هي ما أقامه من المناسك فالمراد بالآيات شعائر الحج وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وأبو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد قاله في الكشاف وفيه قوله كيد لكون مقام ابراهيم وحده بيانا وأما حديث أمن من دخله فقد مر اختلاف العلماء فيه في سورة البقرة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وقيل كان آمنا من النار لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه الحرم والبقيع يوخذ بأطرافهما وقيل ان في الحجر وزمزم عبرة لمن اعتبر

وهو ما يسند ... وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على نبعة الجون وليس بها يومئذ

وهو عبد بني الحسحاس * يقال وما تبغيه حتى وجدته * كأنك قد واعدته أمس موعدا

يعني ما لبك وما تطلبه يقال ابغ كذا إذا أراد وابتغه فإذا أرادوا أعني على طلبه وابتغه لي قالوا ابغني بقطع الألف وكذلك يقال احلبني بمعنى اكفني الحلب وأحلبني أعني عليه وكذلك جميع ما ورد من هذا النوع فعلى هذا وأما العوج فهو الاود والميل وانما يعني بذلك الضلال عن الهدى يقول جل ثناؤه لم تصدون عن دين الله من صدق انه ورسوله تبغون دين الله اعوجاجا عن سننه واستقامته وخرج الكلام على السبيل والمعنى لاهله كان المعنى تبغون لاهل دين الله ولن هو على سبيل الحق عوجا يقول ضلالا عن الحق وزيغا عن الاستقامة على الهدى والمحجة والعوج بكسر أوله الاود في الدين والكلام والعوج بفتح أوله الميل في الحائط والقناة وكل شيء منتصب قائم وأما قوله وأنتم شهداء فانه يعني شهداء على ان الذي تصدون عنه من السبيل حق تعلمونه وتجدونه في كتبكم وما الله بغافل عما تعملون يقول ليس الله بغافل عن أعمالكم التي تعملونها بما لا يرضاه لعباده. وغير ذلك من أعمالكم حتى يعاجلكم بالعقوبة عليها معجلة أو يؤخر ذلك لكم حتى تلقوه فيجازيكم عليها وقد ذكر ان هاتين الآيتين من قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والآيات بعدهما الى قوله فاولئك لهم عذاب عظيم نزلت في رجل من اليهود حاول الاغراء بين الحيين من الاوس والخزرج ليراجعوا ما كانوا عليه في جاهليتهم من العداوة والبغضاء بعد الاسلام فعنفه الله بفعله ذلك وقبح له ما فعل ووبخه عليه ووعظ أيضا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن الافتراق والاختلاف وأمرهم بالاجتماع والائتلاف ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني الثقة عن زيد بن أسلم قال مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عتا في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من جماعتهم والفتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فامر فتى شابا من اليهود وكان معه فقال اعمد اليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت به الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحرث من الاوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة فخرجوا اليها وتحاور الناس فانضمت الاوس بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد ان هداكم الله الى الاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع فانزل الله في شاس بن قيس وما صنع يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآيتين فانزل الله عز وجل في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الى قوله أولئك لهم عذاب عظيم وقيل انه عنى بقوله يا أهل

واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت لما ذكر فضائل البيت أردفه بإيجاب الحج وهما لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وكلاهما مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله على من استطاع من الناس حج البيت وقال الفراء يجوز أن ينوي الاستئناف بمن والخبر أو الجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقال ابن الانباري يحتمل أن يكون محله رفعا على البيان كأنه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل هم من استطاع والضمير في اليه للبيت أو للحج واستطاعة السبيل الى الشيء هي امكان الوصول اليه واحتج أصحاب الشافعي بالآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح أن يكون معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الذمي مكلف بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم مع أن شرط صحة الايمان بمحمد غير حاصل والمحدث مكلف بالصلاة مع أن الوضوء الذي هو شرط صحة الصلاة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالآية على ان الاستطاعة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق أجابه الاشاعرة بان هذا أيضا لازم لكم لان القادر اما أن يكون مأمورا بالفعل قبل حصول الداعي الى الفعل وهو محال لانه تكليف

بحال الاطلاق أو بعد حصوله وحينئذ يكون

فوجب أن لا يتوجه التكليف والحق أن وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافي توجيه التكليف اليه واعلم أن الحج لا يجب باصل الشرع في العمر الا مرة واحدة لما روى عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام الاقرع بن حابس فقال أفي كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب أكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد وهو الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلاته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولي أن يحرم عن المجنون وعن الصبي الذي لا يميز وحينئذ يصح حجهما لما روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بامرأة وهي في محفتها فاخذت بعضد صبي كان معها فقالت ألهذا حج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ولك أجر وعن جابر قال حججنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا تصح مباشرة الحج من المجنون والصبي الذي لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبي المميز أن يحرم ويحج باذن الولي ولا يشترط فيها الحرية كسائر العبادات ولوقوعه عن حجة الاسلام شرطان زائدان البلوغ والحرية لقوله صلى الله عليه وسلم أيما صبي حج ثم بلغ فعليه حج الاسلام وأيما عبد حج ثم عتق فعليه حجة الاسلام والمعنى فيه أن الحج عبادة عمر لا يتكرر فاعتبر وقوعها في حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم اذن تصديقكم

الكتاب لم تصدون عن سبيل الله جماعة يهود بني اسرائيل الذين كانوا بين أظهر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام نزلت هذه الآيات والنصارى وان صدهم عن سبيل الله كان باخبارهم من سألهم عن أمر نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم هل يجدون ذكره في كتبهم أنهم لا يجدون نعته في كتبهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا كانوا اذا سألهم أحد هل تجدون محمدا قالوا لا فصدوا عنه الناس وبغوا محمدا عوجا هلاكا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله يقول لم تصدون عن الاسلام وعن نبي الله من آمن بالله وأنتم شهداء فيما تقرؤن من كتاب الله أن محمدا رسول الله وأن الاسلام دين الله الذي لا يقبل غيره ولا يجزي الا به يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع نحوه حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن في قوله قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله قال هم اليهود والنصارى نهاهم أن يصدوا المسلمين عن سبيل الله ويريدون أن يعدلوا الناس الى الضلالة فتأويل الآية على ما قاله السدي يا معشر اليهود لم تصدون عن محمد وتمنعون من اتباعه المؤمنين به بكتمانكم صفته التي تجدونها في كتبكم ومحمد على هذا القول هو السبيل تبغونها عوجا تبغون محمدا هلاكا وأما سائر الروايات غيره والاقوال في ذلك فانه نحو التأويل الذي بيناه قبل من أن معنى السبيل التي ذكرها في هذا الموضع الاسلام وما جاء به محمد من الحق من عند الله ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) اختلف أهل التأويل فيمن عنى بذلك فقال بعضهم عنى بقوله يا أيها الذين آمنوا الاوس والخزرج وبالذين أوتوا الكتاب شاس بن قيس اليهودي على ما قد ذكرنا قبل من خبره عن زيد بن أسلم وقال آخرون فيمن عنى بالذين آمنوا مثل قول زيد بن أسلم غير أنهم قالوا الذي جرى الكلام بينه وبين غيره من اذ نصارحي هموا بالقتال ووجد اليهودي به مغمزا فيهم ثعلبة بن غنمة الانصاري ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قال نزلت في ثعلبة بن غنمة الانصاري كان بينه وبين أناس من الانصار كلام فمشى بينهم يهودي من قينقاع فحمل بعضهم على بعض حتى همت الطائفتان من الاوس والخزرج أن يحملوا السلاح فيقاتلوا فانزل الله عز وجل ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين يقول ان حملتم السلاح فاقتتلتم كفرتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان عن حميد الاعرج عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب قال كان جماع قبائل الانصار بطنين الاوس والخزرج وكان بينهما في الجاهلية حرب ودماء وشنآن حتى من الله عليهم بالاسلام وبالنبي صلى الله عليه وسلم فاطفأ الله الحرب التي كانت بينهم وألف بينهم بالاسلام قال فبينا رجل من الاوس ورجل من الخزرج قاعدان يتحدثان ومعهما يهودي جالس ولم يزل يذكرهما أيامهما والعداوة التي كانت بينهم حتى استبا ثم اقتتلا قال فنادى هذا قومه وهذا قومه فخرجوا بالسلاح ووصف بعضهم لبعض قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد يومئذ بالمدينة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يمشي بينهم الى هؤلاء والى هؤلاء فسكتهم حتى رجعوا ووضعوا السلاح فانزل الله عز وجل القرآن في ذلك يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الى قوله عذاب عظيم فتأويل الآية يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله واقروا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله ان تطيعوا جماعة ممن ينتحل الكتاب من أهل التوراة والانجيل فتقبلوا منهم ما يأمرونكم به يضلوكم فيردوكم بعد

تعدون بكم رسولنا بكم بعد اقراركم بما جاءه من عند ربكم كافرين يقول لهم احذروا من لم تقدم منكم به وصدقتموه من الحق الذي جاءكم من عند ربكم فتهلكوا جل ثناؤه أن يتتحوهم ويقبلوا منهم رأيا أو مشورة لعلمهم تعالى ذكره أنهم لهم مغلوبون على غل وغش وحسد وبغض كما حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قد تقدم الله اليكم فيهم كما تسمعون وحذركم وأنبأكم بضلالتهم فلا يأتمنوهم على دينكم ولا تنتصحوهم على أنفسكم فانهم الاعداء الحسدة الضلال كيف تأتمنون قوما كفروا بكتابهم وقتلوا رسلهم وتحيروا في دينهم وعجزوا عن أنفسهم أولئك والله هم أهل التهمة والعداوة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ❁ القول في تأويل قوله عز وجل (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) يعني بذلك جل ثناؤه وكيف تكفرون أيها المؤمنون بعد ايمانكم بالله وبرسوله فترتدوا على أعقابكم وأنتم تتلى عليكم آيات الله يعني حجج الله عليكم التي أنزلها في كتابه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفيكم رسوله حجة أخرى عليكم لله مع آي كتابه يدعوكم جميع ذلك الى الحق ويبصركم الهدى والرشاد وينهاكم عن الغي والضلال يقول لهم تعالى ذكره فما وجه عذركم عندكم في جحودكم نبوة نبيكم وارتدادكم على أعقابكم ورجوعكم الى أمر جاهليتكم ان أنتم راجعتم ذلك وكفرتم وفيه هذه الحجج الواضحة والآيات البينة على خطائكم فعلكم ذلك ان فعلتموه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله الآية علمان بينان وجدان نبي الله صلى الله عليه وسلم وكتاب الله فاما نبي الله فمضى صلى الله عليه وسلم وأما كتاب الله فابقاه الله بين أظهركم رحمة من الله ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وأما قوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم فانه يعني ومن يتعلق باسباب الله ويتمسك بدينه وطاعته فقد هدي يقول فقد وفق لطريق واضح ومحجة مستقيمة غير معوجة فيستقيم به الى رضى الله والى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ومن يعتصم بالله فقد هدي قال يؤمن بالله وأصل العصم المنع فكل مانع شيا فهو عاصمه والممتنع به معتصم به ومنه قول الفرزدق

أنا ابن العاصمين بني تميم * اذا ما أعظم الحدثان نابا

وانما قيل للحبل عصام وللسبب الذي يتسبب به الرجل الى حاجته عصام ومنه قول الاعشى

الى المرء قيس أطيل السرى * وآخذ من كل حي عصم

يعني بالعصم الاسباب أسباب الذمة والامان يقال منه اعتصمت بحبل الله من فلان واعتصمت حبلا منه واعتصمت به واعتصمته وأفصح اللغتين ادخال الباء كما قال عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا وقد جاء اعتصمته كما قال الشاعر

اذا أنت جاوزت الاحاء بمثله * واستثنى ثم اعتصمت حبالها

فقال اعتصمت حبالها ولم يدخل الباء وذلك نظير قولهم تناولت الخطام وتناولت بالخطام وتعلقت به وتعلقته كما قال الشاعر

تعلقت هندا ناشئا ذات مئزر * وأنت وقد فارقت لم تدر ما الحلم

وقد بينت معنى الهدى والصراط وأنه معنى به الاسلام فيما مضى قبل بشواهده فكرهنا اعادته في هذا الموضع وقد ذكر ان الذي نزل في سبب تحاور القبيلتين الاوس والخزرج كان منه قوله وكيف

وكما لو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة ولو جوب حجة الاسلام شرط زائد على الثلاثة المذكورة آنفا وهو الاستطاعة بالآية والاستطاعة نوعان استطاعة مباشرته بنفسه واستطاعة تحصيله بغيره النوع الاول يتعلق به أمور أربعة أحدها الراحلة والناس قسمان أحدهما من بينه وبين مكة مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشي أو لم يكن لما روي انه صلى الله عليه وسلم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد والراحلة نعم لو كان قادرا على المشي يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوي على المشي يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل أيضا ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل فان وجد مؤنة تحمل أو شق محمل ووجد شريكا يجلس في الجانب الآخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا * القسم الثاني من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشي لزمه الحج والا فلا يجب الا مع الراحلة أو معها مع المحمل كما في حق البعيد والمراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها ملكا أو استئجارا بثمن المثل أو باجرة المثل وكذا في المحمل المتعلق الثاني الزاد وأوعيته وما يحتاج اليه في السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له أهل أو عشيرة يرجع اليهم أو لا غير الوطن من الايمان وكذا الراحلة للذهاب وأجرة البذرقة كل ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودائع ونفقة من يلزمه نفقتهم حينئذ الى العود وبعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد مسكنه ودست ثوب يليق به

أو كان له مستغلات يرتفق منها فالاصح عند الائمة انه يكفيه الاول والجد الزاد والراحلة في الحال ولا عبرة بغرور الغرر في الاستقبال
والمتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن (١٨) الامن على النفس من نحو سبع من عدو والامن على المال من عدو أو رصدي وان رضي

بشيء يسير والامن على البضع للمرأة بخروج زوج أو محرم أو نسوة ثقات وفي البحر يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف العادة والمتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض أو غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولا بد للاعمى من قائد وعند أبي حنيفة لا حج عليه ويروى انه يستنيب قال الائمة لا بد مع الشرائط من امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة ما يمكنه المسير فيه الى الحج به السير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلة أو أكثر لم يلزمه الحج وقوخرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة أهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلاة في وقتها فيجوز التراخي لكن ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال أحمد ومالك وأبو حنيفة في رواية انه على الفور وحجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة خمس من الهجرة وأخره النبي صلى الله عليه وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث أبا بكر أميرا على الحاج سنة تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما وأما النوع الثاني فهو استطاعة الاستنابة فانها جائزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت أو الكبر أو زمانة أو مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أختي

نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج أفاحج عنها فقال لو كان على أختك دين أكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله تعالى فهو أحق

تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن بن عطية قال ثنا قيس بن الربيع عن الاعمش عن خليفة بن خصين عن أبي نصر عن ابن عباس قال كانت الاوس والخزرج بينهم حرب في الجاهلية كل شهر فبينما هم جلوس اذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا فقام بعضهم الى بعض بالسلاح فنزلت هذه الآية وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله الى آخر الآيتين واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء الى آخر الآية ﴿ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) يعني بذلك جل ثناؤه يا معشر من صدق الله ورسوله اتقوا الله خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه حق تقاته حق خوفه وهو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ولا تموتن أيها المؤمنون بالله ورسوله الا وأنتم مسلمون لربكم مذعنون له بالطاعة مخلصون له الالوهة والعبادة ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن زبيد عن مرة عن عبد الله اتقوا الله حق تقاته قال أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن زبيد عن مرة الهمداني عن عبد الله مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن زبيد عن مرة الهمداني عن عبد الله مثله حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن زبيد عن مرة بن شراحيل الهمداني عن عبد الله بن مسعود مثله حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا جرير عن زبيد عن عبد الله مثله حدثنا المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مسعر عن زبيد عن مرة عن عبد الله مثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عوف قال أخبرنا هشيم عن المسعودي عن زبيد الايامي عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن زبيد عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا محمد بن سنان قال ثنا يحيى بن سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون اتقوا الله حق تقاته قال أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا شعبة قال ثنا عمرو بن مرة عن مرة عن الربيع بن خيثم قال أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى حدثنا المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت مرة الهمداني يحدث عن الربيع بن خيثم في قول الله عز وجل اتقوا الله حق تقاته فذكر نحوه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن طاوس يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال حق تقاته أن يطاع فلا يعصى حدثني محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ثم تقدم اليهم يعني الى المؤمنين من الانصار فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أما حق تقاته يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر حدثني المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا همام عن قتادة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال آخرون بل تأويل ذلك كما حدثني به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اتقوا الله حق تقاته

قال حق تقاته أن يجاهد في الله حق جهاده ولا يأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم ثم اختلف أهل التأويل في هذه الآية هل هي منسوخة أم لا فقال بعضهم هي محكمة غير منسوخة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله اتقوا الله حق تقاته انها لم تنسخ ولكن حق تقاته أن يجاهد في الله حق جهاده ثم ذكر تأويله الذي ذكرناه عنه آنفا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن قيس بن سعد عن طاوس يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته فان لم تفعلوا ولم تستطيعوا فلا تموتن الا وأنتم مسلمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال طاوس قوله ولا تموتن الا وأنتم مسلمون يقول ان لم تتقوه فلا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال آخرون هي منسوخة نسخها قوله فاتقوا الله ما استطعتم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم أنزل التخفيف واليسر وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه فقال اتقوا الله ما استطعتم فجاءت هذه الآية فيها تخفيف وعافية وتيسير حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال الانماطي قال ثنا همام عن قتادة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال نسختها هذه الآية التي في التغابن اتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وعليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطاعوا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال لما نزلت اتقوا الله حق تقاته ثم نزلي بعدها فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت هذه الآية التي في آل عمران حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فلم يطق الناس هذا فنسخها الله عنهم فقال اتقوا الله ما استطعتم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال جاء أمر شديد فقالوا ومن يعرف قدر هذا أو يبلغه فلما عرف انه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الاخرى فقال اتقوا الله ما استطعتم فنسخها وأما قوله ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فان تأويله كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن طاوس ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال على الاسلام وعلى حرمة الاسلام

القول في تأويل قوله (واعتصموا بحبل الله جميعا) يعني بذلك بل تناوه وتعلقوا بأسباب الله جميعا ويريد بذلك تعالى ذكره وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده اليكم في كتابه اليكم من الالفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لامر الله وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الاعتصام وأما الحبل فانه السبب الذي يوصل به الى البغية والحاجة ولذلك سمي الامان حبلا لانه سبب يوصل به الى زوال الخوف والنجاة من الجزع والذعر ومنه قول أعشى بني ثعلبة

واذا تجوزها حبال قبيلة * أخذت من الاخرى اليك حبالها

ومنه قول الله عز وجل الا بحبل من الله وحبل من الناس ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود انه قال في قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال الجماعة حدثنا المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال ثنا هشيم عن العوام عن الشعبي عن عبد الله في قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال حبل الله الجماعة وقال آخرون عني بذلك القرآن والعهد الذي عهد فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعتصموا بحبل الله جميعا حبل الله المتين الذي

بالقضاء عنه وان أمرأتي خشم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة أفاحج عنه قال نعم وقد تكون الاستنابة بطريق الاستئجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستئجار كتفريق الزكاة وعند أبي حنيفة وأحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو استأجر كان ثواب النفقة للآمر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني وأعطيك نفقتك وهذا أيضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استأجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لابد أن تكون معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو جبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الآية أنواع من التوكيد والتغليظ منها قوله لله على الناس أي حق واجب لله عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها أم لم يعرفوا فان كثيرا من أعمال الحج تعبدي محض ومنها بناء الكلام على الابدال ليكون تثنية المراد وتفصيلا بعد الاجمال وايراد الفرض في صورتين تقرر ذلك في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ ما فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار الغنى وتهويل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول فانه أرفق فانه يدل على غاية السخط والخذلان ووضع الظهر موضع الضمير حيث قال عن العالمين ولم يقل عنه لانه تعالى اذا كان غنيا عن كل العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد أولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد عام في حق كل من كفر ولا تعلق له بهذا الباب ومنهم

أمر أن يعتصم به هذا القرآن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال بعهد الله وأمره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن شقيق عن عبد الله قال ان الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون يا عبد الله هلم هذا الطريق ليصدوا عن سبيل الله فاعتصموا بحبل الله فان حبل الله هو كتاب الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد بن المفضل عن اسباط عن السدى واعتصموا بحبل الله جميعا أما حبل الله فكتاب الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بحبل الله بعهد الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء بحبل الله قال العهد حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن الاعمش عن أبى وائل عن عبد الله واعتصموا بحبل الله قال حبل الله القرآن حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال القرآن حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا اسباط بن محمد عن عبد الملك ابن أبى سليمان العرزمى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الارض * وقال آخرون بل ذلك هو اخلاص التوحيد لله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا يقول اعتصموا بالاخلاص لله وحده حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال الحبل الاسلام وقرأ ولا تفرقوا

القول فى تأويل قوله عز وجل (ولا تفرقوا) يعنى جل ثناؤه بقوله ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذى عهد اليكم فى كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء الى أمره كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ان الله عز وجل قد كره لكم الفرقة وقدم اليكم فيها وحذركموها ونهاكم عنها ورضى لكم السمع والطاعة والالفة والجماعة فارضوا لانفسكم ما رضى الله لكم ان استطعتم ولا قوة الا بالله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية ولا تفرقوا الا تعادوا عليه يقول على الاخلاص لله وكونوا عليه اخوانا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح أن الاوزاعى حدثه أن يزيد الرقاشى حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة وان أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلهم فى النار الا واحدة قال فقيل يا رسول الله وما هذه الواحدة قال فقبض يده وقال الجماعة واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا حدثنى عبد الكريم ابن أبى عمير قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت الاوزاعى يحدث عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن ابن أبى خالد عن الشعبى عن ثابت بن قطنة المرى عن عبد الله انه قال يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فانهما حبل الله الذى أمر به وان ما تكرهون فى الجماعة والطاعة هو خير مما تستحبون فى الفرقة حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن ثابت بن قطنة قال سمعت ابن مسعود وهو يخطب وهو يقول يا أيها الناس ثم ذكر نحوه حدثنا اسمعيل بن حفص الاملى قال ثنا عبد الله بن غير أبو هشام قال ثنا مجالد بن سعيد عن عامر عن ثابت بن قطنة المرى قال قال عبد الله عليكم بالطاعة والجماعة فانهما حبل الله الذى أمر به ثم ذكر نحوه

القول فى تأويل قوله (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) يعنى

لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر ومن الاحاديث الواردة فى تأكيد أمر الحج قوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع فى الثالثة وروى حجوا قبل أن لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه اى يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الامن أو غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت فى البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا تقفت أى هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نظروا أى عجل عقوبتهم ويستأصلون ثم انه سبحانه لما بين أهل الكتاب فى الخطاب فقال قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله التى دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بعد ظهور البينات ووضوح الشبهات أو بعد معرفة فضيلة الكعبة ووجوب الحج والله شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه وهذا الحال توجب ان لا يجسروا على الكفر بآياته ودلالتها على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لما أنكر عليهم فى ضلالهم وبخهم على اضلالهم فقال لم تصدون عن سبيل الله من آمن قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء الشكوك والشبهات فى قلوب ضعفة المسلمين وانكارا ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابهم ومنع من أراد الدخول فى الاسلام بعهدهم وكدهم أو بتذكيرهم ما كان بينهم فى الجاهلية من العداوات والحروب بقوله

يعودوا المثل وعمل تبغونها عوجا أى اعوجاجا نصب على الحال أو بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء فى كل ما لا يرى كالدين والقول وأما

بقوله جل ثناؤه واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الالفة والاجتماع على الاسلام واختلف أهل العربية في قوله اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فقال بعض نحوي البصرة في ذلك انقطع الكلام عند قوله واذكروا نعمة الله عليكم ثم فسر بقوله فألف بين قلوبكم وأخبر بالذي كانوا فيه قبل التأليف كما تقول امسك الحائط أن يميل وقال بعض نحوي الكوفة قوله اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم تابع قوله واذكروا نعمة الله عليكم غير منقطعة منها والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم متصل بقوله واذكروا نعمة الله عليكم غير منقطع وتأويل ذلك واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم حين كنتم أعداء أي بشر كثير يقتل بعضكم بعضا عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله فألف الله بالاسلام بين قلوبكم فجعل بعضكم لبعض اخوانا بعد اذ كنتم أعداء تتواصلون بالالفة الاسلام واجتماع كلمتكم عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم كنتم تذابحون فيها يأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالاسلام فآخى به بينكم وألف به بينكم أما والله الذي لا اله الا هو ان الالفة لرحمة وان الفرقة لعذاب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء يقتل بعضكم بعضا ويأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالاسلام فألف به بينكم وجمع جمعكم عليه وجعلكم عليه اخوانا فالنعمة التي أنعم الله على الانصار التي أمرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن يذكروها هي الالفة الاسلام واجتماع كلمتهم عليها والعداوة التي كانت بينهم التي قال الله عز وجل اذ كنتم أعداء فانها عداوة الحروب التي كانت بين الحيين من الاوس والخزرج في الجاهلية قبل الاسلام تزعم العلماء بايام العرب انها تطاولت بينهم عشرين ومائة سنة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق كانت الحرب بين الاوس والخزرج عشرين ومائة سنة حتى قام الاسلام وهم على ذلك فكانت حربهم بينهم وهم اخوان لاب وأم فلم يسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم ثم ان الله عز وجل ألطفا ذلك بالاسلام وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم فذكرهم جل ثناؤه اذ وعظهم عظيم ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء بعداوة بعضهم بعضا وقتل بعضهم بعضا وخوف بعضهم من بعض وما صاروا اليه بالاسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به وبما جاء به من الائتلاف والاجتماع وأمن بعضهم من بعض ومصير بعضهم لبعض اخوانا وكان سبب ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدني عن أشياخ من قومه قالوا قدم سويد بن صامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا قال وكان سويدا نما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره ونسبه وشرفه قال فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال محلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله علي هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه وقدم المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج فكان قومه ليقولون قد قتل وهو مسلم وكان قتله قبل يوم بعاث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني الحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل ان محمود بن أسد بن عبد الاشهل قال لما قدم أبو الحيش أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون

زبدت اللام فالتقدير تبغون لها عوجا كما تقول صددتك طيبا أي صددت لك طيبا والضمير عائد الى السبيل فانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بذلك المنعوت في كتابنا أو المراد انكم تبغون أنفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم ويحتمل أن يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا يدعون انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين وأنتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل قاله ابن عباس أو أنتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أنتم شهداء بين أهل دينكم عدول يصغون لاقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني الاحبار وفيه ان من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم أوعدهم بقوله وما الله بغافل عما تعملون كقول السيد لعبده وقد أنكر طريقته لا يخفى علي سيرتك واست بغافل عنك وانما ختم الآية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان ذلك فيما أظهروه من الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا فيما أضمروه وهو الصد بالاحتيال

والقاء الشبهة وفي تكرير الخطاب في الآيتين بقوله يا أهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه والين المقال لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة ويروى عن زيد بن أسلم وجابر أيضا ان شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر

الحلف من قريش على قوم من الخزرج سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس اليهم فقال هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما ذاك قال أنا رسول الله بعثني الى العباد أدعوهم الى الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وأنزل علي الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس ابن معاذ وكان غلاما حدثا أي قوم هذا والله خير مما جئتم له قال فأخذ أبو الحيس أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا قال فصمت اياس ابن معاذ وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ ان هلك قال فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينا هو عند العقبة اذا لقي رهطا من الخزرج أراد الله لهم خيرا قال ابن حميد قال ابن سلمة قال محمد بن اسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن اشياخ من قومه قال لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالي يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى قال فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا لهم ان نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله انه للنبي الذي يوعدكم به يهود ولا يسبقنكم اليه فاجابوه فيما دعاهم اليه بان صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام قالوا له انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وهم فيما ذكر لي ستة نفر قال فلما قدموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب

حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن عكرمة انه لقي النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر من الانصار فآمنوا به وصدقوه فاراد أن يذهب معهم فقالوا يا رسول الله ان بين قومنا حربا وانا نخاف ان جئت على حالك هذه أن لا يتبعوك الذي تريد فوعدوه العام المقبل وقالوا يا رسول الله نذهب فلعل الله أن يصلح تلك الحرب قال فذهبوا ففعلوا فاصلح الله عز وجل تلك الحرب وكانوا يرون انها لا تصلح وهو يوم بعاث فلقوه من العام المقبل سبعين رجلا قد آمنوا فاخذ عليهم النقباء اثني عشر نقيبا فذلك حين يقول واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم

حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما اذ كنتم أعداء ففي حرب فالف بين قلوبكم بالاسلام

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن أيوب عن عكرمة بنحوه وزاد فيه فلما كان من أمر عائشة ما كان فتنا وراجان فقال بعضهم لبعض موعدكم الحرة فخرجوا اليها فنزلت هذه الآية واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم عليه وسلم طائعين مطيعين فانزل الله عز وجل الآيات قال قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع أكره إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوى الينا بيده وكففنا وأصلح الله ما بيننا فما كان منهم أحب الينا من رسول الله صلى الله عليه

شديد اللعن على المسلمين طرا على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم تحدثوا فيه فاطال ذلك بينهم تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج فغضب وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيين أوس ابن قيظي أحد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه أن شئتم والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الآيات فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما سمعوا صوته صلى الله عليه وسلم انصتوا له صلى الله عليه وسلم وجعلوا يستمعون فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفي رواية يزيد بن أسلم خرج اليهم رسول الله فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله

إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوى الينا بيده وكففنا وأصلح الله ما بيننا فما كان منهم أحب الينا من رسول الله صلى الله عليه

قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا الآية فانا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يتلوها عليهم حتى أعنق بعضهم بعضا وحتى أن لهم لحنينا يعني البكاء وسمير الذي يزعم السدي ان قوله اذ كنتم أعداء عنى به حربه هو سمير بن زيد بن مالك أحد بني عمرو بن عوف الذي ذكره مالك بن العجلان في قوله

ان سميرا أرى عشيرته قد * حدثوا دونه وقد أبقوا
ان يكن الظن صادقي بني النجار لم يطعموا الذي علقوا

وقد ذكر علماء الانصار ان مبدأ العداوة التي هيجت الحروب التي كانت بين قبيلتيها الاوس والخزرج وأولها كان بسبب قتل مولى لمالك بن العجلان الخزرجي يقال له الحرب بن سمير من مزينة وكان حليفا لمالك بن العجلان ثم اتصلت تلك العداوة بينهم الى ان أطفأها الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فذلك معنى قول السدي حرب ابن سمير وأما قوله فاصبحتم بنعمته اخوانا فانه يعني فاصبحتم بتأليف الله عز وجل بينكم بالاسلام وكلمة الحق والتعاون على نصرة أهل الايمان والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر اخوانا متصادقين لاضغائن بينكم ولا تحاسد كما حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاصبحتم بنعمته اخوانا وذكر لنا ان رجلا قال لابن مسعود كيف أصبحتم قال أصبحنا بنعمة الله اخوانا ۞ القول في تاويل قوله (وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) يعني بقوله جل ثناؤه وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم يا معشر المؤمنين من الاوس والخزرج على حرف حفرة من النار وانما ذلك مثل لكفرهم الذي كانوا عليه قبل أن يهديهم الله للاسلام يقول تعالى ذكره وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذي كنتم عليه قبل أن ينعم الله عليكم بالاسلام فتصيروا باتتلافكم عليه اخوانا ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا أن تموتوا على ذلك من كفركم فتكونوا من الخالدين فيها فانقذكم الله منها بالايمان الذي هداكم له وشفا الحفرة طرفها وحرفها مثل شفا الركية والبئر ومنه قول الراجز

نحن حفرنا الحجيج سجلة * نابتة فوق شفاها بقلة

يعني فوق حرفها يقال هذا شفا هذه الركية مقصور وهما شفوا ها وقال فانقذكم منها يعني فانقذكم من الحفرة فرد الخبر الى الحفرة وقد ابتدأ الخبر عن الشفا لان الشفا من الحفرة فجاز ذلك اذ كان الخبر عن الشفا على السبيل التي ذكرها في هذه الآية تخبرا عن الحفرة كما قال جرير بن عطية

رأت مر السنين أخذن مني * كما أخذ السرار من الهلال

فذكر مر السنين ثم رجع الى الخبر عن السنين وكما قال العجاج

طول الليالي أسرعت في نقضي * طوين طولي وطوين عرضي

وقد بينت العلة التي من أجلها قيل ذلك كذلك فيما مضى قبل وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا وأبينه ضلالة وأعراه جلودا وأجوعه بطونا معكومين على رأس حجر بين الاسدين فارس والروم لا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه من عاش منهم عاش شقيا ومن مات ردي في النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نعلم قبيلا يومئذ من حاضر الارض كانوا فيها أصغر حظا وأدق فيها شأنا منهم حتى جاء الله عز وجل بالاسلام فورثكم به الكتاب وأحل لكم به دار الجهاد ووضع لكم به من الرزق وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا نعمه فان ربكم منعم يحب الشاكرين وان أهل الشكر في مزيد الله فتعالى ربنا وتبارك حدثني

قد ظهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده * التاويل * لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا أحب الاشياء اليكم وهو أنفسكم كان الغراش لا ينال من البر الشيء وهو يشتهيه حتى أنفق مما أحبه وهو نفسه كل الطعام كان يحبه الخلق ثلاثة

أقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته حتى مات ووجد واستولت نفسه أولئك كالانعام بل هم أضل ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه فخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو المذكور وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه وقوي روحه أولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلالا للانسان كما للحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحياة القلب واستيلاء الروح من قبل أن ينزل الوحي والالهام كما قيل المجاهدات فتوح المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد أن يهتدي الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله في قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون واتبعوا ملة ابراهيم وكان من ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله خليلا آخر ان أول بيت وضع للناس لا لله لانه غني عن العالمين وان أنموذج بيت الله في الانسان وهو العالم الصغير القلب الذي وضع ببكة صدر الانسان مباركا عليه وهدى يهتدي به جميع أجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهي اذا وقع في القلب انفسح له واتسع فيه يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده منها مقام ابراهيم وهو الخلة التي توصل الخليل الى خليله ومن دخله يعني مقام ابراهيم ببذل المال والنفس والولد ورضا خليله كان آمنا من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم

المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قوله وكنتم على شفا حفرة من النار يقول كنتم على الكفر بالله فانقذكم منها من ذلك وهداكم الى الاسلام حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها بمحمد صلى الله عليه وسلم يقول كنتم على طرف النار من مات منكم ارتبق في النار فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فاستنقذكم به من تلك الحفرة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا حسن بن يحيى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها قال عصمة

القول في تاويل قوله (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) يعني جل ثناؤه بقوله كذلك كما بين لكم ربكم في هذه الآيات أيها المؤمنون من الاوس والخزرج من علماء اليهود الذي يضمرونه لكم وغشهم لكم وأمره اياكم بما أمركم به فيها ونهيه لكم عما نهاكم عنه والحال التي كنتم عليها في جاهليتكم والتي صرتم اليها في اسلامكم معرفكم في كل ذلك مواقع نعمه قبلكم وصنائعه لديكم فكذلك يبين لكم سائر حجه لكم في تنزيله وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لعلكم تهتدون يعني لتهتدوا الى سبيل الرشاد وتسلكوها فلا تضلوا عنها

القول في تاويل قوله (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) يعني بذلك جل ثناؤه ولتكن منكم أيها المؤمنون أمة يقول جماعة يدعون الناس الى الخير يعني الى الاسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده ويأمرون بالمعروف يقول يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله وينهون عن المنكر يعني وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله بجهادهم بالايدي والجوارح حتى ينقادوا لحكم بالطاعة وقوله وأولئك هم المفلحون يعني المنجحون عند الله الباقون في جنانه ونعيمه وقد دللنا على معنى الافلاح في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ههنا حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا عيسى بن عمر القارئ عن أبي عون الثقفي انه سمع صبيحا قال سمعت عثمان يقرأ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن الزبير يقرأ فذكر مثل قراءة عثمان التي ذكرناها قبل سواء ثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال هم خاصة أصحاب رسول الله وهم خاصة الرواة

القول في تاويل قوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني بذلك جل ثناؤه ولا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه من بعد ما جاءهم البينات من حجج الله فيما اختلفوا فيه وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه وخالفوا أمر الله ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله وأولئك لهم يعني ولهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيم يقول جل ثناؤه فلا تفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم ولا تفعلوا فعلهم وتستنوا في دينكم بسنتهم فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم كما

حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات قال هم أهل الكتاب نهى الله أهل الاسلام ان يتفرقوا ويختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب قال الله عز وجل وأولئك لهم عذاب عظيم

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن

عباس قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ونحوه ذا في القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم قال هم اليهود والنصارى في القول في تأويل قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) يعني بذلك جل ثناؤه أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وأما قوله فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فان معناه فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ولا بد لاما من جواب بالفاء فلما أسقط الجواب سقطت الفاء معه وانما جاز ترك ذكر فيقال لدلالة ما ذكر من الكلام عليه وأما معنى قوله جل ثناؤه أكفرتم بعد ايمانكم فان أهل التأويل اختلفوا فيمن عني به فقال بعضهم عني به أهل قبلتنا من المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية لقد كفر أقوام بعد ايمانهم كما تسمعون ولقد كرلنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفس محمد بيده ليردن على الحوض ممن صحبني أقوام حتى اذا رفعوا الي ورأيتهم اختلجوا دوني فلاقولن رب أصحابي أصحابي فليقالن انك لا تدري ما أحدثوا بعدك وقوله وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله قال الله عز وجل ففي رحمة الله هم فيها خالدون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حماد بن سلمة والربيع بن صبيح عن أبي مجالد عن أبي امامة فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم قال هم الخوارج * وقال آخرون عني بذلك كل من كفر بالله بعد الايمان الذي آمن حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على انفسهم بما بين في كتابه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا علي بن الهيثم قال أخبرنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال صار وا يوم القيامة فريقين فقال لمن اسود وجهه أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال هو الايمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم وأقروا كلهم بالعبودية وفطرهم على الاسلام فكانوا أمة واحدة مسلمين يقول أكفرتم بعد ايمانكم يقول بعد ذلك الذي كان في زمان آدم وقال في الآخرين الذين استقاموا على ايمانهم ذلك فأخلصوا لله الدين والعمل فبيض الله وجوههم وأدخلهم في رضوانه وجنته وقال آخرون بل الذين عنوا بقوله أكفرتم بعد ايمانكم المنافقون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية قال هم المنافقون كانوا أعطوا كلمة الايمان بألسنتهم وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم * وأولى الاقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب انه عنى بذلك جميع الكفار وان الايمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه هو الايمان الذي أقروا به يوم قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين أحدهما سود وجوهه والآخر بيض وجوهه فمعلوم اذ لم يكن هنالك الا هذان الفريقان ان جميع

الى فاطر الارض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف الستة حول الكعبة الربوبية ومنها السعي بين صفاء الصفات ومروة الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموبئ الانوار الالهية وقس سائر المناسك على هذا ومن كفر بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الالطاف ولا يسترقب لجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين لا يستكمل هو منهم وانما يستكملون هم منه قل يا أهل الكتاب ظاهر الخطاب معهم وباطنه مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن الهوى الا منه تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد

نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون
وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون)
القرآن حق تقاته بالإصابة على ولا تفرقوا بتشديد الراء البزي وابن فليح ه الوقوف مسلمون ه ولا تفرقوا ص لعطف المتفقتين لتوانا ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف منها ط تهتدون ه المنكر ط العدول المفلحون ه البينات ط عظيم ه لا لتعلق الظرف بلهم على الأصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه ج اسودت وجوههم ص لان التقدير فيقال لهم أكفرتم تكفرون ه فذوقوا رحمة الله ط خالدون ه بالحق ط للعالمين ه ما في الأرض ط الأمور ه وتؤمنون بالله ط خير الهم ط الفاسقون ه قيل لا وقف عليه وعليه وقفه لان المعرف لا يتصف بالجملة الا أذى ط والادبار وقفة لان ثم لترتيب الاخبار أي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم لا ينصرون والا ينصرون ه بالتفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار أمرهم في هذه الآيات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فأولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهو أن يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى أو هو القيام بالواجب كلها والاجتناب عن المحارم بأسرها وأن لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو الوالدين والاقربين شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم لا بالجهر وعلى انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه وكما حق أن يتقى وهو أن يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز أن ينسخ

الكفار داخلون في فريق من سود وجهه وان جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيض وجهه فلا وجه لهذا القول قائل عني بقوله أكفرتم بعض ايمانكم بعض الكفار دون بعض وقد عم الله جل ثناؤه الخبر عنهم جميعهم واذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن بجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعد الاحالة واحدة كان معلوما انها المراد بذلك فتأويل الآية اذا أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه قوم وتسود وجوه آخرين فأما الذين اسودت وجوههم فيقال أكفرتم توحيد الله وعهده وميثاقه الذي واثقتموه عليه بان لا تشركوا به شيأ وتخلصوا له العبادة بعد ايمانكم يعني بعد تصديقكم به فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يقول بما كنتم تجحدون في الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالاقرار به والتصديق وأما الذين ابيضت وجوههم ممن ثبت على عهد الله وميثاقه فلم يبدل دينه ولم ينقلب على عقبيه بعد الاقرار بالتوحيد والشهادة لربه بالالوهة وانه لا اله غيره ففي رحمة الله يقول فهم في رحمة الله يعني في جنته ونعيمها وما أعد الله لاهلها فيها هم فيها خالدون أي باقون أبدا بغير نهاية ولا غاية ۞ القول في تأويل قوله (تلك آيات نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين) يعني بذلك جل ثناؤه تلك آيات الله هذه آيات الله وقد بينا كيف وضعت العرب تلك وذلك مكان هذا وهذه في غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقوله آيات الله يعني مواعظ الله وعبره وحججه نتلوها عليك نقرؤها عليك ونقصها بالحق يعني بالصدق واليقين وانما يعني بقوله تلك آيات الله هذه الآيات التي ذكر فيها أمور المؤمنين من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمور يهود بني اسرائيل وأهل الكتاب وما هو فاعل بأهل الوفاء بعهده وبالمبدلين والناقضين عهده بعد الاقرار به ثم أخبر عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم انه يتلو ذلك عليه بالحق وأعلمه ان من عاقب من خلقه بما أخبر انه معاقبه من تسويد وجهه وتخليده في أليم عذابه وعظيم عقابه ومن جازاه منهم بما جازاه من تبييض وجهه وتكريمه وتشريفه منزلته لديه بتخليده في دائم نعيمه فغير ظلم منه لفريق منهم بل لحق استوجبوه وأعمال لهم سلفت جازاهم عليها فقال تعالى ذكره وما الله يريد ظلما للعالمين يعني بذلك وليس الله يا محمد بتسويد وجوه هؤلاء واذاقتهم العذاب العظيم وتبييض وجوه هؤلاء وتنعيمهم اياهم في جنته طالبا وضع شيء مما فعل من ذلك غير موضعه الذي هو موضعه اعلاما بذلك عباده انه لن يصلح في حكمته بخلقه غير ما وعد أهل طاعته والايمان به وغير ما أوعد أهل معصيته والكفر به وانذارا منه هؤلاء وتبشيرا منه هؤلاء ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ولله ما في السموات وما في الارض وإلى الله ترجع الامور) يعني بذلك جل ثناؤه انه يعاقب الذين كفروا بعد ايمانهم بما ذكر انه معاقبهم به من العذاب العظيم وتسويد الوجوه وتثبيت أهل الايمان به الذين تثبتوا على التصديق والوفاء بعهودهم التي عاهدوا عليها بما وصف انه مبتليهم به من الخلود في جنانه من غير ظلم منه لاحد الفريقين فيما فعل لانه لا حاجة به الى الظلم وذلك أن الظالم انما يظلم غيره ليزداد الى عزه عزة بظلمه اياه والى سلطانه سلطانا والى ملكه ملكا لنقصان في بعض أسبابه يتمم بما ظلم غيره فيه ما كان ناقصا من أسبابه عن التمام فأما من كان له جميع ما بين أقطار المشارق والمغارب وما في الدنيا والآخرة فلا معنى لظلمه أحدا فيجوز أن يظلم شيأ لانه ليس من أسبابه شيء ناقص يحتاج الى تمام فيتم ذلك بظلم غيره تعالى الله علوا كبيرا وكذلك قال جل ثناؤه معقبا قوله وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور واختلف أهل العربية في وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله والى الله ترجع الامور ظاهرا وقد تقدم اسمه ظاهرا مع قوله ولله ما في السموات وما في الارض وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ذلك نظير قول العرب أما زيد فذهب زيد وكما قال الشاعر

والا كان اباحة لبعض المعاصي ولا يجوز أن يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطأ والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا لم يبق فرق بين الآيتين ولناصر القول الاول أن يقول ان كنه الالهية

لا أرى الموت ان الموت شيء * يعض الموت الغني والفقيرا

فاظهر في موضع الاضمار وقال بعض نحوي الكوفة ليس ذلك نظير هذا البيت لان موضع الموت الثاني في البيت موضع كناية لانه كلمة واحدة وليس ذلك كذلك في الآيتين لان قوله ولله ما في السموات وما في الارض خبر ليس من قوله والى الله ترجع الامور في شيء وذلك ان كل واحدة من القصتين مفارق معناها معنى الاخرى مكتفية كل واحدة منهما بنفسها غير محتاجة الى الاخرى كما قال الشاعر

* لا أرى الموت يحتاج الى تمام الخبر عنه ٧ * وهذا القول الثاني عندنا أولى بالصواب لان كتاب الله عز وجل لا يؤخذ معانيه وما فيه من البيان الى الشواذ من الكلام والمعاني وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني المفهوم وجه صحيح موجود وأما قوله والى الله ترجع الامور فانه يعني تعالى ذكره الى الله مصير أمر جميع خلقه الصالح منهم والطالح والمحسن والمسيء فيجازي كلا على قدر استحقاقهم منه الجزاء بغير ظلم منه أحدا منهم ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ اختلف أهل التاويل في تاويل قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس فقال بعضهم هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وخاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا اسباط عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال في كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين خرجوا معه من مكة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال عمر بن الخطاب لو شاء الله لقال أنتم لسنا كلنا ولكن قال كنتم في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة نزلت في ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام عن اسرائيل عن السدي عمن حدثه قال عمر كنتم خير أمة أخرجت للناس قال تكون لاولنا ولا تكون لآخرنا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن عمر ابن الخطاب قال في حجته جاور أى من الناس وعدسطه فقرأ هذه كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية ثم قال يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الامة فليؤد شرط الله منها حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم وقال آخرون معنى ذلك كنتم خير أمة أخرجت للناس اذ كنتم بهذه الشروط التي وصفهم جل ثناؤه بها فكان تاويل ذلك عندهم كنتم خير أمة تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله أخرجوا للناس في زمانكم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل كنتم خير أمة أخرجت للناس يقول على هذا الشرط ان تامروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله يقول لمن أنتم بين ظهرانيه كقوله

٧ هكذا هذه اللفظة بالاصل وليس لها معنى ولا هي موجودة فيما خرجه السيوطي في الدر عن قتادة

القول الاول أن يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يمكن كمال قهره وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز أن يؤمر بالاتقاء الاغلظ والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف ونزول هذه بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما نهى عن أن يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى أمرهم بما هو كالاصل لجميع الخيرات واصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله واتفاق الآراء على اعلاء كلمته فقال واعتصموا بحبل الله جميعا حال كونهم مجموعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بعنايته باستمساك المتدلي على مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه لان وجه الشبه وصف غير حقيقي ومنتزع من عدة أمور ويجوز أن يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد بناء على ان في الكلام تشبيهين ويجوز أن يفرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق دقيق والسائر عليه غير مامون أن تزل قدمه عن الجادة فيراد بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين مختلفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجيء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه

ولقد اخترناهم على علم على العالمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال يقول كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط ان تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله يقول لمن بين ظهريه كقوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ميسرة عن أبى حازم عن أبى هريرة كنتم خير أمة أخرجت للناس قال كنتم خير الناس للناس تسحبونهم فى السلاسل تدخلونهم فى الاسلام حدثنا عبيد بن اسباط قال ثنا أبى عن فضيل بن مرزوق عن عطية فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس * وقال آخرون انما قيل كنتم خير أمة أخرجت للناس لانهم أكثر الامم استجابة للاسلام ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسين قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال لم تكن أمة أكثر استجابة فى الاسلام من هذه الامة فمن ثم قال كنتم خير أمة أخرجت للناس وقال بعضهم عنى بذلك انهم كانوا خير أمة أخرجت للناس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال قد كان ما تسمع من الخير فى هذه الامة حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول نحن آخرها وأكرمها على الله * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتاويل الآية ما قال الحسن وذلك أن يعقوب بن ابراهيم حدثنى قال ثنا ابن علية عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انكم وفيتم سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده انه يقول سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهو مسند ظهره الى الكعبة نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة نحن آخرها وخيرها وأما قوله تأمرون بالمعروف فانه يعنى تأمرون بالايمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه وتنهون عن المنكر يعنى وتنهون عن الشرك بالله وتكذيب رسوله وعن العمل بما نهى عنه كما حدثنا على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس يقول تأمرونهم بالمعروف أن يشهدوا أن لا اله الا الله والاقرار بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله هو أعظم المعروف وتنهونهم عن المنكر والمنكر هو التكذيب وهو أنكر المنكر وأصل المعروف كل ما كان معروفا فعله جميل مستحسن غير مستقبح فى أهل الايمان بالله وانما سميت طاعة الله معروفا لانه مما يعرفه أهل الايمان ولا يستنكرون فعله وأصل المنكر ما أنكره الله ورآه قبيحا فعله ولذلك سميت معصية الله منكرا لان أهل الايمان بالله يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوبها وقوله تؤمنون بالله يعنى تصدقون بالله فتخلصون له التوحيد والعبادة فان سأل سائل فقال وكيف قيل كنتم خير أمة وقد زعمت ان تاويل الآية ان هذه الامة خير الامم التى مضت وانما يقال كنتم خير أمة لقوم كانوا خيارا فتغيروا وانما كانوا عليه قيل ان معنى ذلك بخلاف ما ذهبت اليه وانما معناه أنتم خير أمة كما قيل واذكروا اذ أنتم قليل وقد قال فى موضع آخر واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم فقد قال كان فى مثل هذا وسقاطها بمعنى واحد لان الكلام معروف معناه ولو قال أيضا فى ذلك قائل كنتم بمعنى التمام كان تاويله خلقتم خير أمة أو وجدتم خير أمة كان معنى صحيحا وقد زعم بعض أهل العربية ان معنى ذلك

السماء الى الارض وعترتى أهل بيتى وقيل انهم دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق الا الضلال وبيد الله مع الجماعة قال صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة الناجى منهم واحد فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروى السواد الاعظم وروى ما أنا عليه وأصحابى قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتى على الضلالة وقد يتمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية ان احتج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل أحد يوجب التفرق والاختلاف وهو منهى عنه وأجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته عليهم وذلك انهم كانوا فى الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا فى الله متراحمين متناصحين وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومناقشة بسبب الاغراض الدنيوية أما العارف الناظر من الحق الى الخلق فانه يرى الكل أسيرا فى قبضة القضاء فلا يعادى أحدا البتة لانه يستبصر بسر الله فى القدر فاذا أمر أمر برفق ناصح لا بعنف معير وكان حبه لرب الله ونظره الى فى الدين ورقته فى طلب اليقين أشد من حب الوالد الولد فكانوا كالاقربين والاخوان بل كجسد واحد وكنفس واحدة وقيل يريد الاخوان فى النسب وذلك ان الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم وكان بينهما العداوة والحروب وبقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسوله

كنتم

كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ أخرجت الناس والقولان الاولان اللذان قلنا أشبه بمعنى الخبر وبناؤه قبل وقال آخرون معنى ذلك كنتم خير أهل طريقة وقال الامة الطريقة

القول في تأويل قوله (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) يعني بذلك تعالى ذكره ولو صدق أهل التوراة والانجيل من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم من عند الله لكان خيرا لهم عند الله في عاجل دنياهم وآجل آخرتهم منهم المؤمنون يعني من أهل الكتاب من اليهود والنصارى المؤمنون المصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله وهم عبد الله بن سلام وأخوه وثعلبة بن سعية وأخوه وأشباههم ممن آمنوا بالله وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما جاءهم به من عند الله وأكثرهم الفاسقون يعني الخارجون عن دينهم وذلك ان من دين اليهود اتباع ما في التوراة والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن دين النصارى اتباع ما في الانجيل والتصديق به وبما في التوراة وفي كل الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه وانه نبي الله وكلتا الفرقتين أعني اليهود والنصارى مكذبة قد ذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذي يدعون انهم يدينون به الذي قال جل ثناؤه وأكثرهم الفاسقون وقال قتادة بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ذم الله أكثر الناس

القول في تأويل قوله (لن يضروكم الا أذى) يعني بذلك جل ثناؤه لن يضروكم يا أهل الايمان بالله ورسوله هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب شيأ بكفرهم وتكذيبهم نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ الا أذى يعني بذلك ولكنهم يؤذونكم بشركهم واسماعكم كفرهم وقولهم في عيسى وأمه وعزير ودعائهم اياكم الى الضلالة ولا يضروكم بذلك وهذا من الاستثناء المنقطع الذي هو بمخالف معنى ما قبله كما قيل ما اشتكى شيئا الا خيرا وهذه كلمة محكية عن العرب سماعا بنصبها وقد بنينا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يضروكم الا أذى يقول لن يضروكم الا أذى تسمعونه منهم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله لن يضروكم الا أذى قال أذى تسمعونه منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله لن يضروكم الا أذى قال اشراكهم في عزير وعيسى والصليب حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ان يضروكم الا أذى الآية قال تسمعون منهم كذبا على الله يدعونكم الى الضلالة

القول في تأويل قوله (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) يعني بذلك جل ثناؤه وان يقاتلوكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى يهزموا عنكم فيولوكم أدبارهم انهزاما فقوله يولوكم الادبار كناية عن انهزامهم لان المنهزم يحول ظهره الى جهة الطالب هربا الى ملجأ وموئل يئل اليه منه خوفا على نفسه والطالب في أثره فدبر المطلوب حينئذ يكون محاذي وجه الطالب الهارب ثم لا ينصرون يعني ثم لا ينصرهم الله أيها المؤمنون عليكم لكفرهم بالله ورسوله وايمانكم بما آتاكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل قد ألقى الرعب في قلوب كافتكم أيها المؤمنون بنصركم وهذا وعد من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان نصرهم على الكفر به من أهل الكتاب وانما رفع قوله ثم لا ينصرون وقد جزم قوله يولوكم الادبار على جواب الجزاء اتساقا للكلام لان رؤس الآيات قبلها بالنون فالحق هذه بها كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون رفعا وقد قال في موضع آخر لا يقضى عليهم فيموتوا اذ لم يكن رأس آية

القول في تأويل قوله (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس) يعني

لاخلق الفعل وأجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص أحد الزمانين بحصول اللغة والمحبة لابد أن يكون لامر زائد على ما ذكرتم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ومنه أن يقال أشفى على الشئ اذا أشرف عليه كانه بلغ شفاه أي حده وطرفه وأنقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير في منها للحفرة أو للنار أو للشفا اما لانه في معنى الشفة واما لاضافته الى الحفر وهو بعضها كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * قال بعضهم الشفة أصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح عليه السلام ليس بي ضلالة حين قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين أي ليس في صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بما تعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحياة وان طالت كانه ليس بين الحياة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا ما بين طرفي الشئ وبين ذلك الشئ قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبسائر ألطافه حتى امنوا وقال أهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي أنقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق أفعال العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة أن تزدادوا هدى أو لتكونوا على رجاء

بقوله جل ثناؤه ضربت عليهم الذلة ألزموا الذلة والذلة الفعلة من الذل وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع أينما ثقفوا يعني حيثما لقوا يقول جل ثناؤه ألزم اليهود المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم الذلة أينما كانوا من الارض وبأي مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين الا بحبل من الله وحبل من الناس كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وضربت عليهم المسكنة قال أدركتهم هذه الامة وان المجوس لتجبيهم الجزية حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين وأما الحبل الذي ذكره الله في هذا الموضع فانه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل ان يثقفوا في بلاد الاسلام كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الا بحبل من الله قال بعهد وحبل من الناس قال بعهدهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد عن عثمان بن عتاب قال عكرمة يقول الا بحبل من الله وحبل من الناس قال بعهد من الله وعهد من الناس حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس فهو عهد من الله وعهد من الناس كما يقول الرجل ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو الميثاق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال بعهد من الله وعهد من الناس لهم قال ابن جريج وقال عطاء العهد حبل الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال الا بعهودهم وهم يهود قال والحبل العهد قال وذلك قول أبي الهيثم بن التيهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتته الانصار في العقبة أيها الرجل انا قاطعون فيك حبالا بيننا وبين الناس يقول عهودا قال واليهود لا يأمنون في أرض من أرض الله الا بهذا الحبل الذي قال الله عز وجل وقرأ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال فليس بلد فيه أحد من النصارى الا قال وهم فوق يهود في البلدان كلها مستذلون قال الله وقطعناهم في الارض أمما يهود حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول بعهد من الله وعهد من الناس حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله واختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس فقال بعض نحوي الكوفة الذي جلب الباء في قوله بحبل فعل مضمر قد ترك ذكره قال ومعنى الكلام ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا ان يعتصموا بحبل من الله فاضمر ذلك واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

رأتني بحبليها فصدت مخافة * وفي الحبل روعات الفؤاد فروق

هذا يتلو قول المعترلة والثاني لاهل السنة وقد مر في أوائل سورة البقرة ترغيب المؤمنين الكاملين في تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته فلا يحرم اتباعه النوعين زيادة في البيان فقال ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين أو للتبعيض فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده أو بلسانه أو بقلبه وكيف لا وقد وصفهم الله تعالى بذلك في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من أولاده جند والامير من غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر فروض الكفايات وقال آخرون لها للتبعيض اما لان في القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنساء والمرضى والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتهما وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرفه في مذهب وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وأيضا قد أجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا بالحقيقة ايجابا على البعض الذي يقوم به ثم ان نصب ذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم أن الامر بالمعروف على ثلاثة أضرب أحدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو وقال فرعان أحدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الحدود حيث تجتمع شرائطها فان كانوا عددا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا

يأمرهم بما لا يجوز ولا يبيحها لهم مما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم بصلاة العيد والثاني ما يؤمر به الافراد كاذا أخر بعض الناس الصلاة عن الوقت فان قال نسيتها حشمه على المراقبة ولا يعترض على من أخرها والوقت باق وثانيها

وقال أراد أقبلت بحبلها ولو يقول الآخر

حشني حانيات الدهر حتى * كاني حائك أحنو الصيد

فاوجب اعمال فعل محذوف واظهار صلته وهو متروك وذلك في مذاهب العربية ضعيف ومن كلام العرب بعيد وأما استشهد به لقوله من الابيات فغير دال على صحة دعواه لان في قول الشاعر وأثني بحبلها دلالة بينة في انها آنه بالحبل ممسكا في اخباره عنها انها أنه بحبلها اخبارته منها انها أنه ممسكا بالحبلين فكان فيما ظهر من الكلام مستغنى عن ذكر الامساك وكانت الباء صلة لقوله وأثني كما في قول القائل أنا بالله مكتف بنفسه ومعرفة السامع معناه ان تكون الباء محتاجة الى كلام يكون لها جانبا غير الذي ظهر وان للعين أنا بالله مستعين وقال بعض نحوي البصرة قوله الا بحبل من الله استثناء خارج من أول الكلام قال وليس ذلك باشد من قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقال آخرون من نحوي الكوفة هو استثناء متصل والمعنى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا أي بكل مكان الا بموضع حبل من الله يقول ضربت عليهم الذلة في الامكنة الا في هذا المكان وهذا أيضا طلب الحق فاخطا المفصل وذلك انه زعم انه استثناء متصل ولو كان متصلا كما زعم لوجب أن يكون القوم اذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة وليس ذلك صفة اليهود لانهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس فالذلة مضروبة عليهم على ما ذكرنا عن اهل التأويل قبل فلو كان قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء متصلا لوجب أن يكون القوم اذا ثقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم وخلاف ما هم به من الصفة فقد تبين أيضا بذلك فساد قول هذا القائل أيضا ولكن القول عندنا ان الباء في قوله الا بحبل من الله أدخلت لان الكلام الذي قبل الاستثناء مقتض في المعنى الباء وذلك أن معنى قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا ثم قال الا بحبل من الله وحبل من الناس على غير وجه الاتصال بالاول ولكنه على الانقطاع عنه ومعناه ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس كما قيل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ فاخطأ وان كان منصوبا بما عمل فيما قبل الاستثناء فليس قوله باستثناء متصل بالاول بمعنى الا خطأ فان له قتله كذلك ولكن معناه ولكن قد يقتله خطأ فكذلك قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وان كان الذي جلب الباء التي بعد الا الفعل الذي يقتضيها قبل الا فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله بمعنى ان القوم اذا لقوا فالذلة تزايلهم بل الذلة نابتة بكل حال ولكن معناه ما بينا آنفا ۞ القول في تاويل قوله (وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) يعني تعالى ذكره وباؤا بغضب من الله وتحملوا غضب الله فانصرفوا به مستحقيه وقد بينا أصل ذلك بشواهده ومعنى المسكنة وانها ذل الفاقة والفقر وخشوعهما ومعنى الغضب من الله فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله يعني جل ثناؤه بقوله ذلك أي أبوءهم الذي باؤا به من غضب الله وضرب الذلة عليهم بدل مما كانوا يكفرون بآيات الله يقول مما كانوا يجحدون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه وما فرض عليهم من فرائضه ويقتلون الانبياء بغير حق يقول وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورسل الله اليهم اعتداء على الله وجراءة عليه بالباطل وبغير حق استحقوا منهم القتل فتاويل الكلام ألزموا الذلة بأي مكان لقوا الا بذمة من الله وذمة من الناس وانصرفوا بغضب من الله متحملين وألزموا ذل الفاقة وخشوع الفقر بدلا مما كانوا يجحدون بآيات الله وأدلته وحججه ويقتلون أنبياءه بغير حق ظلما واعتداء ۞ القول في

وقال أراد أقبلت بحبلها ولو يقول الآخر

حشني حانيات الدهر حتى * كاني حائك أحنو الصيد

فاوجب اعمال فعل محذوف واظهار صلته وهو متروك وذلك في مذاهب العربية ضعيف ومن كلام العرب بعيد وأما استشهد به لقوله من الابيات فغير دال على صحة دعواه لان في قول الشاعر وأثني بحبلها دلالة بينة في انها آنه بالحبل ممسكا في اخباره عنها انها أنه بحبلها اخبارته منها انها أنه ممسكا بالحبلين فكان فيما ظهر من الكلام مستغنى عن ذكر الامساك وكانت الباء صلة لقوله وأثني كما في قول القائل أنا بالله مكتف بنفسه ومعرفة السامع معناه ان تكون الباء محتاجة الى كلام يكون لها جانبا غير الذي ظهر وان للعين أنا بالله مستعين وقال بعض نحوي البصرة قوله الا بحبل من الله استثناء خارج من أول الكلام قال وليس ذلك باشد من قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقال آخرون من نحوي الكوفة هو استثناء متصل والمعنى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا أي بكل مكان الا بموضع حبل من الله يقول ضربت عليهم الذلة في الامكنة الا في هذا المكان وهذا أيضا طلب الحق فاخطا المفصل وذلك انه زعم انه استثناء متصل ولو كان متصلا كما زعم لوجب أن يكون القوم اذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة وليس ذلك صفة اليهود لانهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس فالذلة مضروبة عليهم على ما ذكرنا عن اهل التأويل قبل فلو كان قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء متصلا لوجب أن يكون القوم اذا ثقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم وخلاف ما هم به من الصفة فقد تبين أيضا بذلك فساد قول هذا القائل أيضا ولكن القول عندنا ان الباء في قوله الا بحبل من الله أدخلت لان الكلام الذي قبل الاستثناء مقتض في المعنى الباء وذلك أن معنى قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا ثم قال الا بحبل من الله وحبل من الناس على غير وجه الاتصال بالاول ولكنه على الانقطاع عنه ومعناه ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس كما قيل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ فاخطأ وان كان منصوبا بما عمل فيما قبل الاستثناء فليس قوله باستثناء متصل بالاول بمعنى الا خطأ فان له قتله كذلك ولكن معناه ولكن قد يقتله خطأ فكذلك قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وان كان الذي جلب الباء التي بعد الا الفعل الذي يقتضيها قبل الا فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله بمعنى ان القوم اذا لقوا فالذلة تزايلهم بل الذلة نابتة بكل حال ولكن معناه ما بينا آنفا ۞ القول في تاويل قوله (وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) يعني تعالى ذكره وباؤا بغضب من الله وتحملوا غضب الله فانصرفوا به مستحقيه وقد بينا أصل ذلك بشواهده ومعنى المسكنة وانها ذل الفاقة والفقر وخشوعهما ومعنى الغضب من الله فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله يعني جل ثناؤه بقوله ذلك أي أبوءهم الذي باؤا به من غضب الله وضرب الذلة عليهم بدل مما كانوا يكفرون بآيات الله يقول مما كانوا يجحدون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه وما فرض عليهم من فرائضه ويقتلون الانبياء بغير حق يقول وبما كانوا يقتلون أنبياءهم ورسل الله اليهم اعتداء على الله وجراءة عليه بالباطل وبغير حق استحقوا منهم القتل فتاويل الكلام ألزموا الذلة بأي مكان لقوا الا بذمة من الله وذمة من الناس وانصرفوا بغضب من الله متحملين وألزموا ذل الفاقة وخشوع الفقر بدلا مما كانوا يجحدون بآيات الله وأدلته وحججه ويقتلون أنبياءه بغير حق ظلما واعتداء ۞ القول في

(٣٤) ما يتعلق بحقوق الآدميين وينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل شربه أو انهدم سوره أو طرقه أبناء السبيل المحتاجون أو تركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن أمر ذو المكنة برعايتها والى خاص كمطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يامره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس وثالثها الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء أحكام العدد وأخذ السادة بحقوق الارقاء وأرباب البهائم بتعهدها وان لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير هيئات العبادات كالجهر في الصلاة السرية وبالعكس أو يزيد في الاذان يمنعه وينكر عليه ومن تصدى للتدريس والوعظ وهو ليس من أهله ولم يؤمن اغترار الناس به في تاويل أو تحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر أمره لئلا يغتر به واذا رأى رجلا واقفا مع امرأة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فضها عن مواضع الريب وان كانت أجنبية خفف الله معها في الخلوة ولا ينكر في حقوق الآدميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلاة من أئمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا عجبوا الخصوم وقصروا في النظر في الخصومات والسوق المختص بمعاملة النساء يختبر أمانته فان ظهرت منه خيانة منع من مغاملتهن وبالجملة

الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق فلينظر الداعي الى الخير في حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان ليغرسوا والمجانبين كذلك يضروا ويدعوه الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار كل ذلك ايجابا واحتسابا

لاجمعهم ورما ولا غرض من الاغراض النفسانية والجسمانية وذلك ان هذه الدعوة منصب النبي وخلفائه الراشدين بعده ومن ههنا ذهب الفصال الى أن المراد من المذكورين في هذه الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يتعلمون من الرسول ويعاونون الناس

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي أفضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وكفى بقوله تعالى وأولئك هم المفلحون أي الاختصاص بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا في أن الفاسق ليس له أن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه ليس من أهل الفلاح وأجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح أحوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق ممن يرتضى بامر أة أن يامر عليها بالمعروف في انها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي عنه والنهي عن ارتكاب المنهي واجبان على الفاسق فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل وغير تقي يامر الناس بالتقى

طبيب يداوي الناس وهو مريض

والقرآن ينعى عليه بقوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقد سلف تقريره في البقرة وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر ألم أزك ألم أصل ألم أصم ألم أفعل كذا وكذا أجيب بلى يا عدو الله في ولكن انك اذا خلوت بارزته بالمعاصي ولم تراقبه فعلته ولا تكونوا كالذين تفرقوا في النظم وجهان أحدهما انه تعالى ذكر في الآيات

تاويل قوله (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يقول تعالى ذكره فعلنا بهم ذلك بكفرهم وقتلهم الانبياء ومعصيتهم ربهم واعتدائهم أمر ربهم وقد بينا معنى الاعتداء في غير موضع فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن اعادته فاعلم ربنا جل ثناؤه عباءه ما فعل بهؤلاء القوم من أهل الكتاب من احلال الذلة والخزي بهم في عاجل الدنيا مع ما ادخر لهم في الآجل من العقوبة والنكال وأليم العذاب اذ تعدوا حدود الله واستحلوا محارمه تذكيرا منه تعالى ذكره لهم وتنبيها على موضع البلاء الذي من قبله أتوا ليتبؤا ويذكروا عظة منه لامتنا أن لا يستنوا بسنتهم ويركبوا منهاجهم فيسلك بهم مسالكهم ويحل بهم من نقم الله ومثلاته ما أحل بهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اجتنبوا المعصية والعدوان فان بهما أهلك من أهلك من قبلكم من الناس

القول في تاويل قوله (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يعني بقوله جل ثناؤه ليسوا سواء ليس فريقا أهل الكتاب أهل الايمان منهم والكفر سواء يعني بذلك انهم غير متساويين يقول ليسوا متعادلين ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد والخير والشر وانما قيل ليسوا سواء لان فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده المؤمنة منهما والكافرة فقال ليسوا سواء أي ليس هؤلاء سواء المؤمنون منهم والكافرون ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب ومدحهم وأثنى عليهم بعد ما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ومحالفة الذل والصغار وملازمة الفاقة والمسكنة وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة فقال من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الآيات الثلاث الى قوله والله عليم بالمتقين قوله أمة قائمة مرفوعة بقوله من أهل الكتاب وقد توهم جماعة من نحوي الكوفة والبصرة والمتقدمين منهم في صناعتهم ان ما بعد سواء في هذا الموضع من قوله أمة قائمة ترجمة عن سواء تفسير عنه بمعنى لا يستوي من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وأخرى كافرة وزعموا ان ذكر الفرقة الاخرى ترك اكتفاء بذكر احدى الفرقتين وهي الامة القائمة ومثاوه بقول أبي ذؤيب

عصيت اليها القلب اني لامرها * سميع فما أدري أرشد طلابها

ولم يقل أم غير رشد اكتفاء بقوله أرشد من ذكر أم غير رشد وبقول الآخر

* وذو الهم قد ماخاشع متضائل * وهو مع ذلك عندهم خطا قول القائل المريد أن يقول سواء أقمت أم قعدت سواء أقمت حتى يقول أم قعدت وانما يجيزون حذف الثاني فيما كان من الكلام مكتفيا بواحد دون ما كان ناقصا عن ذلك وذلك نحو ما أبالي أو ما أدري فاجاز وافي ذلك ما أبالي أقمت وهم يريدون ما أبالي أقمت أم قعدت لاكتفاء ما أبالي بواحد وكذلك فيما لا أدري وأبوا الاجازة في سواء من أجل نقصانه وانه غير مكتف بواحد فاغفلوا في توجيههم قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة على ما حكينا عنهم الى ما وجهوه اليه مذاهبهم في العربية اذ أجاز وافيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم في الكلام مع سواء وأخطؤا تاويل الآية فسواء في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء بالمعنى الذي تاوله من حكينا قوله وقد ذكر ان قوله من أهل الكتاب أمة قائمة الآيات الثلاث في جماعة من اليهود أسلموا فحسن اسلامهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا

في الاسلام ونحو ذلك فقالت أحبار يهود أهل الكفر منهم ما آمن بمحمد ولا تبعه الا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا الى غيره فانزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله الى قوله وأولئك من الصالحين حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس عن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة الآية يقول ليس كل القوم هلك فقد كان الله فيهم بقية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أمة قائمة عبد الله بن سلام وثعلبة بن سلام أخوه وشعبة وميسر وأسيد وأسد ابنا كعب وقال آخرون معنى ذلك ليس أهل الكتاب وأمة محمد القائمة بحق الله سواء عند الله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن الحسن بن أبي يزيد الجملي عن عبد الله بن مسعود انه كان يقول في قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة الآية يقول ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الامة التي هي قائمة وقد بينا ان أولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال قد تمت القصة عند قوله ليسوا سواء عن اخبار الله بأمر مؤمني أهل الكتاب وأهل الكفر منهم وان قوله من أهل الكتاب أمة قائمة خبر مبتدأ عن مدح مؤمنيهم ووصفهم بصفتهم على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج ويعني جل ثناؤه بقوله أمة قائمة جماعة ثابتة على الحق وقد دللنا على معنى الامة فيما مضى بما أغنى عن اعادته وأما القائمة فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناها العادلة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أمة قائمة قال عادلة وقال آخرون بل معنى ذلك انها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أمة قائمة يقول قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أمة قائمة يقول قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس من أهل الكتاب أمة قائمة يقول أمة مهتدية قائمة على أمر الله لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه وقال آخرون بل معنى قائمة مطيعة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي أمة قائمة الآية يقول ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الامة التي هي قائمة لله والقانتة المطيعة وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال بقولهما على ما رويناه عنهم وان كان سائر الاقوال الاخر متقاربة المعنى لمعنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك وذلك ان معنى قوله قائمة مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشراع تدينه بالعدل والطاعة وغير ذلك من أسباب الخير من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتظير ذلك الخبر الذي رواه النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة ثم ضرب لهم مثلا فالقائم على حدود الله هو الثابت على التمسك بما أمره الله به واجتناب ما نهاه الله عنه فتأويل الكلام من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله متمسكة به ثابتة على العمل بما فيه وما سن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يعني بقوله يتلون آيات الله يقرؤن كتاب الله آناء

واستخراج التأويلات الفاسدة فعلى هذا تكون الآية من تتمة الآيات المتقدمة وثانيهما أنه لما أمر الامة بالمعروف ونهى عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بالقدرة على تنفيذه كيف وفي الناس ظلمة ومتغلبون فلا جرم حذر أهل الحق أن يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا تكون الآية من تتمة الآية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والتكرير للتأكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين أو تفرقوا بسبب التأويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة قوله أو تفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بان صار كل منهم يدعي انه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف ان أكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسأل الله العصمة والسداد وأولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة أو أولئك الذين اقتفوا آثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وفي تعليق الظرف بقوله لهم فائدتان احداهما ان ذلك العذاب في هذا اليوم والاخرى أن من حكم هذا اليوم أن يبيض بعض الوجوه ويسود بعضها ونظير ذلك في القرآن وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها

قترة وفي أمثال هذه الالوان للمفسرين قولان أحدهما واليه ميل أبي مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما سلم الحسين بن الى الامر الى معاوية قال

الليل ويعنى بقوله آيات الله ما أنزل فى كتابه من العبر والمواعظ يقول يتلون ذلك آناء الليل يقول فى ساعات الليل فيتدبرونه ويتفكرون فيه وأما آناء الليل فساعات الليل واحدها أنى كما قال الشاعر

حلو ومر لعطف القدح مرته * من كل انى حداد الليل ينتعل

وقد قيل ان واحد الآناء انا مقصور كما واحد الامعاء معا واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله ساعات الليل كما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يتلون آيات الله آناء الليل أى ساعات الليل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال آناء الليل ساعات الليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير سمعنا العرب تقول آناء الليل ساعات الليل وقال آخرون آناء الليل جوف الليل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى يتلون آيات الله آناء الليل أما آناء الليل فجوف الليل وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون العشاء الاخيرة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن الحسن بن أبى يزيد البجلى عن عبد الله بن مسعود فى قوله يتلون آيات الله آناء الليل صلاة العتمة هم يصلون بها ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصليها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زحر عن سليمان عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة كان عند بعض أهله ونسائه فلم يأتنا لصلاة العشاء حتى ذهب ليل فجاء ومنا المصلى ومنا المضطجع فبشرنا وقال انه لا يصلى هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب فانزل الله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون حدثنى يونس قال ثنا على بن معبد عن أبى يحيى الخراسانى عن نصر بن طريف عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننتظر العشاء يريد العتمة فقال انا ما على الارض أحد من أهل الاديان ينتظر هذه الصلاة فى هذا الوقت غيركم قال فنزلت ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور قال بلغنى انها نزلت ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون فيما بين المغرب والعشاء وهذه الاقوال التى ذكرناها على اختلافها متقاربة المعانى وذلك ان الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بانهم يتلون آيات الله فى ساعات الليل وهى آناؤه وقد يكون تاليها فى صلاة العشاء تاليها آناء الليل وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ومن تلاها جوف الليل فكل تال له ساعات الليل غير ان أولى الاقوال بتأويل الآية قول من قال عنى بذلك تلاوة القرآن فى صلاة العشاء لانها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله وأما قوله وهم يسجدون فان بعض أهل العربية يزعم ان معنى السجود فى هذا الموضع اسم الصلاة لا السجود لان الصلاة لا تكون فى السجود ولا فى الركوع فكان معنى الكلام عنده يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون وليس المعنى على ما ذهب اليه وانما معنى الكلام من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فى صلاتهم وهم مع ذلك يسجدون فيها فالسجود هو السجود المعروف فى الصلاة ۞ القول فى تأويل قوله (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى

لرجل باسود وجوه المؤمنين وعلم الجبر سوف يجلى وان شاء الله فى تفسير سورة القدر ولبعض الشعراء فى الشيب يا بياض الغرون سودن وجهى * عند بيض الوجوه سود القرون وثانيهما أن السواد والبياض يحملان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل فى الاطلاق الحقيقة فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون واستناره واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته وأحاطت به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة فى ذلك أن يعرف أهل الموقف كل صنف فيعظمونهم أو يحقرون بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور أو ويل وثبور وأيضا اذا عرف المكلف فى الدنيا انه يحصل له فى الآخرة احدى الحالتين ازدادت رغبته فى الطاعات وتركه المحرمات قلت والتحقيق فيه أن الهيآت والاخلاق الحميدة أنوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات وكل منهما لا يظهر آثارهما كما هى الا بعد المفارقة الى الآخرة انظر وناقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج أهل السنة بالآية على ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم أهل القيامة الى قسمين مبيض الوجوه وهم المؤمنون ومسودها وهم الكافرون كقوله تعالى فى آخر الآية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضى عليه بأن عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه وأيضا غاظ وجوه نكرة فلا يفيد العموم وأيضا المذكور فى الآية هم المؤمنون والذين كفروا بعد الايمان ولا شبهة ان الكافر الاصلى من أهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول فى الغساق والجواب لم لا يجوز أن يكون المراد ان كل أحد أخذ وقت استخراج الذر من صلب آدم فيكون الخطاب لجميع الكفار وانه أيضا جعل موجب العذاب فى آخر الآية هو الكفر من حيث انه كفر لا الكفر من حيث انه بعد الايمان فان قيل لم

الخيرات

قدم البياض على السواد أولا وعكس آخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو الترتيب لم لا يجوز أن يكون ذكر أهل الصواب وختمهم بها بدأ ذكر أهل الصواب ختمهم بها أيضا تنبيها على ان ارادة الرحمة أكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت رحمتي غضبي ولما في ذلك من رعاية حسن المطلع (٣٥) والمقطع وانه فن بديع في الفصاحة ومن

الخيرات وأولئك من الصالحين) يعني بقوله جل وعز يؤمنون بالله واليوم الآخر يصدقون بالله وبالبعث بعد الممات ويعلمون ان الله مجازيهم باعمالهم وليسوا كالمشركين الذين يجحدون وحدانية الله ويعبدون معه غيره ويكذبون بالبعث بعد الممات وينكرون المجازات على الاعمال والثواب والعقاب وقوله ويأمرون بالمعروف يقول يأمرون الناس بالايمان بالله ورسوله وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به وينهون عن المنكر يقول وينهون الناس عن الكفر بالله وتكذيب محمد وما جاءهم به من عند الله يعني بذلك انهم ليسوا كاليهود والنصارى الذين يأمرون الناس بالكفر وتكذيب محمد فيما جاءهم به وينهونهم عن المعروف من الاعمال وهو تصديق محمد فيما آتاهم به من عند الله ويسارعون في الخيرات يقول ويبتدرون فعل الخيرات خشية ان يفوتهم ذلك قبل معاجلتهم منايا هم ثم أخبر جل ثناؤه ان هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب هم من عداد الصالحين لان من كان منهم فاسقا قد باء بغضب من الله لكفره بالله وآياته وقتلهم الانبياء بغير حق وعصيانه ربه واعتدائه في حدوده ۞ القول في تأويل قوله (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة وما يفعلوا من خير فان يكفروه جميعا رادا على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقرأته عامة قراء المدينة والحجاز وبعض قراء الكوفة بالتاء في الحرفين جميعا وما تفعلوا من خير فلن تكفروه بمعنى وما تفعلوا أنتم أيها المؤمنون من خير فلن يكفركموه ربكم وكان بعض قراء البصرة يرى القراءتين في ذلك جائزا بالياء والتاء في الحرفين والصواب من القراءة في ذلك عندنا وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء في الحرفين كليهما يعني بذلك الخبر عن الامة القائمة التالية آيات الله وانما اخترنا ذلك لان ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم فالحاق هذه الآية اذ كان لا دلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم بمعاني الآيات قبلها أولى من صرفها عن معاني ما قبلها وبالذي اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سالم قال ثنا حجاج عن هرون عن أبي عمرو بن العلاء قال بلغني عن ابن عباس انه كان يقرأها جميعا بالياء فتأويل الآية اذا على ما اخترنا من القراءة وما تفعل هذه الامة من خير وتعمل من عمل لله فيه رضى فلن يكفرهم الله ذلك يعني بذلك فلن يبطل الله ثواب عملهم ذلك ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ولكنه يجزل لهم الثواب عليه ويسني لهم الكرامة والجزاء وقد دللنا على معنى الكفر فيما مضى قبل بشواهده وان أصله تغطية الشئ فكذلك ذلك في قوله فلن يكفر وفلن يغطى على ما فعلوا من خير فيتركوا بغير مجازاة ولكنهم يشكرون على ما فعلوا من ذلك فيجزل لهم الثواب فيه ونحو ما قلنا في ذلك من التأويل تأول من تأول ذلك من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما تفعلوا من خير فلن تكفروه يقول لن يضل عنكم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله وأما قوله والله عليم بالمتقين فانه يقول تعالى ذكره والله ذو علم بمن اتقاه بطاعته واجتنابه معاصيه وحافظ أعمالهم الصالحة حتى يثيبهم عليها ويجازيهم بها تبشيرا منه لهم جل ذكره في عاجل الدنيا وحضا لهم على التمسك بالذي هم عليه من صالح الاخلاق التي ارتضاها لهم ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا وعيد من الله عز وجل للامة الاخرى الفاسقة من أهل الكتاب الذين أخبر عنهم بانهم فاسقون وانهم قد باؤا بغضب منه ولمن كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد اسلامهم قال أبي بن كعب هم جميع الكفار لانهم آمنوا وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد أكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من دلائل التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج انهم أهل الكتاب آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكفروا به بعد بعثه وقال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولما رأى أبو امامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشئ تقوله برأيك أم شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولولم أسمعه الا مرة أو مرتين أو ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال ان بارزك منهم كثير فاعاذك الله منهم هذا مما أخرجه الامام أبو عيسى الترمذي في جامعه ولكن المشهور من مذهب أهل السنة ان الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام في قوله تعالى أكفرتم بمعنى الانكار قال القاضي وفيه وكذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على أن التكفير منهم لا من الله وقالت المرجئة فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر أما قوله ففي رحمة الله فالمراد بهم الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك

أي لا يظعنون عنها ولا يموتون وفي اقامة الرجة بمقام الجنة دليل على أن العبد وان كثرت طاعته لا يدخل الجنة الا بفضل الله ورحمته وفي اضافة الرجة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم (٣٦) والنص على خلود أهل النار دون أهل الكبائر وان كانوا مخلدين أيضا دلائل واشارات الى أن

جانب العفو والمغفرة والرجة مغلب وكيف لا وقد أردفه بقوله تلك الاحكام التي وردت في حيز الوعيد والوعد وانقضى ذكرها آيات الله نتلوها عليك متلبسة بالحق العدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسيء باساءته أو متلبسة بالمعنى الحق لا تعنى المتلو حق وما الله يريد ظلما للعالمين ولكن صالح الخلق لا تنتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقيق دفعا للكذب عن هو أصدق القائلين قال الجبائي قوله فلما نكرة في سياق النفي فوجب أن لا يريد شيأ مما يكون ظلما سواء فرض منه أو من العبد على نفسه أو على غيره واذا لم يرد لم يفعل اذ لو كان فاعلا لشيء من الاقسام الثلاثة كان مريدا له هذا خلف فثبت بهذه الآية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريدا له فدلت الآية على انه قادر على الظلم وعلى أن يمنع الظلمة من الظلم على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال وقد ما في السموات وما في الارض وأيضا لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل أو للحاجة أو الحاجة وكل ذلك على الله تعالى محال لانه مالك لكل ما في السموات وما في الارض بل لكل ما في الوجود ورب ما يقال معنى الآية اما أن يكون انه لا يريد أن يظلمهم أو انه لا يريد أن يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البري من الذنب أشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لان الظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم

وكذبوا به وبما جاءهم به من عند الله لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ يعني ان تدفع أمواله التي جمعها في الدنيا وأولاده الذين رباهم فيها شيأ من عقوبة الله يوم القيامة ان أخرها الهم الى يوم القيامة ولا في الدنيا ان عجلها الهم فيها وانما خص أولاده وأمواله لان أولاد الرجل أقرب أنسابه اليه وهو على ماله أقرب منه على مال غيره وأمره فيه أجوز من أمره في مال غيره فاذا لم يغن عنه ولده لصلبه وماله الذي هو نافذ الامر فيه فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسابه وأموالهم أبعد من أن تغني عنهم من الله شيأ ثم أخبر جل ثناؤه انهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله وأولئك أصحاب النار وانما جعلهم أصحابها لانهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل الذي لا يفارقه وقرينه الذي لا يزايله ثم ذكر ذلك باخباره عنهم انهم فيها خالدون صحبتهم اياها صحبة لا انقطاع لها اذا كان من الاشياء ما يفارق صاحبه في بعض الاحوال ويزايله في بعض الاوقات وليس كذلك صحبة الذين كفروا النار التي صاروها ولكنها صحبة دائمة لا نهاية لها ولا انقطاع نعوذ بالله منها ومما قرب منها من قول وعمل

القول في تاويل قوله (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته) يعني بذلك جل ثناؤه شبه ما ينفق الذين كفروا أي شبه ما يتصدق به الكافر من ماله فيعطيه من يعطيه على وجه القربة الى ربه وهو لوحدانية الله جاحد ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكذب في أن ذلك غير نافعه مع كفره وانه مضمحل عند حاجته اليه ذاهب بعد الذي كان يرجو من عائد نفعه عليه كشبه ريح فيها برد شديد أصابت هذه الريح التي فيها البرد الشديد حرث قوم يعني زرع قوم قد أملوا ادراكه ورجوا ريعه وعائدة نفعه ظلموا أنفسهم يعني أصحاب الزرع عصوا الله وتعدوا حدوده فاهلكته يعني فاهلكت الريح التي فيها الصر زرعهم ذلك بعد الذي كانوا عليه من الامل ورجاء عائدة نفعه عليهم يقول تعالى ذكره وكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته حين يلقاه يبطل ثوابها ويخيب رجاءه منها وخرج المثل للنفقة والمراد بالمثل صنيع الله بالنفقة فبين ذلك قوله كمثل ريح فيها صر فهو كما قد بينا في مثله من قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما أشبه ذلك فتأويل الكلام مثل ابطال الله أجر ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر وانما جاز ترك ذكر ابطال الله أجر ذلك لدلالة آخر الكلام عليه وهو قوله كمثل ريح فيها صر ولمعرفة السامع ذلك معناه واختلف أهل التأويل في معنى النفقة التي ذكرها في هذه الآية فقال بعضهم هي النفقة المعروفة في الناس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا قال نفقة الكافر في الدنيا وقال آخرون بل ذلك قوله الذي يقوله بلسانه مما لا يصدقه بقلبه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته يقول مثل ما يقول فلا يقبل منه كمثل هذا الزرع اذا زرعه القوم الظالمون فاصابه ريح فيها صر أصابته فاهلكته فكذلك أنفقوا فاهلكهم شركهم وقد بينا أولى ذلك بالصواب قبل وقد تقدم بياننا تاويل الحياة الدنيا بما فيه الكفاية من اعادته في هذا الموضع وأما الصر فانه شدة البرد وذلك معروف من الشمال في اعصار الطل والانداء في صبحة معمة بعقب ليلة معمية كما حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن عتاب قال سمعت عكرمة يقول ريح فيها صر قال برد شديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس ريح فيها صر قال برد شديد وزمرير حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ريح فيها صر يقول برد حدثنا ابن وكيع قال ثنا

فلا يلزم منه مدح والثاني أيضا محال على قولكم لان كلا يراد لذاته و يشكو ينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الآية على وجه صحيح في مذهبكم أجاب أهل السنة من وجهين الاول انه لا يتوقف التمدح بنفي صفة على امكان تصور ذلك الشئ منه بدليل قوله لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم ولا يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم والاكل عليه الثاني انه تعالى ان عذب من ليس بمستحق للظلم لم يكن ظالما لكنه في صورة الظلم وقد يطلق اسم أحد المتشابهين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحق في هذا المقام أن الظلم وضع الشئ في غير موضعه واذا كان اللطف والقهر من ضرورات صفات الكمال فوضع كل منهما في مظهره يكون وضع الشئ في موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله ولله ما في السموات وما في الارض على ان أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لانها من جملة ما في السموات وما في الارض أجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة ملك لا اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد انه مملوكه لانه مفعوله وأيضا الآية مسوقة في معرض المدح ولا مدح في نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه وأيضا قوله ما في السموات وما في الارض يتناول ما كان مظروفا له ما وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التي هي أعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله دفعا للتسلسل أو الترجيح من غير مرجح قالت الحكماء تقديم السموات في الذكر على الارض دليل على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السماوية ولا شك أن الاحوال السماوية مستندة الى خلقه وتكوينه تعالى فيكون الجبر أيضا لازما من هذا الوجه والى الله أي الى حيث لا مالك سواه ترجع الامور فلا دليل في اشارة الى أنه تعالى مبدأ المخلوقات كلها وهذا اشارة الى أن معاد الكل اليه قوله عز من قائل كنتم خير أمة في النظم وجهان أحدهما انه لما أمر المؤمنين بما أمرهم به عاتبهم على عدولهم

ابي عن سفيان عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس الصر البرد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كمثل ريح فيها صر أي برد شديد حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي في الصر البرد الشديد حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس كمثل ريح فيها صر يقول ريح فيها برد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ريح فيها صر قال صر باردة أهلكت حرثهم قال والعرب تدعوها الصريت تأتي الريح باردة فتصيح صريتا قد احترق الزرع يقول قد صرت الليلة أصابه صريت تلك الصر التي أصابته حدثني يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك ريح فيها صر قال ريح فيها برد ۞ القول في تاويل قوله (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) يعني بذلك جل ثناؤه وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم من احباطه ثواب أعمالهم وابطاله أجورها ظلما منه لهم يعني وضعا منه لما فعل بهم من ذلك في غير موضعه وعند غير أهله بل وضع فعله ذلك في موضعه وفعل بهم ما هم أهله لان عملهم الذي عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون ولامره متبعون ولرسله مصدقون بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ولامره مخالفون ولرسله مكذبون بعد تقدم منه اليهم أنه لا يقبل عملا من عامل الا مع اخلاص التوحيد له والاقرار بنبوة أنبيائه وتصديق ما جاءهم به وتوكيده الحجج بذلك عليهم فلم يكن يضيم ما فعل بمن كفر به وخالف أمره في ذلك بعد الاعتذار اليه من احباط وافر عمله له ظالما بل الكافر هو الظالم نفسه لاكسابها من معصية الله وخلاف أمره ما أوردها به نار جهنم وأصلاها به سعير سقر ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم) يعني بذلك تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا اصدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم لا تتخذوا بطانة من دونكم يقول لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لانفسكم من دونكم يقول من دون أهل دينكم وملتكم يعني من غير المؤمنين وانما جعل البطانة مثلا لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه على أسراره وما يطويه عن أباعده وكثير من أفاربه محل ما ولي جسده من ثيابه فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء ثم عرفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة و ينهاهم اياهم الغوائل فحذرهم بذلك منهم عن مخالتهم فقال تعالى ذكره لا يألونكم خبالا يعني لا يستطيعونكم شرا من ألوت ألوا ويقال ما ألافلان كذا أي ما استطاع كما قال الشاعر

جهراء لا تألو اذا هي أظهرت * بصرا ولا من عيلة تغنيني

يعني لا تستطيع عند الظهر ابصارا وانما يعني جل ذكره بقوله لا يألونكم خبالا البطانة التي نهى المؤمنين عن اتخاذها من دونهم فقال ان هذه البطانة لا تتركم طاقتها خبالا أي لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال وأصل الخبل والخبال الفساد ثم يستعمل في معان كثير فيدل على ذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أصيب بخبل أو جراح وأما قوله ودوا ما عنتم فانه يعني ودوا ما عنتكم يقول يتمنون لكم العنت والشر في دينكم وما يسوءكم ولا يسركم وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم و يصافونهم المودة بالاسباب التي كانت بينهم في جاهليتهم قبل الاسلام فنهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم في شئ من أمورهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال قال محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار

طريق آخر يقتضي حملهم على الانقياد والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوى داعيتهم في أن لا يبطلوا على أنفسهم هذه المزية وذلك اغا يكون بالتزام التكاليف الشرعية وما الله يريد ظلما للعالمين يعني انهم اسعدة واذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب وعد السعداء بقوله كنتم خير أمة أي تلك الكرامات والسعادات انما فازوا بها في الآخرة لانهم كانوا في الدنيا خير أمة وأقول لما انجز الكلام في مخاطبة المؤمنين الى بيان ان كل ما في الوجود ملكه وملكه ابداعا واختراعا وان منتهى الكل اليه اتبع ذلك مزيته هذه الامة ليعلم انها بسابقة العناية الازلية اذ جعلهم مظهر الالطاف وذكر بعدها رذيلة أهل الكتاب ليعرف انها لوقوعهم في طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوديا اليهوديين قالا لابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعونا اليه ونحن خير وأفضل منكم فانزل الله هذه الآية قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير أمة على الحال أي حدثتم ووجدتم خير أمة والا كثرون على انها ناقصة فقضاء ابهام انهم كانوا موصوفين بالخيرية في الزمان الماضي دون ما يستقبل فاجيب بان كان لا تدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل المراد كنتم في علم الله أو في اللوح المحفوظ خير أمة أو كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير أمة كقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وقال أبو مسلم هذا تابع لقوله لما الذين ابيضت وجوههم وما بينهما اعتراض والتقدير انه يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا نالتم من الرحمة بياض الوجه العداوة ما نالتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال أنتم فكان هذا التشريف حاصلا لكلنا ولكنه مخصوص بقوم معينين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣٨) وثانيهما انه لما ذكر حال الاشقياء وحال السعداء نبه أولا على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله

والخلاف في الجاهلية فانزل الله عز وجل فيهم فنهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الى قوله وتؤمنون بالكتاب كله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا الى المنافقين من أهل المدينة نهى الله عز وجل المؤمنين أن يتولوهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم نهى الله عز وجل المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين أو يواخوهم أي يتولوهم من دون المؤمنين **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تتخذوا بطانة من دونكم هم المنافقون **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا يقول لا تستدخلوا المنافقين تتولوهم دون المؤمنين **حدثنا** أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن الازهر بن راشد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستضيئوا بنار أهل الشرك ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا قال فلم ندر ما ذلك حتى أتوا الحسن فسألوه فقال نعم أما قوله لا تنقشوا في خواتيمكم عربيا فانه يقول لا تنقشوا في خواتيمكم محمدا وأما قوله ولا تستضيئوا بنار أهل الشرك فانه يعني به المشركين يقول لا تستشيروهم في شيء من أموركم قال قال الحسن وتصديق ذلك في كتاب الله ثم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم أما البطانة فهم المنافقون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية قال لا يستدخل المؤمن المنافق دون أخيه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية قال هؤلاء المنافقون وقرأ قوله قد بدت البغضاء من أفواههم الآية واختلفوا في تاويل قوله ودوا ما عنتم فقال بعضهم معناه ودوا ما ضللتم عن دينكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي ودوا ما عنتم يقول ما ضللتم وقال آخرون بما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ودوا ما عنتم يقول في دينكم يعني انهم يودون أن تعنتوا في دينكم * فان قال لنا قائل وكيف قيل ودوا ما عنتم فجاء بالخبر عن البطانة بلفظ الماضي في محل الحال والقطع بعد تمام الخبر والحالات لا تكون الا بصور الاسماء والافعال المستقبلة دون الماضية منها قيل ليس الامر في ذلك على ما ظننت من أن قوله ودوا ما عنتم حال من البطانة وانما هو خبر عنهم ثان منقطع عن الاول غير متصل به وانما تاويل الكلام يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة صفتهم كذا فاخبر عن الصفة الثانية غير متصل بالصفة الاولى وان كانتا جميعا من صفة شخص واحد وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله ودوا ما عنتم من صلة البطانة وقد وصلت بقوله لا يألونكم خبالا فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام البطانة بصلتها ولكن القول في ذلك كما بينا قبل من أن قوله ودوا ما عنتم خبر مبتدا عن البطانة عن الخبر الاول وعن حال من البطانة ولا قطع منها ۞ القول في تاويل قوله (قد بدت البغضاء من أفواههم) يعني بذلك جل ثناؤه قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون أن تتخذوهم بطانة من دونكم لكم بافواههم يعني بالسنتهم والذي بدا لهم منهم بالسنتهم اقامتهم على كفرهم وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمون من الضلالة فذلك من أوكد الاسباب في معاداتهم أهل الايمان لان ذلك عداوة عن الدين والعداوة على الدين

وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها زائدة والمعنى أنتم بخير أمة وزيفها ابن الانباري بان الزائدة لا توضع في أول الكلام ولا تعمل كقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان ولا يقولون كان عبد الله قائم على ان كان زائدة لان البداية بها دليل شدة العناية والملغى لا يكون في محل العناية وقيل انها بمعنى صار أي صرتم خير أمة وأصل الامة الطائفة المجتمعة على الشيء الواحد وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الطائفة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا أطلقت الامة في نحو قول العلماء اجتمعت الامة وقعت عليهم وقد يقال لكل من جمعتهم دعوته انهم أمة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا بهذا القيد قال الزجاج ظاهر الخطاب في كنتم مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وقوله للناس اما أن يتعلق باخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها وبين غيرها واما أن يتعلق بكنتم أي كنتم للناس خير أمة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستئناف بقوله تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالآية على ان اجماع هذه الامة حجة لانها لو لم تحكم بالحق لم تكن خير امة من المبطل ولان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا وأما انه من أي وجه يقتضي ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلاثة كانت حاصلة لسائر الامم ذلك ان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد وأقواها ما يكون بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل وأعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وأنكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لاعظم المضار لغرض

العداوة التي لا زوال لها الا بانتقال أحد المتعاديين الى ملة الآخر منهما وذلك انتقال من هدى الى ضلالة كانت عند المنتقل اليها ضلالة قبل ذلك فكان في ابتدائهم ذلك للمؤمنين ومقامهم عليه أبين الدلالة لاهل الايمان على ما هم عليه لهم من البغضاء والعداوة وقد قال بعضهم معنى قوله قد بدت البغضاء من أفواههم قد بدت بغضاؤهم لاهل الايمان الى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر باطلاع بعضهم بعضا على ذلك وزعم قائل هذه المقالة ان الذين عنوا بهذه الآية أهل النفاق دون من كان مصرحا بالكفر من اليهود وأهل الشرك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد بدت البغضاء من أفواههم يقول قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين الى اخوانهم من الكفار من غشهم للاسلام وأهله وبغضهم اياهم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قد بدت البغضاء في أفواههم يقول من أفواه المنافقين وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة قول لا معنى له وذلك ان الله تعالى ذكره انما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغش للاسلام وأهله والبغضاء اما بادية ظاهرة دالة على أن ذلك من صفتهم واما باطهار الموصوفين بذلك العداوة والشناآن والمناصبة لهم فاما من لم يتأسوه معرفة انه الذي نهاهم الله عز وجل عن مخالفته ومباطنته فغير جائز أن يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته الا بعد تعريفهم اياهم اما باعيانهم وأسمائهم واما بصفات قد عرفوهم بها واذ كان ذلك كذلك وكان ابداء المنافقين بالسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين الى اخوانهم من الكفار غير مدرك به المؤمنون معرفتهم عليه لهم مع اظهارهم الايمان بالسنتهم لهم والتودد اليهم كان بينا ان الذي نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم لانفسهم بطانة دونهم كهم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بالسنتهم على ما وصفهم الله عز وجل به فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعتهم الله بها وانهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بانهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لانهم لو كانوا المنافقين لكان الامر منهم على ما قد بينا ولو كانوا الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحرب لم يكن المؤمنون متخذيهم لانفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم وافتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وعقد من يهود بني اسرائيل والبغضاء مصدر وقد ذكر انها في قراءة عبد الله بن مسعود قد بدا البغضاء من أفواههم على وجه التذكير وانما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ المؤنث لان المصادر تانيثها ليس بالتأنيث اللازم فيجوز تذكير ما خرج منها على لفظ المؤنث وتانيثه كما قال عز وجل وأخذ الذين ظلموا الصيحة وكما قال فقد جاءكم بينة من ربكم وفي موضع آخر وأخذت الذين ظلموا الصيحة وجاءتكم بينة من ربكم وقال من أفواههم وانما بدا ما بدا من البغضاء بالسنتهم لان المعنى به الكلام الذي ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم فقال قد بدت البغضاء من أفواههم بالسنتهم ۞ القول في تاويل قوله (وما تخفي صدورهم أكبر) يعني تعالى ذكره بذلك والذي تخفي صدورهم يعني صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة فتخفيه عنكم أيها المؤمنون أكبر يقول أكبر مما قد بدا لكم بالسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما تخفي صدورهم أكبر يقول وما تخفي صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما تخفي صدورهم أكبر يقول ما تكن صدورهم أكبر مما قد أبدوا بالسنتهم ۞ القول في تاويل قوله (قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون) يعني بذلك جل ثناؤه قد بينا لكم أيها المؤمنون الآيات يعني بالآيات

لعبر قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذي نهيناكم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين ما تعتبرون وتتعظون به من أمرهم ان كنتم تعقلون يعني ان كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم ومبلغ عائدته عليكم ۞ القول في تأويل قوله (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله) يعني بذلك جل ثناؤه ها أنتم أيها المؤمنون الذين تحبونهم بقول تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين فتودونهم وتواصلونهم وهم لا يحبونكم بل ينتظرون لكم العداوة والغش وتؤمنون بالكتاب كله ومعنى الكتاب في هذا الموضع معنى الجمع كما يقال كثير الدرهم في أيدي الناس يعني الدراهم فكذلك قوله وتؤمنون بالكتاب كله انما معناه بالكتب كلها كتابكم الذي أنزل الله اليكم وكتابهم الذي أنزله اليهم وغير ذلك من الكتب التي انزلها الله على عباده يقول تعالى ذكره فانتم اذ كنتم أيها المؤمنون تؤمنون بالكتب كلها وتعلمون ان الذي نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم كفار بذلك كله يجحودهم ذلك كله من عهود الله اليهم وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه أولى بعدوتكم اياهم وبغضائهم وغشهم منهم بعداوتكم بغضاءكم مع جحودهم بعض الكتب وتكذيبهم ببعضها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تؤمنون بالكتاب كله أي بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فانتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم وقالها أنتم أولاء ولم يقل هذا أنتم ففرق بين هاوأولاء بكناية اسم المخاطبين لان العرب كذلك تفعل في هذا اذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج الى تمام الخبر وذلك مثل أن يقال لبعضهم أين أنت فيجيب المقول ذلك له ها أنا ذا فيفرق بين التنبيه وذا بمكنيّ اسم نفسه ولا يكادون يقولون هذا أنا ثم يثنى ويجمع على ذلك وربما أعادوا حرف التنبيه مع ذا فقالوا ها أنا هذا ولا يفعلون ذلك الا فيما كان تقريبا فاما اذا كان على غير التقريب والنقصان قالوا هذا هو وهذا أنت وكذلك يفعلون مع الاسماء الظاهرة يقولون هذا عمر وقائما وان كان هذا تقريبا وانما فعلوا ذلك في المكنيّ مع القريب تفرقة بين هذا اذا كان بمعنى الناقص الذي يحتاج الى تمام رتبته وبين ما اذا كان بمعنى الاسم الصحيح وقوله تحبونهم خبر للتقريب في هذه الآية بانتم من الله عز وجل عن حال الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان ورأفتهم باهل الخلاف لهم وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الايمان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله فوالله ان المؤمن ليحب المنافق ويأوي اليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه لاباد خضراءه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن يرحمه ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه لاباد خضراءه وكان مجاهد يقول نزلت هذه الآية في المنافقين حدثني بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ۞ القول في تأويل قوله (واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يعني بذلك تعالى ذكره ان هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ووصفهم بصفتهم اذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوهم بالسنتهم تقية حذرا على أنفسهم منهم فقالوا لهم قد امنا وصدقنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم واذا هم خلوا فصاروا في خلا حيث لا يراهم المؤمنون عضوا على ما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم أنامل وهي أطراف أصابعهم تغيظا بما بهم من الموجدة عليهم وأسا على ظهر يسندون اليه لما كاشفتهم العداوة

لعبر قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذي نهيناكم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين ما تعتبرون وتتعظون به من أمرهم ان كنتم تعقلون يعني ان كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم ومبلغ عائدته عليكم ۞ القول في تأويل قوله (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله) يعني بذلك جل ثناؤه ها أنتم أيها المؤمنون الذين تحبونهم بقول تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين فتودونهم وتواصلونهم وهم لا يحبونكم بل ينتظرون لكم العداوة والغش وتؤمنون بالكتاب كله ومعنى الكتاب في هذا الموضع معنى الجمع كما يقال كثير الدرهم في أيدي الناس يعني الدراهم فكذلك قوله وتؤمنون بالكتاب كله انما معناه بالكتب كلها كتابكم الذي أنزل الله اليكم وكتابهم الذي أنزله اليهم وغير ذلك من الكتب التي انزلها الله على عباده يقول تعالى ذكره فانتم اذ كنتم أيها المؤمنون تؤمنون بالكتب كلها وتعلمون ان الذي نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم كفار بذلك كله بجحودهم ذلك كله من عهود الله اليهم وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه أولى بعدوتكم اياهم وبغضائهم وغشهم منهم بعداوتكم بغضاءكم مع جحودهم بعض الكتب وتكذيبهم ببعضها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تؤمنون بالكتاب كله أي بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فانتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم وقالها أنتم أولاء ولم يقل هذا أنتم ففرق بين ها وأولاء بكناية اسم المخاطبين لان العرب كذلك تفعل في هذا اذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج الى تمام الخبر وذلك مثل أن يقال لبعضهم أين أنت فيجيب المقول ذلك له ها أنا ذا فيفرق بين التنبيه وذا بمكنيّ اسم نفسه ولا يكادون يقولون هذا أنا ثم يثنى ويجمع على ذلك وربما أعادوا حرف التنبيه مع ذا فقالوا ها أنا هذا ولا يفعلون ذلك الا فيما كان تقريبا فاما اذا كان على غير التقريب والنقصان قالوا هذا هو وهذا أنت وكذلك يفعلون مع الاسماء الظاهرة يقولون هذا عمر وقائما وان كان هذا تقريبا وانما فعلوا ذلك في المكنيّ مع القريب تفرقة بين هذا اذا كان بمعنى الناقص الذي يحتاج الى تمام رتبته وبين ما اذا كان بمعنى الاسم الصحيح وقوله تحبونهم خبر للتقريب في هذه الآية بانتم من الله عز وجل عن حال الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان ورأفتهم باهل الخلاف لهم وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الايمان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله فوالله ان المؤمن ليحب المنافق ويأوي اليه ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه لاباد خضراءه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن يرحمه ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه لاباد خضراءه وكان مجاهد يقول نزلت هذه الآية في المنافقين حدثني بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ۞ القول في تأويل قوله (واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يعني بذلك تعالى ذكره ان هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ووصفهم بصفتهم اذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوهم بالسنتهم تقية حذرا على أنفسهم منهم فقالوا لهم قد امنا وصدقنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم واذا هم خلوا فصاروا في خلا حيث لا يراهم المؤمنون عضوا على ما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم أنامل وهي أطراف أصابعهم تغيظا بما بهم من الموجدة عليهم وأسا على ظهر يسندون اليه لما كاشفتهم العداوة

السائل الغير الى أعظم المنافع وتخطيه من أعظم المضار وكان من أعظم العبادات وقد كان أمر الجهاد في شرعنا أقوى منه في سائر الشرائع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم وهذا معنى ما روي عن ابن عباس في تفسير قوله كنتم خير أمة تأمرونهم أن يشهدوا أن لا اله الا الله ويقروا بما أنزل الله ويقاتلوكم عليه ولا اله الا الله أعظم المعروف والتكذيب أنكر المنكر وفائدة القتل على الدين لا ينكر منصف فان أكثرهم يحبون ما ألفوه من الاديان الباطلة ولا يتأملون في الدلائل التي ترد عليهم فاذا خوف بالقتل دخل في دين الحق مكرها الى أن يألفه مستدرجا وأما الايمان بالله فلا شك انه في هذه الامة أكمل لانهم آمنوا بكل ما يجب الايمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو ثواب أو عقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عددناه والم يكن في الحقيقة اعانا ولهذا نفى عن أهل الكتاب في قوله ولو آمن أهل الكتاب وانما قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الآية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف وتأكد القيام به ولهذا كرر بعد قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فكانت العناية به أشد فكان تقديمه أهم وليعلم ان التكميل أفضل من الكمال نفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تأخير الايمان بالله تكريره مرة بالتضمن وأخرى بالمطابقة على أن الواو لا تفيد الترتيب وأيضا أراد أن يبني عليه قوله ولو آمن وفي التفسير الكبير ومناجزتهم ان أصل الايمان مشترك فيه بين الاديان فلا تبين فيه الخيرية لكن الآية سيقت لبيان الخير بتوليس ذلك الا لان هذه الامة أقوى في باب الامر

بالمعروف ولهذا تقدم ثم اتبع ذكر الايمان باقة لعلم ان شرط تاثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى ان ايمان أهل الكتاب معتبر وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو آمن أهل الكتاب يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبسائر ما لابد منه من الامور المحدودة لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية أيضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة أو لحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعدوا من ايتاء الاجر في الآخرة مرتين وعلى ما هم فيه ليس الا استتباع بعض الجهلة من العوام وشيء نزر من الرشى وبعد ذلك خلود في النار ثم فصل أهل الكتاب على سبيل الاستئناف فقال منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي وأصحابه فاللام للمعهود السابق وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن اطاعة الله تعالى وعن دينه فيقارب الكفر أو رادفه أو المراد أنهم ليسوا بعدول في دينهم أيضا فهم مردودون باتفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي أن لا يقتدى بهم البتة ثم أخبر عن حالهم وكان كما قال صلى الله عليه وسلم وهو آية الاعجاز بجملة مستانفة هي لن يضروكم الا أذى الاضرار أن لا يجاوز أذى بقول كطعن في الدين أو بتهديد أو تحريف نص أو القاء شبهة أو اظهار كلمة الكفر باشراكه عزيرا والمسيح والاذى مصدر كالاسى يقال آذاه يؤذيه أذى وأذاة وأذية والاذى نوع من الضرر فصح انتصابه به والتقدير لن يضروكم شيئا من أنواع الضرر الا ضررا يسيرا ومن هذا تبين ان الاستثناء ليس بمنقطع على ما ظن

ومنا جزتهم المحاربة ونحو ما قلنا في ذلك قول أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا ليس بهم الا مخافة على دمائهم وأموالهم فصانعوهم بذلك واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ يقول مما يجدون في قلوبهم من الغيظ والكراهة لما هم عليه لو يجدون بدا كانوا على المؤمنين فهم كما نعت الله عز وجل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله الا أنه قال من الغيظ لكراهتهم الذي هم عليه ولم يقل لو يجدون بدا وما بعده حدثنا عباس بن محمد قال ثنا مسلم قال ثني يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال ثنا أبي قال كان أبو الجوزاء اذا تلا هذه الآية واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال هم الاباضية والانامل جمع أنملة ويقال انملة وربما جمعت أنملا قال الشاعر

أودكها مابل حاقي رنق * وماحلت كفاي أنملي العشرا

وهي أطراف الاصابع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الانامل أطراف الاصابع حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذا خلوا عضوا عليكم الانامل الاصابع حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي الاحوص عن عبد الله قوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال عضوا على أصابعهم ۞ القول في تاويل قوله عز وجل (قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم وأخبرتك انهم اذا لقوا أصحابك قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم الذي بكم على المؤمنين لاجتماع كلمتهم وائتلاف جماعتهم وخرج هذا الكلام مخرج الامر وهو دعاء من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بان يدعو عليهم بان يهلكهم الله كما دعا بهم من الغيظ على المؤمنين قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت في دينهم والضلالة بعد هداهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهلكوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور يعني بذلك ان الله ذو علم بالذي في صدور هؤلاء الذين اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا وما يتطوون لهم عليه من الغل والغم ويعتقدون لهم من العداوة والبغضاء وبما في صدور جميع خلقه فاحفظ على جميعهم ما هو عليه منطو من خير وشر حتى يجازي جميعهم على ما قدم من خير وشر واعتقد من ايمان وكفر وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة أو غل وغمز ۞ القول في تاويل قوله (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) يعني بقوله تعالى ذكره ان تمسسكم حسنة تسؤهم ان تنالوا أيها المؤمنون سرورا يظهركم على عدوكم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم وان تنلكم مساءة باخفاق سرية لكم أو باصابة عدو لكم منكم أو اختلاف يكون بين جماعتكم تسؤهم يفرحوا بها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها فاذا رأوا من أهل الاسلام ألفة وجماعة وظهورا على عدوهم غاظهم ذلك وساءهم واذا رأوا من أهل الاسلام فرقة واختلافا أو أصيب طرف من أطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به فهم كما مخرج منهم قرن أكذب الله أحدوثته وأوطأ محلته وأبطل حجته واظهر عورته فذلك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقي الى يوم القيامة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها قال هم

وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا يلزم نفي النصر مقيدا بتقاتلهم بل يرفع ليكون نفي النصر وعدا مطلقا وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كأنه قيل

المنافقون اذا رأوا من أهل الاسلام جماعة وظهورا على عدوهم غاظهم ذلك غيظا شديدا واساءهم واذا رأوا من أهل الاسلام فرقتوا اختلافا أو أصيب طرف من أطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبهم فقال الله عز وجل وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون محيط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم قال اذا رأوا من المؤمنين جماعة وألفة ساءهم ذلك واذا رأوهم فرقة واختلافا فرحوا وأما قوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ يعني بذلك جل ثناؤه وان تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه من اتخاذ بطانة من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين وغير ذلك من سائر ما نهاكم وتتقوا ربكم فتخافوا التقدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله لا يضركم كيدهم شيأ أي كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم ويعني بكيدهم غوائلهم التي يبتغونها للمسلمين ومكرهم بهم ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق واختلف القراء في قراءة قوله لا يضركم فقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز وبعض البصريين لا يضركم مخففة بكسر الضاد من قول القائل ضارني فلان فهو يضيرني ضيرا وقد حكي سماعا من العرب ما ينفعني ولا يضورني فلو كانت قرئت على هذه اللغة لقيل لا يضركم كيدهم شيأ ولكن لا أعلم أحدا قرأ به وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة وعامة قراء أهل الكوفة لا يضركم كيدهم شيبا بضم الضاد وتشديد الراء من قول القائل ضرني فلان فهو يضرني ضرا وأما الرفع في قوله لا يضركم ففي وجهين أحدهما على اتباع الراء في حركتها اذ كان الاصل فيها الجزم ولم يمكن جزمها للتشديد بها أقرب حركات الحروف التي قبلها وذلك حركة الضاد وهي الضمة فالحقت بها حركة الراء لقربها منها كما قالوا مديا هذا والوجه الآخر من وجهي الرفع في ذلك أن تكون مرفوعة على صحة وتكون لا بمعنى ليس وتكون الفاء التي هي جواب الجزاء متروكة لعلم السامع بموضعها واذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام وان تصبروا وتتقوا فليس يضركم كيدهم شيأ ثم تركت الفاء من قوله لا يضركم كيدهم ووجهت لا الى معنى ليس كما قال الشاعر

فان كان لا يرضيك حتى تردني ✽ الى قطوفي لا أقالك راضيا

ولو كانت الراء محركة الى النصب والخفض كان جائزا كما قيل مديا هذا ومد وقوله ان الله بما يعملون محيط يقول جل ثناؤه ان الله بما يعمل هؤلاء الكفار في عباده وبلاده من الفساد والصد عن سبيله والعداوة لاهل دينه وغير ذلك من معاصي الله محيط بجميعه حافظ له لا يعزب عنه شيء منه حتى يوفيهم جزاءهم على ذلك كله ويديقهم عقوبته عليه ✽ القول في تأويل قوله (واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم) يعني جل ثناؤه بقوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين وان تصبروا وتتقوا لا يضركم أيها المؤمنون كيد هؤلاء الكفار من اليهود شيأ ولكن الله ينصركم عليهم ان صبرتم على طاعتي واتباع أمر رسولي كما نصركم ببدر وأنتم أذلة وان أنتم خالفتم أيها المؤمنون أمري ولم تصبروا على ما كلفتكم من فرائضي ولم تتقوا ما نهيتكم عنه وخالفتم أمري وأمر رسولي فانه نازل بكم ما نزل بكم باحد واذكر واذ غدوت من أهلك اليوم اذ غدا نبيكم يبوئ المؤمنين فترك ذكر الخبر عن أمر القوم ان لم يصبروا على أمر ربهم ولم يتقوه اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام على معناه اذ ذكر ما هو فاعل بهم من صرف كيد أعدائهم عنهم ان صبروا على أمره واتقوا محارمه وتعقيبه ذلك بتذكيرهم ما حل بهم من البلاء باحد اذ خالف بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازعوا الرأي بينهم وأخرج الخطاب في قوله واذ غدوت من أهلك على وجه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بمعناه الذين نهاهم أن يتخذوا الكفار من اليهود بطانة من دون المؤمنين فقد بين

لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الآيات مخصوصة باليهود وأسباب النزول تدل على ذلك فكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع وأهل خيبر أو لعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال ولم يوجد نصراني بهذه الحالة وفي الآية تشجيع المؤمنين وتثبيتهم لن آمن من أهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلهم وتحريفاتهم * التأويل اتقوا الله حق تقاته لاهل العزائم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله وبوجوده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون لا يتنفى وجودكم المجازي الا وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستغدتم الوجود الحقيقي وهو البقاء بالله واعتصموا أهل الاعتصام طائفتان أهل الصور وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال فقيل لهم اعتصموا بحبل الله وهو كل سبب يتوصل به الى الله من أعمال البر وأهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب لمشربهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بالله هو مولاكم مقصودكم أو ناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم فلو لا نفسكم فانقذكم منها بالهداية والايمان وتأليف القلوب كذلك مثل ما بين آياته للدوس والخزرج حتى صار وا اخوانا بينكم أيها الطلاب آياته وهي الجذبة الالهية وتجلي صفات الربوبية ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال اذا رأيتم الغلبون من وعيد من يأمر بالمعروف فلا يأتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله يوم تبيض

أخبركم أنهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم ان النصر والقوة تكون لهم أحيانا يستقيم لهم أمر البتة ومضى ثم فائدة الترتيبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أيضا كانوا أعظم من الاخبار بانهزامهم عند القتال فان قيل هب ان اليهود كذلك

اذ ان قوله واذ اغاجزها فى معنى الكلام على ماقد بينت وأوضحت وقد اختلف أهل التاويل فى اليوم الذى عنى الله عز وجل بقوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فقال بعضهم عنى بذلك يوم أحد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال مشى النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد على رجليه يبوئ المؤمنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ذلك يوم أحد غدا نبى الله صلى الله عليه وسلم من أهله الى أحد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال غدا النبى صلى الله عليه وسلم من أهله الى أحد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فهو يوم أحد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين قال هذا يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق مما نزل فى يوم أحد واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين * وقال آخرون عنى بذلك يوم الاحزاب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم غدا يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال يوم الاحزاب * وأولى هذين القولين بالصواب قول من قال عنى بذلك يوم أحد لان الله عز وجل يقول فى الآيتين بعدها اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا ولا خلاف بين أهل التأويل انه عنى بالطائفتين بنو سلمة وبنو حارثة ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى ذكر الله من أمرهما انما كان يوم أحد دون يوم الاحزاب فان قال لنا قائل وكيف يكون ذلك يوم أحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم انما راح الى أحد من أهله للقتال يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة فى أهله بالمدينة بالناس كالذى حدثكم ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حباب وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راح حين صلى الجمعة الى أحد دخل فلبس لامته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم وقال ما ينبغى لنبى صلى الله عليه وسلم اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم وان كان خروجه للقوم كان رواحا فلم يكن تبوئته المؤمنين مقاعدهم للقتال عند خروجه بل كان ذلك قبل خروجه لقتال عدوه وذلك ان المشركين تولوا منزلهم من أحد فيما بلغنا يوم الاربعاء فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة حتى راح رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة فاصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حباب وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن وغيرهم فان قال وكيف كانت تبوئته المؤمنين مقاعد للقتال غدوا قبل خروجهم قد علمت ان التبوئة اتخاذ الموضع قيل كانت تبوئته اياهم ذلك قبل مناهضته عدوه عند مشورته على أصحابه بالرأى الذى رآه لهم بيوم أو يومين وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بنزول المشركين من قريش وأتباعها أحدا قال فيما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن

اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا انقطعوا فى بادية النفس واتبعوا خيول الهوى وارتدوا على أعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب لان الناس نيام لا يذوقون ألم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ففى رحمة الله فى الدنيا بالجمعية والوفاق مع أهل الله هم فيها خالدون فى الآخرة ولانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه تلك الاحوال آيات الله مع اخواصه تتلوها عليك بالحق تظهرها على قلبك بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد والبياض فى غير موضعهما كنتم خير أمة أخرجت من العدم الى الوجود مستعدة للقبول كالية الانسان من جملة الخيرية تخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عاقب مطيعهم بشؤم عصيانهم وغفر عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها زلاتهم لعنه وزلات غيرهم رحمة ومنها شكا منهم اليها وشكر منا اليهم قبل وجودنا ولو آمن أهل الكتاب يعنى علماء السوء لن يضروكم أيها المحققون الا أذى من طريق الانكار والحسد وان يقاتلوكم ينازعوكم ويخاصموكم يولوكم الادبار من صدق نياتكم لا ينصرون لانكم أهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا

أنفسهم فاهلكته وما تظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم (٤٤) أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون

بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط)

القراآت ويسارعون وبابه كسارعوا ونسارع ممالة قتيبة وأبو عمرو طريق ابن عبدوس ما يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص أبو عمرو مخيرا الباقون بتاء الخطاب تسؤهم وبابه من كل همزته مجزومة بتغيير همزة الاعشى وأوقية والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم من الضير أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقرأ المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوم وماشم محركا الساكنين فالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة * الوقوف

المكنة ط بغير حق ط يعتدون ۝ قيل لا وقف عليه لان ضمير ليسوا يعود الى ما يعود اليه ضمير منهم المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين والذين عصوا واعتدوا أحد الفريقين سواء ط يسجدون ۝ قيل لا وقف على جعل يؤمنون حالا لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر أوصاف لهم مطلقة غير مختصة بحال السجود الخيرات ط الصالحين ۝ يكفروه ط للمتقين ۝ شيأ ط النار ج خالدون ما هاهنا كتبه ط يظلمون ج خبالا ط ما عنتم ج لاحتمال كون قد بدت حالا أكبر ط تعقلون ۝ كله ج للعطف مع الحذف أي وهم لا يؤمنون بكتابكم آمنا ق قد قيل والوصل أولى لان المقصود المشيرين بيان تناقض ما بهم في النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور ۝ تسؤهم ج للابتداء بشرط آخر والوصل أجوز اذ الغرض تقرير تضاد

المفضل قال ثنا اسباط عن السدي لاصحابه أشيروا علي ما أصنع فقالوا يا رسول الله اخرج الى هذه الاكلب فقالت الانصار يا رسول الله ما غلبنا عدو لنا أتانا في ديارنا فكيف وأنت فينا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا في الازقة فاتاه النعمان بن مالك الانصاري فقال يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة فقال له لم قال بانى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وانى لا أفر من الزحف قال صدقت فقتل يومئذ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا اصنع ما رأيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني ابن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن عن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالمشركين قد نزلوا منزلهم من أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت بقرا فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت اني أدخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان قاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أن لا يخرج اليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره يا رسول الله أخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله بن أبي ابن سلول يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا قط الا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا فلم يزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته * تبوئة رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين مقاعد للقتال ماذكرنا من مشورته على أصحابه بالرأي الذي ذكرنا على ما وصفه الذين حكينا قولهم يقال منه بوأت القوم منزلا وبوأته لهم فانا أبوئهم المنزل تبوئة وأبوئ لهم منزلا تبوئة وقد ذكر ان في قراءة عبد الله بن مسعود واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وذلك جائز كما يقال رددت ذلك وردد ذلك ونقدت لها صداقها ونقدتها كما قال الشاعر

استغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل

والكلام أستغفر الله لذنب وقد حكي عن العرب سمعا أبأت القوم منزلا فانا أبيئهم أباءة ويقال منه أبأت الابل اذا رددتها الى المبيت والمبات المراح الذي تبيت فيه والمقاعد جمع مقعد وهو المجلس فتأويل الكلام واذكر اذ غدوت يا محمد من أهلك تتخذ للمؤمنين معسكرا وموضعا للقتال عدوهم وقوله والله سميع عليم يعني بذلك تعالى ذكره والله سميع لما يقول المؤمنون لك فيما شاورتهم فيه من موضع لقائك ولقائهم عدوك وعدوهم من قول من قال أخرج بنا اليهم حتى نلقاهم خارج المدينة وقول من قال لك لا تخرج اليهم وأقم بالمدينة حتى يدخلوها علينا على ما قد بينا قبل ومما تشير به عليهم أنت يا محمد عليم بأصلح تلك الآراء لك ولهم وبما تخفيه صدورا لمشيرين عليك بالخروج الى عدوك وصدور

الغالبين منهم ترسوا بها ط لتناهي ضعف الامم فانهم وان كثروا عليهم فالقلة والهوان في عامة الاحوال بالقتل والسبي والنهب أينما وجدوا والاعتصمين بحبل من الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين فهما في حكم واحد أي لاعز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التحاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فحينئذ يكون دمهم محقونا وما لهم مصونا وهو نوع من العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى أو وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس ما يزيد الامام عليها أو ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا تنفك عنهم وباؤا بغضب من الله قيل انه من قولك تبوأ فلان منزل كذا والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا بالغضب وضربت عليهم المسكنة عن الحسن ان المراد بها الجزية وانما أفردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة وقال آخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا لكنهم مستخفون في جميع النواحي والاكناف يظهرون من أنفسهم الفقر والمدقعة البتة وباقي الآية قدمر تفسيره في البقرة الا أنه سبحانه قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء الانبياء بغير حق لان جمع التكسير يفيد التكثير فذكر في الموضعين أعني في البقرة وفي أول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة كالذين والصابئين وغيرهما ثم تدرج الى ما هو نص في الكثرة في الموضعين الآخرين نعيا عليهم وتقبيحا لشأنهم ولمثل هذا عرف الحق في البقرة اشارة الى الحق الذي أذن الله أن يقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ثم نكر في المواضع الباقية أي بغير ما حق أصلا في نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وتدينهم ليسوا سواء كلام تام وما بعده كلام مستأنف للبيان قال

للبشير بن عليك بالمقام في المدينة وغير ذلك من أمرك وأمورهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله والله سميع عليم أي سميع لما يقولون عليم بما يخفون ۞ القول في تأويل قوله (اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني بذلك جل ثناؤه والله سميع عليم حين همت طائفتان منكم ان تفشلا والطائفتان اللتان همتا بالفشل ذكر لنا بنو سلمة وبنو حارثة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا قال بنو حارثة كانوا نحو أحد وبنو سلمة نحو سلع وذلك يوم الخندق قال أبو جعفر وقد دللنا على ان ذلك كان يوم أحد فيما مضى بما فيه الكفاية من اعادته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا الآية وذلك يوم أحد والطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الانصار هموا بامر فعصمهم الله من ذلك قال قتادة وقد ذكر لنا انه لما أنزلت هذه الآية قالوا ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله انه ولينا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله اذ همت طائفتان منكم الآية وذلك يوم أحد فالطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الانصار فذكر مثل قول قتادة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد في ألف رجل وقد وعدهم الفتح ان صبروا فلما رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلثمائة تبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم فلما غلبوه وقالوا له ما نعلم قتالا ولئن أطعتنا لترجعن معنا وقال اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا وهم بنو سلمة وبنو حارثة هموا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي فعصمهم الله وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة نزلت في بني سلمة من الخزرج وبني حارثة من الاوس ورأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا فهم بنو حارثة وبنو سلمة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والطائفتان بنو سلمة من جشم بن الخزرج وبنو حارثة بن الحارث من الاوس وهما الجناحان حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا الآية قال هما طائفتان من الانصار هما ان يفشلا فعصمهم الله وهزم عدوهما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا قال هم بنو سلمة وبنو حارثة وما أحب ان لو لم تكن هممنا لقول الله عز وجل والله وليهما حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن عيينة عن عمرو قال سمعت جابر بن عبد الله فذكر نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا قال هذا يوم أحد وأما قوله ان تفشلا فانه يعني هما ان يضعفا ويجبنا عن لقاء عدوهما يقال منه فشل فلان عن لقاء عدوه يفشل فشلا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الفشل الجبن وكان همهما الذي هما به من الفشل الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بمن معه جبنا منهم من غير شك منهم في الاسلام ولا نفاق فعصمهم الله مما هموا به من ذلك ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهه الذي مضى له وتركوا عبد الله بن أبي ابن سلول والمنافقين معه فابى الله عز وجل الا نبوتهم على الحق وأخبر انه وليهما وناصرهما على أعدائهم من

الكفار كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله وليهما أي المدافع عنهما ما هما به من فشلهما وذلك انه انما كان ذلك منهما عن ضعف وهن أصابهما من غير شك أصابهما في دينهما فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما والحقتا بنبيهما صلى الله عليه وسلم يقول وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن فليتوكل على وليستعن بي أعنه على أمره وأدفع عنه حتى أبلغ به وأقويه على نيته وذكر ان ابن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ والله وليهم وانما جاز أن يقرأ ذلك كذلك لان الطائفتين وان كانتا في لفظ اثنين فانهما في معنى جماع بمنزلة الخصمين والحق بين ۞ القول في تأويل قوله (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) يعني بذلك جل ثناؤه وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ وينصركم بكم ولقد نصركم الله ببدر على أعدائكم وأنتم يومئذ أذلة يعني قليلون في غير منعة من الناس حتى أظهركم الله على عدوكم مع كثرة عددهم وقلة عدتكم وأنتم اليوم أكثر عددا منكم حينئذ فان تصبروا لامر الله ينصركم كما نصركم ذلك اليوم فاتقوا الله يقول تعالى ذكره فاتقوا ربكم بطاعته واجتناب محارمه لعلكم تشكرون يقول لتشكروه على ما منّ به عليكم من النصر على أعدائكم واظهار دينكم ولما هداكم له من الحق الذي ضل عنه مخالفوكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة يقول وأنتم أقل عددا وأضعف قوة فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي فاتقوني فانه شكر نعمتي واختلف في المعنى الذي من أجله سمي بدرا فقال بعضهم سمي بدرا بذلك لانه كان ماء لرجل يسمى بدرا فسمي باسم صاحبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن زكريا عن الشعبي قال كانت بدر لرجل يقال له بدر فسميت به حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبي انه قال ولقد نصركم الله ببدر وقال كانت بدر بئر الرجل يقال له بدر فسميت به وأنكر ذلك آخرون وقالوا ذلك اسم سميت به البقعة كما سمي سائر البلدان باسمائها ذكر من قال ذلك حدثنا الحرث بن محمد قال ثنا ابن سعد قال ثنا محمد بن عمر الواقدي قال ثنا منصور عن ابي الاسود عن زكريا عن الشعبي قال انما سمي بدرا لانه كان ماء لرجل من جهينة يقال له بدر وقال الحرث قال ابن سعد قال الواقدي فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فانكراه وقالا فلاي شئ سميت الصفراء ولاي شئ سميت الحمراء ولاي شئ سمي رابغ هذا ليس بشئ انما هو اسم الموضع قال وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان الغفاري فقال سمعت شيوخنا من بني غفار يقولون هو ماؤنا ومنزلنا وما ملكه أحد قط يقال له بدر وما هو من بلاد جهينة انما هي بلاد غفار قال الواقدي فهذا المعروف عندنا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول بدر ماء عن يمين طريق مكة بين مكة والمدينة وأما قوله أذلة فانه جمع ذليل كما الاعزة جمع عزيز والالبة جمع لبيب وانما سماهم الله عز وجل أذلة لقلة عددهم لانهم كانوا ثلثمائة نفس وبضعة عشر وعدوهم ما بين التسعمائة الى الالف على ما قد بينا فيما مضى فجعلهم لقلة عددهم أذلة نحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون وبدر ماء بين مكة والمدينة التقى عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم والمشركون وكان أول قتال قاتله نبي الله صلى الله عليه وسلم قال قتادة وذكر لنا أنه قال لاصحابه يومئذ أنتم اليوم بعدة أصحاب طالوت يوم كفى فكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون يومئذ ألف أو راهقوا ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر عن عباد عن الحسن في قوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم

الفراء وابن الانباري تقديره من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة ليست قائمة لانه أضمر ذكر هذا القسم على مذهب العرب من الاكتفاء بأحد الضدين لخطورهما بالبال معا غالبا قال أبو ذؤيب دعاني اليها القلب اني لامرها مطيع فما أدري أرشد طلابها أم غي

فاكتفى بذكر الرشد عن ضده وتقول زيد وعبد الله لا يستويان زيد عاقل دين زكي فيغني هذا عن أن يقال وعبد الله ليس كذلك وقيل وهو اختيار أبي عبيد ان أمة مرفوعة بليس على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو بدل من الضمير على نحو وأسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير ليسوا سواء أمة قائمة وأمة مذمومة وفي تفسير أهل الكتاب قولان الاول وعليه الجمهور أنهم اليهود والنصارى قال ابن عباس ومقاتل لما أسلم عبد الله بن سلام واضرابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا لما تركوا دين آبائهم وقالوا لهم لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فنزلت وعن عطاء انها نزلت في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني انهم كل من أوتي الكتاب من أهل الاديان فعلى هذا يكون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال انه ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وفي رواية فبشر صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب فانزل الله هذه الآيات ليسوا سواء الى قوله والله عليم بالمتقين قال القفال رحمه الله لا يبعد أن يقال أولئك الحاضرون كانوا نفرا من مؤمني أهل الكتاب فقيل ليس يستوي من أهل الكتاب هؤلاء الذين آمنوا تشكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم فاقام صلاة العشاء في الساعة التي ينام فيها غيرهم مع أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يبعد أيضا أن يقال المراد كل

تشكرون قال يقول وأنتم قليل أذلة وهم يومئذ بضعة عشر وثلثمائة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع نحو قول قتادة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة أقل عددا وأضعف قوة وأما قوله فاتقوا الله لعلكم تشكرون فان تأويله كالذي قد بينت وكما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي فاتقوني فانه شكر نعمي ۞ القول في تأويل قوله (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) يعني تعالى ذكره ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وذلك يوم بدر ثم اختلف أهل التأويل في حضور الملائكة يوم بدر حربهم في أي يوم وعدوا ذلك فقال بعضهم ان الله عز وجل كان وعد المؤمنين يوم بدر ان يمدهم بملائكته ان أتاهم العدو من فورهم فلم يأتوهم ولم يمدوا بذكر من قال ذلك حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر قال حدث المسلمون ان كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين قال فشق ذلك على المسلمين فقيل لهم ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال فبلغت كرزا الهزيمة فرجع ولم يمدهم بالخمسة حدثني ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر قال لما كان يوم بدر بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا انه قال ويأتوكم من فورهم هذا يعني كرزا وأصحابه يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال فبلغ كرزا وأصحابه الهزيمة فلم يمدهم ولم تنزل الخمسة وأمدوا بعد ذلك بالف فهم أربعة آلاف من الملائكة مع المسلمين حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة الآية كلها قال هذا يوم بدر حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي قال حدث المسلمون ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين ببدر قال فشق ذلك على المسلمين فانزل الله عز وجل ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم الى قوله من الملائكة مسومين قال فبلغته هزيمة المشركين فلم يمدهم ولم يمدوا بالخمسة وقال آخرون كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر فصبر المؤمنون واتقوا الله فأمدهم بملائكته على ما وعدهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة قال سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما أصيب بصره يقول لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري لاخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتماري حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق وثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا الله قال بعد اذ ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتماري حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني عبد الله بن أبي بكر انه حدث عن ابن عباس ان ابن عباس قال ثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب قال فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم قال فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال وثني الحسن بن عمارة

تقرير فضيلة أهل الاسلام تأكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير أمة كقوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ثم انه تعالى مدح الامة المذكورة بصفات ثمان الاولى انها قائمة قيل أي في الصلاة وقيل ثابتة على التمسك بدين الحق ملازمة له غير مضطربة وقيل أي مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة وهي ان الآية دلت على أن المسلم القائم بحق العبودية وقوله قائما بالقسط دال على ان المولى قام بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم * الصفة الثانية يتلون أي أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فالتلاوة القراءة وأصل الكلمة الاتباع فكان التلاوة هي اتباع اللفظ وآيات الله القرآن وقد يراد بها أصناف مخلوقة فانه الدالة على صانعها وآناء الليل ساعاته واحدها انى مثل معاوانى وانو مثل نحى وتلو * الصفة الثالثة وهم يسجدون يحتمل أن يكون حالا من يتلون كانهم يقرؤن القرآن في السجدة تخشعا الا أن ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ألا اني نهيت أن اقرأ راكعا وساجدا اما ماه وأن يكون كلاما مستقلا أي يقومون تارة ويسجدون أخرى ويتبعون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الحسن يركع أحدهم ويسجد ويضع رأسه بقدميه وقدميه برأسه وذلك لاحداث النشاط والراحة وأن يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلاة

تسمى سجدة وركعة وسجدات براد وهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من في السموات والارض وعلى هذين الاحتمالين لا مانع من كونه حالا * الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الآخر فالصفات المتقدمة اشارة الى كمالهم في القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم بحسب القوة

عن الحكم بن عيينة عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عباس قال لم تقاتل الملائكة فى يوم من الايام سوى يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عددا ومددا لا يضربون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق حدثنى أبى اسحق بن يسار عن رجال من بنى مازن عن أبى داود المازنى وكان شهد بدرا قال انى لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه سيفى فعرفت ان قد قتله غيرى حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد ثنى حسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره ان يخالفهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزة قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل القداح أنحتها فى حجرة زمزم فوالله انى لجالس فيها أنحت القداح وعندى أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهرى فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم قال أبو لهب هلم الى يا ابن أخى فعندى الخبر قال فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس قال لا شئ والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل ما بين السماء والارض ما يليق لها شئ ولا يقوم لها شئ قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت تلك الملائكة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثنى الحسين بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن مقسم عن ابن عباس قال كان الذى أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمر وأخا بنى سلمة وكان أبو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى اليسر كيف أسرت العباس أبا اليسر قال يا رسول الله لقد أعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين أمروا بالف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وذلك يوم بدر أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة حدثت عن عمار عن ابن أبى نجيح عن أبيه عن الربيع حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فانهم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم مسومين حدثنى محمد بن بشار قال ثنا سفيان عن ابن خثيم عن مجاهد قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وقال آخرون ان الله عز وجل انما وعدهم يوم بدر ان صبروا عند طاعته وجهاد أعدائه واتقوه باجتناب محارمه ان يمدهم فى حروبهم كلها فلم يصبروا ولم يتقوا الا فى يوم الاحزاب فامدهم حين حاصروا قريظة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا سليمان بن يزيد أبو آدم المحاربى عن عبد الله بن أبى أوفى قال كنا محاصرى قريظة والنضير ما شاء الله أن نحاصرهم فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يغسل رأسه اذ جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا

لسعيهم فى تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغى ومنعهم عما لا ينبغى وفيه تعريض بالامة المذمومة انهم كانوا مداهنين وعن سفيان الثورى اذا كان الرجل محييا فى جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والصفة السابعة يسارعون فى الخيرات أى المذكورات كلها وهى من صفات المدح لان المسارعة فى الخير دليل قوة الرغبة فيه حتى لا يفوت ففى التأخير آفات وما روى انه صلى الله عليه وسلم قال العجلة من الشيطان محمولة بهذه الآية على انها لا تفيد كمال الحكم لان القضية أهملت اهمالا كيف والامور متفاوتة منها ما يحمد فيه التأخير لكونه مما يحصل على مهل وتدريج فاطلب منه خلاف وضعه فان الغرض وضاع السعى أو لكونه غير معلوم العاقبة فيفضى الى مزيد تدبر وتأمل ومنها ما يحمد فيه التعجيل لضد ما قلنا فتنتهز فيه الفرصة وتغتنم فان الفرص تمر مر السحاب قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك والصفة الثامنة وأولئك من الصالحين وذلك ان الامور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة الا فى علم الله تعالى فاذا أخبر عنهم بانخراطهم فى سلك الصالحين فذلك المقصود وقصارى المجهود ثم شرط للامة الموصوفة بل لجميع المكلفين ايصال الجزاء اليهم البتة تأكيدا للاخبار عنهم بقوله وأولئك من الصالحين فقال وما يفعلوا من خير فلن يكفروه أى رسول لن يحرموا ثوابه ولن يجحدوه فضمن الكفران معنى الحرمان ولهذا يعدى الى مفعولين مع ان الاصل فيه التعدية الى واحد نحو شكرا لنعمة

وكثرها وحسن موقع الجزاء كثيرا كما هي لاتصال الثواب بكثرة في قوله فان الله شاكر عليم ثم ختم الكلام بقوله والله عليم بالمتقين مع انه عالم بكل الاشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يغوز عنده بالكرامة الا أهل التقوى وتنبيها على ان الملتزم لوعدهم هو معبودهم الحق القادر الغني الخبير الذي لا غاية لكرمه ولا نهاية لعلمه فما ظنك بمثل هذا شأنه ثم بين أحوال أهل الشقاء بقوله ان الذين كفروا الآية وقد سبق تفسير مثله في أول السورة ثم انه لما بين أن أموال الكفار لا تغني عنهم شيأ أمكن ان يخطر ببال أحد ان الذي ينفقون منه في وجوه الخيرات لعلهم ينتفعون بذلك فازال ذلك الوهم بقوله مثل ما ينفقون الآية قال أكثر المفسرين وأهل اللغة الصر البرد الشديد وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد وفي الصحاح الصر بالكسر برد يضر بالنبات والحرث وعلى هذا فمعنى الآية كمثل ريح فيها برد وذلك ظاهر وجوز في الكشاف أن يكون الصر صفة معناه البارد فيكون موصوفه محذوفا بمعنى صرة فيها صر كما تقول بردبارد على المبالغة أو تكون في تجريدية كما يقال رأيت فيك أسدا أي أنت أسد وان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل وقيل الصر السموم الحارة وروى ابن الانباري باسناده عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى جميع الاقوال الغرض من التشبيه حاصل سواء كان بردا مهلكا أو حرا محرقا فانه يصير مبطلا للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب الذي مر ذكره في أول سورة البقرة ويجوز أن يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث والمراد ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر

وقول الله صلى الله عليه وسلم بحرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا كالربعيين لا نعبأ بالسير شيأ حتى أتينا قرية قلوا والنضير فيومئذ أمدنا الله عز وجل بثلاثة آلاف من الملائكة وفتح الله لنا فتحا يسيرا فانقلبنا بنعمة من الله وفضل وقال آخرون بنحو هذا المعنى غير انهم قالوا لم تصبروا القوم ولم يتقوا ولم يعدوا بشيء في أحد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثني عمرو بن دينار عن عكرمة سمعه يقول بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال فلم يصبروا ولم يتقوا فلم يمدوا يوم أحد ولو مدوا لم يهزموا يومئذ حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت عكرمة يقول لم يمدوا يوم أحد ولا بملك واحدا وقال الا بملك واحد أبو جعفر يشك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال سمعت عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف الى خمسة آلاف من الملائكة مسومين كان هذا موعدا من الله يوم أحد عرضه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين ان اتقوا وصبروا أمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فغر المسلمون يوم أحد ولو امدبرين فلم يمدهم الله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا الآية كلها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ينتظرون المشركين يا رسول الله أليس يمدنا الله كما أمدنا يوم بدر فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وانما أمدكم يوم بدر بألف قال فجاءت الزيادة من الله على ان تصبروا وتتقوا قال بشرط ان يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية كلها وهو أولى الاقوال بذلك بالصواب ان يقال ان الله أخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه قال للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مقدالهم ثم وعدهم بعد الثلاثة آلاف خمسة آلاف ان صبروا لاعدائهم واتقوا الله ولا دلالة في الآية على انهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ولا على انهم لم يمدوا بهم وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا انه أمدهم وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك ولا خبر عندنا صح من الوجه الذي يثبت انهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف وغير جائز أن يقال في ذلك قول الا بخبر تقوم الحجة به ولا خبر به كذلك فنسلم لاحد الفريقين قوله غير ان في القرآن دلالة على انهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة وذلك قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين فاما في يوم أحد فلا دلالة على انهم لم يمدوا بين منها في انهم أمدوا وذلك انهم لو أمدوا لم يهزموا وينال منهم ما نيل منهم فالصواب فيه من القول ان يقال كما قال تعالى ذكره وقد بينا معنى الامداد فيما مضى والمدد ومعنى الصبر والتقوى وأما قوله ويأتوكم من فورهم هذا فان أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم معنى قوله من فورهم هذا من وجههم هذا ذكر من قال ذلك حدثنا جميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن غياث عن عكرمة قال ويأتوكم من فورهم هذا قال من وجههم هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عبيد عن الحسن في قوله ويأتوكم من فورهم هذا من وجههم هذا حدثت عن عمار عن الحسن عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله ويأتوكم من

وكيف الثناء وحسن الذكر بين الناس لا ينفقون بها وجه الله ولهذا قيده بقوله في هذه الحياة الدنيا شبه ذلك بالزرع الذي حمله البرد فصار حطاما وقيل مثل ما ينفقون يعني أبا سفيان وأصحابه من نفقة اليهود المنفقين

لمنافع الدنيا فلا يبقى له أثر في الآخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر واما أن يكون لمنافع الآخرة فالكفر مانع عن الانتفاع ولعلهم كانوا ينفقون في الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والارامل راجين خيرا كثيرا في المعاد لكنهم اذا قصدوا الآخرة وأوا كفرهم مبطلا لآثار تلك الخيرات فكان كمن زرع وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه سائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف ولعلهم كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو معصية كانفاق الاموال في ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفي تخريب ديار المسلمين ولا يبعد أيضا تفسير الآية بتخييبهم في الدنيا فانهم أنفقوا أموالا كثيرة في تجهيز الجيوش والاغارة على المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم وأظهر الله الاسلام واعز أهله فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحيرة والحسرة وقيل المراد بالانفاق ههنا هو جميع أعمالهم التي يريدون الانتفاع بها في الآخرة كقوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات أما فائدة قوله ظلموا أنفسهم وعدم الاقتصار على قوله أصابت حرث قوم فهي ان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه أثر ولا عين ولا حرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه اذا أصابته جائحة في الدنيا أبدله الله خيرا منه في الدنيا أو في الآخرة فان المسلم مثاب على كل ألم يصيبه حتى الشوكة يشاكها اما الذين عصوا الله فاستحقوا

فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من سفرهم هذا ولا يقال يعني غير ابن عباس بل هو من غضبهم هذا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد من فورهم هذا من وجههم هذا وقال آخرون معنى ذلك من غضبهم هذا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة في قوله ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة قال فورهم ذلك كان يوم أحد غضبوا ليوم بدر مما لقوا حدثني محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك بن مغول قال سمعت أبا صالح مولى أم هانئ يقول من فورهم هذا يقول من غضبهم هذا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ويأتوكم من فورهم هذا قال غضب لهم يعني الكفار فلم يقاتلوهم عند تلك الساعة وذلك يوم أحد حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد من فورهم هذا قال من غضبهم هذا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من وجههم وغضبهم وأصل الفور ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر يقال منه فارت القدر فهي تفور فورا وفورانا اذا ابتدأ ما فيها بالغليان ثم اتصل ومضيت الى فلان من فوري ذلك يراد به من وجهي الذي ابتدأت فيه فالذي قال في هذه الآية معنى قوله من فورهم هذا من وجههم هذا قصد الى أن تأويله ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذي خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين وأما الذين قالوا معنى ذلك من غضبهم هذا فانما عنوا ان تأويل ذلك ويأتيكم كفار قريش وتباعهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذي غضبوه لقتلاهم الذين قتلوا يوم بدر بما يمددكم ربكم بخمسة آلاف وكذلك من اختلاف تأويلهم في معنى قوله ويأتوكم من فورهم هذا اختلف أهل التأويل في امداد الله المؤمنين باحد بملائكته فقال بعضهم لم يمدهم لان المؤمنين لم يصبروا لاعدائهم ولم يتقوا الله عز وجل بترك من ترك من الرماة طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوته في الموضع الذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبوت فيه ولكنهم أخلوا به طلبا للغنائم فقتل من قتل من المسلمين ونال المشركون منهم ما نالوا وانما كان الله عز وجل وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أمدادهم بهم ان صبروا واتقوا الله وأما الذين قالوا كان ذلك يوم بدر بسبب كرز بن جابر فان بعضهم قالوا لم يأت كرز وأصحابه اخوانهم من المشركين مددا لهم ببدر ولم يمدد الله المؤمنين بملائكته لان الله عز وجل انما وعدهم أن يمدهم بملائكته ان أتاهم كرز ومدد المشركين من فورهم ولم يأتهم المدد وأما الذين قالوا ان الله تعالى ذكره أمد المسلمين بالملائكة يوم بدر فانهم اعتلوا بقول الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين قالوا فالالف منهم قد أتاهم مددا وانما لوعد الذي كانت فيه الشروط فيما زاد على الالف فاما الالف فقد كانوا أمدوا به لان الله عز وجل كان قد وعدهم ذلك وان يخلف الله وعده واختلف القراء في قراءة قوله مسومين فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة مسومين بفتح الواو بمعنى ان الله سومها وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة مسومين بكسر الواو بمعنى ان الملائكة سومت لنفسها وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل التأويل منهم ومن التابعين بعدهم بان الملائكة هي التي سومت أنفسها من غير اضافة تسويمها الى الله عز وجل أو الى غيره من خلقه ولا معنى لقول من قال انما كان يختار الكسر في قوله مسومين لو كان في البشر فاما الملائكة فوصفهم غير

ذلك ظنا منه بان الملائكة غير ممكن فيها تسويم أنفسها لما كان ذلك في البشر وذلك انه غير مستحيل أن يكون الله عز وجل مكنها من تسويم أنفسها بحق تمكينه البشر من تسويم أنفسهم فسوموا أنفسهم بحق الذي سوم البشر طلبا منها بذلك طاعة ربها فاضيف تسويمها أنفسها اليها وان كان ذلك عن تسبيب الله لهم أسبابه وهي اذا كانت موصوفة بتسويمها أنفسها تقربا منها الى ربها كان أبلغ في مدحها لاختيارها طاعة الله من أن تكون موصوفة بان ذلك مفعول بها ذكر الاخبار بما ذكرنا من اضافتهن أصناف التسويم الى الملائكة دون اضافة ذلك الى غيرهم على نحو ما قلنا فيه حدثني يعقوب قال أخبرنا ابن علية قال أخبرنا ابن عوف عن عمير بن اسحق قال ان أول ما كان الصوف ليوم مئذ يعني يوم بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسوموا فان الملائكة قد تسومت حدثنا ابن كريب قال ثنا مختار بن غسان قال ثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن الزبير بن المنذر عن جده أبي أسيد وكان بدريا فكان يقول لوان بصري معي ثم ذهبتم معي الى أحد لاخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه للملائكة في عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول معلمين بجز وزة أذناب خيلهم ونواصيها فيها الصوف أو العهن وذلك التسويم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم ابن أبي بزة عن مجاهد في قوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال بجز وزة أذنابها وأعرافها الصوف أو العهن فذلك التسويم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مسومين ذكر لنا ان سيماهم يومئذ الصوف بنواصي خيلهم وأذنابها وانهم على خيل بلق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله مسومين قال كان سيماها صوفا في نواصيها حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع كانوا يومئذ على خيل بلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك وبعض أشياخنا عن الحسن نحو حديث معمر عن قتادة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي مسومين معلمين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فانهم أتوا محمدا النبي صلى الله عليه وسلم مسومين بالصوف فسوم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا هشام بن عروة عن عباد بن حمزة قال نزلت الملائكة في سيما الزبير عليهم عمائم صفر وكانت عمامة الزبير صفراء حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله مسومين قال بالصوف في نواصيها وأذنابها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة قال نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق عليهم عمائم صفر وكان على الزبير يومئذ عمامة صفراء حدثني أحمد بن يحيى الصوفي قال ثنا عبد الرحمن بن شريك قال ثنا أبي قال ثنا هشام بن عروة عن عروة عن عبد الله بن الزبير أن الزبير كانت عليه ملاءة صفراء يوم بدر فاعتم بها فنزلت الملائكة يوم بدر على نبي الله صلى الله عليه وسلم معممين بعمائم صفر فهذه الاخبار التي ذكرنا بعضها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقول أبي أسيد خرجت الملائكة في عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم وقول من قال منهم مسومين معلمين ينبئ جميع ذلك

أحوال المؤمنين والكافرين شرع في تحذير المؤمنين من مخالطة الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواطؤن رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف في الجوار والرضاع فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم وبطانة الرجل خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بسره وأموره اللاصقة بالقلب المهمة له الواحدة شقر وأصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذي يلي منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن موادة كل كافر لان قوله بطانة نكرة في سياق النهي وقوله من دونكم يؤكد ذلك وهو اما ان يتعلق بلا تتخذوا أو يكون صفة لبطانة أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم والاول أولى لان الغرض ليس هو النهي عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهي عن الاتخاذ من غير أبناء جنسهم وأهل ملتهم بطانة وانهم يقدمون الاهم والذي هم بشأنه أعني ومن للتبيين وقيل زائدة ثم ذكر علة النهي فقال لا يألونكم خبالا يقال ألا في الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدي الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا وجهدا على التضمين أي لا أمنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه رجل مخبل وتخبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا نصب على التمييز وقيل مصدر في موضع الحال والمعنى لا يتركون جهدهم في مضرتكم وفساد حالكم

ودوا ما عنتم أي عنتكم على ان ما مصدرية والعنت الوقوع في أمر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا أصابه شيء فهاضه قد أعنته والمراد أحبوا وتمنوا ان يضركم في دينكم ودنياكم أشد الضرر والحاصل من الجملتين انهم لا يقصرون في افساد أموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج فهم

ذلك غير دائن عن غاويهم قد بدت البغضاء هي شدة البغض كالضراء شدة الضر والاقواء جمع الغم وأصله فوه بدليل تكسيره كسوط وأسواط فحذفت الهاء تخفيفا وأقيمت الميم

عن الاتيان وعدم التقية في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم والكتاب وأما من المنافقين فذلك شان المداجي لابد أن ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على بعض ذلك وما تخفي صدورهم أكبر لان فلتات اللسان متناهية وكوامن الصدور تكاد تكون غير متناهية ثم بين ان اظهارهذه الاسرار المؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل في مدلولات هذه النصائح فقال قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون من أهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يشتهيه العدو والولي ثم ان سياق هذه الجمل يحتمل أن يكون على سبيل تنسق الصفات البطانة كانه قيل لا تتخذوا بطانة تغيرا ليكم خبالا ودوا دينكم بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن من ذلك وأبلغ أن تكون الجمل مستأنفات كلها على جهة التعليل النهي كانه قيل لم لا نتخذهم بطانة فقيل لانهم لا يقصرون فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل وما آية ودادة العنت فقيل قد بدت والله أعلم أما كون هذا التقدير أحسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف ولا عاطف ههنا وأما كونه أبلغ فلبناء الكلام على السؤال والجواب ولتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولا ثبات الدعاوى بالبراهين ولا يخفى جلالة قدر هذه الفوائد ثم استأنف لتحذيرنمطا آخر من البيان مشتملا على التوبيخ فقال ها أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي طائفة أهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطأ وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء وير يدون لكم الكفر وهو أقبح

عن صحتها اخترنا من القراءة في ذلك وان التسويم كان من الملائكة بانفسها على نحو ما قلنا في ذلك فيما مضى وأما الذين قرؤا ذلك مسومين بالفتح فانهم أرادوا تاولوا في ذلك ما حدثنا به محمد بن سعد قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن غياث عن عكرمة بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول عليهم سيما القتال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول عليهم سيما القتال وذلك يوم بدر أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول عليهم سيما القتال فقالوا كان سيما القتال عليهم لانهم كانوا يسومونها سيما فيضاف اليهم التسويم فمن أجل ذلك قرؤا مسومين بمعنى ان الله تعالى أضاف التسويم الى من سومهم تلك السيما والسيما العلامة يقال هي سيما حسنة وسيما حسنة كما قال الشاعر

غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيما لا تشق على البصر

يعني بذلك علامة من حسن فاذا أعلم الرجل بعلامة يعرف بها في حرب أو غيره قيل سوم نفسه فهو يسومها تسويما ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) يعني تعالى ذكره وما جعل الله وعده اياكم ما وعدكم من امداده اياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم الا بشرى لكم يعني بشرى يبشركم بها ولتطمئن قلوبكم به يقول وكي تطمئن بوعده الذي وعدكم من ذلك قلوبكم فتسكن اليه ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم وقلة عدد كم وما النصر الا من عند الله يعني وما ظفركم ان ظفرتم بعدوكم الا بعون الله لا من قبل المدد الذي يأتيكم من الملائكة يقول فعلى الله فتوكلوا وبه فاستعينوا لا بالجموع وكثرة العدد فان نصركم ان كان انما يكون بالله وبعونه معكم [٧] من ملائكته خمسة آلاف فانه الى أن يكون ذلك بعون الله وبقوته اياكم على عدوكم وان كان معكم من البشر جموع كثيرة أحرى فاتقوا الله واصبروا على جهاد عدوكم فان الله ناصركم عليهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما جعله الله الا بشرى لكم يقول انما جعلهم ليستبشروا بهم وليطمئنوا اليهم ولم يقاتلوا معهم يومئذ يعني يوم أحد قال مجاهد ولم يقاتلوا معهم ولا قبله ولا بعده الا يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به لما عرف من ضعفكم وما النصر الا من عندي بسلطاني وقدرتي وذلك أني أعرف الحكمة التي لا الى أحد من خلقي حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وما النصر الا من عند الله لو شاء أن ينصركم بغير الملائكة فعل العزيز الحكيم وأما معنى قوله العزيز الحكيم فانه جل ثناؤه يعني العزيز في انتقامه من أهل الكفر به بايدي أوليائه من أهل طاعته الحكيم في تدبيره لكم أيها المؤمنون على أعدائكم من أهل الكفر وغير ذلك من أموره يقول فابشروا أيها المؤمنون بتدبيري لكم على أعدائكم ونصرتي اياكم عليهم ان أنتم أطعتموني فيما أمرتكم به وصبرتم بجهاد عدوي وعدوكم ۞ القول في تاويل قوله (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين) يعني بذلك جل ثناؤه ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا من الذين كفروا يعني بالطرف الطائفة والنفر يقول تعالى ذكره ولقد نصركم الله ببدر كما يهلك طائفة من الذين كفروا بالله ورسوله فجحدوا وحدانيته ربهم ونبوة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا فقطع الله يوم بدر طرفا من الكفار وقتل صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم في الشر حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع نحوه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا الآية كلها قال هذا يوم بدر قطع الله

[٧] هكذا هذه العبارة بالاصل ولعل فيها تحريفا فانها غير ظاهرة المعنى تامل اه مصححه

طائفة منهم وبقيت طائفة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة ليقطع طرفا من الذين كفروا أي ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم وقال آخرون بل معنى ذلك وما النصر الا من عند الله ليقطع طرفا من الذين كفروا وقال انما عنى بذلك من قتل ياحد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال ذكر الله قتلى المشركين يعني ياحد وكانوا ثمانية عشر رجلا فقال ليقطع طرفا من الذين كفروا ثم ذكر الشهداء فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وأما قوله أو يكبتهم فانه يعني بذلك أو يخزيهم بالخيبة مما رجوا من الظفر بكم وقد قيل ان معنى قوله أو يكبتهم أو يصرعهم لوجوههم ذكر بعضهم انه سمع العرب تقول كبته الله لوجهه بمعنى صرعه الله فتاويل الكلام ولقد نصركم الله ببدر ليهلك فريقا من الكفار بالسيف أو يخزيهم بخيبتهم مما طمعوا فيه من الظفر فينقلبوا خائبين يقول فيرجعوا عنكم خائبين لم يصيبوا منكم شيأ مما رجوا أن ينالوه منكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أو يكبتهم فينقلبوا خائبين أو يردهم خائبين أو يرجع من بقي منهم خائبين لم ينالوا شيأ مما كانوا يأملون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أو يكبتهم يقول يخزيهم فينقلبوا خائبين حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول في تاويل قوله (ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) يعني بذلك تعالى ذكره ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شئ فقوله أو يتوب عليهم منصوب عطفا على قوله أو يكبتهم وقد يحتمل أن يكون تاويله ليس لك من الامر شئ حتى يتوب عليهم فيكون نصب يتوب بمعنى أو التي هي في معنى حتى والقول الاول أولى بالصواب لانه لا شئ من أمر الخلق الى أحد سوى خالقهم قبل توبة الكفار وعقابهم وبعد ذلك وتاويل قوله ليس لك من الامر شئ ليس اليك يا محمد من أمر خلقي الا أن تنفذ فيهم أمري وتنتهي فيهم الى طاعتي وانما أمرهم الي والقضاء فيهم بيدي دون غيري أقضي فيهم وأحكم بالذي أشاء من التوبة على من كفر بي وعصاني وخالف أمري أو العذاب اما في عاجل الدنيا بالقتل والنقم المبيرة واما في آجل الآخرة بما أعددت لاهل الكفر بي كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون أي ليس لك من الحكم شئ في عبادي الا ما أمرتك به فيهم أتوب عليهم برحمتي فان شئت فعلت أو أعذبهم بذنوبهم فانهم ظالمون أي قد استحقوا ذلك بمعصيتهم اياي وذكر ان الله عز وجل انما أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه لما أصابه باحد ما أصابه من المشركين قال كلا آيس لهم من الهدى أو من الانابة الى الحق كيف يصلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ذكر الرواية بذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا حميد قال ثنا أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته وشج فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول كيف يصلح قوم خضبوا نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن حميد الطويل عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثني ابن طلحة اليربوعي قال ثنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شج في جبهته وكسرت رباعيته لا يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم فاوحى الله اليه ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثني يعقوب بن عتبة قال ثنا ابن عون عن الحسن أن النبي

وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض أو تحبونهم فتغشون اليهم أسراركم في أموركم ودينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون مثل ذلك بكم أو تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يستبصرون بكم الدوائر والحق ان هذه الاعتبارات وأمثالها مما لا تكاد تنحصر داخلة في الآية ثم ذكر سببا آخر مما يأبى أن يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله وأضمر قرينه وهو وهم لا يؤمنون به لان ذكر أحد الضدين يغني عن الآخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في أيدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون للحال والام في الكتاب للعهد أي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ثم ذكر مضادة أخرى فقال واذا لقوكم قالوا آمنا أحدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا يوصف المغتاظ أو النادم بعض الانامل والبنان والابهام لان هذا الفعل كثيرا ما يصدر عنهما فجعل كناية عن الغضب والندم وان لم يكن هناك عض وانما حصل لهم هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما رأوا من ائتلاف المؤمنين وعاود بينهم وارتفاع شأنهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز أهله فان ذلك يتضمن ذلهم وشرهم

والحاصل انه أمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخبرهم بان الله تعالى أتاح ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والمقدر كائن فان كان هذا سببا لغيظكم فلا محالة يكون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله عليم بذات الصدور أي بصواحبها وهي الخواطر القائمة

صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد كيف يفلح قوم دموا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله عز وجل فنزلت ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد جرح نبي الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيب بعض رباعيته فقال وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن مطر عن قتادة قال أصيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته وفوق حاجبه فوقع وعليه درعان والدم يسيل فمر به سالم مولى أبي حذيفة فجلسه ومسح عن وجهه فافاق وهو يقول كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فانزل الله تبارك وتعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله ليس لك من الامر شئ الآية قال قال الربيع بن أنس نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيبت رباعيته فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم فقال كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله وهم يدعونه الى الشيطان ويدعوهم الى الهدى ويدعونه الى الضلالة ويدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار فهم أن يدعو عليهم فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء عنهم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم الآية كلها فقال جاء أبو سفيان من الحول غضبان لما صنع باصحابه يوم بدر فقاتل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم أحد قتالا شديدا حتى قتل منهم بعدد الاساري يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة علم الله انها قد خالطت غضبا كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الاسلام فقال الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ان رباعية النبي صلى الله عليه وسلم أصيبت يوم أحد أصابها عتبة بن أبي وقاص وشجه في وجهه وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل عن النبي صلى الله عليه وسلم الدم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كيف يفلح قوم صنعوا بنبيهم هذا فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري وعن عثمان الجزري عن مقسم ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته وشجه في وجهه فقال اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا قال فما حال عليه الحول حتى مات كافرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس شج النبي صلى الله عليه وسلم في فرق حاجبه وكسرت رباعيته قال ابن جريج ذكر لنا انه لما جرح جعل سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف يصلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم لانه دعا على قوم فانزل الله عز وجل ليس الامر اليك فيهم ذكر الرواية بذلك حدثني يحيى بن حبيب بن عربي قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا محمد بن عجلان عن نافع

قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على أسرارهم فاني أعلم ما أضمره الخلائق ولم يظهر وعلى ألسنتهم أصلا ويجوز أن لا يكون آمرا بالقول لفظا بل مراد حدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون أمرا بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ونصره ثم ذكر نوعا آخر من مضارتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة أي حسنة كانت من منافع الدنيا كالعمة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والائتلاف بين الاحباء تسؤهم ساءة بسوء نقيض سره بسره وان تصبكم سيئة ضد من أضدادها عددنا يفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا وأقول يشبه أن يكون المس أقل من الاصابة وانه أدخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد لا ينهض لقليل من الخير الا أن يكون هناك كمال البغض والشماتة فلما توجد اذا أصاب العدو بلية تخطمى كما قيل عند الشدائد تذهب الاحقاد الا أن يكون ثمة غاية الحقد واذا كان حال القوم مع المسلمين في القصتين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ومنتهى حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا مناهيهم عن موالاتهم أو ان تصبروا على أوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتمال الا أن لا يقاوم غيره في مكروه وقال ابن عباس هو العداوة شيأ من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه اشارة من الله تعالى الى ان يستعان عن على دفع مكائد الاعداء بالصبر والتقوى فمن كان تقيا كان قوله وفي كلام الحكماء اذا أردت أن تكتب من يحسدك فاردد فضلا في نفسك وقال

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة نفر فأنزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال وهداهم الله للاسلام حدثني أبو الطاهر ثنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا أبي ثنا عبيد الله قال أخبرني نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحرث بن هشام فأنزل الله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد الله بن كعب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر فلما رفع رأسه من الركعة الثانية قال اللهم انج عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد اللهم انج المستضعفين من المسلمين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم سنين كسنين آل يوسف فأنزل الله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس ابن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أخبره وأبي سلمة بن عبد الرحمن انهما سمعا أبا هريرة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يفرغ في صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يقول وهو قائم اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله ثم بلغنا انه ترك ذلك لما نزل قوله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ۞ القول في تأويل قوله (ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) يعني بذلك تعالى ذكره ليس لك يا محمد من الامر شئ ولله جميع ما بين أقطار السموات والارض من مشرق الشمس الى مغربها دونك ودونهم يحكم فيهم بما شاء ويقضي فيهم ما أحب فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره وينهيه ثم يغفره ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه وهو الغفور الذي يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليهم بالعفو والصفح والرحيم بهم في تركه عقوبتهم عاجلا على عظيم ما يأتون من المآثم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله غفور رحيم أي يغفر الذنوب ويرحم العباد على ما فيهم ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة في اسلامكم بعد اذ هداكم له كما كنتم تأكلونه في جاهليتكم وكان أكلهم ذلك في جاهليتهم ان الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال الى أجل فاذا حل الاجل طلبه من صاحبه فيقول له الذي عليه المال أخرعني دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك فذلك هو الربا أضعافا مضاعفة فنهاهم الله عز وجل في اسلامهم عنه كما حدثنا محمد بن سنان قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال كانت ثقيف تداين في بني المغيرة في الجاهلية فاذا حل الاجل قالوا نزيدكم وتؤخرون فنزلت لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة أي لا تأكلوا في الاسلام اذ هداكم الله له ما كنتم تأكلون اذ أنتم على غيره مما لا يحل لكم في دينكم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة قال الربا الجاهلية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة قال كان أبي يقول انما كان الربا في الجاهلية في التضعيف

بمحبة الله وطلبه وحبل من الناس يعني متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته ويقتلون الانبياء بمبتون سنتهم وسيرهم ليسوا أي العلماء الربانيون والمداهنون فلن تكفروه لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ثم أخبر عن نفقات أهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح هي هواء الهوى فيها صر الشهوة أصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا أنفسهم بابطال الاستعداد الانساني ثم نهى أهل المحبة عن مباطنة أهل السلو من هذا الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون في انكاركم والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا ومشتهياتها ما عنتم ما متعوا به وتركنوه لدناءة همتهم وعلو همتكم أو فرحوا بما فاتهم من المجاهدات والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من أفواههم اعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل والحقد أكبر تحبونهم محبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في القرآن من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور وان موتها في الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله

وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهل وطعن (واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم

أن يمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن

أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) القراآت تبوئ المؤمنين بغير همز أبو عمرو غير شجاع ودورش والاعشى وحمزة في الوقف مترلين بالتشديد وفتح الزاي ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح أيضا مسومين بكسر الواو أبو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ويعقوب ويس الباقون بالفتح * الوقوف للقتال طاعليم * لان اذ بدل من اذ غدوت أو يتعلق بالوصفين أو بقوله تبوئ ان تفضلا لان الواو للحال وليهما ط المؤمنون * أذلة ج للفاء تشكرون * منزلين ط لتمام القول بلى لاتحاده مع ما بعده مسومين * فلوبكم به ط الحكيم لا لتعلق اللام بمعنى الفعل في النصر خائبين ربع الجزء ظالمون * وما في الارض ط من يشاء ط رحيم * ه التفسير انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا واتقوا وخالف ذلك ان لم يصبروا اتبعه قوله واذ غدوت من أهلك ولقد نصركم الله ببدر يعني انهم يوم أحد كانوا كثيرين مستعدين للقتال فلما خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم أطاعوا أمر الرسول فغلبوا واستولوا على عدوهم وتوجه آخر في النظم وهو ان الانكفاء يوم أحد لما حصل بسبب تخلف عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وذلك يدل على انه لا يجوز اعتماد المنافقين في شئ من الامور ثم ان الله تعالى ذكر آية في تشديد التهديد بأمر قد كان لهم مثل تلك الآية لئلا يعتمد الرسول بعدها على نصرة أحد وأيضا لما حصل بسبب تخلف عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وذلك يدل على انه لا يجوز اعتماد المنافقين في شئ من الامور ثم ان الله تعالى ذكر آية في تشديد التهديد بأمر قد كان لهم مثل تلك الآية لئلا يعتمد الرسول بعدها على نصرة أحد وأيضا لما ذكر من الحسن ان

وفي السن يكون الرجل فضل دين فيأتيه اذا حل الاجل فيقول له تقضيني أو تزيدني فان كان عنده شئ يقضيه قضى والا حوله الى السن التي فوق ذلك ان كانت ابنة مخاض يجعلها ابنة لبون في السنة الثانية ثم حقة ثم جذعة ثم رباعيا ثم هكذا الى فوق وفي العين بأتيه فان لم يكن عنده أضعفه في العام القابل فان لم يكن عنده أضعفه أيضا فتكون مائة فيجعلها الى قابل مائتين فان لم يكن عنده جعلها أربعمائة يضعفها له كل سنة أو يقضيه قال فهذا قوله لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة وأما قوله واتقوا الله لعلكم تفلحون فانه يعني واتقوا الله أيها المؤمنون في أمر الربا فلا تأكلوه وفي غيره مما أمركم به أو نهاكم عنه وأطيعوه فيه لعلكم تفلحون بقول لتنجحوا فتنجوا من عقابه وتدركوا ما رغبتم فيه من ثوابه والخلود في جنانه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واتقوا الله لعلكم تفلحون أي فأطيعوا الله لعلكم أن تنجوا مما حذركم من عذابه وتدركوا ما رغبتم فيه من ثوابه * القول في تأويل قوله (واتقوا النار التي أعدت للكافرين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين واتقوا أيها المؤمنون النار أن تصلوها بأكلكم الربا بعد نهيي اياكم عنه التي أعددتها لمن كفر بي فتدخلوا مداخلهم بعد ايمانكم بي بخلافكم أمري وتركيكم طاعتي كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واتقوا النار التي أعدت للكافرين التي جعلت دار المن كفر بي * القول في تأويل قوله (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) يعني بذلك جل ثناؤه وأطيعوا الله أيها والمؤمنون فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الاشياء وفيما أمركم به الرسول يقول وأطيعوا الرسول أيضا كذلك لعلكم ترحمون يقول لترحموا فلا تعذبوا وقد قيل ان ذلك معاتبة من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خالفوا أمره يوم أحد فاخلوا بمراكزهم التي أمروا بالثبات عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون معاتبة للذين عصوا رسوله حين أمرهم بالذي أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره يعني في يوم أحد * القول في تأويل قوله (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) يعني تعالى ذكره بقوله وسارعوا وبادروا وسابقوا الى مغفرة من ربكم يعني الى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها وجنة عرضها السموات والارض يعني وسارعوا أيضا الى جنة عرضها السموات والارض ذكر أن معنى ذلك وجنة عرضها كعرض السموات السبع والارضين السبع اذا ضم بعضها الى بعض ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وجنة عرضها السموات والارض قال قال ابن عباس تقرن السموات السبع والارضون السبع كما تقرن الثياب بعضها الى بعض فذلك عرض الجنة وانما يمثل وجنة عرضها السموات والارض فوصف عرضها بالسموات السبع والارضين السبع والمعنى ما وصفنا من وصف عرضها بعرض السموات والارض تشبيها به في السعة والعظم كما قيل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة يعني الا كبعث نفس واحدة وكما قال الشاعر

كأن ثديهن حقان * كما قال الآخر

أي كثديين حقين وكما قال الآخر

بحسبك في القوم أن يدخلوا الجنة لا يلحقك ذمهم * وما هي ويب غيرك بالعناق

يريد بصوت عناق وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له هذه الجنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال هذا الليل اذا جاء أين النهار اذا جاء ذكر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني مسلم بن خالد عن ابن جريج عن سعيد بن أبي

هذا اللفظ وكان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب وأكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الآية نزلت في واقعة أحد وهو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وأبي مسلم وروي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله أخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد أجبنا عنهم وقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت في منامي بقرا مذبوحة فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني أدخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد أخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة من المدينة قالوا ومن منزل عائشة وهو المراد بقوله من أهلك عن مجاهد والواحدي انه مشى على رجليه الى أحد وأصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال وجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القداح ان

واشد عن يعلى بن أبي مرة قال لقيت التنوخي رسول هرقل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص شيخا كبيرا قد قعد قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل فتناول الصحيفة وجعل عن يساره قال قلت من صاحبكم الذي يقرأ قالوا معاوية فاذا هو انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فاين النار فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والارض أين النار قال أرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار فقالوا اللهم نزعت مثله من التوراة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب ان عمر أتاه ثلاثة نفر من أهل نجران فسألوه وعنده أصحابه فقالوا أرأيت قوله وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فاجابهم الناس فقال عمر أرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا نزعت مثلها من التوراة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا شعبة عن ابراهيم بن مهاجر عن طارق بن شهاب عن عمر بنحوه في الثلاثة لرهط الذين أتوا عمر فسألوه عن جنة عرضها كعرض السموات والارض بمثل حديث قيس بن مسلم حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا جعفر ابن عوف قال أخبرنا الاعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر فقال يقولون جنة عرضها السموات والارض أين تكون النار فقال له عمر أرأيت النهار اذا جاء أين يكون الليل أرأيت الليل اذا جاء أين يكون النهار فقال انه لمثلها في التوراة فقال له صاحبه لم أخبرته فقال له صاحبه دعه انه بكل موقن حدثني أحمد بن حازم قال أخبرنا أبو نعيم قال ثنا جعفر بن برقان قال ثنا يزيد الاصم أن رجلا من أهل الكتاب أتى ابن عباس فقال تقولون جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال ابن عباس أرأيت الليل اذا جاء أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل وأما قوله أعدت للمتقين فانه يعني ان الجنة التي عرضها كعرض السموات والارض السبع أعدها الله للمتقين الذين اتقوا الله فاطاعوه فيما أمرهم ونهاهم فلم يتعدوا حدوده ولم يقصروا في واجب حقه عليهم فيضيعوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين أي ذلك لمن أطاعني وأطاع رسولي ﴿القول في تاويل قوله جل ثناؤه ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ يعني جل ثناؤه بقوله الذين ينفقون في السراء والضراء أعدت الجنة التي عرضها السموات والارض للمتقين وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله اما في صرفه على محتاج واما في تقوية مضعف على النهوض للجهاد في سبيل الله وأما قوله في السراء فانه يعني في حال السرور بكثرة المال ورخاء العيش والسراء مصدر من قولهم سرني هذا الامر مسرة وسرورا والضراء مصدر من قولهم قد ضر فلان فهو يضر اذا أصابه الضر وذلك اذا أصابه الضيق والجهد في عيشه حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين ينفقون في السراء والضراء يقول في العسر واليسر فاخبر جل ثناؤه ان الجنة التي وصف صفتها لمن اتقاه وأنفق ماله في حال الرخاء والسعة وفي حال الضيق والشدة في سبيله وقوله والكاظمين الغيظ يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم يقول منه كظم فلان غيظه اذا تجرعه فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرة على امضائه باستكانتها ممن غاظها وانتصارها ممن ظلمها وأصل ذلك من كظم القربة يقال منه كظمت القربة اذا ملأتها ماء وفلان كظيم ومكظوم اذا كان ممتلئا غما وحزنا ومنه قول

رأى صدرا خارجا فاقال تاخر وكان نزوله في جانب الوادي وجعل صلى الله عليه وسلم ظهره وعسكره الى أحد وأمر صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اثبتوا

الله عز وجل وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم يعني ممتلئ من الحزن ومنه قيل لمجاري المياه الكظائم لامتلائها بالماء ومنه قيل أخذت بكظمه يعني بمجاري نفسه والغيظ مصدر من قول القائل غاظني فلان فهو يغيظني غيظا وذلك اذا أحفظه وأغضبه وأما قوله والعافين عن الناس فانه يعني والصافحين عن الناس عقوبة ذنوبهم اليهم وهم على الانتقام منهم قادرون فتاركوها لهم وأما قوله والله يحب المحسنين فانه يعني فان الله يحب من عمل بهذه الامور التي وصف انه أعد للعاملين بها الجنة التي عرضها السموات والارض والعاملون بها هم المحسنون واحسانهم هو عملهم بها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين ينفقون في السراء والضراء الآية والعافين عن الناس والله يحب المحسنين أي وذلك الاحسان وأنا أحب من عمل به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين قوم أنفقوا في العسر واليسر والجهد والرخاء فمن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل ولا قوة الا بالله فنعمت والله يا ابن آدم الجرعة تجرعها من صبر وأنت مغيظ وأنت مظلوم حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محرز أبو رجاء عن الحسن قال يقال يوم القيامة ليقم من كان له على الله أجر فما يقوم الا انسان عفا ثم قرأ هذه الآية والعافين عن الناس والله يحب المحسنين حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل عن عم له عن أبي هريرة في قوله والكاظمين الغيظ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله امنا وايمانا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والكاظمين الغيظ الى والله يحب المحسنين فالكاظمين الغيظ كقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون يغضون في الامر لو وقعوا به كان حراما فيغفرون ويعفون يلتمسون بذلك وجه الله والعافين عن الناس كقوله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة الى ألا تحبون أن يغفر الله لكم يقول لا تقسموا على أن لا تعطوهم من النفقة شيأ واعفوا واصفحوا ۞ القول في تأويل قوله (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) يعني بقوله جل ثناؤه والذين اذا فعلوا فاحشة ان الجنة التي وصف صفتها أعدت للمتقين المنفقين في السراء والضراء والذين اذا فعلوا فاحشة وجميع هذه النعوت من صفة المتقين الذين قال تعالى ذكره وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين كما حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت البناني قال سمعت الحسن قرأ هذه الآية الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الى أجر العاملين فقال ان هذين النعتين لنعت رجل واحد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم قال هذان ذنبان الفاحشة ذنب أو ظلموا أنفسهم ذنب أما الفاحشة فهي صفة لمتروك ومعنى الكلام والذين اذا فعلوا فاحشة ومعنى الفاحشة الفعلة القبيحة الخارجة عما أذن الله عز وجل فيه وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد والمقدار في كل شئ ومنه قيل للطويل المفرط الطول انه لفاحش الطول يراد به قبيح الطول خارج عن المقدار المستحسن ومنه قيل للكلام القبيح غير القصد كلام فاحش وقيل للمتكلم به أفحش في كلامه اذا نطق بفحشه وقيل ان الفاحشة في هذا الموضع معني بها الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا العباس بن عبد العظيم قال ثنا حبان قال ثنا حماد عن ثابت عن جابر

والذين

في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خالف رأي عبد الله بن أبي شق عليه ذلك وقال أطاع الصبيان وعصاني ثم (٥٨) قال لاصحابه ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما يظفر بعدوكم وقد وعد أصحابه ان أعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم أعداءكم انهزموا فليستتبعونكم فيصير الامر على خلاف ما ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أولادنا وأنفسنا وكان جملة عسكر الاسلام ألفا وقيل تسعمائة وخمسين فبقي نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف وقواهم الله مع ذلك حتى هزموا المشركين لكنهم لما رأوا انهزام القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا أن تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا ان أظفرهم يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فافرغ الله الرعب من قلوب المشركين فكروا على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم وشج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا أبو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر أن محمدا قتل فاشرف أبو سفيان وقال أفي القوم محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال أفي القوم ابن أبي قحافة فقال لا تجيبوه قال أفي القوم ابن الخطاب فقال ان هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لاجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله أبقى الله لك ما يخزيك فقال أبو سفيان مرتجزا أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجيبوه فقالوا ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال أبو سفيان يوم بيوم بدر

والذين اذا فعلوا فاحشة قال الزنى القوم ورب الكعبة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى والذين اذا فعلوا فاحشة أما الفاحشة فالزنا وقوله أو ظلموا أنفسهم يعنى به فعلوا بانفسهم غير الذى كان ينبغى لهم أن يفعلوا بهم او الذى فعلوا من ذلك تركوبهم من معصية الله ما أوجبوا لها به عقوبته كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الظلم من الفاحشة والفاحشة من الظلم وقوله ذكروا الله يعنى بذلك ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم اياه فاستغفروا لذنوبهم يقول فسألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم بصفحه لهم عن العقوبة عليها ومن يغفر الذنوب الا الله يقول وهل يغفر الذنوب أى يعفو عن ركبها فيسترها عليه الا الله ولم يصروا على ما فعلوا يقول ولم يقيموا على ذنوبهم التى أتوها ومعصيتهم التى ركبوها وهم يعلمون يقول لم يقيموا على ذنوبهم عامدين للمقام عليها وهم يعلمون ان الله قد تقدم بالنهى عنها وأوعد عليها العقوبة من ركبها وذكر ان هذه الآية أنزلت خصوصا بتخفيفها ويسرها أمنا مما كانت بنو اسرائيل ممتحنة به من عظيم البلاء فى ذنوبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح انهم قالوا يا نبى الله بنو اسرائيل أكرم على الله منا كانوا اذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه اجدع أذنك اجدع أنفك افعل فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الى قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بخير من ذلك فقرأ هؤلاء الآيات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عمرو بن خليفة العبدى قال ثنا على بن زيد بن جدعان قال قال ابن مسعود كانت بنو اسرائيل اذا أذنبوا أصبح مكتوبا على بابه الذنب وكفارته فاعطينا خيرا من ذلك هذه الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت البنانى قال لما نزلت ومن يعمل سوأ او يظلم نفسه بكى ابليس فزعا من هذه الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت البنانى قال بلغنى أن ابليس حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بكى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت عثمان ان مولى آل ابى عقيل الثقفى قال سمعت على بن ربيعة يحدث عن رجل من فزارة يقال له أسماء أو ابن أسماء عن على قال كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى فحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال شعبة وأحسبه قال مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ ثم يصلى ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب وقال شعبة وقرأ احدى هاتين الآيتين من يعمل سوأ يجز به والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى وثنا الفضل ابن أسحق قال ثنا وكيع عن مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة الثقفى عن على بن ربيعة الوالبى عن أسماء بن الحكم الفزارى عن على بن أبى طالب قال كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله بما شاء منه واذا حدثنى عنه غيره استحلفته فاذا حلف لى صدقته وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يذنب ذنبا ثم يتوضأ ثم يصلى قال أحدهما ركعتين وقال الآخر ثم يصلى ويستغفر الله الا غفر له حدثنا الزبير بن بكار قال ثنى سعد بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أخيه عن جده عن على بن أبى طالب انه قال ما حدثنى أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سألته أن يقسم لى بالله لهو سمعه من رسول الله صلى

والحرب بينهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار وارجع الى التفسير

(٥٩) حتى استعمل المقعد واقام فى المكان

ومنه قوله تعالى فى مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك أى من موضع حكمك ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم أن يثبتوا فى تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل أن المقاتلين قد يقعدون فى الامكنة المعينة الى أن يلاقيهم العدو فيقوموا فلهذا سميت تلك المواضع مقاعد والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم ونياتكم فانا بينا انه كان فى القوم موافق ومنافق اذ همت طائفتان منكم هما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان أن تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر انهما ما كانت عزيمة ممضاة ولكنها كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها صاحبها ذم وان ردها الى الثبات والصبر فلا باس بما فعل وعن معاوية انه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلى فى الركاب يوم صفين فما ثبتنى الا قول عمرو بن الاطنابة شعرا

أقول لها اذا جشأت وجاشت
مكانك تحمدى أو تستريحى

ومما يدل على أن ذلك الهم لم يفض الى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما وما لو كانت عزيمة ثابتة معها الولاية ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولى أمرهما فالهما يفشلان ولا يتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون والتوكل تفعل من وكل أمره الى فلان اذا اعتمد فى كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفيه اشارة الى أن الانسان يجب أن يدفع ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طائفتان نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرنى انها لم تنزل لقول الله والله وليهما أخرجاه فى الصحيحين ومع ذلك قال بعض

العلماء ان الله أبهم ذكرهما وستر عليهما ولا يجوز لنا أن نهتك ذلك الستر ولقد نصركم الله ببدر وانه ما بين مكة والمدينة على الواقدي انه اسم لماء بعينه وعن الشعبي انه سمي باسم

رجل كان ذلك الماء له وأنتم أذلة انما جاء بجمع القلة دون الاذلاء الذي هو الكثرة ليدل على انهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم كانوا قليلي العدد أيضا كما مر في تفسير قوله فدكان لكم آية ولم يعن بالقلة ههنا نقيض المعزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أو لعل المراد انهم كانوا أذلة في زعم المشركين وفي اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكي عنهم ليخرجن الاعز منها الاذل أو لعل الصحابة كانوا قد شاهدوا الكفار في مكة في غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على أولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية في نفوسهم فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بسبب تقويكم ما أنعم به عليكم من نصرة أو لعل الله ينعم عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين اختلف المفسرون في أن هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل في اذ قوله نصركم أو حصل يوم أحد فيكون بدلا ثانيا من اذ غدوت والاول قول أكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والعدد يوم بدر أقل وكان الاحتياج الى المدد أكثر والثاني مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان بالف من الملائكة لقوله تعالى في سورة الانفال فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة دون ثلاثة آلاف وخمسة آلاف وأجيب بانهم أمدوا بالف ثم زيد ألفان فصاروا ثلاثة آلاف ثم زيدت ألفان آخران فصار وا خمسة آلاف فكأنه قيل لهم ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف فقالوا بلى ثم قيل ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بخمسة آلاف وهو كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أيسركم أن تكونوا

الاصرار

الله عليه وسلم الا أبا بكر فانه كان لا يكذب قال علي رضي الله عنه حدثني أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يقوم عند ذكر ذنبه فيتوضأ ثم يصلي ركعتين ويستغفر الله من ذنبه ذلك الا غفر الله له وأما قوله ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فانه كما بينا تأويله وبنحو ذلك كان أهل التأويل يقولون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن أبي اسحق والذين اذا فعلوا فاحشة أي ان أتوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهي الله عنها ومحرم الله عليهم فاستغفروا لها وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب الا هو وأما قوله ومن يغفر الذنوب الا الله فان اسم الله مرفوع ولا جحد قبله وانما وقع ما بعد الا بإتباعه ما قبله اذا كان نكرة ومعه جحد كقول القائل ما في الدار أحد الا أخوك فاما اذا قيل قام القوم الا أبالك فان وجه الكلام في الاب النصب ومن يصلته في قوله ومن يغفر الذنوب الا الله معرفة فان ذلك انما جاء رفعا لان معنى الكلام وهل يغفر الذنوب أحد أو ما يغفر الذنوب أحد الا الله فرفع ما بعد الا من الله على تأويل الكلام لا على لفظه وأما قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون فان أهل التأويل اختلفوا في تأويل الاصرار ومعنى هذه الكلمة فقال بعضهم معنى ذلك لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب ولم يقيموا عليه ولكنهم تابوا واستغفروا كما وصفهم الله به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون فايا كم والاصرار فانما هلك المصرون الماضون قدما لا ينهاهم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى أتاهم الموت وهم على ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون تمال قدما فدما بنا في معاصي الله لا ينهاهم مخافة الله حتى جاءهم أمر الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أي لم يقيموا على معصيتي كفعل من أشرك بي فيما عملوا به من كفر بي وقال آخرون معنى ذلك لم يواقعوا الذنب اذا هموا به ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله ولم يصروا على ما فعلوا قال اتيان العبد ذنبا اصرار حتى يتوب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ولم يصروا على ما فعلوا قال لم يواقعوا وقال آخرون معنى الاصرار السكوت على الذنب وترك الاستغفار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون لما يصروا فيسكتوا ولا يستغفروا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندنا قول من قال الاصرار اقامة على الذنب عامدا أو ترك التوبة منه ولا معنى لقول من قال الاصرار على الذنب هو مواقعته لان الله عز وجل مدح بترك الاصرار على الذنب مواقع الذنب فقال والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ولو كان المواقع الذنب مصرا بمواقعته اياه لم يكن للاستغفار وجه مفهوم لان الاستغفار من الذنب انما هو التوبة منه والندم ولا يعرف المستغفر من ذنب لم يواقعه صاحبه وجه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة حدثني بذلك الحسين بن يزيد السيبي قال ثنا عبد الحميد الحماني عن عثمان بن واقد عن أبي نصيرة عن مولى لابي بكر عن أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان مواقع الذنب مصرا لم يكن لقوله ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة معنى لان مواقعة الذنب اذا كانت هي الاصرار فلا يزيل الاسم الذي لزمه معنى غيره كما لا يزيل عن الزاني اسم زان وعن القاتل اسم قاتل توبته منه ولا معنى غيرها وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصر عليه فمعلوم بذلك ان

ربيع أهل الجنة قالوا نعم قال أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا نعم قال فوالذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وأيضا لعل أهل بدر أمدوا بالف ثم بلغهم أن بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة عددهم فوعدهم الله بأن الكفار ان جاءهم مدد فانا أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة ثم انه لم يأت قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن امداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر ألفا والمسلمون على الثلث منهم فانزل الله ألفا من الملائكة بعدد الكفار أيضا ثم وعدهم أن يجعل الثلاثة الآلاف خمسة آلاف ان صبروا واتقوا وأجيب بان هذا تقريب حسن ولكنه لا يغلب على الظن أن يكون الامر كذلك فالوا قال تعالى ويأتوكم من فورهم ويوم أحد هو الذي كان يأتيهم الاعداء أما يوم بدر فهم ذهبوا الى الاعداء وأجيب بان المشركين لما سمعوا يوم بدر ان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فاخبرهم الله تعالى انهم ان أتوكم من فورهم عددكم ربكم بخمسة آلاف ثم قالوا في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة أحد ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي يجب أن يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعديدكم ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ثم عاد الى قصة أحد ثم انزال خمسة آلاف كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا ولم يتقوا ثم لم يقتلوا ولم يغنموا بل خالفوا أمر الرسول فلما فات الشرط فات المشروط وأما انزال ثلثة آلاف فانه صلى الله عليه وسلم وعدهم ذلك بشرط أن يثبتوا في تلك المقاعد فلما أهملوا الشرط لم يحصل المشروط روى الواقدي عن مجاهد انه قال حضرت الملائكة يوم أحد ولكنهم لم يقاتلوا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك في صورة مصعب فقال رسول الله صلى

الاصرار غير المواقعة وانه المقام عليه على ما قلنا قبل واختلف أهل التأويل في تأويل قوله وهم يعلمون فقال بعضهم معناه وهم يعلمون انهم قد أذنبوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما وهم يعلمون فيعلمون انهم قد اذنبوا ثم أقاموا فلم يستغفروا وقال آخرون معنى ذلك وهم يعلمون ان الذي أتوا معصية الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وهم يعلمون قال يعلمون بما حرمت عليهم من عبادة غيري قال أبو جعفر وقد تقدم بياننا أولى ذلك بالصواب ۞ القول في تأويل قوله (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) يعني تعالى ذكره بقوله أولئك الذين ذكر أنه أعدلهم الجنة التي عرضها السموات والارض من المتقين ووصفهم بما وصفهم به ثم قال هؤلاء الذين هذه صفتهم جزاؤهم يعني ثوابهم من أعمالهم التي وصفهم تعالى ذكره انهم عملوها مغفرة من ربهم يقول عفو لهم من الله عن عقوبتهم على ما سلف من ذنوبهم ولهم على ما أطاعوا الله فيه من أعمالهم بالحسن منها جنات وهي البساتين تجري من تحتها الانهار يقول تجري خلال أشجارها الانهار وفي أسافلها جزاء لهم على صالح أعمالهم خالدين فيها يعني دائمي المقام في هذه الجنات التي وصفها ونعم أجر العاملين يعني ونعم جزاء العاملين لله الجنات التي وصفها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين أي ثواب المطيعين ۞ القول في تأويل قوله (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني بقوله تعالى ذكره قد خلت من قبلكم سنن مضت وسلفت مني فيمن كان قبلكم يا معشر أصحاب محمد وأهل الايمان به من نحو قوم عاد وثمود وقوم هود وقوم لوط وغيرهم من سلاف الامم قبلكم سنن يعني مثلات سير سير بها فيهم وفيمن كذبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا اليهم بامهال أهل التكذيب بهم واستدراجي اياهم حتى بلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلته لاداله أنبيائهم وأهل الايمان بهم عليهم ثم أحللت بهم عقوبتي وأنزلت بساحتهم نقمتي فتركتهم لمن بعدهم أمثالا وعبرا فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول فسيروا أيها الظانون ان اداتي من أدالت من أهل الشرك يوم أحد على محمد وأصحابه لغير استدراج مني لمن أشركني وكفر برسلي وخالف أمري في ديار الامم الذين كانوا قبلكم ممن كان على مثل الذي عليه هؤلاء المكذبون برسولي والجاحدون وحدانيتي فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي وما الذي آل اليه عن خلافهم أمري وانكارهم وحدانيتي فتعلموا عند ذلك ان اداتي من أدلت من المشركين على نبيي محمد وأصحابه باحداثما هي استدراج وامهال ليبلغ الكتاب أجله الذي أجلت لهم ثم اما أن يؤل حالهم الى مثل ما آل اليه حال الامم الذين سلفوا قبلهم من تعجيل العقوبة عليهم أو يثيبوا الى طاعتي واتباع رسولي ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن في قوله قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فقال ألم تسيروا في الارض فتنظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط وقوم صالح والامم التي عذب الله عز وجل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قد خلت من قبلكم سنن يقول في الكفار والمؤمنين والخير والشر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد خلت من قبلكم سنن من المؤمنين والكفار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم يعني بالمسلمين يوم أحد والبلاء الذي أصابهم

الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم انه ملك أمده به وعن سعد بن أبي وقاص انه قال كنت أرمي السهم فوسذفيرده على رجل أبيض حسن الوجه وما كنت أعرفه فظننت انه ملك هذا حاصل تقرير القولين واختلفوا أيضا في عدد الملائكة فنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزائد لان الوعد بامداد الثلاثة الآلاف لا شرط فيه والوعد بامداد خمسة الآلاف مشروط بالصبر والتقوى ويجيء الكفار من فورهم فهما متغايران وعلى هذا ان حملنا الآية على قصة بدر وقد ورد فيها ذكر الالف في موضع آخر فيكون المجموع تسعة آلاف وان حملناها على قصة أحد كان الجميع ثمانية آلاف ومنهم من أدخل الناقص في الزائد فقال وعدوا بالف ثم زيد ألفان فصح أن يقال وعدوا بثلاثة آلاف ثم زيد ألفان آخران فوعدوا بخمسة آلاف واجتمع أهل التفسير وأرباب السير انه تعالى أنزل الملائكة يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انه لم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون ومنهم من قال ان نصر الملائكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار وباشعار المؤمنين بان النصرة لهم وأما أبو بكر الاصم فقد أنكر امداد الملائكة وقال ان الملك الواحد يكفي في اهلاك أهل الارض كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط فاذا حضر هو يوم بدر فأي الحاجة الى مقاتلة الناس مع الكفار وبتقدير حضوره فأي فائدة في ارسال سائر الملائكة وأيضا فان أكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة معلوم وأيضا قاتلوا فاما أن يكون بحيث يراهم الناس أولا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول ثلاثة آلاف وأكثر ولم ينقل أحد ذلك ولانه خلاف قوله ويقللكم في أعينهم ولو كانوا في غير صورة الناس لزم اطاعني وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم خرق الرؤس وتمزق البطون واسقاط الكفار من غير مشاهدة

والتمحيص لما كان فيهم واتخاذه الشهداء منهم فقال تعزية لهم وتقريعا لهم فيما صنعوا وما هو صانع بهم قد خلت من قبلكم سنن فسير وافي الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أي قد مضت مني وقائع نقمة في أهل التكذيب لرسلي والشرك في عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين فسير وافي الارض تروا مثلات قد مضت فيهم ولئن كان على مثل ما هم عليه مثل ذلك مني وان أمكنت لهم أي لئلا يظنوا أن نقمتي انقطعت عن عدوهم وعدوي الدولة التي أدلتها عليكم بذلك لاعلم ما عندكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد خلت من قبلكم سنن فسير وافي الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول متعهم في الدنيا قليلا ثم صيرهم الى النار وأما السنن فانها جمع سنة والسنة هي المثال المتبع والامام المؤتم به يقال منه سن فلان فينا سنة حسنة وسن سنة سيئة اذا عمل عملا اتبع عليه من خير وشر ومنه قول لبيد بن ربيعة

من معشر سنت لهم آباؤهم * ولكل قوم سنة وامامها

وقول سليمان بن قتة

وأن الالى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد خلت من قبلكم سنة قال أمثال ۞ القول في تاويل قوله عز وجل (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) اختلف أهل التاويل في المعنى الذي أشير اليه بهذا فقال بعضهم عنى بقوله هذا القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين قال هذا القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا بيان للناس وهو هذا القرآن جعله الله بيانا للناس عامة وهدى وموعظة للمتقين خصوصا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال في قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين خاصة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج في قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين خاصة وقال آخرون انما أشير بقوله هذا الى قوله قد خلت من قبلكم سنن فسير وافي الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم قال هذا الذي عرفتكم يا معشر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بذلك ۞ وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال قوله هذا اشارة الى ما تقدم هذه الآية من تذكير الله جل ثناؤه المؤمنين وتعريفهم حدوده وحضهم على لزوم طاعته والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم لان قوله هذا اشارة الى حاضر امامرئي واما مسموع وهو في هذا الموضع الى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة فمعنى الكلام هذا الذي أوضحت لكم وعرفتكموه بيان للناس يعني بالبيان الشرح والتفسير كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق هذا بيان للناس أي هذا تفسير للناس ان قبلوه حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن بيان عن الشعبي هذا بيان للناس قال من العمى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الشعبي مثله وأما قوله وهدى وموعظة فانه يعني بالهدى الدلالة على سبيل الحق ومنهج الدين وبالموعظة التذكرة للصواب والرشاد كما حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن بيان عن الشعبي وهدى قال من الضلالة وموعظة من الجهل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن بيان عن الشعبي مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق للمتقين أي لمن

فاعل لهذه الافعال ومثل هذا يكون من أعظم المعجزات فكان يجب أن يتواتر وينتشر بين الكافر والمسلم والموافق والمخالف وأيضا انهم لو كانوا أجساما كثيفة وجب أن يراهم الكل وان كانوا أجساما لطيفة هوائية فكيف يتواطئون على الحيول ﴿ واعلم ان هذه الشبه لا يليق ايرادها بقوانين الشريعة ومن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى قادر على ما يشاء فاعل لما يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها مع ان نص القرآن ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر روى عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من أحد جعلوا يتحدثون في أنديتهم بما ظفروا وأويقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا المقام ان التكليف ينافي الالجاء وانه تعالى قادر على اهلاك جميع الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك أو بلا سبب وكذا على أن يجبرهم على الاسلام ويقسرهم لكنه لما أراد اشادة هذا الدين على مهل وتدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف فلا جرم أجرى الامور على ما أجرى فله الحمد على ما أولى وله الحكم في الآخرة والاولى والحاصل أن اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم وهو حين نزول البأس فلا جرم أظهر القدرة وجعل عاليها سافلها وفي حرب أحد كان الزمان زمان تكليف فلا جرم أظهر الحكمة ليتميز الموافق عن المنافق والثابت من المضطرب فانه لو جرى الامر في أحد كما جرى في بدر أشبه أن يفضي الامر الى حد الالجاء وينافي التكليف ونوط الثواب والعقاب به ولمثل ذلك أمد الملائكة حين أمد على عادة الامداد بالعساكر والافلاك واحد يكفي في اهلاك كثير من الناس فاعلم ولنعد الى تفسير الالفاظ

أطاعني وعرف أمري ﴿ القول في تأويل قوله (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) وهذا من الله تعالى ذكره تعزية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أصابهم من الجراح والقتل باحد قال ولا تهنوا ولا تحزنوا يا أصحاب محمد يعني ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم باحد من القتل والقروح عن جهاد عدوكم وحربهم من قول القائل وهن فلان في هذا الامر فهو يهن وهنا ولا تحزنوا ولا تاسوا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ فانكم أنتم الاعلون يعني الظاهرون عليهم ولكم العقبى في الظفر والنصرة عليهم ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقي نبي محمد صلى الله عليه وسلم فيما يعدكم وفيما ينبئكم من الخير مما يؤول اليه أمركم وأمرهم كما حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري قال كثر في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتل والجراح حتى خلص الى كل امرئ منهم البأس فانزل الله عز وجل القرآن فاثنى فيه على المؤمنين بأحسن ما أثنى به قوما من المسلمين كانوا قبلهم من الامم الماضية فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين الى قوله لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين يعزي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ويحثهم على قتال عدوهم وينهاهم عن العجز والوهن في طلب عدوهم في سبيل الله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين قال يأمر محمدا يقول ولا تهنوا أن تمضوا في سبيل الله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ولا تهنوا ولا تضعفوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا يقول ولا تضعفوا حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تهنوا قال ابن جريج ولا تضعفوا في أمر عدوكم ولا تحزنوا وأنتم الاعلون قال انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فقالوا ما فعل فلان ما فعل فلان فنعى بعضهم بعضا وتحدثوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فكانوا في هم وحزن فبينما هم كذلك اذ علا خالد بن الوليد الجبل جعل المشركين فوقهم وهم أسفل في الشعب فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم فرحوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا قوة لنا الا بك وليس يعبدك بهذه البلدة غيرهؤلاء النفر قال وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تهنوا أي لا تضعفوا ولا تحزنوا ولا تاسوا على ما أصابكم وأنتم الاعلون أي لكم تكون العاقبة والظهور ان كنتم مؤمنين ان كنتم صدقتم يعني بما جاءكم به عني حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال أقبل خالد بن الوليد يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا فانزل الله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين

﴿ القول في تأويل قوله (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله كلاهما بفتح القاف بمعنى ان يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح قتل وجراح مثله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله بفتح القاف في

قال صاحب الكشاف انما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة ليقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات وينقوا بنصر الله ومعنى ألن يكفيكم انكم لا تحتاجون في أن يكفيكم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو تأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا في قلتهم وضعفهم وكثرة عددهم

الحرفين لاجماع أهل التأويل على ان معناه القتل والجراح فذلك يدل على ان القراءة هي الفتح وكان بعض أهل العربية يزعم أن القرح والقرح لغتان بمعنى واحد والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ماقلنا ذكر من قال ان القرح الجراح والقتل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قال جراح وقتل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قال ان يقتل منكم يوم أحد فقد قتلتم منهم يوم بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والقرح الجراحة وذاكم يوم أحد فشافى أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يومئذ القتل والجراحة فاخبرهم الله عز وجل ان القوم قد أصابهم من ذلك مثل الذي أصابكم وان الذي أصابكم عقوبة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قال ذلك يوم أحد فشافى المسلمين الجراح وفشا فيهم القتل فذلك قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله يقول ان كان أصابكم قرح فقد أصاب عدوكم مثله يعزي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحثهم على القتال حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والقرح هي الجراحات حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان يمسسكم قرح أي جراح فقد مس القوم قرح مثله أي جراح مثلها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال نام المسلمون وبهم الكلوم يعني يوم أحد قال عكرمة وفيهم أنزلت ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وفيهم أنزلت ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وأما تأويل قوله ان يمسسكم قرح فانه ان يصبكم كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان يمسسكم ان يصبكم

القول في تأويل قوله (وتلك الايام نداولها بين الناس) يعني تعالى ذكره وتلك الايام نداولها بين الناس أيام بدر وأحد ويعني بقوله نداولها بين الناس نجعلها دولا بين الناس مصرفة ويعني بالناس المسلمين والمشركين وذلك ان الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأدال المشركين من المسلمين بأحد فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم يقال منه أدال الله فلانا من فلان فهو يديل منه ادالة اذا طغر به فانتصر منه مما كان نال منه المدال منه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن وتلك الايام نداولها بين الناس قال جعل الله الايام دولا أدال الكفار يوم أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتلك الايام نداولها بين الناس وانه والله لولا الدول ما أوذي المؤمنون ولكن قد يدال للكافر من المؤمن ويبتلي المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فاظهر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين يوم بدر وأظهر عليهم عدوهم يوم أحد وقد يدال الكافر من المؤمن ويبتلي المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب وأما من ابتلي منهم من المسلمين يوم أحد فكانت

لان أي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا أي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غلبت ثم استعمل في معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور أو للتراخي ثم سميت به الحالة التي لا توقف فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجيء خمسة آلاف مشروطا بثلاثة أشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار على الفور فلما لم توجد هذه الشرائط بكلها أو بجلها فلا جرم لم يوجد المشروط ويحتمل أن يعلق قوله من فورهم هذا بما بعده أي يمددكم بكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر النزول عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنائم وأتقوا مخالفة الرسول وقوله مسومين من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم القتال ليعرف بها فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامات مخصوصة ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيول وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت الابل وسومتها أرسلتها للرعي فالمعنى ان الملائكة أرسلت عقوبته بخيولهم على الكفار لقتلهم وأسرهم أو ان الله تعالى أرسلهم على المشركين ليهلكوهم كما تهلك الماشية النبات في المراعي وما جعله الله الضمير

تعالى لقد أوفى الله عهده الذى عاهد عليه النبى وقال الزجاج وما جعل الله هذا الكرة للعدد الا بشرى وهى اسم من البشارة أى الا لتبشروا بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبنى اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من الملائكة اذا

تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد لا يكمل الا عند الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا أى طائفة وقطعة من الذين كفروا انما حسن فى هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف كما قال أولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من أطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أو يكبتهم والكبت فى اللغة صرع الشئ على وجهه وفسره الائمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم قيل الخيبة لا تكون الا بعد التوقع ونقيضه الظفر وأما اليأس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام فى ليقطع يحتمل أن يتعلق بقوله ولقد نصركم أو بقوله وما النصر ويحتمل أن يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتر لى لحما لتخدمنى لتعيننى لتقوم بخدمتى قوله عز من قائل ليس لك من الامر شئ فيه قولان أحدهما وهو الاشهر انه نزل فى قصة أحد عن أنس بن مالك قال

حقوبته بمعصيتهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وتلك الايام نداولها بين الناس يوما لكم ويوما عليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس نداولها بين الناس قال أدال المشركين على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فانه كان يوم أحد بيوم بدر قتل المؤمنون يوم أحد اتخذ الله منهم شهداء وغلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر المشركين فجعل له الدولة عليهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان قتال أحد وأصاب المسلمين ما أصاب صعد النبى صلى الله عليه وسلم الجبل فجاء أبو سفيان فقال يا محمد يا محمد ألا تخرج اطرب سحال يوم لنا ويوم لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أجيبوه فقالوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال أبو سفيان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان أعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان موعدكم وموعدنا بدر الصغرى قال عكرمة وفيهم أنزلت وتلك الايام نداولها بين الناس حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن ابن عباس فى قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فانه أدال على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتلك الايام نداولها بين الناس أى نصرفها للناس للبلاء والتمحيص حدثنى ابراهيم بن عبد الله قال أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب الخجندى قال ثنا حماد بن زيد عن ابن عون عن محمد فى قول الله وتلك الايام نداولها بين الناس قال يعنى الامراء ۞ القول فى تأويل قوله (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين) يعنى بذلك تعالى ذكره وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء نداولها بين الناس ولم يكن فى الكلام واو لكان قوله ليعلم متصلا بما قبله وكان تلك الايام نداولها بين الناس ليعلم الله الذين آمنوا لكن لما دخلت الواو فيه أذنت بان الكلام متصل بما قبلها وأن بعده خبرا معطوفا باللام التى فى قوله وليعلم به متعلقة فان قال قائل وكيف قيل وليعلم الله الذين آمنوا معرفة وأنت لا تستجيز فى الكلام قد سألت فعلت عبد الله وأنت تريد علمت شخصه الا أن تريد علمت صفته وما هو قيل ان ذلك انما جاز مع الذين لان فى الذين تأويل من أى وكذلك جاز منها فى الالف واللام كما قال تعالى ذكره وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين لان فى الالف واللام من تأويل أى ومن مثل الذى فى الذى ولو جعل مع الاسم المعرفة اسم فيه دلالة على أى جاز كما يقال سألت لاعلم عبد الله من عمرو وبزيد بذلك لاعرف هذا من هذا فتأويل الكلام وليعلم الله الذين آمنوا منكم أيها القوم من الذين نافقوا منكم نداول بين الناس فاستغنى بقوله وليعلم الله الذين آمنوا منكم من ذكر قوله من الذين نافقوا لدلالة الكلام عليه اذ كان فى قوله الذين آمنوا تأويل أى على ما وصفنا فكأنه قيل وليعلم الله أيكم المؤمن كما قال جل ثناؤه ليعلم أى الحزبين أحصى غير أن الالف واللام والذى ومن اذا وضعت مع العلم مواضع أى نصبت بوقوع العلم عليه كما قيل وليعلمن الكاذبين فلما أى فانما ترفع وأما قوله ويتخذ منكم شهداء فانه يعنى وليعلم الله الذين آمنوا وليتخذ منكم شهداء أى ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها والشهداء جمع شهيد كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء أى ليكرم منكم بالشهادة من أراد اكرامه أى ليميز بين المؤمنين والمنافقين ويكرم من أكرم من أهل الايمان بالشهادة حدثنى

(٩ - (ابن جرير) - رابع) كسر ثنيته باعتر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفى رواية شج رأس صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبى وقاص يوم أحد وكسر رباعيته

يفعل يمسح الدم عن وجهه و يقول الحديث فنزلت توفى وروايته عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن أقواما فقال اللهم العن أبا سفيان اللهم
العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن (٦٦) أمية فنزلت هذه الآية توفيه أو يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء فحسن اسلامهم وقيل
نزلت في حمزة بن عبد المطلب وذلك
انه لما رآه ورأى ما فعلوا به من المثلة
قال لامثلن منهم بثلاثين فنزلت وقيل
أراد أن يلعن المسلمين الذين خالفوا
أمره والذين انهزموا فمنعه الله عن
ذلك مروي عن ابن عباس وقيل
أراد أن يستغفر للمسلمين الذين
عصوا أمره فنزلت وقال القفال كل
هذه الامور وقعت يوم أحد فلا يمتنع
حمل نزول الآية في الكل القول
الثاني وإليه ذهب مقاتل انها نزلت
في واقعة أخرى وهي أن النبي صلى
الله عليه وسلم بعث جماعة من خيار
الصحابة زهاء سبعين الى بني عامر
ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى
موضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم
عامر بن الطفيل مع عسكر وأخذهم
وقتلهم فجزع من ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم شديدا ودعا على
الكفار في القنوت أربعين يوما
يقول بعد ما يرفع رأسه من الركعة
الثانية في الصبح اللهم العن بني لحيان
والعن رعلا وذكوان اللهم انج
الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام
وعياشا وأبا ربيعة والمستضعفين
بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني
يوسف حتى أنزل الله عز وجل ليس
لك من الامر شيء ولا يخفى أن ظاهر
الآية يدل على انه كان يفعل فعلا
فمنع منه وحينئذ يتوجه الاشكال
بأن فعل ذلك الفعل ان كان من الله
تعالى فكيف منعه منه والا هو قدح
في عصمته ومناف لقوله وما ينطق
عن الهوى والجواب أن المنع من
الفعل لا يدل على أن الممنوع مشتغل
به بقوله ولا تطع الكافرين مع انه ما أطاعهم وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك مع انه ما أشرك قط ولعله عليه السلام شاهد من يدخلوا
قتل حمزة وغيره ما أورثه حزنا شديدا وكان من الممكن أن يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته

لمثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة على ابن جريج في قوله وليعلم الله الذين
آمنوا و يتخذ منكم شهداء قال فان المسلمين كانوا يسألون ربهم ربنا أرنا يوما كيوم بدر نقاتل فيه
المشركين ونبلئك فيه خيرا ونلتمس فيه الشهادة فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ منهم شهداء حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء
فكرم الله أولياءه بالشهادة بأيدي عدوهم ثم تصير حواصل الامور وعواقبها لاهل طاعة الله حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء
قال قال ابن عباس كانوا يسألون الشهادة فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ منهم شهداء حدثت عن
الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله
وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوما كيوم بدر
يبلون فيه خيرا و يرزقون فيه الشهادة و يرزقون الجنة والحياة والرزق فلقي المسلمون يوم أحد
فاتخذ الله منهم شهداء وهم الذين ذكرهم الله عز وجل فقال ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات
الآية وأما قوله والله لا يحب الظالمين فانه يعني به الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم كما حدثنا ابن
حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله لا يحب الظالمين أي المنافقين الذين يظهرون بالسنتهم الطاعة
وقلوبهم مصرة على المعصية ۞ القول في تأويل قوله (وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق
الكافرين) يعني تعالى ذكره بقوله وليمحص الله الذين آمنوا وليختبر الله الذين صدقوا الله
و رسوله فيبتليهم بادالة المشركين منهم حتى يتبين المؤمن منهم المخلص الصحيح الايمان من المنافق كما
حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله في قوله وليمحص
الله الذين آمنوا قال ليبتلي حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله
وليمحص الله الذين آمنوا قال ليمحص الله المؤمن حتى يصدق حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا
أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وليمحص الله لذين آمنوا يقول يبتلي المؤمنين
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وليمحص الله
الذين آمنوا قال يبتليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليمحص
الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين فكان تمحيصا للمؤمنين ومحقا للكافرين حدثنا ابن حميد
قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وليمحص الله الذين آمنوا أي يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء
الذي نزل بهم وكيف صبرهم ويقينهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله
وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين قال يمحق من محق في الدنيا وكان بقية من يمحو في
الآخرة في النار وأما قوله و يمحق الكافرين فانه يعني به أنه ينقصهم و ينقصهم يقال منه محق فلان
هذا الطعام اذا نقصه أو أفناه يمحقه محقا ومنه قيل لمحاق القمر محاق وذلك نقصانه وفناؤه كما حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس و يمحق الكافرين قال
ينقصهم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله و يمحق
الكافرين قال يمحق الكافر حتى يكذبه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق و يمحق
الكافرين أي يبطل من المنافقين قولهم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم حتى يظهر منهم كفرهم الذي
يستترون به منكم ۞ القول في تأويل قوله (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم و يعلم الصابرين) يعني بذلك جل ثناؤه أم حسبتم يا معشر أصحاب محمد وظننتم أن

صلى الله عليه وسلم وتأكيد الطهارة وان سلمنا انه كان مشعرا بذلك الفعل والقول فانه محمول على ترك الاولى والنهى ارشاد الى اختيار الافضل
وأيضا ان دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهى وانما هو بطلب الاصلح فالذى (٦٧) يظن به انه خلاف مسؤله صلى الله عليه

تدخلوا الجنة وتنالوا كرامة ربكم وشرف المنازل عنده ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم يقول ولما يتبين لعبادى المؤمنين المجاهد منكم فى سبيل الله على ما أمره به وقد بينت معنى قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وليعلم الله وما أشبه ذلك بادلته فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقوله ويعلم الصابرين يعنى الصابرين عند البأس على ما ينالهم فى ذات الله من جرح وألم مكروه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وتصيبوا من ثوابى الكرامة ولم اختبركم بالشدة وابتليكم بالمكاره حتى أعلم أصدق ذلك منكم الايمان بى والصبر على ما أصابكم بى ونصب ويعلم الصابرين على الصرف والصرف أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق وفى أوله ما لا يحسن اعادته مع حرف النسق فينصب الذى بعد حرف العطف على الصرف لانه مصروف عن معنى الاول ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهى فى أول الكلام وذلك كقولهم لا يسعنى شئ ويضيق عنك لان لا التى مع يسعنى لا يحسن اعادتها مع قوله ويضيق عنك فلذلك نصبوا القراء فى هذا الحرف على النصب وقد روى عن الحسن أنه كان يقرأ ويعلم الصابرين فيكسر الميم من يعلم لانه كان ينوى جزمها على العطف به على قوله ولما يعلم الله ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) يعنى بقوله جل ثناؤه ولقد كنتم تمنون الموت ولقد كنتم يا معشر أصحاب محمد تمنون الموت يعنى أسباب الموت وذلك القتال فقد رأيتموه فقد رأيتم ما كنتم تمنونه والهاء فى قوله رأيتموه عائدة على الموت ومعنى وأنتم تنظرون يعنى قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر أى بقرب منكم وكان بعض أهل العربية يزعم انه قيل وأنتم تنظرون على وجه التوكيد للكلام كما يقال رأيته عيانا ورأيته بعينى وسمعته باذنى وانما قيل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه لان قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرا كانوا يتمنون قبل أحد يوما مثل يوم بدر فيبلوا الله من أنفسهم خيرا وينالوا من الاجر مثل ما نال أهل بدر فلما كان يوم أحد فر بعضهم وصبر بعضهم حتى أوفى بما كان عاهد الله قبل ذلك فعاتب الله من فر منهم فقال ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه الآية وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم ذكر الاخبار بما ذكرنا من ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال غاب رجال عن بدر فكانوا يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه فيصيبوا من الخير والاجر مثل ما أصاب أهل بدر فلما كان يوم أحد ولى من ولى منهم فعاتبهم الله أو فعاقبهم أو فيعتبهم على ذلك شك أبو عاصم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال فعاتبهم الله على ذلك ولم يشك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أناس من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذى أعطى الله أهل بدر من الفضل والشرف والاجر فكانوا يتمنون أن يرزقوا قتالا فيقاتلوا فسيق اليهم القتال حتى كان فى ناحية المدينة يوم أحد فقال الله عز وجل كما تسمعون ولقد كنتم تمنون الموت حتى بلغ الشاكرين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه قال كانوا يتمنون أن يلقوا المشركين فيقاتلوهم فلما لقوهم يوم أحد ولوا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال ان أناسا من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذى أعطاهم الله من الفضل فكانوا يتمنون أن يرزقوا قتالا فيقاتلوا فسيق اليهم القتال حتى كان بناحية المدينة يوم أحد فانزل الله عز وجل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه الآية حدثنى

وسلم وقد وقع فهو بالحقيقة سؤله صلى الله عليه وسلم ولهذا سأل الله تعالى أن يجعل لعنه على من لا يستحقه طهورا وزكاة ورحمة والله أعلم وقوله ليس لك من الامر شئ معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة ومن شأن هذه الحادثة شئ فانى أعلم بمصالح عبادى أو المراد الامر الذى هو خلاف النهى أى ليس لك من أمر خلقى شئ الا ما يكون أمرى وحكمى وقوله أو يتوب منصوب باضمار ان وأن يتوب فى حكم اسم معطوف باو على الامر أى ليس لك من أمرهم شئ أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم ويجوز أن يكون معطوفا على شئ والحاصل منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل فعل أو قول الا ما كان باذنه وأمره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وأن لا يخوض العبد فى أسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله أو يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شئ كالكلام الاجنبى الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك أمرهم فاما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا على الكفر وقيل أو بمعنى الا أن كقولك لالزمنك أو تعطينى حقى والمعنى ليس لك من أمرهم شئ الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتشفى منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند أهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق العزم فيهم على أن لا يفعلوا مثل ذلك فى المستقبل وأكدوا هذا الظاهر ببرهان عقلى وهو أن الندم كراهة تحصل فى القلب بسبب ما سلف فيه والعزم ارادة تتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر فى فعلها الى ارادة أخرى وتسلسل فهو اذن بخلق الله تعالى

وأما المعتزلة ففسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف أو بقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم أو عصيانهم ثم أكد ماذكر من قوله (٦٨) ليس لك من الامر شئ بقوله ولله ما في السموات وما في الارض أي هم أو الخلائق والماهيات التي فيهما لله فليس الحكم عنه فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بعميم فضله وان كان من الاباة السفاة الفراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين وكل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة والمغفرة غالب ولهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما روي عن ابن عباس في تفسير الآية يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وأيدوا هذا النقل بدليل عقلي يشبه بما مر آنفا وهو ان الارادات كلها تستند الى الله تعالى دفعا للتسلسل فاذا خلق الله ارادة الطاعة أطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد أو معصيته تنتهي الى الله ولعل الله لا يوجب على الله شيأ أما المعتزلة فناقشوا في ذلك وروا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء أن يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب الا المستوجبين للعذاب والحق أن العذاب لازم ملكة العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم ملكة الطاعة فان أريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان أريد غير ذلك منوع والله أعلم التأويل أخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر السالك الصادق والسائر العاشق وذلك أن يغدو في طلب الحق والرجوع الى المبدأ من أهله أي صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين أي صفات الروحانية مقاعد للقتال النفس والشيطان والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص للخلاص قبله عن ربقة تيه الهوى عليم بصدق نياتكم في طلب الحق اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا يعني القلب وأوصافه والروح وأخلاقه ولهما

محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغني ان رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون لئن لقينا مع النبي صلى الله عليه وسلم لنفعلن ولنفعلن فابتلوا بذلك فلا والله ما كلهم صدق الله فانزل الله عز وجل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي كان ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهدوا بدرا فلما رأوا فضيلة أهل بدر قالوا اللهم انا نسألك ان ترينا يوما كيوم بدر نبلغ فيه خيرا فرأوا أحدا فقال لهم ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي لقد كنتم تمنون الشهادة على الذي أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم يعني الذين حملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على خروجهم الى عدوهم لما فاتهم من الحضور في اليوم الذي كان قبله ببدر رغبة في الشهادة التي قد فاتتهم به يقول فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي الموت بالسيوف في أيدي الرجال قد حل بينكم وبينهم وأنتم تنظرون اليهم فصددتم عنهم ۞ القول في تأويل قوله (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين) يعني تعالى ذكره بذلك وما محمد الا رسول كبعض رسل الله الذين أرسلهم الى خلقه داعيا الى الله والى طاعته الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله اليه يقول جل ثناؤه فمحمد صلى الله عليه وسلم انما هو فيما الله به صانع من قبضه اليه عند انقضاء مدة أجله كسائر مدد رسله الى خلقه الذين مضوا قبله وماتوا عند انقضاء مدة آجالهم ثم قال لاصحاب محمد معاتبهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم باحدان محمدا قتل ومقبحا اليهم انصراف من انصرف منهم عن عدوهم وانهزامه عنهم أفائن مات محمد أيها القوم لانقضاء مدة أجله أو قتله عدوكم انقلبتم على أعقابكم يعني ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمدا بالدعاء اليه ورجعتم عنه كفارا بالله بعد الايمان به وبعد ما قد وضحت لكم صحة ما دعاكم محمد اليه وحقيقة ما جاءكم به من عند ربه ومن ينقلب على عقبيه يعني بذلك ومن يرتد منكم عن دينه ويرجع كافرا بعد ايمانه فلن يضر الله شيأ يقول فلن يوهن ذلك عزة الله ولا سلطانه ولا يدخل بذلك نقص في ملكه بل نفسه يضر بردته وحظ نفسه ينقص بكفره وسيجزي الله الشاكرين يقول وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته اياه لدينه بثبوته على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ان هو مات وقتل واستقامته على منهاج موته سكه بدينه وملته بعده كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي في قوله وسيجزي الله الشاكرين الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه فكان علي رضي الله عنه يقول كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله وكان أشكرهم وأحبهم الى الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن العلاء بن بدر قال ان أبا بكر أمين الشاكرين وتلا هذه الآية وسيجزي الله الشاكرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وسيجزي الله الشاكرين أي من أطاعه وعمل بأمره وذكر ان هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انهزم عنه باحد من أصحابه ذكر الاخبار الواردة بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله وسيجزي الله الشاكرين ذاكر يوم أحد حين أصابهم القرح والقتل ثم تنازعوا بني الله صلى الله عليه وسلم بقية ذلك فقال أناس لو كان نبيا ما قتل وقال أناس من علية أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه محمد نبيكم حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به فقال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من

لغير بهما من خلات البشرية الى فوز الغرب بينوا لقد نصركم الله ببدو الدنيا وأنتم أذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول المؤمنين فيما شارة الى أن لو والنبي صلى الله عليه وسلم بلهم أرواح المؤمنين على الموام عند مقاتلة الشياطين ومجاهدة النفس ومكابدة الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلاثة آلاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية التي لا تدركها الحواس كقوله وأنزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يزدكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا ليقهر بعضا من الصفات النفسانية التي تنشئ الكفر بنصر الروح وصفاته أو يكبتهم أو ينقلبهم وينظفر بهم وما النصر الا من عند الله يعز بحكمة من يشاء على ما يشاء والله المستعان على ما تصفون (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس

قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم يقول ان مات نبيكم أو قتل ارتددتم كفارا بعد ايمانكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه وزاد فيه قال الربيع وذكر لنا والله أعلم ان رجلا من المهاجرين مر على رجل من الانصار وهو يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال الانصاري ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم يقول ارتددتم كفارا بعد ايمانكم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد اليهم يعني الى المشركين أمر الرماة فقاموا باصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير ثم شد الزبير بن العوام والمقداد ابن الاسود على المشركين فهزماهم وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين قدم فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم فطفقوا بالعسكر فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ثم حمل فقتل الرماة وحمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى المشركون ان خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم فانى ابن قميئة الحارثي أحد بني الحارث من عبد مناف بن كنانة فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه فانثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فجعلوا يسيرون بين يديه فلم يهتف أحد الا طلحة وسهل بن حنيف فحماه طلحة فرمى بسهم في يده فيبست يده وأقبل أبي بن خلف الجمحي وقد حلف ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك فقال يا كذاب أين تفر فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جنب الدرع فجرح جرحا خفيفا فوقع يخور خوران الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة قال أليس قال لا قتلنك لو كانت لجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ولم يلبث الا يوما أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجراح وفشا في الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان يا قوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل ان يأتوكم فيقتلوكم قال أنس بن النضر يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رآه وضع رجل سهما في قوسه فأراد أن يرميه فقال أنا رسول الله فغمروا به حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى انه في أصحابه من يمتنع فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن فاقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابه الذين قتلوا فقال الله عز وجل للذين قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فارجعوا الى قومكم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن ينقلب على عقبيه قال يرتد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن

وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) القراء آت سارعوا بغير واو العطف أبو جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة الباقون بالفتح والوقوف مضاعفة عن العطف

المتقين تفلحون ه ج للعطف المكافرين ه ترحمون ه ومن قرأ سارعوا بغير واو فوقفه مطلق والارض ص لان ما بعده صفة لجنة أيضا أي جنة واسعة معدة للمتقين لا لان الذين (٧٠) صفتهم عن الناس ط المحسنين ج ولان والذين يصلح مبتدأ وخبره أولئك جزاؤهم فلا وقف على يعلمون ويصلح معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم أولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله والالحقين بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على الذين بهم لابتداء الاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح لا أحد يغفر الذنوب الا أنت خالدين فيها ط العاملين ه سنن لا لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالتبار المكذبين ه للمتقين ه مؤمنين ه مثله ط بين الناس ج لان الواو مقحمة أو عاطفة على محذوف أي ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين لا لعطف على ليعلم الكافرين ه التفسير قال القفال يحتمل أن يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهتين أحدهما أن أموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربا وكانوا ينفقون تلك الاموال على العساكر وكان من الممكن أن يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربا كي يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الآيات ابتداء أمر ونهي وترغيب وترهيب تتميما لما سلف من الارشاد الى الاصلح في أمر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهي عن الربا في حال كونه أضعافا مضاعفة بل انه منهي عنه مطلقا وانما خوطبوا بهذا النهي مع توبيخ بما كانوا عليه في الغالب والمعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل وهكذا مرة بعد أخرى حتى استغرق بالشيء الطفيف مال المدين واتقوا الله لعلكم تفلحون فيما بينكم واتقاء الله في هذا النهي واجب وان الفلاح يقف عليه فلو أكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه أن الربا من الكبائر لا من الصغائر

ابن أبي نجيح عن أبيه وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن أبيه ان رجلا من المهاجرين مر على رجل من الانصار وهو يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت ان محمدا قد قتل فقال الانصاري ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك الى عمر وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقد ألقوا بايديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل محمد رسول الله قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله واستقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال نادى مناد يوم أحد حين هزم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ألا ان محمدا قد قتل فارجعوا الى دينكم الاول فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ألقي في أفواه المسلمين يوم أحد ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل فنزلت هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة والناس ينهزمون ورجل قائم على الطريق يسألهم ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل كلما مر واعليه يسألهم فيقولون والله ما ندري ما فعل فقال والذي نفسي بيده لئن كان النبي صلى الله عليه وسلم قتل لنعطينهم بايدينا انهم لعشائرنا واخواننا وقالوا ان محمدا ان كان حيا لم يهزم ولكنه قد قتل فترخصوا في الفرار حينئذ فانزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية كلها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ناس من أهل الارتياب والمرض والنفاق قالوا يوم فر الناس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وشج فوق حاجبه وكسرت رباعيته قتل محمد فالحقوا بدينكم الاول فذلك قوله أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم قال ما بينكم وبين أن تدعو الاسلام وتنقلبوا على أعقابكم الا ان يموت محمد أو يقتل فسوف يكون أحد هذين فسوف يموت أو يقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله وسيجزي الله الشاكرين أي لقول الناس قتل محمد وانهزامهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوهم أي أفائن مات أو قتل رجعتم عن دينكم كفارا كما كنتم وتركتم جهاد عدوكم وكتاب الله وما قد خلف نبيه من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم عني انه ميت ومقاركم ومن ينقلب على عقبيه أي يرجع عن دينه فلن يضر الله شيئا أي لن ينقص ذلك من عز الله ولا ملكه ولا سلطانه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال أهل المرض والارتياب والنفاق حين فر الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل محمد فالحقوا بدينكم الاول فنزلت هذه الآية ومعنى الكلام وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل ومن ينقلب على عقبيه فان يضر الله شيأ فجعل الاستفهام في حرف الجزاء ومعناه أن يكون في جوابه وكذلك كل استفهام دخل على جزاء فمعناه أن يكون في جوابه لان الجواب خبر يقوم بنفسه والجزاء شرط لذلك الخبر ثم يجزم جوابه وهو كذلك ومعناه الرفع لجيئه بعد الجزاء كما قال الشاعر

حلفت

ويؤكده قوله واتقوا النار التي أعدت للكافرين كان أبو حنيفة يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول العصاة وهم مسلمون فيها لان أكثر أهل النار الكفار فغلب جانبهم كما لو قلت أعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع من أن تركبها البعض حوائجك ومثله قوله في صفة الجنة أعدت للمتقين فانه لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه ان رجاء الرحمة موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به أصحاب الوعيد في ان من عصى الله ورسوله في شئ من الاشياء فهو ليس أهلا للرحمة وغيرهم يحمل الآية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله أطيعوا الله كالشئ الواحد لانهما متلازمان وتمسك كثير من الاصوليين به في أن ظاهر الامر يوجب الفور قالوا في الكلام محذوف والتقدير سارعوا الى ما يوجب مغفرة من ربكم ونكر المغفرة ليفيد المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن علي بن أبي طالب هو أداء الفرائض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لانه المقصود من جميع العبادات وعن أبي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة أحد وقال الاصم بادروا الى التوبة من الربا لانه ورد عقيب النهي عن الرباثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولا بد أن المكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين أن نفس السموات لا تكون عرضا لجنة فالمراد كعرض السموات لقوله في موضع آخر كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من

حلفت له ان يدلج الليل لا يزل * امامك بيت من بيوتي سائر

يعني لا يزل يرفع ولكنه جزم لجيئه بعد الجزاء فصار كالجواب ومثله أفائن مت فهم الخالدون وكيف تتقون ان كفرتم ولو كان مكان فهم الخالدون يخلدون وقيل أفائن مت يخلدوا جاز الرفع فيه والجزم وكذلك لو كان مكان انقلبتم تنقلبوا جاز الرفع والجزم لما وصفت قبل وتركت اعادة الاستفهام ثانية مع قوله انقلبتم اكتفاء بالاستفهام في أول الكلام وان الاستفهام في أوله دال على موضعه ومكانه وقد كان بعض القراء يختار في قوله أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ترك اعادة الاستفهام مع أئنا اكتفاء بالاستفهام في قوله أئذا كنا ترابا ويستشهد على صحة وجه ذلك باجتماع القراء على تركهم اعادة الاستفهام مع قوله انقلبتم اكتفاء بالاستفهام في قوله أفائن مات اذا كان دالا على معنى الكلام وموضع الاستفهام منه وكان يفعل مثل ذلك في جميع القرآن وسيأتي الصواب من القول في ذلك ان شاء الله اذا انتهينا اليه ۞ القول في تاويل قوله (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) يعني تعالى ذكره بذلك وما يموت محمدا ولا غيره من خلق الله الا بعد بلوغ أجله الذي جعله الله غاية لحياته وبقائه فاذا بلغ ذلك من الاجل الذي كتبه الله له واذن له بالموت فحينئذ يموت فاما قبل ذلك فلن تموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا أي ان لمحمد أجلا هو بالغه اذا أذن الله له في ذلك كان وقد قيل ان معنى ذلك وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقد اختلف أهل العربية في معنى الناصب قوله كتابا مؤجلا فقال بعض نحوي البصرة هو توكيد وتصبه على كتب الله كتابا مؤجلا قال وكذلك كل شئ في القرآن من قوله حقا انما هو أحق ذلك حقا وكذلك وعد الله ورحمة من ربك وصنع الله الذي أتقن كل شئ وكتاب الله عليكم انما هو صنع الله وهكذا صنعا فهكذا تفسير كل شئ في القرآن من نحو هذا فانه كثير وقال بعض نحوي الكوفة في قوله وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله معنى كتب الله آجال النفوس ثم قيل كتابا مؤجلا فاخرج قوله كتابا مؤجلا نصبا من المعنى الذي في الكلام اذ كان قوله وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله قد أدى عن معنى كتب قال وكذلك سائر ما في القرآن من نظائر ذلك فهو على هذا النحو وقال آخرون منهم قول القائل زيد قائم حقا بمعنى أقول زيد قائم حقا لان كل كلام قول فاذا دى القول عن القول ثم خرج ما بعد منه كما تقول أقول قولا حقا وكذلك ظنا ويقينا وكذلك وعد الله وما أشبهه والصواب من القول في ذلك عندي ان كل ذلك منصوب على المصدر من معنى الكلام الذي قبله لان في كل ما قبل المصادر التي هي مخالفة ألفاظها ألفاظ ما قبلها من الكلام معاني ألفاظ المصادر وان خالفتها في اللفظ فنصبها من معاني ما قبلها دون ألفاظه ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين) يعني بذلك جل ثناؤه ومن يرد منكم أيها المؤمنون بعمله جزاء منه بعض أعراض الدنيا دون ما عند الله من الكرامة لمن ابتغى بعمله ما عنده نؤته منها يقول نعطه منها يعني من الدنيا يعني انه يعطيه منها ما قسم له فيها من رزق أيام حياته ثم لا نصيب له في كرامة الله التي أعدها لمن أطاعه وطلب ما عنده في الآخرة ومن يرد ثواب الآخرة يقول ومن يرد منكم بعمله جزاء منه ثواب الآخرة يعني ما عند الله من كرامته التي أعدها للعاملين له في الآخرة نؤته منها يقول نعطه منها يعني من الآخرة والمعنى من كرامة الله التي خص بها أهل طاعته في الآخرة فخرج الكلام على الدنيا والآخرة والمعنى ما فيهما كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها أي فمن كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة في الآخرة نؤته ما نسم له منها من رزق ولا حظ له في الآخرة

طلقه وأبسطه ونظير خالدين فيها ما دامت السموات والارض لانهما أطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من أجزاء لا تتجزأ ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية ممكن السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما تكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له فلا بد أن تكون الجنة المملوكة لكل أحد مقدارها هكذا وقال أبو مسلم معنى العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على أن المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة أدنى من الطول واذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطائن في العادة تكون أدون حالا من الظهائر واذا كانت البطانة كذلك فكيف الظهارة وقال الفقال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة والاصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء وأجيب بعد تسليم كونها الآن مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروى أن رسول هرقل سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله ورسوله أعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وسئل أنس بن مالك عن الجنة أفي الارض أم في السماء فقال وأي أرض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت

ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وعده مع ما يجري عليه من رزقه في دنياه وأما قوله وسنجزي الشاكرين يقول وسأثيب من شكرني ما أوليته من احساني اليه بطاعته اياي وانتهائه الى أمري وتجنبه محارمي في الآخرة مثل الذي وعدت أولياءي من الكرامة على شكرهم اياي قال ابن اسحق في ذلك بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وسنجزي الشاكرين أي ذلك جزاء الشاكرين يعني بذلك اعطاء الله اياه ما وعده في الآخرة مع ما يجري عليه من الرزق في الدنيا ﴿ القول في تأويل قوله (وكأين من نبي) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم وكأين بهمز الالف وتشديد الياء وقرأه آخرون بمد الالف وتخفيف الياء وهما قراءتان مشهورتان في قراءة المسلمين ولغتان معروفتان لا اختلاف في معناهما فبأي القراءتين قرأ ذلك قارئ فمصيب لا تتفاوت معنى ذلك وشهرتهما في كلام العرب ومعناه وكم من نبي ﴿ القول في تأويل قوله (قتل معه ربيون كثير) اختلفت القراء في قراءة قوله قتل معه ربيون كثير فقرأ ذلك جماعة من قراء الحجاز والبصرة قتل بضم القاف وقرأه جماعة أخر بفتح القاف وبالالف وهي قراءة جماعة من قراء الحجاز والكوفة فأما من قرأ قاتل فانه اختار ذلك لانه قال لو قتلوا لم يكن لقوله فما وهنوا وجه معروف لانه يستحيل ان يوصفوا بانهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا وأما الذين قرؤا ذلك قتل فانهم قالوا انما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم وانما نفى الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ بضم القاف قتل معه ربيون كثير لان الله عز وجل انما عاتب بهذه الآيات والآيات التي قبلها من قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الذين انهزموا يوم أحد وتركوا القتال أو سمعوا الصائح يصيح ان محمدا قد قتل فعذلهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال وقال أفائن مات محمد أو قتل أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من اتباع الانبياء قبلهم وقال لهم هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من اتباع الانبياء قبلكم يفعلونه اذا قتل نبيهم من المضي على منهاج نبيهم والقتال على دينه أعداء دين الله على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم ولم يهنوا ولم يضعفوا كما لم يضعف الذين كانوا قبلهم من أهل العلم والبصائر من اتباع الانبياء اذا قتل نبيهم ولكنهم صبروا لاعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم وبذلك من التأويل جاء تأويل المتأولين وأما الربيون فانهم مرفوعون بقوله معه لا بقوله قتل وانما تأويل الكلام وكأين من نبي قتل ومعه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وفي الكلام اضمار واو لانها واو تدل على معنى حال قتل النبي صلى الله عليه وسلم غير انه اجتزأ بدلالة ما ذكر من الكلام عليها من ذكرها وذلك كقول القائل في الكلام قتل الامير معه جيش عظيم بمعنى قتل ومعه جيش عظيم وأما الربيون فان أهل العربية اختلفوا في معناه فقال بعض نحوي البصرة هم الذين يعبدون الرب واحدهم ربي وقال بعض نحوي الكوفة لو كانوا منسوبين الى عبادة الرب لكانوا ربيون بفتح الراء ولكنه العلماء والالوف والربيون عندنا الجماعة الكثيرة واحدهم ربي وهم جماعة واختلف أهل التأويل في معناه فقال بعضهم مثل ما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله الربيون الالوف حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري وابن عيينة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا

في حال الغنى والفقر لا يحالون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف انه وبما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بعنبة عنب فكان الفقير أنكر عليها فقالت احسب كم هي من مثقال ذرة وقيل في عرس أو حبس والمراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا يدعون الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان والانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم أو ساءهم بان كان مخالفا له فانهم لا يتركونه وفي افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة أولا لانه كان أهم في ذلك الوقت لاجل الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه ولم يظهره لا يعول ولا يفعل كأنه كتمه على امتلائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من أقسام الصبر والحلم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال أيضا ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل أن يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لامثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا جنى عليهم أحد لم يؤخذوه قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ليس الاحسان أن تحسن

عوف عن حدثه عن ابن عباس في قوله ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قاتل معه ربيون كثير قال جموع حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن عاصم عن زر عن عبد الله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الالوف وقال آخرون بما حدثني به سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال علماء كثير حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال فقهاء علماء حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الجموع الكثيرة قال يعقوب وكذلك قرأها اسمعيل قتل معه ربيون كثير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله قتل معه ربيون كثير قال علماء كثير قال قتادة جموع كثير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة في قوله ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل قتل معه ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة قتل بينهم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جعفر بن حيان والمبارك عن الحسن في قوله وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير قال جعفر علماء صبروا قال ابن المبارك اتقياء صبر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله قتل معه ربيون كثير يعني الجموع الكثيرة قتل بينهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قاتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال وكأين من نبي أصابه القتل ومعه جماعات حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الربيون الجموع الكثيرة وقال آخرون الربيون الاتباع ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الربيون الاتباع والربانيون الولاة والربيون الرعية وهذا عاتبهم الله حين انهزموا عنه حين صاح الشيطان ان محمدا قد قتل قال كانت الهزيمة عند صياحه في ثنة صاح أيها الناس ان محمدا رسول الله قد قتل فارجعوا الى عشائركم يؤمنوكم ۞ القول في تأويل قوله (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) يعني بقوله تعالى ذكره فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذي نالهم في سبيل الله ولا لقتل من قتل منهم عن حرب أعداء الله ولا نكلوا عن جهادهم وما ضعفوا يقول وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم وما استكانوا يعني وما ذلوا ولا تخشعوا لعدوهم بالدخول في دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم ولكن مضوا قدما على بصائرهم

الى من أحسن اليك ذلك مكافاة لما الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك والله يحب المحسنين يجوز أن يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن
ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء وذلك ان من أنواع الاحسان ايصال النفع الى الغير
وهو المعنى بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم وبالنفس والجود بالنفس أقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة أخرى وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الآخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد أعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان منها لا التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقال في رواية الكلبي ان رجلين أنصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فكانا لا يفترقان في أحوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر وخلف الانصاري في أهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى اليها فذهب ليلتزمها فوضعت كفها على وجهها فاقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحى فادبر راجعا فقال سبحان الله خنت أمانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال وندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته أهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي قد خنت أخي فقال له يا فلان يقول قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله عن ذنبك لعل الله أن يجعل لك فرجا وتوبة فأقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذلك

ومنهاج نبيهم صبرا على أمر الله وأمر نبيهم وطاعة الله واتباعا لتنزيله ووحيه والله يحب الصابرين يقول والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لامره وطاعته وطاعة رسوله في جهاد عدوه لا من فشل فغر عن عدوه ولا من انقلب على عقبيه فذل لعدوه لأن قتل نبيه أو مات ولا من دخله وهن عن عدوه وضعف لفقد نبيه وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا يقول ما عجزوا وما تضعضعوا لقتل نبيهم وما استكانوا يقول ما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا يقول ما عجزوا وما ضعفوا للقتل نبيهم وما استكانوا يقول وما ارتدوا على نصرتهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي فما وهنوا فما وهن الربيون لما أصابهم في سبيل الله من قتل النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما ضعفوا في سبيل الله لقتل النبي وما ضعفوا وما استكانوا يقول ما ذلوا حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ليس لهم ان يعلونا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فما وهنوا لفقد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم وذلك الصبر والله يحب الصابرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وما استكانوا قال تخشعوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وما استكانوا قال ما استكانوا لعدوهم والله يحب الصابرين ۞ القول في تاويل قوله (وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) يعني تعالى ذكره بقوله وما كان قولهم وما كان قول الربيين والهاء والميم من ذكر أسماء الربيين الا ان قالوا يعني ما كان لهم قول سوى هذا القول اذ قتل نبيهم وقوله ربنا اغفر لنا ذنوبنا يقول لم يعتصموا اذ قتل نبيهم الا بالصبر على ما أصابهم ومجاهدة عدوهم ومسألة ربهم المغفرة والنصر على عدوهم ومعنى الكلام وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وأما الاسراف فانه الافراط في الشيء يقال منه أسرف فلان في هذا الامر اذا تجاوز مقداره فافرط ومعناه ههنا اغفر لنا ذنوبنا الصغار منها وما أسرفنا فيه منها فتخطينا الى العظام وكان معنى الكلام اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله واسرافنا في أمرنا قال خطايانا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واسرافنا في أمرنا خطايانا وظلمنا أنفسنا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله واسرافنا في أمرنا يعني الخطايا الكبار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم قال الكبائر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واسرافنا في أمرنا قال خطايانا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واسرافنا في أمرنا يقول خطايانا وأما قوله وثبت أقدامنا فانه يقول اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك وقتالهم ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفر منهم ولا يثبت قدمه في مكان واحد لحربهم وانصرنا على القوم الكافرين يقول وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ونبوة نبيك وانما هذا تاديب من الله عز وجل عباده الذين فروا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم وتاديب لهم

يوم عند صلاة العصر نزل جبريل عليه السلام بتوبته فقال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم أجر العاملين فقال عمر يا رسول الله أخاص هذا لهذا أم للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أبنو اسرائيل كانوا أكرم على الله منا كانوا اذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع أذنك أجدع أنفك افعل كذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم وبين انهم أكرم على الله منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف أي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح أو ظلموا أنفسهم اذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذ الانسان به وقيل الفاحشة هي الزنا لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس مادونه من القبلة واللمسة وهذا القول أنسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه صلى الله عليه وسلم كان مامورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله أي وعيده أو عقابه وانه سائلهم أو نهيه أو جلاله الموجب للخشية والحياء منه أو ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الفضيل ومقاتل والواحدي ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقيل المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من آداب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذلك لا أثر له في ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا

بقول الله عز وجل هلا فعلتم اذ قيل لكم قتل نبيكم كما فعل هؤلاء الربيون الذين كانوا قبلكم من اتباع الانبياء اذ قتلت أنبياؤهم فصبرتم لعدوكم صبرهم ولم تضعفوا وتستكينوا لعدوكم فتعاولوا الارتداد على أعقابكم كما يضعف هؤلاء الربيون ولم يستكينوا لعدوهم وسألتم ربكم النصر والظفر كما سألوا فينصركم الله عليهم كما نصر وافان الله يحب من صبر لامر. وعلى جهاد عدوه فيعطيه النصر والظفر على عدوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين أي فقولوا كما قالوا واعلموا انما ذلك بذنوب منكم واسراف كما استغفروا وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين واسألوا كما سألوه أن يثبت أقدامكم واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين فكل هذا من قولهم قد كان وقد قتل نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم والقراءة التي هي القراءة في قوله وما كان قولهم النصب لاجماع قراء الامصار على ذلك نقلا مستفيضا وراثة عن الحجة وانما اختير النصب في القول لان الا أن لا تكون الا معرفة فكانت أولى بان تكون في الاسم دون الاسماء التي قد تكون معرفة أحيانا ونكرة أحيانا ولذلك اختير النصب في كل اسم ولي كان اذا كان بعده ان الخفيفة كقوله وما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وقوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا فاما اذا كان الذي يلي كان اسما معرفة والذي بعده مثله فسوأ الرفع والنصب في الذي ولي كان فان جعلت الذي ولي كان هو الاسم رفعته ونصبت الذي بعده وان جعلت الذي ولي كان هو الخبر نصبته ورفعت الذي بعده وذلك كقوله جل ثناؤه ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوآى ان جعلت العاقبة الاسم رفعتها وجعلت السوآى هو الخبر منصوبة وان جعلت العاقبة الخبر نصبت فقلت وكان عاقبة الذين أساؤا السوآى وجعلت السوآى هي الاسم فكانت مرفوعة وكما قال الشاعر

لقد علم الاقوام ما كان داءها * بثهلان الا الخزي ممن يقودها

وروي أيضا ما كان داؤها بثهلان الا الخزي نصبا ورفعا على ما قد بينت ولو فعل مثل ذلك مع أن كان جائزا غير ان أفصح الكلام ما وصفت عند العرب ۞ القول في تاويل قوله (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) يعني بذلك تعالى ذكره فاعطى الله الذين وصفهم بما وصفهم من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم وعلى جهاد عدوهم والاستعانة بالله في أمورهم واقتفائهم مناهج أنبيائهم على ما باوا في الله ثواب الدنيا يعني جزاء في الدنيا وذلك النصر على عدوهم وعدو الله والظفر والفتح عليهم والتمكين لهم في البلاد وحسن ثواب الآخرة يعني وخير جزاء الآخرة على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة وذلك الجنة ونعيمها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا فقرأ حتى بلغ والله يحب المحسنين أي والله لا تاهم الله الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوهم في الدنيا وحسن ثواب الآخرة يقول حسن الثواب في الآخرة هي الجنة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا فقرأ حتى بلغ والله يحب المحسنين أي والله لا تاهم الله الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوهم في الدنيا وحسن ثواب الآخرة يقول حسن الثواب في الآخرة هي الجنة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان قولهم ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله فآتاهم الله ثواب الدنيا قال النصر والغنيمة وحسن ثواب الآخرة قال رضوان الله ورحمته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فآتاهم الله ثواب الدنيا حسن الظهور على عدوهم وحسن ثواب الآخرة الجنة وما أعد فيها وقوله والله يحب المحسنين يقول تعالى ذكره فعل الله ذلك بهم باحسانهم فانه يحب المحسنين وهم الذين يفعلون مثل الذي وصف عنهم تعالى ذكره انهم فعلوه حين قتل نبيهم ۞ القول في تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا

الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) يعني بذلك تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه ان تطيعوا الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فيما يأمرونكم به وفيما ينهونكم عنه فتقبلوا رأيهم في ذلك وتنتصحوهم فيما تزعمون انهم لكم فيه ناصحون يردوكم على أعقابكم يقول يحملوكم على الردة بعد الايمان والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الاسلام فتنقلبوا خاسرين يقول فترجعوا عن ايمانكم ودينكم الذي هداكم الله له خاسرين يعني هالكين فتخسرتم أنفسكم وضللتم عن دينكم وذهبت دنياكم وآخرتكم ينهى بذلك أهل الايمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم ويتنصحوهم في أديانهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين أي عن دينكم فتذهب دنياكم وآخرتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا قال ابن جريج لا تنتصحوا اليهود والنصارى على دينكم ولا تصدقوهم بشيء في دينكم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين يقول ان تطيعوا أبا سفيان يردوكم كفارا ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) يعني بذلك تعالى ذكره ان الله مسددكم أيها المؤمنون فنقذكم من طاعة الذين كفروا وانما قيل بل الله مولاكم لان في قوله ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم نهيا لهم عن طاعتهم فكأنه قال يا أيها الذين آمنوا لا تطيعوا الذين كفروا فيردوكم على أعقابكم ثم ابتدأ الخبر فقال بل الله مولاكم فاطيعوه دون الذين كفروا فهو خير من نصر ولذلك رفع اسم الله ولو كان منصوبا على معنى بل أطيعوا الله مولاكم دون الذين كفروا كان وجها صحيحا يعني بقوله بل الله مولاكم ووليكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا وهو خير الناصرين لا من فررتم اليه من اليهود وأهل الكفر بالله فبالله الذي هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا واياه فانتصروا دون غيره ممن يبغيكم الغوائل ويرصدكم بالمكاره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بل الله مولاكم ان كان ما تقولون بالسنتكم صدقا في قلوبكم وهو خير الناصرين أي فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينكم ۞ القول في تأويل قوله (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) يعني بذلك جل ثناؤه سألقي أيها المؤمنون في قلوب الذين كفروا بربهم وجحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ممن حاربكم بأحد الرعب وهو الجزع والهلع بما أشركوا بالله يعني بشركهم بالله وعبادتهم الاصنام وطاعتهم الشيطان التي لم أجعل لهم بها حجة وهي اللسان التي أخبر عز وجل انه لم ينزله بكفرهم وشركهم وهذا وعد من الله جل ثناؤه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائهم والفلج عليهم ما استقاموا على عهده وتمسكوا بطاعته ثم أخبرهم ما هو فاعل بأعدائهم بعد مصيرهم اليه فقال جل ثناؤه ومأواهم النار يعني ومرجعهم الذي يرجعون اليه يوم القيامة النار وبئس مثوى الظالمين يقول وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقاب الله النار كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اني ملق في قلوب الذين كفروا الرعب الذي به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بي مالم أجعل لهم به حجة أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما عصيتم وتابعتم أمري للمعصية التي أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لانفسكم خالفتم بها أمري وعصيتم فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد

الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كل قبيح فقد نهى عنه كما انه يقتضي ايقاع العبد في العقاب فبكمال رحمته وعفوه يقتضي ازالة ذلك أو نحو ولا سيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار والتنصل بما قصى ما يمكن للعبد وفي كتاب مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم انك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة وعن علي رضي الله عنه قال حدثني أبو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا ولم يقيموا على قبح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صرورة الصرة شدتها وصر الفرس أذنيه ضم بما الى رأسه وأصر أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل أصروا وحرف النهي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب وأردت نفي المجيء بالركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم يعلمون بقبحها ابن بالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر العالم ويحتمل أن يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن القبائح

فيعتبر بجري قوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث وعلى هذا يجوز أن يراد نفي الاصرار في حالة النوم لا نفيه مطلقا كما لو أريد في المثال المذكور
نفي المجيء في حال الركوب لا نفي المجيء على الاطلاق أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وهي (٧٧) اشارة الى ازالة العقاب وجنات تجري

ابن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق ثم انهم ندموا فقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوا فقذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب فانهزموا فلقوا أعرابيا فجعلوا له جعلا وقالوا له ان لقيت محمدا فاخبرهم بما قد جمعنا لهم فاخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد فانزل الله عز وجل في ذلك فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وما قذف في قلبه من الرعب فقال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ۞ القول في تاويل قوله (ولقد صدقكم الله وعده) يعني بقوله تعالى ذكره ولقد صدقكم الله وعده أيها المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم باحد وعده الذي كان وعدهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والوعد الذي كان وعدهم على لسانه باحد قوله للرماة اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا وان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم النصر بوعدان انتهوا الى أمره كالذي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال لما بارز رسول الله صلى الله عليه وسلم لي المشركين باحد أمر الرماة فقاموا باصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير ثم ان طلحة ابن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال يا معشر أصحاب محمد انكم تزعمون ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي الى الجنة أو يعجلني بسيفه الى النار فقام اليه علي بن أبي طالب فقال والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي الى النار أو يعجلني بسيفك الى الجنة فضربه علي فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال أنشدك الله والرحم يا ابن عم فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي أصحابه ما منعك أن تجهز عليه قال ان ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود على المشركين فهزماهم وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ثم حمل فقتل الرماة ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تنادوا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم حدثنا هرون بن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن البراء قال لما كان يوم أحد ولقينا المشركين أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا بازاء الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير وقال لهم لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا فلما لقي القوم هزم المشركين حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخلهن فجعلوا يقولون الغنيمة الغنيمة قال عبد الله مهلا أنسيتم ما عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فابوا فانطلقوا فلما أتوهم صرف الله وجوههم فاصيب من المسلمين سبعون قتيلا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء بنحوه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه فان أبا سفيان أقبل في ثلاث ليال خلون من شوال حتى نزل أحدا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن في الناس فاجمعوا وأمر على الخيل

من تحتها الانهار خالدين فيها وهذه اشارة الى ايصال الثواب ونعم أجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس جزاء على عملهم وذلك انه سمى الجزاء أجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء ولقائل أن يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا أيضا بالآية على ان أهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب ما مر ان كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب أن لا يدخلها غيرهم بفضل الله وبرحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تامل أحوال القرون الخالية فقال قد خلت من قبلكم سنن وأصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه وكانه أجراه على نهج واحد أو من سننت النصل أحددته أو من سن الابل اذا أحسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستئصال بدليل قوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها تم انقرضوا ولم يبق من دنياهم أثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة هذا قول أكثر المفسرين

قال بعضهم المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر ولكن لما كان من بقي له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التأمل في حال أحد القسمين يكفي في معرفة حال القسم

الزبير بن العوام ومعه يومئذ المقداد بن الاسود الكندي وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء رجلا من قريش يقال له مصعب بن عمير وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحسر وبعث حمزة بين يديه وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن أبي جهل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير وقال استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه حتى أوذنك وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر فقال لا تبرحوا حتى أوذنكم وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى فارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى الزبير أن يحمل فحمل على خالد بن الوليد فهزمه ومن معه فقال لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وان الله وعد المؤمنين أن ينصرهم وأنه معهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم بن عبد الله الزبيري أن محمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا في قصة ذكرها عن أحد ذكر أن كلهم قد حدث ببعضها وان حديثهم اجتمع فيما ساق من الحديث فكان فيما ذكر في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا تقاتلوا حتى نؤمر بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمعة من فناء المسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال أترعى زروع بني قيلة ولما تضارب وصفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهم سبط ما ئة رجل وتصاف قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ معلم بشياب بيض والرماة خمسون رجلا وقال انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا تؤتين من قبلك فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض واقتتلوا حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة تحتي أمعن في الناس وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين فانزل الله عز وجل نصره وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم وكانت الهزيمة لا شك فيها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن يحيى بن عباس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده قال قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوازم ما دون احداهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فاتينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد ان هزمنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله ولقد صدقكم الله وعده أي لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولقد صدقكم الله وعده وذلك يوم أحد قال لهم انكم ستظهرون فلا تأخذوا ما أصبتم من غنائمهم شيا حتى تغنموا فاقتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ووقعوا في الغنائم ونسوا عهده الذي عهده اليهم وخالفوا الى غير ما أمرهم به ۞ القول في تأويل قوله (اذ تحسونهم باذنه) يعني تعالى ذكره بذلك ولقد وفى الله لكم أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وعدكم من النصر على عدوكم باحد حين تحسونهم يعني حين تقتلونهم يقال منه حسه يحسه حسا اذا قتله كما حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي قال ثنا يعقوب بن عيسى قال ثني عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف في قوله اذ تحسونهم

الاخر أولان الغرض زجر المؤمنين عن كفرهم وذلك انما يحصل بتأمل أحوال أمثالهم وليس المراد من قوله فسيروا في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف أحوالهم الى السير لان لمشاهدة آثار الاقدمين أثرا أقوى من أثر السماع كما قيل ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار هذا بيان المشار اليه هذا اما أن يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به من الاجر واما أن يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من آثارهلاكهم اما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان أحدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الى البغية وأقول يشبه أن يكون البيان عاما لجميع المكلفين وبأي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وخص المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مؤثر كما بين هذه المقدمات ومهد هذا كله ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كأنه قال اذا تحتم عن أحوال القرون الخالية علم ان صولة الباطل ضعيفة وأن العاقبة والغلبة للارباب الحق والوهن الضعف أي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثكم ما أصابكم يوم أحد وهنا وجبنا ولا

باذنه

باذنه قال الحسن القتل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن أبي الزناد عن أبيه قال سمعت عبيد الله بن عبد الله يقول في قول الله عز وجل اذ تحسونهم قال القتل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ تحسونهم باذنه قال تقتلونهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم أي قتلا باذنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اذ تحسونهم يقول اذ تقتلونهم حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع اذ تحسونهم باذنه والحس القتل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه يقول تقتلونهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تحسونهم باذني أي بالقتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن اذ تحسونهم باذنه يعني القتل حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله اذ تحسونهم باذنه يقول تقتلونهم وأما قوله باذنه فانه يعني بحكمي وقضائي لكم بذلك وتسليطي اياكم عليهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تحسونهم باذني وتسليطي أيديكم عليهم وكفي أيديهم عنكم ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) يعني بقوله جل ثناؤه حتى اذا فشلتم حتى اذا جبنتم وخصمتم وتنازعتم في الامر يقول واختلفتم في أمر الله يقول وعصيتم وخالفتم نبيكم فتركتم أمره وما عهد اليكم وانما يعني بذلك الرماة الذين كان أمرهم صلى الله عليه وسلم بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشعب باحد باز اء خالد بن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين الذين ذكرنا قبل أمرهم وأما قوله من بعد ما أراكم ما تحبون فانه يعني بذلك من بعد الذي أراكم الله أيها المؤمنون بمحمد من النصر والظفر بالمشركين وذلك هو الهزيمة التي كانوا هزموهم عن نسائهم وأموالهم قبل ترك الرماة مقاعدهم التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعدهم فيها وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين من ورائهم وبنحو الذي قلنا تظاهرت الاخبار عن أهل التأويل وقد مضى ذكر بعض من قال وسنذكر قول بعض من لم يذكر قوله فيما مضى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وذاكم يوم أحد عهد اليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بامر فنسوا العهد وجاوزوا وخالفوا ما أمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فنصر عنهم عدوهم بعد ما أراهم من عدوهم ما يحبون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناسا من الناس يعني يوم أحد فكانوا من ورائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا هاهنا فردوا وجه من قد أمنا وكونوا حرسا لنا من قبل ظهورنا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم القوم هو وأصحابه اختلف الذين كانوا جعلوا من ورائهم فقال بعضهم لبعض لما رأوا النساء صعدات في الجبل ورأوا الغنائم انطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوا الغنيمة قبل أن يسبقوا اليها وقالت طائفة أخرى بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا فذلك قوله منكم من يريد الدنيا الذين أرادوا الغنيمة ومنكم من يريد الآخرة الذين قالوا نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونثبت مكاننا فانوا محمدا صلى الله عليه وسلم فكان فشلا حين تنازعوا بينهم يقول وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون كانوا قد رأوا الفتح والغنيمة حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع حتى اذا فشلتم يقول جبنتم عن عدوكم وتنازعتم في الامر يقول اختلفتم وعصيتم من بعد ما أراكم

كقوله والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما أن يكون قيدا لقوله وأنتم الاعلون أي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما أن يكون قيدا لقوله ولا تهنوا أي ان صح ايمانكم بالله وبحقية هذا الدين فلا تضعفوا ولا تفتكم بأن الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فبيناهم كذلك اذ أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريدان يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل الله تعالى هذه الآية وتاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وأنتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد كئيبا حزينا جعلت المرأة تجيء بزوجها وأبيها وابنها مقتولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهكذا تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز وقيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم ألم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا أن المفتوحة تؤنث انما جمع قرحة ومعنى الآية ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبل ذلك في يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم أولى بان لا تفتروا ولا تجبنوا لنظيره فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقتل الغرجان في يوم أحد وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار بضعة عشر من رجلا وقتل صاحبا لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت

عاشتهم بالنيل وقد كانت الهزيمة عليهم في أول النهار كما يجيء من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازمة وانما تكون في المثلية في نفس القتل والجراحة وتلك الايام نداولها مبتدأ وخبره نداولها وتلك مبتدأ والايام خبره كقولك هي الايام تبلى كل جديد فان الضمير لا يوصف ويكون تلك اشارة الى الوقائع والاحوال العجيبة التي يعرفها أهل التجارب من أبناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدمه والمداولة نقل الشيء من واحد الى آخر ويقال تداولته الايدي أي تناقلته والدنيا دول أي تنتقل لما تقدم تفسيره من قوم الى آخرين لا تدوم مسارها ومغارمها فيوم يحصل فيه السرور وله فيوالغم لغيره ويوم آخر بالعكس فلا يبقى شيء من أحوالها ولا يستقر أثرين آثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوءة وأخرى فارغة وليس المراد من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا ينال الكافرون بل المراد انه تارة يشدد المحنة على الكافرين وأخرى على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وأزالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة أن تكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه والى هذا يشير في قوله سبحانه وليعلم الله الذين آمنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل مذهب ويقرر الفوائد والتقدير نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة ولكن في ضمنها مصالح جمة وعرفوها انقلبت مساءتهم مسرة منها ان يعلم

ما تحبون وذلك يوم أحد قال لهم انكم ستظهرون فلا أعرفن ما أصبتم من غنائمهم شيأ حتى تفرغوا فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ووقعوا في الغنائم ونسوا عهده الذي عهده اليهم وخالفوا الى غير ما أمرهم به فانصرف عليهم عدوهم من بعد ما أراهم فيهم ما يحبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج حتى اذا فشلتم قال ابن جريج قال ابن عباس الفشل الجبن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون من الفتح حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق حتى اذا فشلتم أي تجادلتم وتنازعتم في الامر أي اختلفتم في أمري وعصيتم أي تركتم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم وما عهد اليكم يعني الرماة من بعد ما أراكم ما تحبون أي الفتح لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن المبارك عن الحسن من بعد ما أراكم ما تحبون يعني من الفتح وقيل معنى قوله حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون انه من المقدم الذي معناه التأخير وان الواو دخلت في ذلك ومعناها السقوط كما قلنا فلما أسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه وهذا مقول لي حتى اذا وفي فلما ان دفني ٧ ومنه قول الله عز وجل حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج ثم قال واقترب الوعد الحق ومعناه اقترب وكما قال الشاعر

حتى اذا ملئت بطونكم * ورأيتم أبناءكم شبوا

وقلبتم ظهر المجن لنا * ان اللئيم العاجز الخب

❁ القول في تاويل قوله (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) يعني جل ثناؤه بقوله منكم من يريد الدنيا الذين تركوا مقعدهم الذي أقعدهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب من أحد لطلب المشركين ولحقوا بعسكر المسلمين طلب النهب اذ رأوا هزيمة المشركين ومنكم من يريد الآخرة يعني بذلك الذين ثبتوا من الرماة في مقاعدهم التي أقعدهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا أمره ابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم والدار الآخرة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فالذين انطلقوا يريدون الغنيمة هم أصحاب الدنيا والذين بقوا وقالوا لا نخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادوا الآخرة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فان نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم أحد طائفة من المسلمين فقال كونوا مسلحة للناس بمنزلة أمرهم أن يثبتوا بها وأن مرهم أن لا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم فلما لقي نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبا سفيان ومن معه من المشركين هزمهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المسلحة ان الله عز وجل هزم المشركين انطلق بعضهم وهم يتنادون الغنيمة الغنيمة لا تفتكم وثبت بعضهم مكانهم وقالوا لا نريم موضعنا حتى يأذن لنا نبي الله صلى الله عليه وسلم ففي ذلك نزل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فكان ابن مسعود يقول ما شعرت أن أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس لما هزم الله المشركين يوم أحد قال الرماة أدركوا الناس ونبي الله صلى الله عليه وسلم لا يسبقوكم الى الغنائم فتكون لهم دونكم وقال بعضهم لا نريم حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة قال ابن جريج قال ابن مسعود ما عنا ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ

أقول وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الآية ونحوها كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا على أنه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه وتأويل الآية ان اطلاق مجاز مشهور يقال هذا اعلم فلان أو قدرته والمراد معلومه أو مقدوره فكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الآية ليظهر معلومنا وهو المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم أولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم وعلى الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير وليعلمهم مميزين عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق وليعلم بعده ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة كقوله لتكونوا شهداء على الناس فان كونهم كذلك منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد أو المراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر ابن شميل لانهم أحياء حضروا دار الاسلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال ابن الانباري لان الله وملائكته

ثم مثل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن المبارك عن الحسن منكم من يريد الدنيا هؤلاء الذين يختارون الغنائم ومنكم من يريد الآخرة الذين يبتغونهم يقتلونهم حدثني الحسين ابن عمرو بن محمد العبقري قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي عن عبد خير قال قال عبد الله ما كنت أرى أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي عن عبد خير قال قال ابن مسعود ما كنت أظن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحدا يريد الدنيا حتى قال الله ما قال حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال عبد الله بن مسعود لما رآهم وقعوا في الغنائم ما كنت أحسب ان أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان اليوم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال كان ابن مسعود يقول ما شعرت ان أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق منكم من يريد الدنيا أي الذين أرادوا النهب ورغبة في الدنيا وتركوا ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ومنكم من يريد الآخرة أي الذين جاهدوا في الله لم يخالفوا الى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة في ما جاء عند الله من حسن ثوابه في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) يعني بذلك جل ثناؤه ثم صرفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم وفي أنفسكم من هزيمتكم وظهوركم عليهم فرد وجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسولي ومخالفتكم طاعته وايثاركم الدنيا على الآخرة عقوبة لكم على ما فعلتم ليبتليكم ليختبركم فيتميز المنافق منكم من المخلص الصادق في ايمانه منكم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي ثم ذكر حين مال عليهم خالد بن الوليد ثم صرفكم عنهم ليبتليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن في قوله ثم صرفكم عنهم قال صرف القوم عنهم فقتل من المسلمين بعدة من أسروا يوم بدر وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وسج في وجهه وكان يسيح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شئ الآية فقالوا أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا النصر فانزل الله عز وجل ولقد صدقكم الله وعده الى قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم صرفكم عنهم ليبتليكم أي صرفكم عنهم ليختبركم وذلك ببعض ذنوبكم ۞ القول في تأويل قوله (ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) يعني بقوله جل ثناؤه ولقد عفا عنكم ولقد عفا الله أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتاركون طاعته فيما تقدم اليكم من لزوم الموضع الذي أمركم بلزومه فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذي أتيتموه مما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم اياكم وصرف وجوهكم عنهم اذ لم يستأصل جمعكم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن في قوله ولقد عفا عنكم قال قال الحسن وصفق يديه وكيف عفا عنهم وقد قتل منهم سبعون وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشج في وجهه قال ثم يقول عز وجل قد عفوت عنكم اذ عصيتموني ان لا أكون استأصلتكم قال ثم يقول الحسن هؤلاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله غضاب لله يقاتلون أعداء الله هم واعن شئ فضعوه فوالله ما تركوا حتى غموا بهذا الغم فافسق الفاسقين اليوم يفعل كل كبيرة ويركب كل داهية ويسحب عليها ثيابه ويزعم أن لا بأس عليه فسوف يعلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

شهدوا له بالجنة والله لا يحب الظالمين أي المشركين ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البأساء وهو اعتراض بين بعض المعللات وبعض وقيسان دولة

على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين أي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو آثار الكفار وهذه مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق أولئك باهلاك أنفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بتدريج ومهل ليقطع طرفا بنقصها من أطرافها، التأويل لا تاكلوا الربا ما يؤدي الى الحرص على طلب الدنيا أضعافا مضاعفة الى ما لا يتناهى فلا يملأ جوف ابن آدم الا التراب واتقوا الله خطاب للخواص أي اتقوا بالله عن غير الله في طلب الله لعلكم تفلحون من حجب ما سوى الله وتظفرون بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم أرباب الوسائط بقوله واتقوا بالقناعة النار أي نار الحرص التي تورى منها نار القطيعة وجوزوا بقدمي طاعة الله وطاعة رسوله ثم أخبر عن المسارعة الى الجنان بمسارعة النفس والجنان عرضها السموات أي المسافة بين العبد وبينها هذا القدر لان الوصول اليها بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من عيسى انه قال لم يبلغ ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية ينفقون أموالهم في السراء وأرواحهم في الضراء بل من سوى الله في طلب الله فعلوا فاحشة هي رؤية غير الله أو ظلموا أنفسهم بالتعلق بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه ورؤيته ومن يغفر ومن يستر على بكشف عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من رؤية الوسائط والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شئ ما خلا الله باطل أو انهم

عن ابن جريج قوله ولقد عفا عنكم قال لم يستأصلكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد عفا عنكم ولقد عفا الله عن عظيم ذلك لم يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ولكن عدت بفضلي عليكم وأما قوله والله ذو فضل على المؤمنين فانه يعني والله ذو طول على أهل الايمان به وبرسوله بعفوه لهم عن كثير ما يستوجبون به العقوبة عليه من ذنوبهم فان عاقبهم على بعض ذلك فذو احسان اليهم بجميل أياديه عندهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين يقول وكذلك من الله على المؤمنين ان عاقبهم ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدبا وموعظة فانه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم لما أصابوا من معصيته رحمة لهم وعائدة عليهم لما فيهم من الايمان ۞ القول في تاويل قوله (اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) يعني بذلك جل ثناؤه ولقد عفا عنكم أيها المؤمنون اذ لم يستأصلكم اهلا كا منه جمعكم بذنوبكم وهربكم اذ تصعدون ولا تلوون على أحد واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق والشام سوى الحسن البصري اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين وبه القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء على القراءة به واستنكارهم ما خالفه وروي عن الحسن البصري انه كان يقرؤه اذ تصعدون بفتح التاء والعين حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن يونس بن عبيد عن الحسن فاما الذين قرؤا تصعدون بضم التاء وكسر العين فانهم وجهوا معنى ذلك الى أن القوم حين انهزموا عن عدوهم أخذوا في الوادي هاربين وذكروا أن ذلك في قراءة أبي اذ تصعدون في الوادي حدثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو عبيد قال ثنا حجاج عن هرون قالوا الهرب في مستوى الارض وبطون الاودية والشعاب اصعاد لا صعود قالوا انما يكون الصعود على الجبال والسلاليم والدرج لان معنى الصعود الارتقاء والارتفاع على الشئ علوا قالوا فاما الاخذ في مستوى الارض والهبوط فانما هو اصعاد كما يقال أصعدنا من مكة اذا ابتدأت في السفر منها والخروج وأصعدنا من الكوفة الى خراسان بمعنى خرجنا منها سفرا اليها وابتدأنا منها الخروج اليها قالوا وانما جاء تاويل أكثر أهل التأويل بان القوم أخذوا عند انهزامهم عن عدوهم في بطن الوادي ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تلوون على أحد ذكر لنا أن نبي الله أحد أصعدوا في الوادي ونبي الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم في أخراهم قال الى عباد الله وأما الحسن فاني أراه ذهب في قراءته اذ تصعدون بفتح التاء والعين الى أن القوم حين هزموا عن المشركين صعدوا الجبل وقد قال ذلك عدد من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال لما شد المشركون على المسلمين باحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عباد الله الى عباد الله فذكر الله صعودهم على الجبل ثم ذكر دعاء نبي الله صلى الله عليه وسلم اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال انحازوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون في الجبل والرسول يدعوهم في أخراهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله اذ تصعدون ولا تلوون على أحد قال صعدوا في أحد فرارا * قال أبو جعفر وقد ذكرنا ان أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين بمعنى السبق والهرب في مستوى الارض أو في المهابط لاجماع الحجة على ان ذلك هو القراءة الصحيحة فني اجماعها

على ذلك الدليل الواضح على أن أولى التاويلين بالآية تاويل من قال اصعدوا فى الوادى ومضوا فيه دون قول من قال صعدوا على الجبل وأما قوله ولا تلوون على أحد فانه يعنى ولا تعطفون على أحد منكم ولا يلتفت بعضكم الى بعض هربا من عدوكم مصعدين فى الوادى يعنى بقوله والرسول يدعوكم فى أخراكم و رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه فى أخراكم يعنى انه يناديكم من خلفكم الى عباد الله الى عباد الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس والرسول يدعوكم فى أخراكم الى عباد الله ارجعوا الى عباد الله ارجعوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والرسول يدعوكم فى أخراكم رأى أنبى الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أنبأهم الله بالغرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم لا يعطفون عليه لدعائه اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والرسول يدعوكم فى أخراكم هذا يوم أحد حين انكشف الناس عنه ۞ القول فى تاويل قوله (فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون) يعنى بقوله جل ثناؤه فاثابكم غما بغم يعنى جازاكم بغمكم عن نبيكم وفشلكم عن عدوكم ومعصيتكم ربكم غما بغم يقول غما على غم وسمى العقوبة التى عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال ثوابا اذ كان ذلك من عملهم الذى سخطه ولم يرضه منهم فدل بذلك جل ثناؤه ان كل عوض كان لمعوض من شئ من العمل خيرا كان أو شرا أو العوض الذى بذله رجل لرجل أو يسلفه اليه فانه مستحق اسم ثواب كان ذلك العوض تكرمة أو عقوبة وتظير ذلك قول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه * دراهم سودا أو محدرجة سمرا

فجعل العطاء العقوبة وذلك كقول القائل لآخر سلف اليه منه مكروه لاجزينك على ذلك ولاثيبنك ثوابك وأما قوله غما بغم فانه قيل غما بغم معناه غما على غم كما قيل ولاصلبنكم فى جذوع النخل بمعنى ولاصلبنكم على جذوع النخل وانما جاز ذلك لان معنى قول القائل أثابك الله غما على غم جزاك الله غما بعد غم يقدمه فكان كذلك معنى فاثابكم غما بغم لان معناه فجزاكم الله غما بعقب غم يقدمه وهو نظير قول القائل نزلت بنى فلان ونزلت على بنى فلان وضربته بالسيف وعلى السيف واختلف أهل التاويل فى الغم الذى أثيب القوم على الغم وما كان غمهم الاول والثانى فقال بعضهم أما الغم الاول فكان ما تحدث به القوم أن نبيهم صلى الله عليه وسلم قد قتل وأما الغم الآخر فانه كان ما نالهم من القتل والجراح ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاثابكم غما بغم كانوا تحدثوا يومئذ أن نبى الله صلى الله عليه وسلم أصيب وكان الغم الآخر قتل أصحابهم والجراحات التى أصابتهم قال وذكر لنا انه قتل يومئذ سبعون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وستون رجلا من الانصار وأربعة من المهاجرين وقوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم يقول ما فاتكم من غنيمة القوم ولا ما أصابكم فى أنفسكم من القتل والجراحات حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فاثابكم غما بغم قال فرة بعد فرة الاولى حين سمعوا الصوت أن محمدا قد قتل والثانية حين رجع الكفار فضربوهم مدبرين حتى قتلوا منهم سبعين رجلا ثم انحازوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون فى الجبل والرسول يدعوهم فى أخراهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه وقال آخرون بل غمهم الاول كان

سماء فلوبكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية لاتهموا أيها السائرون فى السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم من اللذات الفانية وأنتم الاعلون من أهل الدنيا والآخرة لانكم من أهل الله ان يمسسكم فى أثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح محن مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوما نعمة و يوما نقمة و يوما منحة و يوما محنة ويتخذ منكم شهداء أرباب المشاهدات والمكاشفات وليمحص الله فيه اشارة الى ان كل ألم ونصب يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه وتكفير لسره وما يصيب الكافر من نعمة ودولة وغنى ومنى فهو سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه وبوجه آخر البلاء لاهل الولاء تمحيص للقلوب عن ظلمات العيوب وتنويرها بانوار الغيوب ومحق صفات نفوسهم الكافرة ومحو سمات أخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظائر الارواح (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله

كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت

فقتل من قتل منهم وجرح من جرح منهم والغم الثانى كان من سماعهم صوت القائل قتل محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله غما بغم قال الغم الاول الجراح والقتل والغم الثانى حين سمعوا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة وذلك حين يقول لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فاثابكم غما بغم قال الغم الاول الجراح والقتل والغم الآخر حين سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة وذلك حين يقول الله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم وقال آخرون بل الغم الاول ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة والثانى اشراف أبى سفيان عليهم فى الشعب وذلك ان أبا سفيان فيما زعم بعض أهل السير لما أصاب من المسلمين ما أصاب وهرب المسلمون جاء حتى أشرف عليهم وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب أحد الذى كانوا ولوا اليه عند الهزيمة فخافوا أن يصطلمهم أبو سفيان وأصحابه ذكر الخبر بذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يهوى الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه فاراد أن يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وفرح رسول الله حين رأى ان فى أصحابه من يمتنع فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب عنهم الحزن فاقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فاقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا اليه نسوا ذلك الذى كانوا عليه وهمهم أبو سفيان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم فقال أبو سفيان يومئذ أعل هبل حنظلة بحنظلة ويوم بيوم بدر وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب وكان جنبا فغسلته الملائكة وكان حنظلة ابن أبى سفيان قتل يوم بدر فقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان فيكم محمد قالوا نعم قال اما انها قد كانت فيكم مثلة ما أمرت بها ولا نهيت عنها ولا سرتنى ولا ساءتنى فذكر الله اشراف أبى سفيان عليهم فقال فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم الغم الاول ما فاتهم من الغنيمة والفتح والغم الثانى اشراف العدو عليهم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا ما أصابكم من القتل حين تذكرون فشل أبى سفيان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى ابن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا فيما ذكروا من حديث أحد قالوا كان المسلمون فى ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء أثلاثا ثلث قتيل وثلث جريح وثلث منهزم وقد بلغته الحرب حتى ما يدرى ما يصنع وحتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبث بالحجارة حتى وقع لشقه وأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوه حتى قتل وكان الذى أصابه ابن قمئة الليثى وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك أخبرنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى ابن شهاب الزهرى أكعب بن مالك أخا

أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) القراآت وأبوه بغير همزة يعنى بالتليين ونحوه رأوك ورأوه روى هبة الله ابن جعفر عن الاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف برد ثواب وبابه مدغما أبو عمر ووشبان ابن عامر وسهل وحمزة وعلى وخلف نؤته مثل يؤده وكاين بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير وقرأ يزيد وكاين بالمد بغير همز وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى بغير نون فى الوقف وكاى الباقون وكاين فى الحالين قتل أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل

* الوقوف الصابرين ه تلقوه ص لطول الكلام الرسول ج لان ما بعده يصلح صفة واستئنافا الرسل ط أعقابكم ط لتناهى الاستفهام شيئا ط الشاكرين ه مؤجلا ج لابتداء الشرط منها ج للعطف منها ط الشاكرين ه قتل ط ليكون قتل النبى صلى الله عليه وسلم الزاما للعصبة على من اعتذر فى الانهزام بما سمع من نداء ابليس ألا ان محمدا قتل والتقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرأ قاتل فله ان لا يقف كثير ج لابتداء النفى مع فاء التعقيب استكانوا ط الصابرين ه الكافرين ه الآخرة ط المحسنين ه خاسرين ه مولاكم ج الناصرين ه * التفسير لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها اتبعها ما هو السبب الاصلى فى ذلك فقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق

وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفى العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفى المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة أحدهما مقام الآخر

بنى سلمة قال عرفت عينيه تبرق تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى يامعشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى رسول الله أن أنصت فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض نحو الشعب معه على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطاب وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام والحرث بن الصمة فى رهط من المسلمين قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب ومعه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه لا ينبغى لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدن فظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض فلم يستطع جلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض حتى استوى عليها ثم ان أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته فقال ان الحرب سجال يوم ببوم بدر أعل هبل أى ظهر دينك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قم فاجبه فقل الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فلما أجاب عمر رضى الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان هلم الى يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا فقال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن فقال أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأشار لقول ابن قمئة لهم انى قتلت محمدا ثم نادى أبو سفيان فقال انه قد كان فى قتلاكم مثلى والله ما رضيت ولا سخطت ولا نهيت ولا أمرت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق فانا بكم يا بنى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم أى كر يا بعد كرب قتل من قتل من اخوانكم وعلوه عدوكم عليكم وما وقع فى أنفسكم من قول من قال قتل نبيكم فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهور كم على عدوكم بعد ان رأيتموه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتل اخوانكم حتى فرجت بذلك الكرب غنكم والله خبير بما تعملون وكان الذى فرج عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم ان الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم هان عليهم ما فاتهم من القوم فهان الظهور علبهم والمصيبة التى أصابتهم فى اخوانهم حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فانا بكم غما بغم قال ابن جريج قال مجاهد أصاب الناس حزن وغم على ما أصابهم فى أصحابهم الذين قتلوا فلما تولوا فى الشعب يتصافون وقف أبو سفيان وأصحابه بباب الشعب فظن المؤمنون انهم سوف يميلون عليهم فيقتلونهم أيضا فاصابهم حزن فى ذلك أيضا أنساهم حزنهم فى أصحابهم فذلك قوله فانا بكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم قال ابن جريج قوله على ما فاتكم يقول على ما فاتكم من غنائم القوم ولا ما أصابكم فى أنفسكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير عن عبيد بن عمير قال جاء أبو سفيان ابن حرب ومن معه حتى وقف بالشعب ثم نادى أفى القوم ابن أبى كبشة فسكتوا فقال أبو سفيان قتل ورب الكعبة ثم قال أفى القوم ابن أبى قحافة فسكتوا فقال قتل ورب الكعبة ثم قال أفى القوم عمر بن الخطاب فسكتوا فقال قتل ورب الكعبة ثم قال أبو سفيان أعل هبل يوم ببوم بدر وحنظلة بحنظلة وأنتم وجدون فى القوم مثلا لم تكن عن رأى سرتنا وخيرنا ولم نكرههن ولا ينهاه فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب قم فناده فقل الله أعلى وأجل نعم هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا ذا لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى

تعالى أوجب الجهاد قبل هذه الواقعة وأوجب الصبر على تحمل متاعبها وبين وجوه المصالح المنوطة بها فى الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو فى قوله ويعلم الصابرين واو الجمع فى قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن كأنه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من أقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكاره ومخالفات النفس فان الحب هو الذى لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل التقدير أظننتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الصابرين وجه آخر وهو أن يكون مجزوما أيضا لكن الميم لما حركت الساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرأ الحسن ويعلم بالجزم على العطف وروى عن أبى عمرو ويعلم بالرفع على الحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى المشركين وكان رأيه فى الاقامة بالمدينة وأراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتل قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا يجوز للمؤمن أن يتمنى الكفر أو يريد أو يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك بمن شرب دواء الطبيب النصرانى فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر

بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتعقيق صناعته قالت الاشاعرة ههنا من أراد شيئا أراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا يجب بانه تعالى أراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا أورد من الترغيبات ما يرد فارادة صبر ورزهم شهداء ولان صبر واشهداء

الا اذا قتلهم الكفار فلا بد أن يريد ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر ومعصية ثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والمعصية
من قبل أن تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال الزجاج أي وأنتم

قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم
فرجعوا فقتلوا واالله لنأتينهم ثم لنقتلنهم قد خرجوا منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا فانما
أصابكم الذي أصابكم من أجل انكم عصيتموني فبيتماهم كذلك اذ أتاهم القوم قد أنسوا وقد
اختلطوا سيوفهم فكان غم الهزيمة وغمهم حين أتوهم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من القتل ولا
ما أصابكم من الجراحة فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا الآية وهو يوم أحد * وأولى هذه الاقوال بتأويل
الآية قول من قال معنى قوله فأثابكم غما بغم أيها المؤمنون بحرمان الله اياكم غنيمة المشركين والظفر
بهم والنصر عليهم وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون
بمعصيتكم ربكم وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم غم ظنكم ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قتل
وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم والذي يدل على ان ذلك أولى بتأويل الآية ممن خالفه قوله لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم فنفى الغائت لاشك انه هو ما كانوا رجوا الوصول اليه من غيرهم اما من
ظهور عليهم بغلبهم واما من غنيمة يحتازونها وان قوله ولا ما أصابكم هو ما أصابهم اما في أبدانهم واما في
اخوانهم فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الغم الثاني هو معنى غير هذين لان الله عز وجل أخبر عباده
المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أثابهم غما بغم لئلا يحزنهم ما نالهم من الغم الثاني
عما فاتهم من غيرهم ولا ما أصابهم قبل ذلك في أنفسهم وهو الغم الاول على ما قد بيناه قبل وأما قوله لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم فان تأويله على ما قد بينت من انه لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فلم
تدركوه مما كنتم ترجون ادراكه من عدوكم بالظفر عليهم والظهور وحيازة غنائمهم ولا ما أصابكم في
أنفسكم من جرح من جرح وقتل من قتل من اخوانكم وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه قبل
على السبيل التي اختلفوا فيه كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لكيلا
تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم قال على ما فاتكم من الغنيمة التي كنتم ترجون ولا تحزنوا على
ما أصابكم من الهزيمة وأما قوله واالله خبير بما تعملون فانه يعني جل ثناؤه واالله بالذي تعملون أيها
المؤمنون من اصعادكم في الوادي هربا من عدوكم وانهزامكم منهم وتركهم نبيكم وهو يدعوكم في
أخراكم وحزنكم على ما فاتكم من عدوكم وما أصابكم في أنفسكم ذو خبرة وعلم وهو محص ذلك كله
عليكم حتى يجازيكم به المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته أو يعفو عنه ۞ القول في تأويل
قوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون
بالله غير الحق ظن الجاهلية) يعني بذلك جل ثناؤه ثم أنزل الله أيها المؤمنون من بعد الغم الذي أثابكم
ربكم بعد غم تقدمه قبله أمنة وهي الامان على أهل الاخلاص منكم واليقين دون أهل النفاق والشك
ثم بين جل ثناؤه عن الامنة التي أنزلها عليهم ما هي فقال نعاسا ينصب النعاس على الابدال من الامنة ثم
اختلفت القراء في قراءة قوله يغشى فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين
بالتذكير بالياء يغشى وقرأ جماعة من قراء الكوفيين بالتأنيث تغشى بالتاء وذهب الذين قرؤا ذلك
بالتذكير الى أن النعاس هو الذي يغشى الطائفة من المؤمنين دون الامنة فذكره بتذكير النعاس
وذهب الذين قرؤا ذلك بالتأنيث الى أن الامنة هي التي تغشاهم فانثوه لتأنيث الامنة والصواب من
القول في ذلك عندي انهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الامصار غير مختلفتين في معنى ولا
غير لان الامنة في هذا الموضع هي النعاس والنعاس هو الامنة وسواء ذلك وبأيتهما قرأ القارئ فهو
مصيب الحق في قراءته وكذلك جميع ما في القرآن من نظائره من نحو قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم
كالمهل تغلي في البطون وألم يك نطفة من مني يمنى وهزي اليك بجذع النخلة تساقط فان قال قائل وما

بصراء كقولهم رأيته بعيني أي
رأيتموه معاينين حين قتل بين
أيديكم من قتلى من اخوانكم
وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل أن يراد
رأيتم اقدام القوم بعد حرصهم
على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بعتيم
أنتم تنظرون اليهم من غير جد في
دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه
توبيخ لهم على تمنيهم الجهاد على
الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم
وقلة ثباتهم عنده قال ابن عباس
ومجاهد والضحاك لما نزل النبي
صلى الله عليه وسلم بالشعب أمر
الرماة ان يلزموا أصل الجبل ولا
يتنقلوا سواء كان الامر لهم أو
عليهم فلما وقعوا وحملوا على الكفار
هزموهم وقتل علي عليه السلام
طلحة بن أبي طلحة صاحب لوائهم
والزبير والمقداد شدا على المشركين
ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم
مع أصحابه فهزموا أبا سفيان ثم ان
بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار
بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان
خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار
فلما رأى تفرق الرماة حمل على
المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم
وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد
الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحجر وكسر
رباعيته وشج وجهه وأقبل يريد
قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو
صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد
حتى قتله ابن قمئة واحتمل طلحة بن
عبيد الله رسول الله ودافع عنه أبو
بكر وعلي عليه السلام وظن ابن
قمئة انه قتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال قد قتلت محمدا ثم صرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وكان الصارخ الشيطان فنفشا في الناس خبر قتله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلما هم على هزيمهم فقالوا يا رسول

كان السبب الذى من أجله افترقت الطائفتان اللتان ذكرهما الله عز وجل فيما افترقتا فيه من صفتهما فأمنت احداهما بنفسها حتى نعست وأهمت الاخرى لنفسها حتى ظنت بالله غير الحق ظن الجاهلية قيل كان سبب ذلك فيما ذكر لنا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان المشركين انصرفوا يوم أحد بعد الذى كان من أمرهم وأمر المسلمين فواعدوا النبى صلى الله عليه وسلم بدرا من قابل فقال لهم نعم فتخوف المسلمون أن ينزلوا المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال انظر فاذا رأيتهم قد عدوا على أثقالهم وجنبوا خيولهم فان القوم ذاهبون وان رأيتهم قد قعدوا على خيولهم وجنبوا على أثقالهم فان القوم يريدون المدينة فقال والله لئن فعلوا لنأتينهم فلما رأى المسلمون عدوهم على الاثقال سراعا هالهم ذلك فنادى باعلى صوته فذعرهم فلما رأى المؤمنون ذلك صدقوا نبى الله صلى الله عليه وسلم فناموا وبقى أناس من المنافقين يظنون ان القوم يأتونهم فقال الله جل وعز يذكر حين أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم ان كفارا ركبوا الاثقال فانهم منطلقون فناموا ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة تعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس أمنهم يومئذ بنعاس غشاهم وانما ينعس من يأمن يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن حميد عن أنس بن مالك عن أبى طلحة قال كنت فيمن أنزل عليه النعاس يوم أحد أمنة حتى سقط من يدى مرارا قال أبو جعفر يعنى سوطه أو سيفه حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبى طلحة قال رفعت رأسى يوم أحد فجعلت ما أرى أحدا من القوم الا تحت حجفته يعنى من النعاس حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة عن أنس عن أبى طلحة قال كنت فيمن صب عليه النعاس يوم أحد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أنس بن مالك عن أبى طلحة أنه كان ومئذ ممن غشيه النعاس قال كان السيف يسقط من يدى ثم آخذه من النعاس حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ذكر لنا والله أعلم عن أنس ان أبا طلحة حدثهم أنه كان ومئذ ممن غشيه النعاس قال فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه ويسقط والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم همة الا أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية الآية كلها حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى قال ثنا ضرار بن صرد قال ثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عبد العزيز عن الزهرى عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه قال سألت عبد الرحمن بن عوف عن قول الله عز وجل ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا قال ألقى علينا يوم أحد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية وذاكر يوم أحد كانوا ومئذ فريقين فاما المؤمنون فغشاهم النعاس أمنة منه ورحمة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس نحوه حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أمنة نعاسا قال ألقى عليهم النعاس فكان ذلك أمنة لهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين قال قال عبد الله النعاس فى القتال أمنة والنعاس فى الصلاة من الشيطان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا قال أنزل النعاس أمنة منه على أهل اليقين به فهم نيام لا يخافون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى

وكان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا أنتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم بين أظهرهم أبدا أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الغاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة التى قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه فى الحقيقة كأنه دخل عليه والمعنى أفتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين أحدهما ان الحاجة الى الرسول هى التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فيلزم من قتله أو موته الادبار عما كان هو عليه من الدين وما يلزم كالجهاد وثانيهما القياس على موت سائر الانبياء وقتلهم فان موسى عليه السلام مات ولم ترجع أمته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عليه السلام قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم أنه متقدم فى النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا فى العصمة عن القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الآخرة بأى طريق كان بدليل وانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن أن يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزأيها لصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهى تنقسم بمتساويين مع كذب جزئيها ومعنى أو هو التردد

وانتكاسك أى سواء فرض وقوع الموت أو القتل فلا تأثير له فى صفة الدين ووجوب الادبار أو الارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذى تأتى به من الافعال لا يضر السماء والارض بريد انه يعود ضرره عليه

أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا ما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه ومووتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم فتى أمثالهم قال تعالى وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال وما كان لنفس أن تموت بوجه العلم ان المنافقين أرجفوا ان محمدا قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل قولهم بان القتل مثل الموت في انه لا يحصل الا في وقت المقدر وكما انه لو مات في بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل وفيه تحريض للمؤمنين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغني عن القدر وان أحدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحام المعارك أو الفرض بيان حفظه وكلاءته لنبيه صلى الله عليه وسلم فانه ما بقي في تلك الواقعة سبب من أسباب الهلاك والشر الا وقد حصل الا انه تعالى لما كان حافظا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولم يقدر في ذلك الوقت أجله صلى الله عليه وسلم بغير ذلك وفيه تقريع لاصحابه صلى الله عليه وسلم انهم قد قصروا في الذب عنه صلى الله عليه وسلم وجواب عما قاله المنافقون لاصحابه لما رجعوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الاخفش والزجاج تقديره الكلام وما كانت نفس لتموت

قوله أمنة نعاسا قال ألقى الله عليهم النعاس فكان أمنة لهم وذكر ان أبا طلحة قال ألقي على النعاس يومئذ فكنت نعس حتى يسقط سيفي من يدي حدثنا ابن بشار قال ثنا اسحق بن ادريس قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك عن أبي طلحة وهشام بن عروة عن عروة بن الزبير انهما قالا لقد رفعنا رؤسنا يوم أحد فجعلنا ننظر فما منهم من أحد الا وهو يميل بجنب حجفته قال وتلا هذه الآية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا ۞ القول في تاويل قوله (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) يعني بذلك جل ثناؤه وطائفة منكم أيها المؤمنون قد أهمتهم أنفسهم يقول هم المنافقون لاهم لهم غير أنفسهم فهم من حذر القتل على أنفسهم وخوف المنية عليها في شغل قد طار عن أعينهم الكرى يظنون بالله الظنون الكاذبة ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله شكا في أمر الله وتكذيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ومحسبة منهم ان الله خاذل نبيه ومعل عليه أهل الكفر به يقولون هل لنا من الامر من شئ كالذي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم الا هم أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق يظنون بالله غير الحق ظنونا كاذبة انما هم أهل شك وريبة في أمر الله يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم الى مضاجعهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم همة الا أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا قال الله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وطائفة قد أهمتهم أنفسهم قال أهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم تخوف القتل وذلك انهم لا يرجون عاقبة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وطائفة قد أهمتهم أنفسهم الى آخر الآية قال هؤلاء المنافقون وأما قوله ظن الجاهلية فانه يعني أهل الشرك كالذي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ظن الجاهلية قال ظن أهل الشرك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ظن الجاهلية قال ظن أهل الشرك وفي رفع قوله وطائفة وجهان أحدهما ان تكون مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله قد أهمتهم والآخر بقوله يظنون بالله غير الحق ولو كانت منصوبة كان جائزا وكانت الواو في قوله وطائفة طرفا للفعل بمعنى وأهمت طائفة أنفسهم كما قال والسماء بنيناها بايد ۞ القول في تاويل قوله (يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا) يعني بذلك الطائفة المنافقة التي قد أهمتهم أنفسهم يقولون ليس لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله ولو كان لنا من الامر شئ ما خرجنا القتال من ما قاتلنا فقتلونا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قيل لعبد الله بن أبي قتل بنو الخزرج اليوم قال وهل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله وهذا أمر مبتدأ من الله عز وجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ان الامر كله لله يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يحب ثم عاد الى الخبر عن ذكر نفاق المنافقين فقال يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقول يخفي يا محمد هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك صفتهم في أنفسهم من الكفر والشك في الله ما لا يبدون لك ثم أطهر نبيه صلى الله عليه وسلم على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم والحسرة التي أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد فقال مخبرا عن قيلهم الكفر واعلانهم النفاق يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا

الإذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء الله وقدره فانه لا يحدث شئ الا بمشيئة الله وارادته فلو ورد الكلام على سبيل التمثيل كأنه فعل لا ينبغي لاحد أن يقدم عليه الا ان يأذن الله فيه وذلك ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل فاقيم القابل مقام الفاعل وقال أبو مسلم الاذن هو الامر والمعنى ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت أحد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحياة أحد الا الله وقيل التخلية والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس أن تموت بالقتل الا بأن يخلي الله بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلي بين نبيه وبين أحد ليقتله صلى الله عليه وسلم ولكنه جعل من بين يديه صلى الله عليه وسلم ومن خلفه وصد البتة لي يديه بلاغ ما أرسله به فلا تهنوا في غزوانتم بعد ذلك بارجاف مرجف وقيل الاذن العلم أي ان تموت نفس الا في الوقت الذي علم الله موتها فيه وفي الآية دليل على ان المقتول ميت باجله وان تغير الآجال ممتنع ولذا أكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه أي كتب الموت كتابا مؤجلا مؤقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الآجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع الحوادث من الخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضي الاجل والرزق مضافان الى الله تعالى وأما الكفر والفسق والايمان والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب تعالى ذلك فانما كتب ما يعلمه من اختيار العبد وذلك لا يخرج العبد من أن يكون مذموما أو ممدوحا

يعني بذلك ان هؤلاء المنافقين يقولون لو كان الخروج الى حرب من خرجنا الحرب من المشركين الينا ما خرجنا اليهم ولا قتل منا أحد في الموضع الذي قتلوا فيه يا حد وذكر ان ممن قال هذا القول معتب بن بشير أحد بني عمرو بن عوف ذكر الخبر بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير عن الزبير قال والله اني لاسمع قول معتب بن بشير أخي بني عمرو بن عوف والنعاس يغشاني ما أسمعه الا كالحلم حين قال لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا حدثني سعيد بن يحيى الاموي قال ثني أبي عن ابن اسحق قال ثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبد الله بن الزبير عن أبيه بمثله واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق قل ان الامر كله بنصب الكل على وجه النعت للامر والصفة له وقرأه بعض قراء أهل البصرة قل ان الامر كله لله برفع الكل على توجيه الكل الى أنه اسم وقوله لله خبره كقول القائل ان الامر بعضه لعبد الله وقد يجوز أن يكون الكل في قراءة من قرأه بالنصب منصوبا على البدل والقراءة التي هي القراءة عندنا النصب في الكل لاجماع أكثر القراء عليه من غير أن تكون القراءة الاخرى خطأ في معنى أو عربية ولو كانت القراءة بالرفع في ذلك مستفيضة في القراء لكانت سواء عندي القراءة بأي ذلك قرئ لاتفاق معاني ذلك بأي وجهيه قرئ

القول في تأويل قوله (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين فتظهر المؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم وتكمنونه من شرككم في دينكم لبرز الذين كتب عليهم القتل يقول لظهر للموضع الذي كتب عليه مصرعه فيه من قد كتب عليه القتل منهم ويخرج من بيته ليمضي يصرع في الموضع الذي كتب عليه أن يصرع فيه وأما قوله وليبتلي الله ما في صدوركم فانه يعني به وليبتلي الله ما في صدوركم أيها المنافقون كنتم تبرزون من بيوتكم الى مضاجعكم و يعني بقوله وليبتلي الله ما في صدوركم ليختبر الله الذي في صدوركم من الشك فيميزكم بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم من المؤمنين وقد دللنا فيما مضى على أن معاني نظائر قوله ليبتلي الله وليعلم الله وما أشبه ذلك وان كان في ظاهر الكلام مضافا الى الله الوصف به فراد به أولياؤه وأهل طاعته وان معنى ذلك وليختبر أولياء الله وأهل طاعته الذي في صدوركم من الشك والمرض فيعرفوكم من أهل الاخلاص واليقين وليمحص ما في قلوبكم يقول وليميزوا ما في قلوبكم من الاعتقاد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من العداوة والولاية والله عليم بذات الصدور يقول والله ذو علم بالذي في صدور خلقه من خير وشر وايمان وكفر لا يخفى عليه شئ من أمورهم سرائرها وعلانيتها وهو لجميع ذلك حافظ حتى يجازي جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن اسحق يقول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر الله تلاومهم يعني تلاوم المنافقين وحسرتهم على ما أصابهم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لو كنتم في بيوتكم لم تحضروا هذا الموضع الذي أظهر الله جل ثناؤه فيه منكم ما أظهر من سرائركم لاخرج الذين كتب عليهم القتل الى مواطن غيره يصرعون فيه حتى يبتلي به ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور رأى لا يخفى عليه شئ مما في صدورهم مما استخفوا به منكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحرث بن مسلم عن بحر السقاء عن عمرو بن عبيد عن الحسن قال سئل عن قوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قال كتب الله على المؤمنين ان يقاتلوا في سبيله وليس كل

والحق ان هذا تعكيس للقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان يأتي هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر على الايمان حينئذ فأي معنى اختياره ثم انه كان في الذين حضروا يوم أحد من يريد

الدنيا ومن يريد الآخرة كما أخبر الله تعالى في هذه السورة بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها أي من ثوابها أعرض بالفريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقي الآية مدح الفريق الآخر الاخروي وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله وسنجزي الشاكرين فأبهم الجزاء وأضاف الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عن الجهاد شئ لا يكتنه كنهه وتقصر عنه العبارة وانما كان يليق بعميم فضله وجسيم طوله وهذه الآية وان وردت في الجهاد لكنها عامة في جميع الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وذلك لان المؤثر في مثاب الثواب والعقاب القصود والدواعي فمن وضع الجبهة على الارض والوقت ظهر والشمس أمامه فان قصد بذلك السجود عبادة لله تعالى كان من الايمان وان قصد تعظيم الشمس كان من الكفر وكأين الاكثرون على انها في الاصل مركبة من كاف التشبيه وأي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما ان كذا مركبة من الكاف وذا المقصود به الاشارة فكأين مثل كذا في كون المجرورين مبهمين عند السامع الا ان في ذا اشارة في الاصل الى ما في ذهن المتكلم بخلاف أي فانه للعدد المبهم وتميزها منصوب ومفرد على الاصل والاكثر ادخال من في تمييز كاين وبه ورد القرآن والتمييز بعد كذا وكاين في الاصل عن الكاف لامن ذا وأي كما في مثل رجلا لانك تبين في كذا رجلا وكاين رجلا ان مثل العدد المبهم من أي جنس هو ولم تبين العدد المبهم في الاصل وكان كاين معربا لكنه انمحى عن الجزأين معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع ان التنوين لا صورة لها خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل كائن مثل كاعن وربما

من يقاتل يقتل ولكن يقتل من كتب الله عليه القتل ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين ولوا عن المشركين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وانهزموا عنهم وقوله تولوا انفعلوا من قولهم ولى فلان ظهره وقوله يوم التقى الجمعان يعني يوم التقى جمع المشركين والمسلمين باحد انما استزلهم الشيطان أي انما دعاهم الى الزلة الشيطان وقوله استزل استفعل من الزلة والزلة هي الخطيئة ببعض ما كسبوا يعني ببعض ما عملوا من الذنوب ولقد عفا الله عنهم يقول ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصفح لهم عنه ان الله غفور يعني به مغط على ذنوب من آمن به واتبع رسوله بعفوه عن عقوبته اياهم عليها حليم يعني انه ذو اناة لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها كل من ولى الدبر عن المشركين باحد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران وكان يعجبه اذا خطب أن يقرأها فلما انتهى الى قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال لما كان يوم أحد هزمنا هم فغرت حتى صعدت الجبل فقد رأيتني أنزو وكأني أروى والناس يقولون قتل محمد فقلت لا أجد أحدا يقول قتل محمد الا قتلته حتى اجتمعنا على الجبل فنزلت ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية كلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية وذلك يوم أحد ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوا عن القتال وعن نبي الله يومئذ وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه فانزل الله عز وجل ما تسمعون انه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثني عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية فذكر نحو قول قتادة وقال آخرون بل عنى بذلك خاص ممن ولى الدبر يومئذ قالوا وانما عنى به الذين لحقوا بالمدينة منهم دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال لما انهزموا يومئذ تفرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فدخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها فذكر الله عز وجل الذين انهزموا فدخلوا المدينة فقال ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية وقال آخرون بل نزل ذلك في رجال باعيانهم معروفين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال نزلت في رافع بن المعلى وغيره من أنصار أبي حذيفة بن عتبة ورجل آخر قال ابن جريج وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم اذلم يعاقبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فر عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان رجلان من الانصار حتى بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة مما يلي الاعوص فاقاموا به ثلاثا ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد ذهبتم فيها عريضة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الآية والذين استزلهم الشيطان عثمان بن عفان وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان الانصاريان ثم الزرقيان وأما قوله ولقد عفا الله عنهم فان معناه ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان أن يعاقبهم بتوليهم عن عدوهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله ولقد عفا الله عنهم يقول ولقد عفا الله عنهم اذلم يعاقبهم حدثني

يونس

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله في قولهم يوم أحد ولقد عفا الله عنهم فلا ندري ذلك العفو عن تلك العصابة أم عفو عن المسلمين كلهم وقد بينا تأويل قوله ان الله غفور حليم فيما مضى

القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاء به محمد من عند الله لا تكونوا كمن كفر بالله ورسوله فجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال لاخوانه من أهل الكفر اذا ضربوا في الارض فخرجوا من بلادهم سفرا في تجارة أو كانوا غزا يقول أو كان خروجهم من بلادهم غزاة فهلكوا فماتوا في سفرهم أو قتلوا في غزوهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار انهم يقولون لمن غزا منهم فقتل أو مات في سفر خرج فيه في طاعة الله أو تجارة لو لم يكونوا خرجوا من عندنا وكانوا قاموا في بلادهم ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم يعني أنهم يقولون ذلك كي يجعل الله قولهم ذلك حزنا في قلوبهم وغما ويجهلون ان ذلك الى الله جل ثناؤه وبيده وقد قيل ان الذين نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبهوا بهم فيما نهاهم عنه من سوء اليقين بالله هم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية قال هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزا قول المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون في ذلك هم جميع المنافقين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون اخوانهم عن الجهاد في سبيل الله والضرب في الارض في طاعة الله وطاعة رسوله ويقولون اذا ماتوا أو قتلوا لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا وأما قوله اذا ضربوا في الارض فانه اختلف في تأويله فقال بعضهم هو السفر في التجارة والسير في الارض لطلب المعيشة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اذا ضربوا في الارض وهي التجارة وقال آخرون بل هو السير في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذا ضربوا في الارض الضرب في الارض في طاعة الله وطاعة رسوله وأصل الضرب في الارض الابعاد فيها سيرا وأما قوله أو كانوا غزا فانه يعني أو كانوا غزاة في سبيل الله والغزى جمع غاز جمع على فعلى كما يجمع شاهد شهدا وقائلا قولا وقد ينشد بيت رؤبة

فاليوم قد نهنهني تنهنهي * وأول حلم ليس بالمسفه * وقولهم الاده فلاده ٧

وانما قيل لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزا فاصحب ماضي الفعل الحرف الذي لا يصحب مع الماضي منه الا المستقبل فقيل وقالوا لاخوانهم ثم قيل اذا ضربوا وانما يقال في الكلام أكرمتك اذ زرتني ولا يقال أكرمتك اذا زرتني لان القول الذي في قوله وقالوا لاخوانهم وان كان في لفظ الماضي فانه بمعنى المستقبل وذلك ان

٧ في القاموس وقولهم الاده فلاده أي ان لم يكن هذا الامر الآن فلا يكون بعد الآن أي ان لم تغتنم الفرصة الساعة فلست تصادفها أبدا اه واعكن لينظر ما وجه الشاهد فيما ساقه لرؤبة فانه ليس فيه جمع فاعل على فعلى اه مصححه

يعود الى لفظ كاين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى والربيون معناه الالوف أو الجماعات الكثيرة الواحد ربي عن الفراء والزجاج قال ابن قتيبة أصله من الربوة الجماعة حذف الهاء في النسبة ويقال تربوا أي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة والولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضر في زهري والقياس الفتح ثم من قرأ قتل فمعنى الآية ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعده ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغي أن يكون لكم فيهم اسوة حسنة فيكون المقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء لنقتدي هذه الامة بهم ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فاصابهم من عدوهم قروح فما وهنوا فعلى هذا يكون الغرض من الآية ترغيب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال وربما تؤيد هذه القراءة بما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل ان تنزل القراءة الاولى على هذه الآية أيضا بان يقال المعنى وكاين من نبي قتل ممن كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون وما استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا ولا بد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو أي لم يخضعوا له وفيه تعريض بما أصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عند ذلك عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي

في طلب الامان من أبي سفيان وقيل الوهن استيلاء الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف يلحق القلب والضعف مطلقا الخلال لقوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون كأنه سكن لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح أي ببعد يراد بمنتزح والاصح انه استفعل من كان والقياسي كان صاحبه تغيير من كون الى كون أي من حال الى حال والله يحب الصابرين بان يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم أخبر انهم كانوا مستعينين عند ذلك التصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان تقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه وعلى عدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجأ اليه فاز بالظفر وفي اضافتهم الذنوب والاسراف الى أنفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستغفارها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصر فما ظهر أمارات استيلاء الاعداء دل ذلك على صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الخ رجهم عن ذكاء وطهارة أقرب الى الاستجابة ثم انهم عمموا الذنوب أولا الصغائر والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في أمرنا لان الاسراف في كل شئ هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة والشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء وكاحداث أحوال سماوية عن أو أرضية توجب انهزامهم كهبوب ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الآية تأديب وارشاد من الله تعالى في

العرب تذهب بالذين مذهب الجزاء وتعاملها في ذلك معاملة من وما لتقارب معاني ذلك في كثير من الاشياء وان جمعهن أشياء مجهولات غير مؤقتات توقيت عمرو وزيد فلما كان ذلك كذلك وكان صحيحا في الكلام فصيحا أن يقال للرجل أكرم من أكرمك وأكرم كل رجل أكرمك فيكون الكلام خارجا بلفظ الماضي مع من وكل مجهول ومعناه الاستقبال اذ كان الموصوف بالفعل غير موقت وكان الذين في قوله لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض غير موقتين أجريت مجرى من وما في ترجمتها التي تذهب الجزاء واخراج صلاتها بالفاظ الماضي من الافعال وهي بمعنى الاستقبال كما قال الشاعر في ما

فاني لا آتيكم بشكر ما مضى * من الامر واستجلاب ما كان في غد

فقال ما كان في غد وهو يريد ما يكون في غد ولو كان أراد الماضي لقال ما كان في أمس ولم يجز له أن يقول ما كان في غد ولو كان الذي موقتا لم يجز أن يقال ذلك خطأ ان يقال لكن من هذا الذي أكرمك اذا زرته لان الذي ههنا موقت فقد خرج من معنى الجزاء ولو لم يكن في الكلام هذا لكان جائزا فصيحا لان الذي يصير حينئذ مجهولا غير موقت ومن ذلك قول الله عز وجل ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فرد يصدون على كفروا لان الذين غير موقتة بقوله كفروا وان كان في لفظ ماض فمعناه الاستقبال وكذلك قوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا وقوله الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم معناه الا الذين يتوبون من قبل أن تقدروا عليهم والا من يتوب ويؤمن ونظائر ذلك في القرآن والكلام كثير والعلة في كل ذلك واحدة وأما قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه يعني بذلك حزنا في قلوبهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله في قلوبهم قال يحزنهم قوله لا ينفعهم شيأ حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم لقلة اليقين بربهم جل ثناؤه ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) يعني جل ثناؤه والله يحيي ويميت والله المعجل الموت لمن يشاء من حيث يشاء والمميت من يشاء كما شاء دون غيره من سائر خلقه وهذا من الله عز وجل ترغيب لعباده المؤمنين على جهاد عدوه والصبر على قتالهم واخراج هيبتهم من صدورهم وان قل عددهم وكثر عدد أعدائهم وأعداء الله واعلام منه لهم ان الاماتة والاحياء بيده وانه لن يموت أحد ولا يقتل الا بعد فناء أجله الذي كتبه ونهى منه لهم اذ كان كذلك أن يجزعوا الموت من مات منهم أو قتل من قتل منهم في حرب المشركين ثم قال جل ثناؤه والله بما تعملون بصير يقول ان الله يرى ما تعملون من خير وشر فاتقوه أيها المؤمنون فانه محص ذلك كله حتى يجازي كل عامل بعمله على قدر استحقاقه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله يحيي ويميت أي يجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من آجالهم بقدرته ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) فخاطب جل ثناؤه عباده المؤمنين يقول لهم لا تكونوا أيها المؤمنون في شك من ان الامور كلها بيد الله وان اليه الاحياء والاماتة كما شك المنافقون في ذلك ولكن جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا أعداء الله على يقين منكم فانه لا يقتل في حرب ولا يموت في سفر الا من بلغ أجله وحانت وفاته ثم وعدهم على جهادهم في سبيله المغفرة والرحمة وأخبرهم ان موتا في سبيل الله وقتلا في الله خير لهم مما يجمعون في الدنيا من حطامها ورغد عيشها الذي من أجله يثاقلون عن الجهاد في سبيل الله ويتأخرون عن لقاء العدو كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة

عن ابن اسحق ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون أي ان الموت كائن لا بد منه فموت في سبيل الله أو قتل خير لو علموا فايقنوا مما يجمعون في الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد تخوفا من الموت والقتل لما جمعوا من زهيد الدنيا وزهادة في الآخرة وانما قال الله عز وجل لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وابتدأ الكلام ولئن متم أو قتلتم بحذف جزاء لئن لان في قوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون معنى جواز الجزاء وذلك انه وعد خرج مخرج الخبر فتأويل الكلام ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم ليغفرن الله لكم وليرحمنكم فدل على ذلك بقوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وجمع مع الدلالة به عليه الخبر عن فضل ذلك على ما يؤثرونه من الدنيا وما يجمعون فيها وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة انه ان قيل كيف يكون لمغفرة من الله ورحمة جوابا لقوله ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم فان القول فيه أن يقال فيه كأنه قال ولئن متم أو قتلتم فذكر لهم رحمتين الله ومغفرة اذ كان ذلك في السبيل فقال لمغفرة من الله ورحمة يقول لذلك خير مما تجمعون يعني ذلك المغفرة والرحمة خير مما تجمعون ودخلت اللام في قوله لمغفرة من الله لدخولها في قوله ولئن كما قيل ولئن نصر وهم ليولن الادبار ۞ القول في تأويل قوله (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) يعني بذلك جل ثناؤه ولئن متم أو قتلتم أيها المؤمنون فان الى الله مرجعكم ومحشركم فيجازيكم باعمالكم فاتركوا ما يقربكم من الله ويوجب لكم رضاه ويقربكم من الجنة من الجهاد في سبيل الله والعمل بطاعته عن الركون الى الدنيا وما تجمعون فيها من حطامها الذي هو غير باق لكم بل هو زائل عنكم وعلى ترك طاعة الله والجهاد فان ذلك يبعدكم عن ربكم ويوجب لكم سخطه ويقربكم من النار ونحو الذي قلنا في ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولئن متم أو قتلتم أي ذلك كان لا الى الله تحشرون أي ان الى الله المرجع فلا تغرنكم الدنيا ولا تغتروا بها ولكن الجهاد ما رغبكم الله فيه منه آثر عندكم منها وأدخلت اللام في قوله لا الى الله تحشرون لدخولها في قوله ولئن ولو كانت اللام مؤخرة الى قوله تحشرون لاحدثت النون الثقيلة فيه كما تقول في الكلام لئن أحسنت الي لاحسنن اليك بنون مثقلة فكان كذلك قوله ولئن متم أو قتلتم لتحشرن الى الله ولكن لما حيز بين اللام وبين تحشرون بالصفة أدخلت في الصفة وسلمت تحشرون فلم يدخلها النون الثقيلة كما تقول في الكلام لئن أحسنت الي لاليك أحسن بغير نون مثقلة ۞ القول في تأويل قوله (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) يعني جل ثناؤه بقوله فبما رحمة من الله فبرحمة من الله وما صلة وقد بينت وجه دخولها في الكلام في قوله ان الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها والعرب تجعل ما صلة في المعرفة والنكرة كما قال فبما نقضهم ميثاقهم والمعنى فبنقضهم ميثاقهم وهذا في المعرفة وقال في النكرة عما قليل ليصبحن نادمين والمعنى عن قليل وربما جعلت اسما وهي في مذهب صلة فرفع ما بعدها أحيانا على وجه الصلة ويخفض على اتباع الصلة ما قبلها كما قال الشاعر

فكفى بنا فضلا على من غيرنا * حب النبي محمدا ايانا

اذا جعلت غير صلة رفعت باضمار هو وان خفضت اتبعت من فاعربته فذلك حكمة على ما وصفنا مع النكرات فاما اذا كانت الصلة معرفة كان الفصيح من الكلام الاتباع كما قيل فبما نقضهم ميثاقهم والرفع جائز في العربية وبنحو ما قلنا في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يقول فبرحمة من الله لنت لهم وأما قوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فانه

باحصول كنفس الحصول أو المراد انه سيؤتيهم مثل أتى أمر الله أي سيأتي قال القاضي ولا يمتنع أن تكون الآية مختصة بالشهداء وانهم في الجنة عند ربهم كما ماتوا أحياء وثواب الآخرة كله حسن فما ظنك بحسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدر صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل أن يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية في الجود ونهاية في العدل وههنا نكتة وهي انه أدخل من التبعيضية في الآية المتقدمة في قوله نؤته منها في الموضعين ولم يذكر في هذه الآية لان أولئك اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا أنفسهم الا بالعيب والقصور ولم يسألوا ربهم الا ما وجب اعلاه كلمته فلا جرم فازوا بالكل وفيه تنبيه على ان من أقبل على خدمة الله أقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وههنا سر وهو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم أثابهم عليها ثم مدحهم لي ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعنايته وفضله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا عن السدي المراد بالذين كفروا هو أبو سفيان وأصحابه فانه كان كبير القوم في ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم وتستأمنوهم وعن علي عليه السلام هم المنافقون عبد الله بن أبي وأشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة في الدين ولا سيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان

نبيه حقا للغلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وانما هو رجل له كمال غيره من الناس يوم له ويوم عليه والاقرب انه عام في جميع الكفار بخصوص السبب لا ينافي ارادة العموم فعلى المؤمنين ان لا يطيعوهم في شئ ولا يتزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم وهو المراد بقوله يردوكم على أعقابكم أي الى الكفر بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين في الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام والانقياد للاعداء الذي هو أشق الاشياء لذي العقلاء وفي الآخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا يصدونه من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطلبكم وهذا خطأ من وجهة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين ولو فرض أن لاحد سواه قدرة على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاز الطلبات ينصر في الدنيا والآخرة بلا شائبة علة من العلات ونصرة غيره لو فرض فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات ولغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه * التأويل أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ان تلجوا عالم الملكوت ولم تظهر منكم مجاهدات قوت المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب على وفق الشريعة وقانون الطريقة لتتخلى الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا أرباب الصدق وأصحاب الطلب تمنون موت النفوس عن صفاتها تزكية لها من قبل أن تلقوه المجاهدات والرياضات في خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا وفي الجهاد الاكبر باطنا فقد رأيتم هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وأنتم تنظرون لا تفندون ما أبرأ حكم ولا تجاهدون حق الجهاد في الله بار واحكم وأشباحكم أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فيه ان الايمان التقليدي لا اعتبار له

يعني بالفظ الجافي وبالغليظ القلب القاسي القلب غير ذي رحمة ولا رأفة وكذلك كانت صفته صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به بالمؤمنين رؤف رحيم فتأويل الكلام فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك لنت لهم لتتابعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك وحسنت لهم أخلاقك حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك فيفارقك ولم يتبعك ولا ما بعثت به من الرحمة ولكن الله رحيم ورحمك بهم فبرحمة من الله لنت لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك أي والله لطهره الله من الفظاظة والغلظة وجعله قريبا رحيما بالمؤمنين رؤفا وقد ذكر لنا ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك قال ذكر لنا انه لهم وصبره عليهم لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه في كل ما خالفوا فيه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم وأما قوله لانفضوا من حولك فانه يعني لتفرقوا عنك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لانفضوا من حولك قال انصرفوا عنك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق لانفضوا من حولك أي لتركوك ۞ القول في تأويل قوله (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) يعني تعالى ذكره بقوله فاعف عنهم فتجاوز يا محمد عن تباعك وأصحابك من المؤمنين بك وبما جئت به من عندي ما نالك من أذاهم ومكروه في نفسك واستغفر لهم وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جرم واستحقوا عليه عقوبة منه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاعف عنهم أي فتجاوز عنهم واستغفر لهم ذنوب من قارف من أهل الايمان منهم ثم اختلفت أهل التأويل في المعنى الذي من أجله أمر تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم وما المعنى الذي أمره أن يشاورهم فيه فقال بعضهم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وشاورهم في الامر مشاورة أصحابه في مكايد الحرب وعند لقاء العدو تطييبا منه بذلك أنفسهم وتألفا لهم على دينهم وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم وان كان الله عز وجل قد أغناه بتدبيره له أموره وسياسته اياه وتقويمه أسبابه عنهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الامور وهو يأتيه وحي السماء لانه أطيب لانفس القوم وان القوم اذا شاور بعضهم بعضا وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وشاورهم في الامر قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الامور وهو يأتيه الوحي من السماء لانه أطيب لانفسهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وشاورهم في الامر أي لتريهم انك تسمع منهم وتستعين بهم وان كنت عنهم غنيا لما لهم بذلك على دينهم * وقال آخرون بل أمره بذلك في ذلك وان كان له الرأي وأصوب الامور في التدبير لما علم في المشورة تعالى ذكره من الفضل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قوله وشاورهم في الامر قال ما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشورة الا لما علم فيها من الفضل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن اياس بن دغفل عن الحسن

ماشاور قوم قط الا هدوا لارشد أمورهم وقال آخرون انما أمره الله بمشاورة أصحابه فيما أمره بمشاورتهم فيسمع اعتنائه بتقويمها اياه عنهم وتدبيره أسبابه عن آرائهم ليتبعه المؤمنون من بعده فيما حزبهم من أمر دينهم ويستنوا بسنته في ذلك ويحتذوا المثال الذي رأوه يفعله في حياته من مشاورته في أموره مع المنزلة التي هو بها من الله أصحابه وتباعه في الامر ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم فيتشاورا بينهم ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملؤهم لان المؤمنين اذا تشاوروا في أمور دينهم متبعين الحق في ذلك لم يخلهم الله عز وجل من لطفه وتوفيقه للصواب من الرأي والقول فيه قالوا وذلك نظير قوله عز وجل الذي مدح به أهل الايمان وأمرهم شورى بينهم ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال قال سفيان بن عيينة في قوله وشاورهم في الامر قال هي للمؤمنين أن يتشاوروا فيما بينهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في ذلك أن يقال ان الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايدة حربه تالفا منه ذلك من لم تكن بصيرته بالاسلام البصيرة التي يؤمن عليه معها فتنة الشيطان وتعريضه أمته ما في الامور التي تحزبهم من بعده ومطلبها يقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم فيتشاوروا فيما بينهم كما كانوا يرونه في حياته صلى الله عليه وسلم يفعله فاما النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان يعرفه مطالب وجوه ما حزبه من الامور بوحيه أو الهامه اياه صواب ذلك وأما أمته فانهم اذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على تصادق وتآخ للحق وارادة جميعهم للصواب من غير ميل الى هوى ولا حيد عن هدى فانه مسددهم وموفقهم وأما قوله فاذا عزمت فتوكل على الله فانه يعني فاذا صح عزمك بتثبيتنا اياك وتسديدنا فامض فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك أو خالفها وتوكل فيما تأتي من أمورك وتدع وتحاول أو تزاول على ربك فثق به في كل ذلك وارض بقضائه في جميعه دون آراء سائر خلقه ومعونتهم فان الله يحب المتوكلين وهم الراضون بقضائه والمستسلمون لحكمه فيهم وافق ذلك منهم هوى أو خالفه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين فاذا عزمت أي على أمر جاءك مني أو أمر من دينك في جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم الا ذلك فامض على ما أمرت به على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك وتوكل على الله أي ارض به من العباد ان الله يحب المتوكلين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا عزمت فتوكل على الله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم اذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويستقيم على أمر الله ويتوكل على الله حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فاذا عزمت فتوكل على الله الآية أمره الله اذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويتوكل عليه ۞ القول في تأويل قوله (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني تعالى ذكره بذلك ان ينصركم الله أيها المؤمنون بالله ورسوله على من ناواكم وعاداكم من أعدائه والكافرين به فلا غالب لكم من الناس يقول فلن يغلبكم مع نصره اياكم أحد ولو اجتمع عليكم من بين أقطارها من خلقه فلا تهابوا أعداء الله لقلة عددكم وكثرة عددهم ما كنتم على أمره واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله فان الغلبة لكم والظفر دونهم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده يعني ان يخذلكم ربكم بمخالفتكم أمره وتركيكم طاعته وطاعة رسوله فيكلكم الى أنفسكم من ذا الذي ينصركم من بعده يقول فايسوا من نصرة الناس فانكم لا تجدون أمرا من بعد خذلان الله اياكم ان خذلكم يقول فلا تتركوا أمري وطاعتي وطاعة رسولي فتهلكوا بخذلاني اياكم وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني ولكن على ربكم أيها

وسيجزي الله بالايمان الحقيقي الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي باداء حقوقه وهو الائتمار بأوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس أن تموت عن أوصافها الدنية وأخلاقها الردية وتتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذبه واشراق نوره كما ان ظلمة الليل لا تنتهي الا باشراق طلوع الشمس ثم أثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص أي من عمل شوقا الى الحق فقد رأى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم التصوف ابن الوقت وفيه أنشد

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما
بأكرم من مولى تمشى الى عبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لي
أصونك عن تعذيب قلبك بالوعد
ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره على النعمة فثوابه في الآخرة وسيجزي الله الشاكرين أي كالذاكرين يقين على قدر شكرهما وكأين من نبي قاتل أعدى العدو الذي بين جنبيه ومعه ربيون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما أصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة والالتفات الى غير الله ان تطيعوا الذين كفروا أي النفوس الكافرة وصفاتها يردوكم الى أسفل سافلين بشريتكم وجميعتكم (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما

أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل

الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم ان الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) القراآن الزعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلي ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون العين وماواهم وبابه بغير همز أبو عمر وغير شجاع ويزيد الاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ولقد صدقكم وبابه بادغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وأبو عمر وهشام وسهل وتغشى بتاء فوقانية بالامالة حمزة وعلي وخلف الباقون بياء الغيبة كله ما بالرفع أبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب يعملون بصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلي وخلف وحمزة الباقون بالخطاب منهم ومتنا بكسر

المؤمنون فتوكلوا دون سائر خلقه وبه فارضوا من جميع من دونه ولقضائه فاستسلموا وجاهدوا فيه أعداءه يكفكم بعونه ويمددكم بنصره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي ان ينصرك الله فلا غالب لك من الناس لن ينصرك خذلان من خذلك وان يخذلك فلن ينصرك الناس فمن الذي ينصركم من بعده أن لئلا يترك أمرك الناس وان قصر الناس لامري ٧ وعلى الله فليتوكل المؤمنون

القول في تأويل قوله (وما كان لنبي أن يغل) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء الحجاز والعراق وما كان لنبي أن يغل بمعنى أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم واحتج بعض قارئ هذه القراءة ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قطيفة فقدت من مغانم القوم يوم بدر فقال بعض من كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وروافي ذلك روايات فنها ما حدثنا به محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال ثنا مقسم قال ثني ابن عباس ان هذه الآية نزلت وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر قال فقال بعض الناس أخذها قال فاكثر وافي ذلك فانزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا خصيف قال سألت سعيد بن جبير كيف تقرأ هذه الآية وما كان لنبي أن يغل أو يغل قال لا بل يغل فقد كان النبي والله يغل ويقتل حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا غياث بن بشير عن خصيف عن مقسم عن ابن عباس وما كان لنبي أن يغل قال كان ذلك في قطيفة حمراء فقدت في غزوة بدر فقال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلعل النبي أخذها فانزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل قال سعيد بل والله ان النبي ليغل ويقتل حدثنا أبو كريب قال ثنا خلاد عن زهير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا زهير قال ثنا خصيف عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله وما كان لنبي أن يغل قالا يغل قال عكرمة أو غيره عن ابن عباس قال كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فانزل الله هذه الآية وما كان لنبي أن يغل حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا قزعة بن سويد الباهلي عن حميد الاعرج عن سعيد بن جبير قال نزلت هذه الآية وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من الغنيمة حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال ثنا معتمر عن أبيه عن سليمان الاعمش قال كان ابن مسعود يقرأ ما كان لنبي أن يغل فقال ابن عباس بلى ويقتل قال فذكر ابن عباس انه انما كانت في قطيفة قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غلها يوم بدر فانزل الله وما كان لنبي أن يغل وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك بفتح الياء وضم الغين انما نزلت هذه الآية في طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجههم في وجه ثم غنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فانزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم يعلمه فيها ان فعله الذي فعله خطأ وان الواجب عليه في الحكم أن يقسم للطلائع مثل ما قسم لغيرهم ويعرفه الواجب عليه من الحكم فيما أفاء الله عليه من الغنائم وانه ليس له أن يخص بشئ منها أحدا ممن شهد الوقعة أو ممن كان رد ألهم في غزوهم دون أحد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة يقول ما كان للنبي أن يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بامر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول

البر من مات حتف أنفه حيث كان ناصع وصلى وسمر موطف وافق حفصا الا ههنا لجواز قلتم الباقون بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب * الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفتين (٦٧) النار ط الظالمين ه باذنه ج لان حتى تحتمل انتهاء الحس ووجه الابتداء أظهر لاقتران اذا مع حذف الجواب أي اذا فعلتم وفعلتم انقلب الامر وبمنعكم نصره والوقف على تحبون ظاهر في الوجهين الآخرة ج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم ج عفا عنكم ط المؤمنين ه أصابكم ط تعملون ه طائفة منكم لان الواو للحال الجاهلية ط من شئ ط لله ط يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم ج لان الواو مقحمة أو عاطفة على محذوف أي لينفذ الحكم فيكم وليبتلي ما في قلوبكم ط الصدور ه الجمعان لان انما خبر ان كسبوا ج لاحتمال الواو حالا واستئنافا عنهم ط حليم ه وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم أو بمحذوف أي ذلك ليجعل في قلوبهم ط ويميت ط بصير ه تجمعون ه تحشرون ه لنت لهم ج لان الواو للعطف ولو للشرط من حولك ص والوصل أولى ليعطف الامر بالرحمة على النهي عن الغلظة تعريضا الامر ج لغاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله ط المتوكلين ه لكم ج لابتداء شرط آخر مع الواو من بعده ط المؤمنون ه * التفسير انه تعالى يذكر في هذه الآيات وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة ولاشك ان هذا من معاظم أسباب

ما كان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه فاذا فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم استنوابه حدثنا يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك انه كان يقرأ ما كان لنبي أن يغل قال أن يعطي بعضا ويترك بعضا اذا أصاب مغنما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فانزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك ما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم لطائفة من أصحابه ويترك طائفة ولكن يعدل ويأخذ في ذلك بأمر الله عز وجل ويحكم فيه بما أنزل الله حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وما كان لنبي أن يغل قال ما كان له اذا أصاب مغنما أن يقسم لبعض أصحابه ويدع بعضا ولكن يقسم بينهم بالسوية وقال آخرون ممن قال ذلك بفتح الياء وضم الغين انما أنزل ذلك تعريفا للناس ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يكتم من وحي الله شيأ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أي ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة ومن يعمل ذلك يأت به يوم القيامة فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك ما ينبغي لنبي أن يكون غالا بمعنى انه ليس من أفعال الانبياء خيانة أممهم يقال منه غل الرجل فهو يغل اذا خان غلولا ويقال أيضا منه أغل الرجل فهو يغل اغلالا كما قال شريح ليس على المستعير غير المغل ضمان يعني غير الخائن ويقال منه أغل الجازر اذا سرق من اللحم شيأ مع الجلد وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ما كان لنبي أن يغل يقول ما كان ينبغي له أن يخون فكما لا ينبغي له أن يخون فلا تخونوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ما كان لنبي أن يغل قال أن يخون وقرأ ذلك آخرون وما كان لنبي أن يغل بضم الياء وفتح الغين وهي قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم معنى ما كان لنبي أن يغله أصحابه ثم أسقط الاصحاب فبقي الفعل غير مسمى فاعله وتأويله وما كان لنبي أن يخان ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن انه كان يقرأ وما كان لنبي أن يغل قال عوف قال الحسن ان يخان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان لنبي أن يغل يقول وما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه من المؤمنين ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد غل طوائف من أصحابه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وما كان لنبي أن يغل قال أن يغله أصحابه حدثنا عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان لنبي أن يغل قال الربيع بن أنس يقول ما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه قال ذكر لنا والله أعلم ان هذه الآية أنزلت على نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد غل طوائف من أصحابه * وقال آخرون منهم معنى ذلك وما كان لنبي أن يتهم بالغلول فيخون ويسرق وكان متأول ذلك كذلك وجهوا قوله وما كان لنبي أن يغل الى انه مراد به يغلل بفعل ثم خففت العين من يفعل فصارت يغل كما قرأ من قرأ قوله فانهم لا يكذبونك بتأويل يكذبونك وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ وما كان لنبي أن يغل بمعنى ما الغلول من صفات الانبياء ولا يكون نبيا من غل وانما اخترنا ذلك لان الله عز وجل أوعد عقيب قوله وما كان لنبي أن يغل أهل الغلول فقال ومن يغلل يأت بما غل

الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم أحد أو هو عام في جميع الاوقات الاظهر الثاني كانه قيل نه وان وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد الا أنا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر

الاديان ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب كثير من المفسرين الى أنه مختص بيوم أحد لورود ه فى مساق تلك القصة قال السدى لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب فى قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى روى ان أبا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال أين ابن أبى كبشة يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب فاجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذى يملأ القلب فزعا ومنه سيل راعب اذا ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب فى قلوبهم لا يقتضى القاء جميع أنواعه فيها وانما يقتضى وقوع هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله فى قلوب الذين كفروا يقتضى وقوع الرعب فى قلوب جميع الكفرة وهكذا هو فى الواقع لانه لا أحد يخالف دين الاسلام الا وفى قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما فى الحرب واما فى المحاجة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما أشركوا أى بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو ان الدعاء انما يصير فى محل الاجابة عند الاضطرار كما قال أمن يجيب المضطر اذا دعاه ومن اعتقد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرنى فذاك الآخر ينصرنى فلا يحصل له الاجابة فيلزمهم الرعب والخوف هذا على تقدير ان معبوديهم يصح منهم الاجابة كيف وأنهم لا يملكون نفعا ولا ضرا مالم ينزل به سلطانا آلهتهم لم ينزل الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالى سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كأنه استخرج بالقهر قال الجوهرى السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد بحمل

يوم القيامة الآية التى بعدها فكان فى وعيده عقيب ذلك أهل الغلول الدليل الواضح على انه انما نهى بذلك عن الغلول وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله وما كان لنبى أن يغل الآية ولو كان انما نهى بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلول لعقب ذلك بالوعيد على التهمة وسوء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم لا بالوعيد على الغلول وفى تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول بيان بين انه انما عرف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتف من صفة الانبياء وأخلاقهم لان ذلك جرم عظيم والانبياء لا تأتى مثله فان قال قائل ممن قرأ ذلك كذلك فاولى منه وما كان لنبى أن يخونه أصحابه ان ذلك كذا كرت ولم يعقب الله قوله وما كان لنبى أن يغل الا بالوعيد على الغلول ولكنه انما وجب الحكم بالصحة لقراءة من قرأ يغل بضم الياء وفتح الغين لان معنى ذلك وما كان لنبى أن يغله أصحابه يخونوه فى الغنائم قيل له أفكان لهم أن يغلوا غير النبى صلى الله عليه وسلم فيخونوه حتى خصوا بالنهى عن خيانة النبى صلى الله عليه وسلم فان قالوا نعم خرجوا من قول أهل الاسلام لان الله لم يبح خيانة أحد فى قول أحد من أهل الاسلام قط فان قال قائل لم يكن ذلك لهم فى نبى ولا غيره قيل فما وجه خصوصهم اذا بالنهى عن خيانة النبى صلى الله عليه وسلم وغلوله وغلول بعض اليهود بمنزلة فيما حرم الله على الغال من أموالهما وما يلزم المؤتمن من أداء الامانة اليهما واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى ذلك هو ما قلنا من ان الله عز وجل نفى بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات أنبيائه ناهيا بذلك عباده عن الغلول وآمرا لهم بالاستنان بمنهاج نبيهم كما قال ابن عباس فى الرواية التى ذكرناها من رواية عطية ثم عقب تعالى ذكره نهيهم عن الغلول بالوعيد عليه فقال ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة الآيتين معا ۞ القول فى تاويل قوله (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعنى بذلك تعالى ذكره ومن يخن من غنائم المسلمين شيا وفيئهم وغير ذلك يات به يوم القيامة فى المحشر كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن يحيى بن سعيد عن ابن حبان عن أبى زرعة عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قام خطيبا فوعظ وذكر ثم قال ألا لا غشى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيا قد أبلغتك الا هل غشى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة يقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيا قد أبلغتك الا هل غشى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيا قد أبلغتك الا هل غشى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته بقرة لها خوار يقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيا قد أبلغتك الا هل غشى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق يقول يا رسول الله أغثنى فاقول لا أملك لك شيا قد أبلغتك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن عن أبى حبان عن أبى زرعة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل هذا زاد فيه على رقبته بعيرله رغاء لا الفين أحدكم على رقبته نفس لها صياح حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أبو حبان عن أبى زرعة عن عمرو بن جرير عن أبى هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره فقال لا الفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعيرله رغاء يقول يا رسول الله أغثنى ثم ذكر نحو حديث أبى كريب عن عبد الرحمن حدثنا أبو كريب قال ثنا حفص بن بشر عن يعقوب القمى قال ثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعرفن أحدكم يات يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادى يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيا قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يات يوم القيامة يحمل جلالا له رغاء يقول يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك شيا قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يات يوم القيامة

يحمل فرسا له حمحمة ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل صامتا من ادم ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغتك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسباط بن محمد قال ثنا أبو اسحق الشيباني عن عبد الله بن ذكوان عن عروة ابن الزبير عن أبي حميد قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا فجاء بسواد كثير قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقبضه منه فلما أتوه جعل يقول هذا لي وهذا لكم قال فقالوا من أين لك هذا قال أهدي الي فانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك فخرج فخطب فقال أيها الناس ما بالي أبعث قوما الى الصدقة فيجيء أحدهم بالسواد الكثير فاذا بعثت من يقبضه قال هذا لي وهذا لكم فان كان صادقا فلا أهدي له وهو في بيت أبيه وفي بيت أمه ثم قال أيها الناس من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة على عنقه يحمله فاتقوا الله أن يأتي أحدكم يوم القيامة على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تثغو حدثنا ابن كريب قال ثنا أبو معاوية وابن نمير وعبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على صدقات بني سليم فلما جاء قال هذا لكم وهذا هدية أهديت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يجلس أحدكم في بيته فتأتيه هديته ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني استعمل رجالا منكم على أمور مما ولاني الله فيقول أحدهم هذا الذي لكم وهذا هدية أهديت الي أفلا يجلس في بيت أبيه أو بيت أمه فتأتيه هديته والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم من ذلك شيأ الا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه فلا أعرفن ما جاء رجل يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تثغو ثم رفع يده فقال اللهم هل بلغت حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحيم عن هشام ابن عروة عن أبيه عن أبي حميد حدثه بمثل هذا الحديث قال أفلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ثم رفع يده حتى اني لانظر الى بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت قال أبو حميد بصر عيني وسمع أذني حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثني عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو ابن الحرث أن موسى بن جبير حدثه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الانصاري حدثه أن عبد الله بن أنيس حدثه انه تذاكر هو وعمر يوما الصدقة فقال ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غلول الصدقة فمن غل منها بعيرا أو شاة فانه يحمله يوم القيامة قال عبد الله بن أنيس بلى حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال ثنا أبي قال ثنا يحيى بن سعيد الانصاري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة مصدقا فقال اياك يا سعد ان تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء قال لا أجده ولا أجيء به فاعفاه حدثنا أحمد بن المغيرة الحمصي أبو حميد قال ثنا الربيع بن روح قال ثنا ابن عياش قال ثني عبيد الله بن عمر بن حفص عن نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه استعمل سعد بن عبادة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اياك يا سعد أن تجيء يوم القيامة تحمل على عنقك بعيرا له رغاء فقال سعد فان فعلت يا رسول الله ان ذلك لكائن قال نعم قال سعد قد علمت يا رسول الله اني أسأل فأعطى فاعفني فاعفاه حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد ابن حباب قال ثنا عبد الرحمن بن الحرث قال ثني جدي عبيد بن أبي عبيد وكان أول مولود بالمدينة قال استعملت على صدقة دوس فجاءني أبو هريرة في اليوم الذي خرجت فيه فسلم فخرجت اليه فسلمت عليه فقال كيف أنت والبعير كيف أنت والبقر كيف أنت والغنم ثم قال سمعت نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أخذ بعيرا بغير حقه جاء به يوم القيامة له رغاء ومن أخذ بقرة

على وحدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدثات اليه ويكفي في رفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته أقول هذا اذا استدل النافي بعدم الدليل على وجود الشريك على نفيه أما اذا استدل النافي بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل على نفي الشريك ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الآخرة فقال وماواهم أي والمكان الذي يأوون اليه النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوى اذا أقام به ثم أكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم تستأصلونهم قتلا قال أصحاب الاشتقاق حسه أي قتله لانه أبطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا أصاب بطنه ورأسه اذا أصاب رأسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد أنه صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين يوم أحد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الا أن هذا كان مشروطا بشرط هو الصبر والتقوى وقيل المراد هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم قال بعض العلماء هذا ليس بشرط

فهذا لم يقتض الجواب والمعنى قد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل الآن وعدهم بالنصر كان شرطا بالصبر وقال آخرون أنه للجماعة
ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه أحدها (١٠٠) قال البصريون انه محذوف كما مر في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال
الكوفيون جوابه وعصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع أخرجهم من المكان الذي وقفهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها قال أبو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقطة وقيل جوابه مايدل عليه قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة والتقدير حتى اذا فشلتم صرتم فريقين والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما هزم المشركون ونساؤهم يصعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير أمير الرماة عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى أن قتلهم المشركون وقوله في الامر اما أن يكون بمعنى الشأن والقصة أي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشأن أو بمعنى الامر الذي يضاد النهي أي تنازعتم فيما أمركم الرسول به وعصيتم بترك ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية كأنهم فشلوا في أنفسهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في أنا هل نذهب في طلب الغنيمة أم لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية بمفارقة ذلك الموضع خاصة ببعض اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الآخرة وفائدة قوله من بعد ما أراكم ما تحبون التنبيه على عظم شأن المعصية لانهم لما شاهدوا ان الله أكرمهم بانجاز الوعد كان من حقه أن يمتنعوا عن المعصية فلما أقدموا عليها سلبهم ذلك الاكرام وأذاقهم وبال أمرهم قوله ثم صرفكم عنهم قالت

بغير حقها جاء بها يوم القيامة الها خوار ومن أخذ شاة بغير حقها جاء بها يوم القيامة على عنقه لها ثغاء فاياك والبقر فانها أحد قرونا وأشد أظلافا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثني محمد بن عبد الرحمن بن الحرث عن جده عبيد بن أبي عبيد قال استعملت على صدقة دوس فلما قضيت العمل قدمت فجاءني أبو هريرة فسلم علي فقال أخبرني كيف أنتم والابل ثم ذكر نحو حديثه عن زيد لانه قال جاء به يوم القيامة على عنقه له رغاء **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غنم مغنما بعث مناديا الا لا يغلن رجل مخيطا فما دونه الا لا يغلن رجل بعيرا فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء الا لا يغلن رجل فرسا فيأتي به على ظهره يوم القيامة له حمحمة ۞ القول في تأويل قوله (ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) يعني بذلك جل ثناؤه ثم توفى كل نفس ثم تعطى كل نفس جزاء مما كسبت بكسبها وافيا غير منقوص مما استحقته واستوجبته من ذلك وهم لا يظلمون يقول لا يفعل بهم الا الذي ينبغي أن يفعل بهم من غير أن يعتدي عليهم فينقصوا مما استحقوه كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ثم يجزي بكسبه غير مظلوم ولا معتدى عليه ۞ القول في تأويل قوله (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله بغلوله ما غل ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن مطرف عن الضحاك في قوله أفمن اتبع رضوان الله قال من لم يغل كمن باء بسخط من الله كمن غل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني سفيان بن عيينة عن مطرف بن طريف عن الضحاك قوله أفمن اتبع رضوان الله قال من أدى الخمس كمن باء بسخط من الله فاستوجب سخطا من الله وقال آخرون في ذلك بما **حدثني** به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أفمن اتبع رضوان الله على ما أحب الناس وسخطوا كمن باء بسخط من الله لرضى الناس وسخطهم يقول أفمن كان على طاعتي فثوابه الجنة ورضوان من ربه كمن باء بسخط من الله فاستوجب غضبه وكان مأواه جهنم وبئس المصير أسواء المثلان أي فاعرفوا * وأولى التأويلين بتاويل الآية عندي قول الضحاك بن مزاحم لان ذلك عقيب وعد الله على الغلول ونهيه عباده عنه ثم قال لهم بعد نهيه عن ذلك ووعيده أسواء المطيع لله فيما أمره ونهاه والعاصي له في ذلك أي انهما لا يستويان ولا تستوي حالتاهما عنده لان لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه الجنة ولمن عصاه فيما أمره ونهاه النار فمعنى قوله أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله اذا أفمن ترك الغلول وما نهاه الله عنه من معاصيه وعمل بطاعة الله في تركه ذلك وفي غيره مما أمره به ونهاه من فرائضه متبعا في كل ذلك رضى الله ومجتنبا سخطه كمن باء بسخط من الله يعني كمن انصرف متحملا سخط الله وغضبه فاستحق بذلك سكنى جهنم يقول ليسا سواء وأما قوله وبئس المصير فانه يعني وبئس المصير الذي يصير اليه ويؤب اليه من باء بسخط من الله جهنم ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعني تعالى ذكره بذلك ان من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الكرامة والثواب الجزيل ولمن باء بسخط من الله المهانة والعقاب الاليم كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون أي لكل درجات مما عملوا في الجنة والنار ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس هم

درجات

درجات عند الله يقول باعمالهم وقال آخرون معنى ذلك لهم درجات عند الله يعني لمن اتبع رضوان الله منازل عند الله كريمة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هم درجات عند الله قال هي كقوله لهم درجات عند الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي هم درجات عند الله يقول لهم درجات عند الله وقيل قوله هم درجات كقول القائل هم طبقات كما قال ابن هرمة

ان حما لمنون يكون قوم * نريب الدهر أم درج السيول

وأما قوله والله بصير بما يعملون فانه يعني والله ذو علم بما تعمل أهل طاعته ومعصيته لا يخفى عليه من أعمالهم شيء يحصي على الفريقين جميعا أعمالهم حتى توفى كل نفس منهم جزاء ما كسبت من خير وشر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله بصير بما يعملون يقول ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته ۞ القول في تاويل قوله (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) يعني بذلك لقد تطول الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا حين أرسل فيهم رسولا من أنفسهم نبيا من أهل لسانهم ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول يتلو عليهم آياته يقول يقرؤا عليهم آي كتابه وتنزيله ويزكيهم يعني يطهرهم من ذنوبهم باتباعهم اياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني ويعلمهم كتاب الله الذي أنزله عليه ويبين لهم تأويله ومعانيه والحكمة يعني بالحكمة السنة التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيانه لهم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني ان كانوا من قبل ان يمن الله عليهم بارساله رسوله الذي هذه صفته لفي ضلال مبين يقول في جهالة جهلاء وفي حيرة عن الهدى عمياء لا يعرفون حقا ولا يبطلون باطلا وقد بينا أصل الضلالة فيما مضى وانه الاخذ على غير هدى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع والمبين الذي يبين لمن تامله بعقله وتدبره بفهمه انه على غير استقامة ولا هدى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم من الله عليهم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الامة جعله الله رحمة لهم ليخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة السنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ليس والله كما تقول أهل حرور اء محنة عالية من أخطاها اهريق دمه ولكن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم الى قوم لا يعلمون فعلمهم ذلك قوم لا أدب لهم فأدبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لقد من الله على المؤمنين الى قوله لفي ضلال مبين أي لقد من الله عليكم يا أهل الايمان اذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم فيما أخذتم وفيما علمتم ويعلمكم الخير والشر لتعرفوا الخير فتعملوا به والشر فتتقوه ويخبركم برضاه عنكم اذا أطعتموه لتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته فتتخلصوا بذلك من نقمته وتدركوا بذلك ثوابه من جنته وان كنتم من قبل لفي ضلال مبين أي في عمى من الجاهلية لا تعرفون حسنة ولا تستغيثون من سيئة صم عن الحق عمى عن الهدى ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شيء قدير) يعني تعالى ذكره بذلك أو حين أصابتكم أيها المؤمنون مصيبة وهي القتلى الذين قتلوا منهم والجرحى الذين جرحوا منهم باحد وكان المشركون قتلوا منهم يوم اذ سبعين نفرا قد أصبتم مثليها يقول قد أصبتم أنتم أيها المؤمنون من

ثم اعلم ان هذا الصرف انه تعالى وفق المسلمين من الكفار وحالت الريح دون ما كانت سببا لحتى وقف الوزير تعلق المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفر ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه وأما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير وقالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد أضافها الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وأيضا أنه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تاويل الآية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان أولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هناك الى ان أحاط بهم العدو وعلموا أنهم لو استمروا على المكث هناك لقتلهم العدو من غير فائدة أصلا فلهذا السبب جاز لهم أن يتنحوا عن ذلك الموضع يتحرزون فيه عن العدو ألا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل في جماعة من أصحابه فتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف جائزا أضافه الله الى نفسه بمعنى انه كان بامره وباذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه أمرهم هناك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل أقاربهم وأحبائهم من أعظم أنواع الابتلاء فاذن الآية مشتملة على المعذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وسبب العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال أبو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى أزال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ومعنى الابتلاء

أنه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما اقترفوه أم علموا أنه قد عفا عنهم قال القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم

ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح أن يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلابد من
اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن أهل العفو وقالت الاشاعرة لاشك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل جمع غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الآية دل على انه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الآية دليلا على انه قد يعفو عن أصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم أو عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالآية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة من انه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون اما مستأنف باضمار واذكر واما ان يتعلق بما قبله أي عفى عنكم اذ تصعدون لان ما صدر عنهم من مغار قتذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين فنبه افترفوه أو المعنى ليبتليكم اذ تصعدون أو ثم صرفكم حين اصعادكم والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيها قال أبو معاذ النحوي كل شئ له أسفل وأعلى كالوادي والنهر والازقة فهو قال فيه اصعد افاذا أخذ من أسفله الى أعلاه وأما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلوون على أحد لا تلتفتون اليه وأصله ان المعرج على الشئ يلوي اليه عنقه أو عنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله انا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كر فله الجنة فيحتمل انه كان يدعوهم الحسين الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل أنه كان يدعوهم الى محاربة العدو في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم

المشركين مثلي هذه المصيبة التي أصابوا هم منكم وهي المصيبة التي أصابها المسلمون من المشركين ببدر وذلك انهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين قلتم انى هذا يعني قلتم لما أصابتكم مصيبتكم باحد انى هذا من أي وجه هذا ومن أين أصابنا هذا الذي أصابنا ونحن مسلمون وهم مشركون وفينا نبي الله صلى الله عليه وسلم يأتيه الوحي من السماء وعدونا أهل كفر بالله وشرك قل يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك هو من عند أنفسكم بقول قل لهم أصابكم هذا الذي أصابكم من عند أنفسكم بخلافكم أمري وتركيكم طاعتي لا من عند غيركم ولا من قبل أحد سواكم ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة وتفضل وانتقام قدير يعني ذو قدرة ثم اختلف أهل التاويل في تاويل قوله قل هو من عند أنفسكم بعد اجماع جميعهم على ان تاويل سائر الآية على ما قلنا في ذلك من التأويل فقال بعضهم تاويل ذلك قل هو من عند أنفسكم بخلافكم على نبي الله صلى الله عليه وسلم اذ أشار عليكم بترك الخروج الى عدوكم والاصحار لهم حتى يدخلوا عليكم مدينتكم ويصيروا بين آطامكم فابيتم ذلك عليه وقلتم أخرج بنا اليهم حتى نعصر لهم فنقاتلهم خارج المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا أصيبوا يوم أحد قتل منهم سبعون يومئذ وأصابوا مثليها يوم بدر قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم أحد حين قدم أبو سفيان والمشركون فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه انا في جنة حصينة يعني بذلك المدينة فدعوا القوم ان يدخلوا علينا نقاتلهم فقال له ناس من أصحابه من الانصار يا نبي الله انا نكره ان نقتل في طرق المدينة وقد كنا نمتنع من الغزو في الجاهلية فبالاسلام أحق ان نمتنع فيه فابرز نبينا الى القوم فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته فتلاوم القوم فقالوا عرض نبي الله صلى الله عليه وسلم بامر وعرضتم بغيره اذهب يا حمزة فقل لنبي الله صلى الله عليه وسلم أمرنا الامرك تبع فاتى حمزة فقال له يا نبي الله ان القوم قد تلاوموا وقالوا أمرنا الامرك تبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يناجز وانه ستكون فيكم مصيبة قالوا يا نبي الله خاصة أو عامة قال ستر ونها ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام ان بقرا تنحر فتاولها قتلا في أصحابه ورأى ان سيفه ذا الفقار بن انقصم فكان قتل عمه حمزة قتل يومئذ وكان يقال له أسد الله ورأى ان كبشا أغبر فتاوله كبش الكتيبة عثمان بن أبي طلحة أصيب يومئذ وكان معه لواء المشركين حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه غير انه قال قد أصبتم مثليها يقول مثلي ما أصيب منكم قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم يقول بما عصيتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال أصيب المسلمون يوم أحد مصيبة وكانوا قد أصابوا مثليها يوم بدر من قتلوا وأسروا فقال الله عز وجل أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عمر بن عطاء عن عكرمة قال قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسر واسبعين وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين فذلك قوله قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا اذ نحن مسلمون نقاتل غضبا لله وهؤلاء مشركون قل هو من عند أنفسكم عقوبة لكم بمعصيتكم النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ما قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم قالوا فانما أصابنا هذا لانا قبلنا الفداء يوم بدر من الاسارى وعصينا النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فمن قتل منا كان شهيدا ومن بقي منا كان مطهرا رضينا بالله وبا حدثنا القاسم قال ثنا

بسبب الهزيمة قد تقدموه صلى الله عليه وسلم وبقي هو صلى الله عليه وسلم في الجماعة المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجملتهم الأولى فأثابكم قال في الكشاف أنه عطف على صرفكم وأقول لا يبعد أن يعطف على تصعدون لأنه بمعنى أصعدتم بدليل أن يقال ناب إليه أي رجع والمرأة تسمى ثيبا لأن راطمها عائد إليها فاصل الثواب كل ما يعود إلى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان أو شرا إلا أن العرف خصه بالخير فإن حملنا لفظ الآية على أصل اللغة استقام بلا تأويل وإن حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف وتحيتك الضرب أو يجعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو في الأصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء في بغم يحتمل أن تكون بمعنى المعاوضة نحو بعت هذا بذاك ويحتمل أن تكون بمعنى المصاحبة أما الاحتمال الأول ففيه وجوه قال الزجاج أنكم لما أذقتم الرسول غما بسبب عصيان أمره أذاقكم الله غم الانهزام وقيل المجازاة والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد غم يوم أحد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفي الكشاف يجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول أي فآساكم في الاغتمام فكان غمكم ما نزل به من كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغيره غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ومن الانضمام في سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها وأما الاحتمال الثاني ففيه وجهان أحدهما أن يكون هناك غمان الاول ما أصابهم عند الفشل والتنازع والثاني ما حصل عند الهزيمة أو الاول غم فوت الغنائم والثاني ان أبا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما أو الاول هذا والثاني خوفهم من رجوع المشركين واستئصال المسلمين أو الاول ما أصابهم في أنفسهم وأموالهم والثاني غم الارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو الاول خوف عقاب المعصية

الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن وابن جريج قالا معصيتهم انه قال لهم لا تتبعوهم يوم أحد فاتبعوهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى ثم ذكر ما أصيب من المؤمنين يعنى بأحد وقتل منهم سبعون انسانا أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها كانوا يوم بدر أسروا سبعين رجلا وقتلوا سبعين قلتم انى هذا أى من أين هذا قل هو من عند انفسكم انكم عصيتم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها يقول انكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثل ما أصابوا منكم يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم أى ان ذلك قد أصابتكم مصيبة فى اخوانكم فبذنوبكم قد أصبتم مثليها قبلا من عدوكم فى اليوم الذى كان قبله ببدر قتلى وأسرى ونسيتم معصيتكم وخلافكم ما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم انكم أحللتم ذلك بانفسكم ان الله على كل شئ قدير أى ان الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها الآية يعنى بذلك انكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلى ما أصابوا منكم يوم أحد وقال بعضهم بل تأويل ذلك قل هو من عند أنفسكم باساءتكم المشركين يوم بدر وأخذكم منهم الفداء وتركهم قتلاهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة قال أمر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاروا ان تأخذوا منهم الفداء فتقووا به على عدوكم وان قبلتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم فقالوا بل نأخذ الفدية منهم ويقتل منا سبعون قال فأخذوا الفدية منهم وقتلوا منهم سبعين قال عبيدة وطلبوا الخيرتين كليتهما حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة انه قال فى أسارى بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم قالوا بل نأخذ الفداء فنستمتع به ويستشهد منا بعدتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى اسمعيل عن ابن عون عن عبيدة السلمانى عن على قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك فى أخذهم من الاسارى وقد أمرك ان تخيرهم بين أمرين ان يقدموا فتضرب أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا لا بل نأخذ فداهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فليس فى ذلك ما يكره قال فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا عدة أسارى أهل بدر ۞ القول فى تأويل قوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) يعنى تعالى ذكره بذلك والذى أصابكم يوم التقى الجمعان وهو يوم أحد حين التقى جمع المسلمين والمشركين ويعنى بالذى أصابهم ما نال من القتل من قتل منهم ومن الجراح من جرح منهم فبإذن الله يقول فهو بإذن الله كان يعنى بقضائه وقدره فيكم وأجاب ما بالفاء لان ما حرف جزاء وقد بينت نظير ذلك فيما مضى وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا يعنى وليعلم الله المؤمنين وليعلم الذين نافقوا أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان بأحد ليميز أهل الايمان بالله ورسوله المؤمنين منكم من المنافقين فيعرفونهم لا يخفى عليهم أمر الفريقين وقد بينا تأويل قوله وليعلم المؤمنين فيما مضى وما وجه ذلك بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ونحو ما قلنا فى ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين أى

والثانى غم التوبة فانهما لا تتم الا بالعود الى المحاربة واذا أمر بالمعاودة بعد القتل والقتلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان لم يفعل خاف الكفر وعقوبة الآخرة فانهما أن يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشمل جميع الغموم المعدودة وما يخرط فى سلكها ثم اللام فى قوله لكيلا تحزنوا يحتمل أن يتعلق بقوله ولقد عفى عنكم لان فى عفوه تعالى ما يزيل كل هم وحزن واما أن يتعلق بقوله فاثابكم فيكون المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا على مجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف أمر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم أحد فى مقابلة ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصائبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوائدها قال الاشاعرة معنى اثابة الغم من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شئ وأما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه أسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغمون بالمصائب وهم لا يحمدون على ذلك ولا يذمون وان سلم أنه يخلق الله فلرعاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية ولكن الغرض أن لا يبقى فى قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول فانما فعل ذلك ليسليهم ويتنفس عنهم لئلا يحزنوا على ما فاتهم من نصر الله ولا على ما أصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى كما فى قول الزجاج أو المراد انكم قلتم لو بقينا فى هذا المكان وامتثلنا وظننا فى غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم أمر الرسول وطلبتم الغنيمة وقعتم فى غموم أخر كل واحد منها أعظم من ذلك الرملى

ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فباذنى كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد ان جاءكم نصرى وصدقتم وعدى لميز بين المنافقين والمؤمنين وليعلم الذين نافقوا منكم أى ليظهروا ما فيهم ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) يعنى تعالى ذكره بذلك عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه حين سار نبى الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين باحد لقتالهم فقال لهم المسلمون تعالوا قاتلوا المشركين معنا وادفعوا بتكثيركم سوادنا فقالوا لو نعلم انكم تقاتلون لسرنا معكم اليهم ولكنا معكم عليهم ولكن لا نرى انه يكون بينكم وبين القوم قتال فابدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه وابدوا بالسنتهم بقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى حين خرج الى أحد فى ألف رجل من أصحابه حتى اذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنهم عبد الله بن أبى ابن سلول بثلث الناس فقال أطاعهم فخرج وعصانى والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب واتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام أخو بنى سلمة يقول يا قوم أذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوكم فقالوا لو نعلم انكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال فلما استعصوا عليه وأبوا الا الانصراف عنهم قال أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا يعنى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى عدوه من المشركين باحد وقوله لو نعلم قتالا لاتبعناكم يقول لو نعلم انكم تقاتلون لسرنا معكم ولدفعنا عنكم ولكن لا نظن أن يكون قتال فظهر منهم ما كانوا يخفون فى أنفسهم يقول الله عز وجل هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان وليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون أى يخفون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى يوم أحد فى ألف رجل وقد وعدهم الفتح ان صبروا فلما خرجوا رجع عبد الله بن أبى ابن سلول فى ثلثمائة فتبعهم أبو جابر السلمى يدعوهم فلما غلبوه وقالوا له ما نعلم قتالا ولئن أطعتنا لترجعن معنا قال فذكر الله أصحاب عبد الله بن أبى ابن سلول وقول عبد الله أبى جابر بن عبد الله الانصارى حين دعاهم فقالوا ما نعلم قتالا ولئن أطعتمونا لترجعن معنا فقال الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم قال نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول قال ابن جريج وأخبرنى عبد الله بن كثير عن مجاهد لو نعلم قتالا قال لو نعلم انا واجدون معكم قتالا لو نعلم مكان قتال لاتبعناكم واختلفوا فى تاويل قوله أو ادفعوا فقال بعضهم معناه أو أكثروا فانكم اذا كثرتم دفعتم القوم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى أو ادفعوا يقول أو كثروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أو ادفعوا قال بكثرتكم العدو وان لم يكن قتال وقال آخرون معنى ذلك أو رابطوا ان لم تقاتلوا ذكر من قال ذلك حدثنا اسمعيل بن حفص الاملى وعلى بن سهل

فصبرهذا ما تعالهم من أن يحزنوا على فوات الغنيمة فى وقعة أخرى ثم كما زجرهم على تلك المعصية بزاجر نبوى زجرهم بزاجر أخروى فقال والله

الرملى قالا ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا عتبة بن ضمرة قال سمعت أبا عون الانصارى فى قوله قاتلوا فى سبيل الله قالوا بطلوا وأما قوله والله أعلم بما يكتمون فانه يعنى به والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون للمؤمنين لو نعلم قتالا لاتبعناكم بما يضمرون فى أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه فيستر ونه من العدا وقوالشنآن وانهم لو علموا قتالا ما تبعوهم ولادافعوا عنهم وهو تعالى ذكره محيط بما يخفونه من ذلك مطلع عليه ومحصيه عليهم حتى ليهتك أستارهم فى عاجل الدنيا فيفضحهم به ويصليهم به الدرك الاسفل من النار فى الآخرة ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعنى تعالى ذكره بذلك وليعلم الله الذين نافقوا الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا فموضع الذين نصب على الابدال من الذين نافقوا وقد يجوز أن يكون رفعا على الترجمة عما فى قوله يكتمون من ذكر الذين نافقوا يعنى الآية وليعلم الله الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين فى حربهم المشركين باحد يوم أحد لقتلوا هنا لك من عشائرهم وقومهم وقعدوا يعنى وقعد هؤلاء المنافقون لقاتلون ما قالوا مما أخبر الله عز وجل عنهم من قيلهم عن الجهاد مع اخوانهم وعشائرهم فى سبيل الله لو أطاعونا يعنى لو أطاعنا من قتل باحد من اخواننا وعشائرنا ماقتلوا يعنى ماقتلوا هنالك قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين فادرؤا يعنى فادفعوا من قول القائل درأت عن فلان القتل بمعنى دفعت عنه ادرؤه درأ ومنه قول الشاعر

أقول وقد درأت لها وضينى * وهذا دينه أبدا ودينى

يقول تعالى ذكره قل لهم فادفعوا ان كنتم أيها المنافقون صادقين فى قيلكم لو أطاعنا اخواننا فى ترك الجهاد فى سبيل الله مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتالهم أبا سفيان ومن معه من قريش ماقتلوا هنالك بالسيف ولكانوا أحياء يقعودهم معكم وتخلفهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وشهود جهاد أعداء الله معه الموت فانكم قد قعدتم عن خروجهم وقد تخلفتم عن جهادهم وأنتم لامحالة ميتون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم لو أطاعونا ماقتلوا الآية أى انه لابد من الموت فان استطعتم ان تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا ذلك انهم انما نافقوا وتركوا الجهاد فى سبيل الله حرصا على البقاء فى الدنيا وفرارا من الموت ذكر من قال الذين قالوا لاخوانهم هذا القول هم الذين قال الله فيهم وليعلم الذين نافقوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا الآية ذكر لنا انها نزلت فى عدو الله عبد الله بن أبى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى قال هم عبد الله بن أبى وأصحابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال هو عبد الله بن أبى الذى قعد وقال لاخوانه الذين خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد لو أطاعونا ماقتلوا الآية قال ابن جريج عن مجاهد قال قال جابر بن عبد الله هو عبد الله بن أبى ابن سلول حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا الآية قال نزلت فى عدو الله عبد الله بن أبى ۞ القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعنى تعالى ذكره ولا تحسبن ولا تظنن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تحسبن ولا تظنن وقوله الذين قتلوا فى سبيل الله يعنى الذين قتلوا باحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواتا يقول ولا تحسبنهم يا محمد أمواتا لا يحسون شيأ ولا يلتذون ولا يتنعمون فانهم أحياء عندى متنعمون فى رزقى

سيظهر على سائر الاديان فخاطب الجماعة بقوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا وأراد هؤلاء بقوله يغشى طائفة منكم والأمنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور فى أوائل النوم وانتصاب أمنة على انها حال متقدمة من نعاسا مثل رأيت راكبا جملا أو مفعول له بمعنى نعستم أمنة أو على أنه حال من المخاطبين بمعنى ذوى أمنة أو على انه جمع آمن كبار وبررة أو على أنه مفعول أنزل ونعاسا بدل منه قال أبو طلحة غشانا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أخذ الا ويميل تحت جفنه وعن الزبير كنت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشانى يقول لو كان لنا من الامر شئ ماقتلنا ههنا وعن ابن مسعود النعاس فى القتال أمنة والنعاس فى الصلاة من الشيطان وذلك انه فى القتال لايكون الامن غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولايكون فى الصلاة الامن غاية البعد عن الله وكان فى ذلك النعاس فوائد منها ان شموله للمؤمنين كلهم لافى الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة له صلى الله عليه وسلم موجبة لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم فى الجهاد ومنها ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس يجدد القوة والنشاط ومنها شغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها

ان الاعداء كانوا حراصا على قتلهم فبقاؤهم سالمين فى تلك المعركة وهم فى النوم من أدل الدلائل على ان حفظ الله وكلاءته معهم ومن

الناس من زعم ان ذكر الناس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع أن فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم ان من قرأ تغشى بالتاء فالعود الى الامنة بتأويله ان الامنة مقصودة بالذات والناس مقصود بالعرض ولانها متبوع وانه تابع ومن قرأ بالياء فالعود الى الناس وينصره كونه أقرب وكون المبدل في حكم المنحى وموافقته لقوله في قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب تقول غشيه النعاس وقلما يقولون غشيته الامن ولان النعاس والامنة لما كانا شيأ واحدا كان التذكير أولى وأما الفريق الثاني فهم المنافقون الذين كانوا في شك من نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضر والا لطلب الغنيمة كعبد الله بن أبي ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ما بهم الا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم النبي ولا المسلمين والهم الامر الشديد يقال أهمه ذلك الامر أي أقلقه وأحزنه فالمعنى أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان منهم بسبب التشكك وعدم الثبات والتحقيق فيمان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشئ واستغراقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان أحب الاشياء عندهم هو النفس وكانت أسباب الخوف على النفس هنالك موجودة والدافع لذلك وهو الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن لهم هنالك الا هم أنفسهم يظنون بالله غير الحق وهو في حكم المصدر أي غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به وظن الجاهلية بدل منه والفائدة في هذا الترتيب ان غير الحق أديان كثيرة وأرداها مقالات أهل الجاهلية فذكر أولا أنهم يظنون بالله ظنا باطلا ثم بين أنهم اختاروا من الاديان أرذالها كما يقال فلان دينه ليس بحق دينه دين الملاحدة أو ظن الجاهلية مصدر وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما أضيف للملابسة أي الظن المختص بالملة الجاهلية وهي زمان الفترة قبل الاسلام الدنيا

فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي وحبوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق وثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا اسمعيل بن عياش عن ابن اسحق عن اسمعيل بن أمية عن أبي الزبير المكي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم وما كلهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير بن عبد الحميد وثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قالا ثنا محمد بن اسحق عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق بن الاجدع قال سألنا عبد الله ابن مسعود عن هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية قال أما انا قد سألنا عنها فقيل لنا انه لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما اطلعهم الله اليهم اطلاعة فيقول يا عبادي ما تشتهون فازيدكم فيقولون ربنا الا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ثلاث مرات ثم يطلع فيقول يا عبادي ما تشتهون فازيدكم فيقولون ربنا الا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا الا أنا نختار ترد أرواحنا في أجسادنا ثم ترد بنا الى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى حدثنا الحسن بن أبي يحيى المقدسي قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ثم ذكر نحوه وزاد فيه اني قد قضيت أن لا ترجعوا حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء ولولا عبد الله ما أخبرنا به أحد قال أرواح الشهداء عند الله في أجواف طير خضر في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم ترجع الى قناديلها فيطلع اليهم ربهم فيقول ماذا تريدون فيقولون نرجع الى الدنيا فنقتل مرة أخرى حدثنا ابن كريب قال ثنا عبد الرحيم بن سليمان وعبدة بن سليمان عن محمد بن اسحق عن الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق من نهر بباب الجنة في قبة خضراء وقال عنده في روضة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا حدثنا أبو كريب وأنبأنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله الا انه قال في قبة خضراء وقال يخرج عليهم فيها حدثنا ابن وكيع وأنبأنا ابن ادريس عن محمد بن اسحق قال ثني الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق وثني بن الفضيل الانصاري عن محمود بن لبيد الانصاري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني ٧ أيضا يعني اسمعيل بن عياش عن ابن اسحق عن الحرث بن الفضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق وثني بعض أصحابي عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك يا جابر قال قلت بلى يا رسول الله قال ان أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله ثم قال له ما تحب يا عبد الله بن عمرو ان أفعل بك قال يا رب أحب أن تردني الى

الدنيا فاقتل فيك فاقتل مرة أخرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا ان رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا ليتنا نعلم ما فعل اخواننا الذين قتلوا يوم أحد فانزل الله تبارك وتعالى في ذلك القرآن ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون كنا نحدث ان أرواح الشهداء تعارف في طير بيض تأكل من ثمار الجنة وان مساكنهم السدرة حدثت عن عمار وأنبأنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه الا انه قال تعارف في طير خضر وبيض وزاد فيه أيضا وذكر لنا عن بعضهم في قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء قال هم قتلى بدر وأحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة قال قالوا يا رب ألا نرسل لنا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنا بما أعطيتنا فقال الله تبارك وتعالى أنا رسولكم فامر جبريل عليه السلام أن يأتي بهذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآيتين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال أرواح الشهداء عند الله كطير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت قال فاطلع اليهم ربك اطلاعة فقال هل تشتهون من شئ فازيدكموه قالوا ربنا أي شئ نسرح في الجنة فأيها شئنا ثم اطلع عليهم الثالثة فقال هل تشتهون من شئ فازيدكموه قالوا تعيد أرواحنا في أجسادنا فنقاتل في سبيلك مرة أخرى فسكت عنهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عطاء بن السائب عن ابن عيينة عن عبد الله انهم قالوا في الثالثة حين قال لهم هل تشتهون من شئ فازيدكموه قالوا تقرئ نبينا عنا السلام وتخبره ان قد رضينا ورضي عنا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يرغب المؤمنين في ثواب الجنة و يهون عليهم القتل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون أي قد أحييتهم فهم عندي يرزقون في درج الجنة وفضلها مسرورين بما آتاهم الله من ثوابه على جهادهم عنه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال الضحاك قال كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوما كيوم بدر يبلون فيه خيرا و يرزقون فيه الشهادة يرزقون فيه الجنة والحياة في الرزق فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ الله منهم شهداء وهم الذين ذكرهم الله فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال ذكر الشهداء فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم الى قوله ولا هم يحزنون زعم ان أرواح الشهداء في أجواف طير خضر في قناديل من ذهب معلقة بالعرش فهي ترعى بكرة وعشية في الجنة تبيت في القناديل فاذا سرحن نادى منادما ذا تريدون ماذا تشتهون فيقولون ربنا نحن فيما اشتهت أنفسنا فيسألهم ربهم أيضا ماذا تشتهون وماذا تريدون فيقولون نحن فيما اشتهت أنفسنا فيسألون الثالثة فيقولون ما قالوا ولكنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا لما يرون من فضل الثواب حدثنا ابن حميد قال ثنا عباد قال ثنا ابراهيم بن معمر عن الحسن قال ما زال ابن آدم يتعمد حتى صار حيا ما يموت ثم تلا هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا عمرو بن يونس قال ثنا اسحق بن أبي طلحة قال ثني أنس بن مالك في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله صلى الله عليه وسلم الى أهل بئر معونة قال لا أدري أربعين أو سبعين قال وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري فخرج أولئك

يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو أنهم كانوا يقولون لو كان محمد حقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد أما عند أهل السنة فلانه تعالى فاعل لما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه واذا شرف المولى عبده بخلعة لم يجب أن يشرفه باخرى وأما عند من يعتبر المصالح في أفعاله وأحكامه فلا يبعد أن يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه اضطر الناس الى معرفة الحق وكان ينافي التكاليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله أعلم يقولون هل لنا من الامر من شئ حكاية شبهة تمسك بها أهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها أحدها هل لنا من التدبير من شئ يعنون رأي عبد الله بن أبي وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل قوله حين أمره أن يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكي عنه لو أطاعونا ما قتلوا ونانيها من عادة العرب أنه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر أي هل لنا من الامر الذي كان يعد نابه محمد صلى الله عليه وسلم وهو النصر والقدرة شئ ورابعها أنطمع أن يكون لنا الغلبة على هؤلاء

والغرض منه تعيير المسلمين على التشديد في الجهاد فامر الله تعالى أن يجيب عنها بقوله قل ان الامر والحوادث باسرها مستندة الى قضائه وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك واذا أراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا

النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غارا مشرفا على الماء فعدوا فيه ثم قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال أراه أبا ملحان الانصاري أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى أتى حيا منهم فاحتبى امام البيوت ثم قال يا أهل بئر معونة اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم اني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فقتلوهم أجمعين عامر بن الطفيل قال قال اسحق حدثني أنس بن مالك أن الله تعالى أنزل فيهم قرآنا رفع بعد ما قرأناه زمانا وأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حدثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لقوا ربهم فأكرمهم فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب قالوا يا ليت بيننا وبين اخواننا من يبلغهم انا الفينا ربنا فرضي عنا وأرضانا فقال الله تبارك وتعالى انا رسولكم الى نبيكم واخوانكم فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى قوله ولا هم يحزنون فهذا الثناء الذي بلغه رسوله والمؤمنين ما قال الشهداء وفي نصب قوله فرحين وجهان أحدهما أن يكون منصوبا على الخروج من قوله عند ربهم والآخر من قوله يرزقون ولو كان رفعا بالرد على قوله بل أحياء فرحون كان جائزا ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني بذلك تعالى ذكره ويفرحون بمن لم يلحق بهم من اخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله لعلمهم بأنهم ان استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله الى مثل الذي صاروا هم اليه فهم لذلك مستبشرون بهم فرحون انهم اذا صاروا كذلك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني بذلك لا خوف عليهم لانهم قد أمنوا عقاب الله وأيقنوا برضاه عنهم فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا ولا هم يحزنون ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها المنغض الذي صاروا اليه والدعة والزلفة ونصب الا بمعنى يستبشرون لهم بانهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية يقول لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم وأمرهم لما قدموا عليه من الكرامة الفضل والنعيم الذي أعطاهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية يقول اخواننا يقتلون كما قتلنا يلحقونا فيصيبون من كرامة الله تعالى ما أصبنا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ذكر لنا عن بعضهم في قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال هم قتلى بدر وأحد زعموا ان الله تبارك وتعالى لما قبض أرواحهم وأدخلهم الجنة جعلت أرواحهم في طير خضر ترعى في الجنة وتأوي الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة قالوا ليت اخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه فاذا شهدوا قتالا تعجلوا الى ما نحن فيه فقال الله تعالى اني منزل على نبيكم ومخبر اخوانكم بالذي أنتم فيه ففرحوا به واستبشروا وقالوا يخبر الله نبيكم واخوانكم بالذي أنتم فيه فاذا شهدوا قتالا أقوم قال فذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله الى قوله أجر المؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أي ويسرون بلحوق

تعالى نبيه أن يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا فيها لان ما كتب الله في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم القتال الكفار الى مصارعهم ولم يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب اما الاختلاف العبارة ولان الابتلاء محله القلب الذي في الصدر والتمحيص مورده الهيئات والعقائد التي في القلب واعلم ان نسق هذه الآية أنيق ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ وأهمتهم صفته ويظنون خبره ويحتمل أن يكون خبره محذوفا أي ومنهم طائفة أهمتهم ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان لجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون أو بيان وانما صح وقوع القول الذي معقوله انشاء بدلا من الاخبار بالظن لان سببه الهم كان صادرا عن الظن ويجوز أن يكون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع فلانه مبتدأ وقد خبره والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تأكيدا للامر ووقع خبر ان كلو قلت ان الامر أجمع لله وقوله يقولون استئناف وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف وأما نظمه فانه لما أخبر عن هذه الطائفة من بأنهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بأنهم يقولون هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا ممن كان ظانا بل شاكا في حقية

هذا الذين وفى المبدأ والمعاد وفى الشدة والقدر فزال ذلك الظن بقوله تعالى ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك مظنة أن يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين أراد ان يكشف عن سالهم ويبين مقالهم بما لا يغتر به المؤمنون فقال يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك أى ذلك القول انما صدر عنهم فى هذه الحالة فكان لسائل أن يسأل ما الذى يخفونه فى أنفسهم فقيل يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وقدر تفسيره ويحتمل أن يراد لو كان لنا رأى مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل ههنا فيكون كالطعن فى قوله قل ان الامر كله لله قال فى التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السنى والمعتزلى فذاك يقول العصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء آمن وان شاء كفر فامر النبى صلى الله عليه وسلم أن يجيب عن هذا الاعتقاد بان ماقضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شتم المصالح ففائدته الابتلاء وهو أن يتميز الموافق عن المنافق كما فى المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصار المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصى والسيئات ثم قال والله عليم بذات الصدور بما جنتها وهى الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه لا يخفى عليه شئ وانما ذلك لبعض الالهية أو الاستصلاح قوله عز من قائل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يوم أحد وذكر محمد بن اسحق ان ثلثمائة الا سبعة وعشرين وثلثمائة الا ثلاثة عشر وثلثمائة الا ثلاثة عشر وثلثمائة ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان أولهم سعد بن عثمان أخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثم بعد رجال ومحاوا على نسائهم فى جعل النساء يقلن أعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرون وكن يحثين التراب فى وجوههم ويقلن هناك المغزل أغزل وقال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال الفعال الذى تدل عليه الاخبار فى الجملة

من لحق بهم من اخوانهم على مامضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم وأذهب الله عنهم الخوف والحزن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم قال هم اخوانهم من الشهداء ممن يستشهد من بعدهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حتى بلغ وان الله لا يضيع أجر المؤمنين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى أما يستبشرون بالذى لم يلحقوا بهم من خلفهم فان الشهيد يؤتى بكتاب فيه من يقدم عليه من اخوانه وأهله فيقال يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا فيستبشر حين يقدم عليه كما يستبشر باهل الغائب يقدومه فى الدنيا ۞ القول فى تاويل قوله (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) يقول جل ثناؤه يستبشرون يفرحون بنعمة من الله يعنى بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه وفضل يقول وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ماسلف منهم من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجهاد أعدائه وان الله لا يضيع أجر المؤمنين كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يستبشرون بنعمة من الله وفضل الآية تلطفا عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب واختلفت القراء فى قراءة قوله وان الله لا يضيع أجر المؤمنين فقرأ ذلك بعضهم بفتح الالف من ان بمعنى يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبان الله لا يضيع أجر المؤمنين وبكسر الالف على الاستئناف واحتج من قرأ ذلك كذلك بانها فى قراءة عبد الله وفضل والله لا يضيع أجر المؤمنين قالوا فذلك دليل على ان قوله وان الله مستانف غير متصل بالاول ومعنى قوله لا يضيع أجر المؤمنين لا يبطل جزاء أعمال من صدق رسوله واتبعه وعمل بما جاءه من عند الله وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك وان الله بفتح الالف لاجماع الحجة من القراء على ذلك ۞ القول فى تاويل قوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) يعنى بذلك جل ثناؤه وان الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم وانما عنى الله تعالى ذكره بذلك الذين تبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فى طلب العدو أبى سفيان ومن كان معه ممن مشركى قريش منصرفهم عن أحد وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثره حتى بلغ حمراء الاسد وهى على ثمانية أميال من المدينة ليرى الناس انه وأصحابه قوة على عدوهم كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى حسان بن عبد الله عن عكرمة قال كان يوم أحد السبت للنصف من شوال فلما كان الغد من يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يا رسول الله ان أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع وقال لى يا بنى انه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضا العدو ليبلغهم انه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة وان الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال حدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الاشهل كان شهد أحدا قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا أنا وأخ لى فرجعنا جريحين فلما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو قلت لاخى أو قال لى

ان نفرا قليلا تولوا وابتعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب وأما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هناك ومن المنهزمين عمر الا أنه لم يكن في أوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى ان صعد النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم أيضا عثمان انهزم هو مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى باغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذهبتم فيها عريضة وأما الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب ابن المنذر وأبو حارثة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يوم عقد على الموت ثلاثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار أبو حارثة والحرث بن الصمة وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم أحد وروى ابن عتيبة انه أصيب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من ثلاثين كلهم يجيء ويجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء ونفسي لنفسك السلام غير مودع انما استزلهم الشيطان بقول زلت يا فلان تزل زليلا اذا زل في طين أو منعلق والاسم الزلة واستزله غيره كأنه طلب منه الزلة ودعاه اليها والباء في بعض ما كسبوا للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم والمعنى انه كان قد صدر عنهم خيانات فبواسطة تلك الخيانات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما فكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حال يرضونها والابعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين

أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما لنا من دابة نركبها وما منا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسر جرحا منه فكنت اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فقام بهم ثلاثا الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فقال الله تبارك وتعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أي الجراح وهم الذين سار وامع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد الى حمراء الاسد على ما بهم من ألم الجراح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الآية وذلك يوم أحد بعد القتل والجراح وبعد ما انصرف المشركون أبو سفيان وأصحابه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ألا عصابة تشد لامر الله تطلب عدوها فانه انكى للعدو وأبعد للسمع فانطلق عصابة منهم على ما بهم الله تعالى من الجهد **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي انطلق أبو سفيان منصرفا من أحد حتى بلغ بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فهزموا فاخبر الله رسوله فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد ثم رجعوا من حمراء الاسد فانزل الله جل ثناؤه فيهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ان الله جل وعز قذف في قلب أبي سفيان الرعب يعني يوم أحد بعد الذي كان منه ما كان فرجع الى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب وكانت وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة فيتربصون ببدر الصغرى في كل سنة مرة وانهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك الى نبي الله صلى الله عليه وسلم واشتد عليهم الذي أصابهم وان رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين وذلك انما يرتحلون الآن فيأتون الحج ٧ فلا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل فجاء الشيطان فخوف أولياءه فقال ان الناس قد جمعوا لكم فابى عليه الناس أن يتبعوه فقال اني ذاهب وان لم يتبعني أحد لاخصص الناس فانتدب معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلا فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفا فانزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا أبو سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها قالت لعبد الله بن الزبير يا ابن أختي أما والله ان أبالك وجدك تعني أبا بكر والزبير امن قال الله تعالى فيهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرت ان أبا سفيان بن حرب لما راح هو وأصحابه يوم أحد قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم انهم عامدون الى المدينة فقال ان ركبوا الخيل وتركوا الابل فانهم عامدون الى المدينة وان جلسوا على الابل وتركوا الخيل فقد أرعبهم الله وليسوا بعامديها فركبوا الابل فرعبهم الله ثم ندب ناسا يتبعونهم ليروا أن بهم قوة فاتبعوهم ليلتين أو ثلاثا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح **حدثني** سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال قالت لي عائشة ان كان أبوك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد

٧ هكذا بالنسخ ولعل الصواب فيأتون الموسم يعني السوق التي يباع فيها اه مصححه

فيه وقيل انهم لما أذنبوا بسبب مفارقة المركز أوقعهم الشيطان بشؤم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشؤمها قدر الشيطان على دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال ببعض ما كسبوا لان الكسب قد يكون خيرا كقوله لها ما كسبت أولان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال الحسن استزلهم بقبول مازين لهم من الهزيمة ويحتمل أن تكون الباء بمعنى في أي السبب في توليهم انهم كانوا أطاعوا الشيطان في بعض الاعمال اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون أعمالا أخر اما في هذه الغزوة أو قبلها ولقد عفا الله عنهم فيه بيان انهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقي البحث في انه أي ذنب هو والظاهر انه التولي لان التوبيخ وقع عليه والآية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر أو من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه ان كان من الصغائر فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الآية قال القاضي الاقرب انه من الصغائر لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطأ في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا النص وحيث عفا عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار غلب على الظن ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ما يزيد رغبتهم في الجهاد فقال يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافقي

ما أصابهم القرح يعني أبا بكر والزبير حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال كان عبد الله من الذين استجابوا لله والرسول فوعد تعالى ذكره محسن من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح اذا اتقى الله فخافه فأدى فرائضه وأطاعه في أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره أجرا عظيما وذلك الثواب الجزيل والجزاء العظيم على ما قدم من صالح أعماله في الدنيا ۞ القول في تأويل قوله (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) يعني تعالى ذكره وان الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والذين في موضع خفض مردود على المؤمنين وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول والناس الاولهم قوم فيما ذكر لنا كان أبو سفيان سألهم أن يثبطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد الى حمراء الاسد والناس الثاني هم أبو سفيان وأصحابه من قريش الذين كانوا معه بأحد يعني بقوله قد جمعوا لكم قد جمعوا الرجال للقائكم والكرة اليكم لحربكم فاخشوهم يقول فاحذروهم واتقوا لقاءهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم ايمانا يقول فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم أمر أبي سفيان وأصحابه من المشركين يقينا الى يقينهم وتصديقا لله ولوعده ووعد رسوله الى تصديقهم ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير فيه ولكن سارو حتى بلغوا رضوان الله منه وقالوا ثقة بالله وتوكلا عليه اذ خوفهم من خوفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين حسبنا الله ونعم الوكيل يعني بقوله حسبنا الله كفانا الله يعني يكفينا الله ونعم الوكيل يقول ونعم المولى ان وليه موكله وانما وصف تعالى نفسه بذلك لان الوكيل في كلام العرب هو المسند اليه القيام بأمر من أسند اليه القيام بأمره فلما كان القوم الذين وصفهم الله به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم الى الله ووثقوا به وأسندوا ذلك اليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك وتفويضهم أمرهم اليه بالوكالة فقال ونعم الوكيل الله تعالى لهم واختلف أهل التأويل في الوقت الذي قال من قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس قد جمعوا لكم فقال بعضهم قيل ذلك لهم في وجوههم الذي خرجوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد الى حمراء الاسد في طلب أبي سفيان ومن معه من المشركين ذكر من قال ذلك وذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك ومن قائله حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال مر به يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عليه شيأ كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال والله يا محمد اما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا ان الله كان أعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمراء الاسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا أصبنا أحد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم رجعنا قبل ان نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فنستأصلهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم بشيء لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيول قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم فنستأصل أنفسهم قال فاني أنهاك عن ذلك فوالله لقد جاءني ما رأيت على ان قلت فيه أبياتا من شعر قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي ۞ اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

يوم أحد كعبد الله بن أبي وأصحابه وفيه دليل على ان الاعمال ليس شيء منها مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والا لم يسم المنافق كافرا وقالوا لاخوانهم أي لاجل اخوانهم مثل وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك انهم قالوا لو كانوا

ترى باسد منهم كرام لا تبالة * عند اللقاء ولا حزق معازيل
فظلت عدوا أظن الارض مائلة * لما سموا برئيس غير مخذول
فظلت ويل ابن حرب من لقائكم * اذا تغطمطت البطحاء بالخيل
أني نذير لاهل السفل صاحبه * لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وحش بنائله * وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه وقر به وركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة أرسلكم بها وأحمل لكم ابلكم هذه غدا زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروا انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فقال الله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والناس الذين قال لهم ما قالوا النفر من عبد القيس الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ان أبا سفيان ومن معه راجعون اليكم يقول الله تبارك وتعالى فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسسهم سوء الآية حدثنا محمد قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي قال لما ندموا يعني أبا سفيان وأصحابه على الرجوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فهزموا ولقوا اعرابيا فجعلوا له جعلا فقالوا له ان لقيت محمدا وأصحابه فاخبرهم انا قد جمعنا لهم فاخبر الله جل ثناؤه رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد فلقوا الاعرابي في الطريق فاخبرهم الخبر فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم رجعوا من حمراء الاسد فانزل الله تعالى فيهم وفي الاعرابي الذي لقيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال استقبل أبو سفيان في منصرفه من أحد عيرا واردة المدينة ببضاعة لهم وبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم حبال فقال ان لكم على رضاكم ان أنتم رددتم عني محمدا ومن معه ان أنتم وجدتموه في طلبي وأخبرتموه اني قد جمعت له جموعا كثيرة فاستقبلت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا محمد انا نخبرك ان أبا سفيان قد جمع لك جموعا كثيرة وانه مقبل الى المدينة وان شئت ان ترجع فافعل ولم يزدد ذلك ومن معه الا يقينا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله تبارك وتعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصابة من أصحابه بعد ما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم حتى كانوا بذي الحليفة فجعل الاعراب والناس يأتون عليهم فيقولون لهم هذا أبو سفيان ما ثل عليكم بالناس فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال آخرون بل قال ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قال ذلك له في غزوة بدر الصغرى وذلك في مسير النبي صلى الله عليه وسلم عام قابل من وقعة أحد للقاء عدوه أبي سفيان وأصحابه للموعد الذي كان أوعده الالتقاء بها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال هذا أبو سفيان قال لمحمد موعدكم حيث قتلتم أصحابنا فقال محمد صلى الله عليه وسلم عسى فانطلق رسول الله صلى

عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والمقتول لا يتكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا أقارب المنافقين وان كانوا مسلمين أو اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو قريبا كان أو بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سائق وسوق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون اذ ضربوا أو حين ضربوا ليشاكل في المعنى قوله وقالوا لانه أراد حكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فان أخبر عنهم بعد ذلك لابد أن يقولوا قالوا ويجوز أن يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي لانه لازم الحصول في المستقبل مثل أتى أمر الله وفيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة قد بلغ الغاية فكان هذا المستقبل كالكائن الواقع ويمكن أن يقال عبر عن المستقبل بلفظ الماضي لعلم ان المقصود الاخبار عن جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذا وإذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا ان لم نوجد له في كلام العرب نظيرا لكن القرآن أولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال الواحدي في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا أو كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وأما اللام في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ففي متعلقه وجهان الاول انه قالوا أي قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله

الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدرا فوافقوا السوق فيها وابتاعوا فذلك قوله تبارك وتعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وهي غزوة بدر الصغرى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وزاد فيه وهي بدر الصغرى قال ابن جريج لما عهد النبي صلى الله عليه وسلم لموعد أبي سفيان فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يكيدونهم بذلك يريدون أن يرعبوهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قدموا بدرا فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعوهم فيها أحد قال وقدم رجل من المشركين وأخبر أهل مكة بتخيل محمد عليه السلام وقال في ذلك

نفرت قلوصي عن خيول محمد * وعجوة مشورة كالعنجد

* واتخذت ماء قديد موعدا *

قال أبو جعفر هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ وإنما هو

قد نفرت من رفقتي محمد * وعجوة من يثرب كالعنجد

يهدي على دين الهها الاتلد * قد جعلت ماء قديد موعدا

* وما صحان لها ضحى الغد *

حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال كانت بدر معترا في الجاهلية تخرج ناس من المسلمين يريدونه ولقيهم ناس من المشركين فقالوا لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فاما الجبان فرجع وأما الشجاع فاخذ الاهبة للقتال واهبة التجارة وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فاتوهم فلم يلقوا أحدا فانزل الله عز وجل فيهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قال ابن يحيى قال عبد الرزاق قال ابن عيينة وأخبرني زكريا عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو قال هي كلمة ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار فقال حسبنا الله ونعم الوكيل * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال ان الذي قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كان في حال خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروج من خرج معه في أثر أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أحد الى حمراء الاسد لان الله تعالى ذكره انما مدح الذين وصفهم بقيلهم حسبنا الله ونعم الوكيل لما قيل لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم بعد الذي قد كان نالهم من القروح والكلوم بقوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ولم تكن هذه الصفة الا صفة من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرحى أصحابه بأحد الى حمراء الاسد وأما قول الذين خرجوا معه الى غزوة بدر الصغرى فانه لم يكن فيهم جريح الا جريح قد تقادم اندمال جرحه وبراء كلمه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج لبدر الخرجة الثانية اليها لموعد أبي سفيان الذي كان واعده اللقاء بها بعد سنة من غزوة أحد في شعبان سنة أربع من الهجرة وذلك ان وقعة أحد كانت في النصف من شوال من سنة ثلاث وخروج النبي صلى الله عليه وسلم لغزوة بدر الصغرى اليها في شعبان من سنة أربع ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب خرج فيها أصحابه ولكن قد قال قتل في وقعة الرجيع من أصحابه جماعة لم يشهد أحد منهم غزوة بدر الصغرى وكانت وقعة الرجيع فيما بين وقعة أحد وغزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدر الصغرى ۞ القول في تأويل قوله (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) يعني جل ثناؤه بقوله فانقلبوا بنعمة من الله فانصرف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح من توجههم الذي وجهوا فيه وهو سيرهم في أمر عدوهم

فازدادت حسرتهم وتلهفهم بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد في أن الحياة والموت لا يكونان الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شيء من هذا النوع من الاسف وقيل لانهم اذا ألقوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المساوون في الجهاد غنيمة بقي أولئك المتخلفون في الخيبة والندامة وقيل المراد حسرتهم يوم القيامة اذا رأوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعد ما أعلم الله المؤمنين بطلانها وقيل الغرض أن جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات يقسي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة * الوجه الثاني أن متعلق اللام قوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونهم مثلهم حسرة لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لجهالتهم وجواب عن مقالتهم أي الامر بيده والخلق له فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف أن يتلقى أوامره بالامتثال فالله أعلم بحقيقة الاحوال ولا يجري الامور الا على وفق امضائه وأحكامه ونقضه وابرامه وكل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء وفي أمثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش

ويجوز أن يكون المراد والله يحيي قلوب أوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب أعدائه بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا

تكونوا مثلهم ومن قرأ على الخبر جعل الذين كفروا يكون وعيدا لهم ثم انه لما كذب الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا نهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه سبب القعود عن الجهاد ويمنع الطبع عن رغبتهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله خير مما يجمعون من متاع الدنيا ورحمته خير مما يجمعون فاللام الاولى هي الموطئة والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الآية الاخرى والمعنى أن القتل والموت في السفر غير لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا بالسفر ولئن سلم أنه لازم فالذي يستعقب المغفرة والرحمة من الله وان ذلك خير مما تجمعون من الدنيا وما فيها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من تلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرأ بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال الذي يعد خيرا أو ورد على حسب معتقدهم ان أموالهم خيرات لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد قد يموت صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى في الغد فكم من أمير أصبح أسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعل مانعا من مرض أو خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالآلام ومنافعها مخلوطة بالمضار وبتقدير صفائها عن الشوائب فلا بد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الآخرة أصفى وأضفى وأبقى وأتقى ولا سيما منافعها العقلية وأي نسبة لانتفاع الحمار بلذة تبقيه فتؤديه الى ابتهاج الملائكة المقربين بقرب أنوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع آخر فقال ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون كأنه قيل ان تركتم الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت أو القتل بقيتم أياما قلائل في الدنيا مع اللذات الحسية والخيالية فتتركون هذه الاحوال فتكون لذاتها لغيركم ينذر

الى حمراء الاسد بنعمة من الله يعني بعافية من ربهم لم يلقوا بهم أعدوا وفضل يعني أصابوا فيها من الارباح بتجارتهم التي اتجروا بها والاجر الذي اكتسبوه لم يمسسهم سوء يعني لم ينلهم جراح ولا مكروه من عدوهم ولا أذى واتبعوا رضوان الله يعني بذلك أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك واتباعهم رسوله الى ما دعاهم اليه من اتباع أمر العدو وطاعتهم والله ذو فضل عظيم يعني والله ذو احسان وطول عليهم فصرف عدوهم الذي كانوا قد هموا بالكرة اليهم وغير ذلك من أياديه عندهم وعلى غيرهم بنعمه عظيم عندمن أنعم به عليه من خلقه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال والفضل ما أصابوا من التجارة والاجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال وافقوا السوق فابتاعوا وذلك قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال الفضل ما أصابوا من التجارة والاجر قال ابن جريج ما أصابوا من البيع نعمة من الله وفضل أصابوا عفوه وعزته لا ينازعهم فيه أحد قال وقوله لم يمسسهم سوء قال قبل ٧ واتبعوا رضوان الله قال طاعة النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله ذو فضل عظيم لما صرف عنهم من لقاء عدوهم حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال أطاعوا الله وابتغوا حاجتهم ولم يؤذهم أحد فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني حين خرج الى غزوة بدر الصغرى ببدر دراهم ابتاعوا بها من موسم بدر فاصابوا تجارة فذلك قول الله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله أما النعمة فهي العافية وأما الفضل فالتجارة والسوء القتل ۞ القول في تأويل قوله (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) يعني بذلك تعالى ذكره انما الذي قال لكم أيها المؤمنون ان الناس قد جمعوا لكم فخوفوكم بجموع عدوكم ومسيرهم اليكم من فعل الشيطان ألقاه على أفواههم من قال ذلك لكم يخوفكم باوليائه من المشركين أبي سفيان وأصحابه من قريش لترهبوهم وتجبنوا عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يخوف والله المؤمن بالكافر ويرهب المؤمن بالكافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه قال يخوف المؤمنين بالكفار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن ابن عباس انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يقول الشيطان يخوف المؤمنين باوليائه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه أي أولئك الرهط يعني النفر من عبد القيس الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا وما ألقى الشيطان على أفواههم يخوف أولياءه أي يرهبكم باوليائه حدثني يونس قال أخبرنا علي بن معبد عن غياث بن بشير مولى قريش عن سالم الافطس في قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه قال يخوفكم باوليائه وقال آخرون معنى ذلك انما ذلكم الشيطان يعظم أمر المشركين أيها المنافقون في أنفسكم فتخافوهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر أمر المشركين وعظمهم في أعين المنافقين فقال انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يعظم أولياءه في صدوركم فتخافونهم فان قال قائل وكيف قيل يخوف أولياءه وهل يخوف الشيطان أولياءه قيل ان كان معناه يخوفكم باوليائه يخوف أولياءه قيل ذلك نظير قوله لينذر بأسا شديدا يعني لينذركم بأسه الشديد وذلك ان البأس لا ينذر وانما

يندر به وقد كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول معنى ذلك يخوف الناس أولياءه كقول القائل هو يعطى الدراهم ويكسو الثياب يعنى هو يعطى الناس الدراهم ويكسوهم الثياب فحذف ذلك لاستغناء عنه وليس الذى شبه ذلك بمشبه لان المعطى الدراهم فى قول القائل هو يعطى الدراهم معلوم ان المعطى هى الدراهم وليس كذلك الاولياء فى قوله يخوف أولياءه مخوفين بل التخويف من الاولياء لغيرهم فلذلك افترقا ۞ القول فى تأويل قوله (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) يقول فلا تخافوا أيها المؤمنون المشركين ولا يعظمن عليكم أمرهم ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم اياى ما أطعتمونى واتبعتم أمرى وأنى متكفل لكم بالنصر والظفر ولكن خافون واتقوا أن تعصونى وتخالفوا أمرى فتهلكوا ان كنتم مؤمنين يقول ولكن خافونى دون المشركين ودون جميع خلقى أن تخالفوا أمرى ان كنتم مصدقى رسولى وما جاءكم به من عندى ۞ القول فى تأويل قوله (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيأ) يقول جل ثناؤه ولا يحزنك يا محمد كفر الذين يسارعون فى الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق فانهم لن يضر والله بمسارعتهم فى الكفر شيأ كما أن مسارعتهم لو سارعوا الى الايمان لم تكن بنافعته وكذلك مسارعتهم الى الكفر غير ضاورته كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر يعنى أنهم المنافقون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر أى المنافقون ۞ القول فى تأويل قوله (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم) يعنى بذلك جل ثناؤه يريد الله أن لا يجعل لهم حظا لهؤلاء الذين يسارعون فى الكفر نصيبا فى ثواب الآخرة فلذلك خذلهم فسارعوا فيه ثم أخبر انهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة لهم عذاب عظيم فى الآخرة وذلك عذاب النار وقال ابن اسحق فى ذلك بما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة أن يحبط أعمالهم ۞ القول فى تأويل قوله (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم) يعنى بذلك جل ثناؤه المنافقين الذين تقدم الى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم أن لا يحزنه مسارعتهم الى الكفر فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بايمانهم فارتدوا عن ايمانهم بعد دخولهم فيه وصوبوا الكفر بالله وبرسوله عوضا من الايمان لن يضروا الله بكفرهم وارتدادهم عن ايمانهم شيأ بل انما يضرون بذلك أنفسهم بايجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قبل لها به وانما حث الله جل ثناؤه بهذه الآيات من قوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله الى هذه الآية عباده المؤمنين على الاخلاص اليقين والانقطاع اليه فى أمورهم والرغبة فى نصر لوحده دون غيره من سائر خلقه ورغبهم فى جهاد أعدائه وأعداء دينه وسمح بها نفوسهم واعلمهم ان من وليه بنصره فلن يخذل ولو أجمع عليه جميع من خالفه وعاده وان من خذله فلن ينصره ناصر ينفعه نصره ولو كثرت أعوانه ونصراؤه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان الذين اشتروا الكفر بالايمان أى المنافقين لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم أى موجع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هم المنافقون ۞ القول فى تأويل قوله (ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) يعنى بذلك تعالى ذكره ولا تظنن الذين كفروا بالله ورسوله وما جاءهم به من عند الله ان املاءنا لهم خير لانفسهم ويعنى بالاملاء الاطالة فى العمر والانساء فى الاجل ومنه قوله جل ثناؤه واهجرنى مليا أى حينا طويلا ومنه قيل عشت طويلا وعمليت حينا والملا نفسه الدهر والملوان

الموت فى الآية الاولى وعكس فى الثانية ليقع الابتداء بالاهم على ما هو أفضل أو لان الآية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل فى سبيله فقدمه لما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا وهو القتل والثانية سيقت (١١٥) لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه يجمعهم

يفارقون الدنيا ولا شك أن الغالب على أحوال الخلق كلهم الموت ولهذا السر أطلق القتل اما لانه أعم أنواع القتل كلها وفى قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد فى ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على كمال اللطف أعظم أنواع الوعد ولدلالته على كمال القهر أشد أنواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمى فى الحرف المتصل باسم الله تنبيها على ان الالهية تقتضى هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز فى العقول من انه هو الذى يبدئ ويعيد لاقدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها انه أضاف حشره الى غيرهم ليعلم انهم أحياء كانوا أو أمواتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه خاطب الكل ليعلم أن القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم فى بساط العدل وفضاء القضاء موقوفون واعلم انه تعالى ذكر فى الآيتين المغفرة والرحمة والحشر اليه فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثانى اشارة الى من يعبده طمعا فى ثوابه والثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم أهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه وما أحسن هذا التنسق وروى أن عيسى صلى الله عليه وسلم مر بأقوام نحفت أبدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم سيماء الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو أكرم من أن يخلصكم من عذابه ثم مر بآخرين فرأى عليهم سيماء الخشية فقال ماذا تطلبون فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو أكرم من أن يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ناتئ ورأى عليهم سيماء العبودية أكثر فقالوا

تعبده لانه الهنا ونحن عبيده لارهبة ولا رغبة فقال أنتم العبيد الخاصون والمتعبدون الحمقون قال القاضي والآية تدليل على أن المقتول ليس بميت والا كان قوله ولئن متم أو قتلتم عطفا (١١٦) الشئ على نفسه قلت لا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما أرشدهم في

الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من جملة ذلك ان عفا عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حين عفا عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم روى ان امرأة عثمان دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعلي يغسلان السلاح فقالت ما فعل عثمان أما والله لا تجدونه ألأم القوم فقال لها على ألا ان عثمان فضح الفمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروى انه قال حينئذ أعياني أزواج الاخوان أن يتصاولوا هو لما دخل عثمان مع صاحبه مازاد على ان قال لقد ذهبتم فيها عريضة وعنه انه قال انما أنا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب أحدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال صلى الله عليه وسلم لاحلم أحب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل أبغض الى الله من جهل امام وخرقه فما بلغ من جهل امام وخرقه فما يجب على الله عليه وسلم امام العالمين وجب أن يكون أكثرهم حلما وأحسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم اليه ورأوا فيه آثار الشفقة وأمارات النصيحة وعن بعض الصحابة انه قال لقد أحسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت قال

هذه البشرى يعني واعلم أن من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه يعلم أن الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم أن

الليل والنهار ومنه قول تميم بن مقبل ألا يا ديار الحي بالسبعان * أمل عليها بالبلى الملوان

يعني بالملوان الليل والنهار وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم فقرأ ذلك جماعتهم ولا يحسبن بالياء وبفتح الالف من قوله انما على المعنى الذي وصفت من تأويله وقرأ آخرون ولا تحسبن بالتاء وانما أيضا بفتح الالف من انما بمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم فان قال قائل فما الذي من أجله فتحت الالف من قوله انما في قراءة من قرأ بالتاء وقد علمت ان ذلك اذا قرئ بالتاء فقد أعملت تحسبن في الذين كفروا واذا أعملتها في ذلك لم يجز لها أن تقع على انما لان أنما انما يعمل فيما عامل يعمل في شيئين نصبا قيل أما الصواب في العربية ووجه الكلام المعروف من كلام العرب كسر ان اذا قرئت تحسبن بالتاء لان تحسبن اذا قرئت بالتاء فانها قد نصبت الذين كفروا فلا يجوز أن تعمل وقد نصبت اسما فان لكني أظن ان من قرأ ذلك بالتاء في تحسبن وفتح الالف من أنما انما أراد تكرير تحسبن على أنما كأنه قصد الى أن معنى الكلام ولا تحسبن يا محمد أنت الذين كفروا والا تحسبن أنما نملي لهم خيرا لانفسهم كما قال جل ثناؤه فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة بتأويل هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا أن تأتيهم بغتة وذلك وان كان وجها جائزا في العربية فوجه كلام العرب ما وصفنا قبل والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ ولا تحسبن الذين كفروا بالياء من يحسبن وبفتح الالف من أنما على معنى الحسبان الذين كفروا دون غيرهم ثم يعمل في انما نصبا لان تحسبن حينئذ لم يشغل بشئ عمله فيه وهي تطلب منصوبين وانما اخترنا ذلك لاجماع القراء على فتح الالف من انما الاولى فدل ذلك على ان القراءة الصحيحة في تحسبن بالياء لما وصفنا وأما الف انما الثانية فالكسر على الابتداء باجماع من القراء عليه وتأويل قوله انما نملي لهم ليزدادوا انما نؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا اثما يقول يكتسبوا المعاصي فتزداد آثامهم وتكثر ولهم عذاب مهين يقول ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله في الآخرة عقوبة لهم مهينة مذلة وبنحو ما قلنا في ذلك جاء الاثر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن خيثمة عن الاسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها وقرأ ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقرأ آخرون من عند الله وما عند الله خير للابرار ۞ القول في تأويل قوله (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) يعني بقوله ما كان الله ليذر المؤمنين ما كان الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق فلا يعرف هذا من هذا حتى يميز الخبيث من الطيب يعني بذلك حتى يميز الخبيث وهو المنافق المستسر للكفر من الطيب وهو المؤمن المخلص الصادق الايمان بالمحن والاختبار كما ميز بينهم يوم أحد عند لقاء العدو عند خروجهم اليهم واختلف أهل التأويل في الخبيث الذي عنى الله بهذه الآية فقال بعضهم فيه مثل قولنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قال ميز بينهم يوم أحد المنافق من المؤمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قال ابن جريج يقول يبين الصادق بايمانه من الكاذب قال ابن جريج قال مجاهد يوم أحد ميز بعضهم عن بعض المنافق عن المؤمن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أي المنافق وقال آخرون معنى ذلك حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يعني الكفار يقول لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة حتى يميز الخبيث من الطيب يميز بينهم في الجهاد والهجرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله حتى يميز الخبيث من الطيب قال حتى يميز الفاجر من المؤمن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يؤمن بالله ومن يكفر فأنزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يخرج المؤمن من الكافر والتأويل الاول أولى بتأويل الآية لان الآيات قبلها في ذكر المنافقين وهذه في سياقتها فكونها بأن تكون فيهم أشبه منها بأن تكون في غيرهم ۞ القول في تأويل قوله (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثنا به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب ولكن الله اجتباه فجعله رسولا وقال آخرون بما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي فيما يريد أن يبتليكم به لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء يعلمه وأولى الاقوال في ذلك بتأويله وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق والكافر ولكنه يميز بينهم بالمحن والابتلاء كما ميز بينهم بالبأساء يوم أحد وجهاد عدوه وما أشبه ذلك من صنوف المحن حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم غير أنه تعالى ذكره يجتبي من رسله من يشاء فيصطفيه فيطلعه على بعض ما في ضمائر بعضهم بوحيه ذلك اليه ورسالته كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء قال يخلصهم لنفسه وانما قلنا هذا التأويل أولى بتأويل الآية ابتداؤها خبر من الله تعالى ذكره انه غير تارك عباده يعني بغير محن حتى يفرق بالابتلاء من مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم ثم عقب ذلك بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب فكان فيما افتتح به من صفة اظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر دلالة واضحة على ان الذي ولي ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم الا بالذي ذكر أنه يميز به نعتهم الا من استثنا من رسله الذي خصه بعلمه ۞ القول في تأويل قوله (فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) يعني بذلك جل ثناؤه بقوله وان تؤمنوا وان تصدقوا من اجتبيته من رسلي بعلمي وأطلعته على المنافقين منكم وتتقوا بكم بطاعته فيما أمركم به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وفيما نهاكم عنه فلكم أجر عظيم يقول فلكم بذلك من ايمانكم واتقائكم ربكم ثواب عظيم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فآمنوا بالله ورسوله وان تؤمنوا وتتقوا أي ترجعوا وتتوبوا فلكم أجر عظيم ۞ القول في تأويل قوله (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من أهل الحجاز والعراق ولا يحسبن الذين يبخلون بالياء من يحسبن وقرأته جماعة أخرى ولا تحسبن بالتاء ثم اختلف أهل العربية في تأويل ذلك فقال بعض نحوي الكوفة معنى ذلك لا يحسبن الباخلون البخل هو خيرا لهم فاكتفى بذكر يبخلون من البخل كما تقول قدم فلان فسررته يريد فسررت بقدومه وهو عماد وقال بعض نحوي أهل البصرة انما أراد بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم لا تحسبن البخل هو خيرا لهم فالقى الاسم الذي أوقع عليه الحسبان به وهو البخل لانه

الخير لا يدفع الضرر والاجر اذا فاته مطلوبه لم يغضب واذا حصل له مطلوبه لم يأس به لانه مطلع على الروحانيات التي هي أشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع أحد في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العيش مع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم أكمل البشر في القوتين النظرية والعملية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب أن يكون أكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتوكيد أما الحكم بزيادتها فللنظر الى أصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكأنه قال فبرحمة وأما افادتها التوكيد فلاستحالة زيادة حرف لا فائدة فيه أصلا وجوز بعضهم أن تكون استفهامية للتعجب والتقدير فبأي رحمة واذا كان لينه ورفقه رحمة من الله لان الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا الله ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد رحمته عوضا كالخوف من العقاب أو الطمع في الثواب أو الثناء أو يحمله على ذلك رقة طبع أو حمية أو عصبية الى غير ذلك من الاغراض وأيضا رحمة المخلوق على غيره لن تتم ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد موات سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه بربطه على جاش الراحم وضبطه حال المرحوم ثم بين أن الحكمة في لين جانبه ما هي فقال ولو كنت فظا سيء الخلق وأصله فظظ كحذر فظظت يا رجل بالكسر فظاظة غلظ القلب قاسيه بحيث لا يتأثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد والتركيب يدل على التفريق ومنه فض الخيام ويقال لا يفضض الله فاك أي اسنانك ومنهم من حمل الآية على واقعة أحد فقال فبما رحمة من الله لنت لهم يوم أحد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم

فكان ذلك مما يطمع الغير وفيك وفيهم وههنا دقيقة تنبهي أن اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله ولهذا أمر بالغلظة في قوله يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزنا ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومثله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين أشداء على الكفار ورحماء بينهم فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع آخر ان الفضيلة في الوسط وهو استعمال كل شئ في موضعه وان طرفي الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى واحتجت الاشاعرة بالآية في مسئلة القضاء والقدر وذلك ان حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدعوة والبيان والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وأبي جهل وأبي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين أصفى الاصفياء وبين أشقى الاشقياء فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف نص الآية فان جميع أفعال العباد بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق كل المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف فذلك بالحقيقة كسب نفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله ثم قال عاتب عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله انما ما للشفقة عليهم قبل في فاء التعقيب دلالة على انه أوجب عليه أن يعفو عنهم في الحال كأنه تعالى خدعفا عنهم كأنه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفارك لهم فاني قد غفرت لهم قبل أن تستغفر لهم سيجئ

وههنا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر والمشاورة مأخوذة من قولهم شرت العسل أي اجتنيتها واستخرجتها من موضعها

فذكر الحسبان وذكر ما آتاهم الله من فضله فأضمرهما اذ ذكرهما قال وقد جاء من الحذف ما هو أشد من هذا قال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن لم يقتل ومن لم ينفق من بعد الفتح لانه لما قال أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد كان فيه دليل على أنه قد عناهم وقال بعض من أنكر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة ان من في قوله لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح في معنى جمع ومعنى الكلام لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح في منازلهم وحالاتهم فكيف من أنفق من بعد الفتح فالاول مكتف وقال في قوله لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم محذوف غير أنه لم يحذف الا وفي الكلام ما قام مقام المحذوف لان هو عائد البخل وخيرا لهم عائد الاسماء فقد دل هذان العائدان على ان قبلهما اسمين واكتفى بقوله يبخلون من البخل قال وهذا اذا قرئ بالتاء فالبخل قبل الذين واذا قرئ بالياء فالبخل بعد الذين وقد اكتفى بالذين يبخلون من البخل كما قال الشاعر

اذا نهى السفيه جرى اليه * وخالف والسفيه الى خلاف

كأنه قال جرى الى السفه فاكتفى عن السفيه بالسفه كذلك اكتفى بالذين يبخلون من البخل وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ لا تحسبن الذين يبخلون بالتاء بتأويل ولا تحسبن أنت يا محمد بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم من ترك ذكر البخل اذ كان في قوله هو خيرا لهم دلالة على أنه مراد في الكلام اذ كان قد تقدمه قوله الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله وانما قلنا قراءة ذلك بالتاء أولى بالصواب من قراءته بالياء لان المحسبة من شأنها طلب اسم وخبر فاذا قرئ قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بالياء لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله هو خيرا لهم خبرا عنه واذا قرئ ذلك بالتاء كان قوله الذين يبخلون اسما قد أدى عن معنى البخل الذي هو اسم المحسبة المتروك وكان قوله هو خيرا لهم خبرا لها فكان بارا يجري المعروف من كلام العرب الفصيح فلذلك اخترنا القراءة بالتاء في ذلك على ما بيناه وان كانت القراءة بالياء غير خطأ ولكنه ليس بالافصح ولا الاشهر من كلام العرب وأما تأويل الآية التي هو تأويلها على ما اخترنا من القراءة في ذلك ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون بما أعطاهم الله في الدنيا من الاموال فلا يخرجون منه حق الله الذي فرضه عليهم فيمنعون الزكوات هو خيرا لهم عند الله يوم القيامة بل هو شرا لهم عنده في الآخرة كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شرا لهم هم الذين آتاهم الله من فضله فبخلوا أن ينفقوها في سبيل الله ولم يؤدوا زكاتها وقال آخرون بل عنى بذلك اليهود الذين بخلوا أن يبينوا للناس ما أنزل الله في التوراة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة يعني بذلك أهل الكتاب أمروا بالكتاب أن يبينوه للناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله قال هم يهود أمروا قوله والكتاب المنير وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية التأويل الاول وهو أنه معني بالبخل في هذا الموضع منع الزكاة لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تأول قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال البخيل الذي منع حق الله منه انه يصير ثعبانا في عنقه ولقول الله عقيب هذه الآية لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء فوصف جل ثناؤه قول المشركين من اليهود الذين زعموا عند أمر الله اياهم بالزكاة ان الله فقير

القول في تأويل قوله (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) يعني بقوله جل ثناؤه سيطوقون

وقيل من شرف الفاكهة شورها وعرضتها على البيع أطلبك بهما وأهربك والمكان الذي تعرض فيه الدواب مشوارا يقال اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار وتركيبه يدل على الاظهار والكشف فالمشاورة يظهر خير الامور (١١٩) وحسن الآراء وقد ذكر العلماء لامر الرسول

سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة طوقا في أعناقهم كهيئة الاطواق المعروفة كالذي حدثني الحسين بن قزعة قال ثنا سلمة بن علقمة قال ثنا داود عن أبي قزعة عن أبي مالك العبدي قال ما من عبد يأتيه ذو رحم له يسأله من فضل عنده فيبخل عليه الا أخرج له الذي يبخل به عليه شجاعا أقرع قال وقرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة الى آخر الآية حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي قزعة عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده فيبخل به عليه الا أخرج له من جهنم شجاعا يتلمظ حتى يطوقه حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو معاوية محمد بن خازم قال ثنا داود عن أبي قزعة عن رجل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل أعطاه الله اياه فيبخل به عليه الا أخرج له يوم القيامة شجاعا من النار يتلمظ حتى يطوقه ثم قرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله حتى انتهى الى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة حدثني زياد بن عبيد الله المزني قال ثنا مروان بن معاوية وحدثني محمد بن عبد الله الكلابي قال ثنا عبد الله بن بكر السهمي وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد واللفظ ليعقوب جميعا عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يأتي رجل مولاه فيسأله من فضل ما عنده فيمنعه اياه الا دعا له يوم القيامة شجاعا يتلمظ فضله الذي منع حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن اسحق عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال ثعبان ينقر رأس أحدهم يقول أنا مالك الذي بخلت به حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت أبا وائل يحدث أنه سمع عبد الله قال في هذه الآية سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال شجاع يلتوي برأس أحدهم حدثني ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة قال ثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا شعبة عن ابي اسحق عن أبي وائل عن عبد الله بن شميلة الأشجعي ما قالا قال شجاع أسود حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي اسحق عن أبي وائل عن ابن مسعود قال يجيء ماله يوم القيامة ثعبانا فينقر رأسه فيقول أنا مالك الذي بخلت به فينطوي على عنقه حدثت عن سفيان بن عيينة قال ثنا جامع بن شداد وعبد الملك بن أعين عن أبي وائل عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله الا مثل له شجاع أقرع يطوقه ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اما سيطوقون ما بخلوا به فانه يجعل ماله يوم القيامة شجاعا أقرع يطوقه فيأخذ بعنقه فيتبعه حتى يقذفه في النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن أبي وائل قال هو الرجل الذي يرزقه الله مالا فيمنع قرابته الحق الذي جعل الله لهم في ماله فيجعل حية فيطوقها فيقول أنا مالك حدثنا المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن حكيم بن جوير عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق قال سألت ابن مسعود عن قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال يطوقون شجاعا أقرع ينهش رأسه وقال آخرون معنى ذلك سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة فيجعل في أعناقهم طوقا من نار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة

بالمشاورة مع انه أعلم الناس وأعقلهم فوائد منها انها توجب علو شانهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفي ترك ذلك نوع من الاهانة والغطاط وكان سادات العرب اذا لم يشاور وافي الامر شق ذلك عليهم ومنها أن علوم الانسان متناهية فلا يبعد أن يخطر ببال أحد ما لم يخطر بباله ولا سيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في وقعة أحد فاخطؤا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان مظنة انه قد بقي في قلبه أثر من تلك الواقعة ومنها أن يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها أن تصير النفوس الطاهرة مطابعة على تحصيل أصلح الوجوه فيكون أعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد أمرهم وهذا هو السر في الجماعات والجمعات ومنها انه تعالى ما أمر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وأمره بها بعدها مع صدور المعصية عنهم ليعلم انهم الآن أعظم حالا مما كانوا وان عفوه أعظم من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل به وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة فيه لانه اذا جاء النص بطل الرأي والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل يجوز المشاورة

في كلها أم لا قال الكلبي وكثير من العلماء ان الامر هنا مخصوص بالحرب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي بالاتفاق فهو اذن للعهود سابق وليس ذلك الا ما جرى من أمر الحرب في وقعة أحد وقد أشار الحباب بن المنذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول على

قال طوقا من النار حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم أنه قال فى هذه الآية سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوقا من نار حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن ابراهيم فى قوله سيطوقون قال طوقا من نار حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوق من نار وقال آخرون معنى ذلك سيحمل الذين كتموا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أحبار اليهود ما كتموا من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ألم تسمع أنه قال يبخلون ويأمرون الناس بالبخل يعنى أهل الكتاب يقول يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان وقال آخرون معنى ذلك سيكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به فى الدنيا من أموالهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به الى قوله والكتاب المنير حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سيطوقون سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة وأولى الاقوال بتأويل هذه الآية التأويل الذى قلناه فى ذلك فى مبدأ قوله سيطوقون ما بخلوا به للاخبار التى ذكرنا فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد أعلم بما عنى الله تبارك وتعالى بتنزيله منه عليه السلام ۞ القول فى تأويل قوله (ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير) يعنى بذلك جل ثناؤه أنه الحى الذى لا يموت والباقى بعد فناء جميع خلقه فان قال قائل فما معنى قوله له ميراث السموات والارض والميراث المعروف هو ما انتقل من ملك مالك الى وارثه بموته ولله الدنيا قبل فناء خلقه وبعده قيل ان معنى ذلك ما وصفنا من وصفه نفسه بالبقاء واعلام خلقه انه كتب عليهم الفناء وذلك ان ملك المالك انما يصير ميراثا بعد وفاته فانما قال جل ثناؤه ولله ميراث السموات والارض اعلاما بذلك منه عباده ان أملاك جميع خلقه منتقلة عنهم بموتهم وانه لا أحد الا وهو فان سواه فانه الذى اذا هلك جميع خلقه فزالت أملاكهم عنهم لم يبق أحد يكون له ما كانوا يملكونه غيره وانما معنى الآية لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بعد ما يهلكون وتزول عنهم أملاكهم فى الحين الذى لا يملكون شيأ وصار لله ميراثه وميراث غيره من خلقه ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل وغيره من سائر خلقه ذو خبرة وعلم محيط بذلك كله حتى يجازى كلا منهم على قدر استحقاقه المحسن بالاحسان والمسىء على ما يرى تعالى ذكره ۞ القول فى تأويل قوله (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق) ذكر ان هذه الآية وآيات بعدها نزلت فى بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الآثار بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بيت المدراس فوجد من يهود ناسا كثيرا قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص كان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له أشيع فقال أبو بكر رضى الله عنه لفنحاص ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل قال فنحاص والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا وانا عنه لاغنياء ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا

يترل فيه وحى لعموم فاعتبروا يا أولى الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر فى الاسارى وكان من أمور الدين وقد عد المشاورة من جملة مخصص النبى صلى الله عليه وسلم بالوجوب عليه لان ظاهر الامر الوجوب وقد روى عن الشافعى انه حمله على الندب قال وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم البكر تستأمر فى نفسها ولو أكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا هاهنا فاذا عزمت أى قطعت الرأى على شئ بعد الشورى فتوكل على الله لان الاعتماد فى جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والرأى الحسن عن جابر بن زيد انه قرأ فاذا عزمت بالضم اذا أرشدتك الى شئ وألزمته اياك فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك أحدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا يغلبكم أحد وان يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا الذى ينصركم من بعده أى من بعد خذلانه اياكم الفعل عليه أو هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك الجذبات فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء فانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله وليخص المؤمنون اياه بالتوكل لما علم أن الامر كله لله ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه وليس المراد بالتوكل أن يهمل الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائط والاسباب كما يتصور الجهال والا كان الامر بالمشاورة فضيحة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل هو أن يراعى الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول قلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتأييده وتوفيقه وتسديده

فغضب أبو بكر فضرب وجهه فحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فاكذبونا ما استطعتم ان كنتم صادقين فذهب فحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما وزعم ان الله فقير وانهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فجحد ذلك فحاص وقال ما قلت ذلك فانزل الله تبارك وتعالى فيما قال فحاص رداً عليه وتصديقا لابي بكر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق وفي قول أبي بكر وما بلغ في ذلك من الغضب لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس قال دخل أبو بكر فذكر نحوه غير أنه قال وانا عنه لاغنياء وما هو عنا بغني ولو كان غنيا ثم ذكر سائر الحديث نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء قالها فحاص اليهودي من بني مرثد لقيه أبو بكر فكلمه فقال له يا فحاص اتق الله وآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا فقال فحاص يا أبا بكر تزعم ان ربنا فقير يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني ان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير فانزل الله عز وجل هذا فقال أبو بكر فلولا هدنة كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بني مرثد لقتلته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال مر أبو بكر برجال من اليهود الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء لم يستقرضنا وهو غني وهم يهود حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء لم يستقرضنا وهو غني قال شبل بلغني انه فحاص اليهودي وهو الذي قال ان الله ثالث ثلاثة ويد الله مغلولة حدثنا ابن حميد قال ثني يحيى بن واضح قال ثنا عطاء عن الحسن قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان ربكم يستقرض منكم فانزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن الحسن البصري قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال عجبت اليهود فقالت ان الله فقير يستقرض فنزلت لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ذكر لنا أنها نزلت في حيي بن أخطب لما أنزل الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال يستقرضنا بنا انما يستقرض الفقير الغني حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود يستقرض الفقير من الغني قال فانزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء قال هؤلاء اليهود فتلا الى الآية اذا لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود ان الله فقير الينا ونحن أغنياء عنه سنكتب ما قالوا من الافك والفرية على ربهم وقتلهم أنبياءهم بغير حق واختلفت القراء في قراءة قوله سنكتب ما قالوا وقتلهم فقرأ ذلك قراء الحجاز وعامة قراء العراق سنكتب ما قالوا بالنون وقتلهم الانبياء بغير حق بنصب القتل وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين سيكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق بضمها ورفع القتل على مذهب ما لم

يقضاه الله وقدره هل لنا من أمر النصرة والظفر من شئ ما قتلنا ههنا بأباطيل على أيدي حزب الشيطان وليبتلي الله ما في صدوركم أيها

بالسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استخرج من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولي لعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ليعلم ان الله تعالى في كل شئ من الخير والشر أسرارا لا يعلمها الا هو ومن هنا قال لولم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد أو سلكوا في أرض نفوسهم سبيل الرشاد أو كانوا غزى مجاهدين مع كفار النفس والهوى والشيطان لو كانوا موافقين معنا ما نالوا بمقاساة الرياضة وما قاسوا بسيف المجاهدة لصقل الله ذلك القول حمرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب أهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحسرون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون أنهم يحسنون وباقي الحقائق قدمرت في التفسير وقد سخ عند تحرير هذا الموضع ان قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني انه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفي كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانقضت من الجوانب وتلاشت واختاست حكمة التمدن وفقدت الكمالات التي خلق الانسان لاجلها ثم الكلام في ان هذا اللين لا بد له من

يسم فاعله اعتبارا بقراءة من ذكر أنها من قراءة عبد الله في قوله ونقول ذوقوا ليذكر أنها في قراءة عبد الله ويقال فاعمل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد اليه من تاويل القراءة التي تنسب الى عبد الله وخالف الحجة من قراء الاسلام وذلك ان الذي ينبغي لمن قرأ سيكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء على وجه ما لم يسم فاعله أن يقرأ أو يقال لان قوله ونقول عطف على قوله سنكتب فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما في المعنى بان يقرآ جميعا على مذهب ما لم يسم فاعله أو على مذهب ما سمي فاعله فاما أن يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسم فاعله والآخر على وجه ما قد سمي فاعله من غير معنى ألجأه على ذلك فاختيار خارج عن الفصيح من كلام العرب والصواب من القراءة في ذلك عندنا سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب لقوله ونقول ولو كانت القراءة في سيكتب بالياء وضمها القيل ويقال على ما قد بينا فان قال قائل كيف قيل وقتلهم الانبياء بغير حق وقد ذكرت الآثار التي رويت ان الذين عنوا بقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن من أولئك أحد قتل نبيا من الانبياء لانهم لم يدركوا نبيا من أنبياء الله فيقتلوه قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت اليه وانما قيل ذلك كذلك لان الذي عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الانبياء وكانوا منهم وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته فاضاف جل ثناؤه فعل ما فعله من كانوا على منهاجه وطريقته الى جميعهم اذ كانوا أهل ملة واحدة ونحلة واحدة وبالرضى من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم على ما بينا من نظائره فيما مضى ۞ القول في تاويل قوله (ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد) يعني بذلك جل ثناؤه ونقول للقائلين بان الله فقير ونحن أغنياء القاتلين أنبياء الله بغير حق يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق يعني بذلك عذاب نار محرقة ملتهبة والنار اسم جامع للملتهبة وانما الحريق صفة لها بمعنى المحرقة كما قيل عذاب أليم بمعنى مؤلم وجيع بمعنى موجع وأما قوله ذلك بما قدمت أيديكم فانه يعني به ذلك لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق بما أسلفت أيديكم واكتسبتها أيام حياتكم في الدنيا وبان الله عدل لا يجور فيعاقب عبدا له بغير استحقاق منه العقوبة ولكنه يجازي كل نفس بما كسبت ويوفي كل عامل جزاء ما عمل فجازى الذين قال لهم يوم القيامة من اليهود الذين وصف صفتهم فاخبر عنهم انهم قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وقتلوا الانبياء بغير حق بما جازاهم به من عذاب الحريق بما اكتسبوا من الآثام واجترحوا من السيئات وكذبوا على الله بعد الاعذار اليهم بالانذار فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به من اذاقتهم عذاب الحريق ظالما ولا واضعا عقوبته في غير أهلها وكذلك هو جل ثناؤه غير ظلام أحدا من خلقه ولكنه العادل بينهم والمتفضل على جميعهم بما أحب من فواضله ونعمه ۞ القول في تاويل قوله (الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) يعني بذلك جل ثناؤه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول وقوله الذين قالوا ان الله في موضع خفض ردا على قوله الذين قالوا ان الله فقير ويعني بقوله قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول أوصانا وتقدم الينا في كتبه وعلى ألسن أنبيائه ألا نؤمن لرسول يقول أن لا نصدق رسولا فيما يقول انه جاء به من عند الله من أمر ونهي وغير ذلك حتى يأتينا بقربان تاكله النار يقول حتى يحيننا بقربان وهو ما تقرب به العبد الى ربه من صدقة وهو مصدر مثل العدوان والخسران من قولك قربت قربانا وانما قال تاكله النار لان أكل النار ما قرب به أحدهم لله في ذلك الزمان كان دليلا على قبول الله منه ما قرب له ودلالة على صدق المتقرب فيما ادعى انه محق فيما نازع أو قال كما حدثنا

محمد

الغائلة حتى لا يتجاوز عن الوسط ولا يخرج عن قانون الشرع (وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس

ما كذبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما
يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم (١٢٣) ويعلمهم الكتاب والحكمة وان

محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى يأتينا بقربان تأكله النار كان الرجل يتصدق فاذا تقبل منه أتت عليه نار من السماء فأكلته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله بقربان تأكله النار كان الرجل اذا تصدق بصدقة فتقبلت منه بعث الله نارا من السماء فنزلت على القربان فأكلته وقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات يعني بالحجج الدالة على صدق نبوتهم وحقيقة قولهم وبالذي قلتم يعني وبالذي ادعيتم انه اذا جاءه لزمكم تصديقه بمعجزة الاقرار بنبوته من أكل النار قربانه اذ قرب لله دلالة على صدقه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين يقول له قل لهم قد جاءتكم الرسل الذي كانوا من قبلي بالذي زعمتم انه حجة لهم عليكم فقتلتموهم فلم قتلتموهم وأنتم مقرون بان الذي جاؤكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم ان كنتم صادقين في ان الله عهد اليكم ان تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقربان تأكله النار حجة له على نبوته وانما أعلم الله عباده بهذه الآية ان الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يقروا أن يكونوا في كذبهم على الله وافترائهم على ربهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وهم يعلمونه صادقا فيحققوا جحودهم نبوته وهم يجدونه مكتوبا عندهم في عهد الله تعالى اليهم انه ورسوله الى خلقه مفروضة طاعته الا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عذرهم بالحجج التي أيدهم الله بها والادلة التي أبان صدقهم بها افتراء على الله واستحقاقا بحقوقه ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) وهذا تعزية من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ان الاذى الذي كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله من سائر أهل الملل يقول الله تعالى له لا يحزنك يا محمد كذب هؤلاء الذين قالوا ان الله فقير وقالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار وافتراؤهم على ربهم اغتروا بامهال الله اياهم ولا يعظمن عليك تكذيبهم اياك وادعاؤهم الاباطيل من عهود الله اليهم فانهم ان فعلوا ذلك بك فكذبوك وكذبوا على الله فقد كذبت أسلافهم رسل الله قبلك ممن جاءهم بالحجج القاطعة العذر والادلة الباهرة العقل والآيات المعجزة الخلق وذلك هو البينات وأما الزبر فانه جمع زبور وهو الكتاب وكل كتاب فهو زبور ومنه قول امرئ القيس

لمن طلل أبصرته فشجاني * كخط زبور في عسيب يماني

ويعني بالكتاب التوراة والانجيل وذلك ان اليهود كذبت عيسى وما جاء به وحرفت ما جاء به موسى عليه السلام من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبدلت عهده اليهم فيه وأن النصارى جحدت ما في الانجيل من نعته وغيرت ما أمرهم به في أمره وأما قوله المنير فانه يعني الذي ينير فيبين الحق لمن التبس عليه ويوضحه وانما هو من النور والاضاءة يقال قد أنار لك هذا الامر بمعنى أضاء لك وتبين فهو ينير انارة والشيء المنير وقد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا الحرف في مصاحف أهل الحجاز والعراق والزبر بغير باء وهو في مصاحف أهل الشام و بالزبر بالباء مثل الذي في سورة فاطر ۞ القول في تأويل قوله (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) يعني

كانوا من قبل لفي ضلال مبين أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شيء قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) القراآت يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وأبو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير رويس الباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول ولا يحسبن بياء

الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر على الابتداء الباقون بالفتح وخافوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو و يزيد واسمعيل في الوصل الباقون بالحذف * الوقوف وان يغل

ط لابتداء الشرط يوم القيامة ج لانها جزاء الشرط مع العطف لا تطلقون ه نصفا لفرجهنم ط المصير ه صدقاته ط بما تعملون ه
والحكمة ج لمكان العطف مبين ه (١٢٤) مثلها ج -لان استفهام الانكار دخل على فلم هذا ط أنفسكم ط قدير ه وليعلم
المؤمنين ه لانافقوا ج لاحتمال العطف والاستئناف والوصل أولى على تقدير وقد قيل لهم أو ادفعوا ط لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستئناف في قلوبهم ط يكتمون ج لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون أو خبر مبتدأ محذوف ماقتلوا ط صادقين ه أمواتا ط عند ربهم ص يرزقون ه لالان فرحين حالهم من فضله لا العطف من خلفهم لا لتعلق ان يحزنوا ه م لان الآية استئناف الفعل اذ يستحيل أن يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون وفضل لا لان التقدير وبان ومن كسر وقف والجملة تحتمل اعتراضية للمؤمنين ه ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدأ خبره الذين أحسنوا أو نصبا على المدح والاول أوجه لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدا محذوف ايمانا ق والوصل أولى للعطف واتصال توكل اللسان بيقين القلب الوكيل ه سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم ه أولياءه ص لوصل النهي عن الخوف بقد ذكر التخويف مؤمنين ه * التفسير هذا حكم من أحكام الجهاد وأصل الغلول أخذ الشيء في خفية يقال أغل الجازر والسالخ اذا أبقى في الجلد شيأ من اللحم ليسرقه والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغل الماء الذي يجري في أصول الشجر لانه مستتر بالأشجار وقال صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقال أيضا هدايا الولاة غلول ولتسمعن
وقال الجوهري عمل يغل غلولا أي خان وأغل مثله الا ان العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال أبو عبيدة الغلول في المغنم

بذلك تعالى ذكره أن مصير هؤلاء المفترين على الله من اليهود المكذبين برسوله الذين وصف صفتهم وأخبر عن جزاء تهم على ربهم ومصير غيرهم من جميع خلقه تعالى ذكره ومرجع جميعهم اليه لانه قد حتم الموت على جميعهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم لا يحزنك تكذيب من كذبك يا محمد من هؤلاء اليهود وغيرهم وافتراء من افترى علي فقد كذب قبلك رسل جاؤا من الآيات والحجج من أرسلوا اليه بمثل الذي جئت من أرسلت اليه فلك فيهم اسوة تتعزى بهم ومصير من كذبك وافترى على وغيرهم ومرجعهم الى فاوفى كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة كما قال جل ثناؤه وانما توفون أجوركم يوم القيامة يعني أجور أعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر فمن زحزح عن النار يقول فمن نحي عن النار وأبعد منها فقد فاز يقول فقد نجا وظفر بحاجته يقال منه فاز فلان بطلبته يفوز فوزا ومفازا ومفازة اذا ظفر بها وانما معنى ذلك فمن نحي عن النار فابعد منها وأدخل الجنة فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور يقول وما لذات الدنيا وشهوتها وما فيها من زينتها وزخارفها الا متاع الغرور يقول الا متعة يتمتع بها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الامتحان ولا صحة له عند الاختبار فانتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره يقول تعالى ذكره ولا تركنوا الى الدنيا فتسكنوا اليها فانما أنتم منها في غرور تمتعون ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون وقد روي في تأويل ذلك ما حدثني به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جرير عن الاعمش عن بكر بن الاخنس عن عبد الرحمن بن سابط في قوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور قال كزاد الراعي تزوده الكف من التمر أو الشيء من الدقيق أو الشيء يشرب عليه اللبن فكان ابن سابط ذهب في تأويله هذا الى أن معنى الآية وما الحياة الدنيا الا متاع قليل لا يبلغ من تمتعه ولا يكفيه لسفره وهذا التأويل وان كان وجها من وجوه التأويل فان الصحيح من القول فيه هو ما قلنا لان الغرور انما هو الخداع في كلام العرب واذ كان كذلك فلا وجه لصرفه الى معنى القلة لان الشيء قد يكون قليلا وصاحبه منه في غير خداع ولا غرور وأما الذي هو في غرور فلا القليل يصلحه ولا الكثير مما هو منه في غرور والغرور مصدر من قول القائل غرني فلان فهو يغرني غرورا بضم الغين وأما اذا فتحت الغين من الغرور فهو صفة للشيطان الغرور الذي يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته وقد حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة وعبد الرحيم قالا ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ۞ القول في تأويل قوله (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) يعني بذلك تعالى ذكره لتبلون في أموالكم لتختبرن بالمصائب في أموالكم وأنفسكم يعني وجع لاقرباء والعشائر من أهل نصرتكم وملتكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني من اليهود وقولهم ان الله فقير ونحن أغنياء وقولهم يد الله مغلولة وما أشبه ذلك من افترائهم على الله ومن الذين أشركوا يعني النصارى أذى كثيرا والاذى من اليهود ما ذكرنا ومن النصارى قولهم المسيح ابن الله وما أشبه ذلك من كفرهم بالله وان تصبروا وتتقوا يقول وان تصبروا على الامر الله الذي أمركم به فيهم وفي غيرهم من طاعته وتتقوا يقول وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم فتعملوا في ذلك بطاعته فان ذلك من عزم الامور يقول فان ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه وأمر كم به وقيل ان ذلك كله نزل في فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع كالذي حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة في قوله لتبلون في أموالكم وأنفسكم

ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي بكر رضوان الله عليه وفي فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رحمه الله الى فنحاص يستمده وكتب اليه بكتاب وقال لابي بكر لا تفتات على بشئ حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو موشح السيف فاعطاه الكتاب فلما قرأه قال قد احتاج ربكم أن نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتات على بشئ حتى ترجع فكف ونزلت ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم وما بين الآيتين الى قوله لتبلون في أموالكم وأنفسكم نزلت هذه الآيات في بني قينقاع الى قوله فان ذلك لمن عزم الامور قد كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال ابن جريج يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم قال أعلم الله المؤمنين انه سيبتليهم فينظر كيف صبرهم على دينهم ثم قال ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا أذى كثيرا فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم عزير ابن الله ومن النصارى المسيح ابن الله فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب ويسمعون اشراكهم فقال الله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور يقول من القوة مما عزم الله عليه وأمر به وقال آخرون بل نزلت في كعب بن الاشرف وذلك انه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتشبب بنساء المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال هو كعب بن الاشرف وكان يحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق اليه خمسة نفر من الانصار فيهم محمد بن مسلمة ورجل يقال له أبو عبس فاتوه وهو في مجلس قومه بالعوالي فلما رآهم ذعر منهم فانكر شأنهم وقالوا جئناك لحاجة قال فليدن الى بعضكم فليحدثني بحاجته فجاء رجل منهم فقال جئناك لنبيعك أدراعا عندنا لنستنفق بها فقال والله لئن فعلتم لقد جهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل فواعدوه أن يأتوه عشاء حين هدئ عنهم الناس فاتوه فنادوه فقالت امرأته ما طرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشئ ما نحب قال انهم حدثوني بحديثهم وشأنهم قال معمر فاخبرني أيوب عن عكرمة انه أشرف عليهم فكلمهم أترهنون أبناءكم وأرادوا أن يبيعهم تمرا قالوا انا نستحيي أن تعير أبناؤنا فيقال هذا رهينة وسق وهذا رهينة وسقين فقال أترهنوني نساءكم قالوا أنت أجمل الناس ولا نامنك وأي امرأة تمتنع منك لجمالك ولكنا نرهنك سلاحنا فقد علمت ما جئتنا الى السلاح اليوم فقال ائتوني بسلاحكم واحتملوا ما شئتم قالوا فانزل الينا نأخذ عليك ونأخذ علينا فذهب ينزل فتعلقت به امرأته وقالت أوسل الى أمثالهم من قومك يكونوا معك قال لو وجدني هؤلاء نائما ما أيقظوني قالت فكلمهم من فوق البيت فابى عليها فنزل اليهم يفوح ريحه قالوا ما هذا ريح يا فلان قال هذا عطر أم فلان امرأته فدنا اليه بعضهم يشم واعتنقه ثم اعتنقه ثم قال اقتلوا عدو الله فطعنه أبو عبس في خاصرته وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف فقتلوه ثم رجعوا فاصبحت اليهود مذعورين فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعه وما كان يحض عليهم ويحرض في قتالهم ويؤذيهم ثم دعاهم الى أن يكتب بينه وبينهم صلحا فكان ذلك الكتاب مع علي رضوان الله عليه ❁ القول في تاويل قوله (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) يعني بذلك تعالى ذكره واذ كر أيضا من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد اذ أخذ الله ميثاقهم ليبينن للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على

ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي بكر رضوان الله عليه وفي فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رحمه الله الى فنحاص يستمده وكتب اليه بكتاب وقال لابي بكر لا تفتات على بشئ حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو موشح السيف فاعطاه الكتاب فلما قرأه قال قد احتاج ربكم أن نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتات على بشئ حتى ترجع فكف ونزلت ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم وما بين الآيتين الى قوله لتبلون في أموالكم وأنفسكم نزلت هذه الآيات في بني قينقاع الى قوله فان ذلك لمن عزم الامور قد كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال ابن جريج يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم قال أعلم الله المؤمنين انه سيبتليهم فينظر كيف صبرهم على دينهم ثم قال ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا أذى كثيرا فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم عزير ابن الله ومن النصارى المسيح ابن الله فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب ويسمعون اشراكهم فقال الله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور يقول من القوة مما عزم الله عليه وأمر به وقال آخرون بل نزلت في كعب بن الاشرف وذلك انه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتشبب بنساء المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال هو كعب بن الاشرف وكان يحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق اليه خمسة نفر من الانصار فيهم محمد بن مسلمة ورجل يقال له أبو عبس فاتوه وهو في مجلس قومه بالعوالي فلما رآهم ذعر منهم فانكر شأنهم وقالوا جئناك لحاجة قال فليدن الى بعضكم فليحدثني بحاجته فجاء رجل منهم فقال جئناك لنبيعك أدراعا عندنا لنستنفق بها فقال والله لئن فعلتم لقد جهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل فواعدوه أن يأتوه عشاء حين هدئ عنهم الناس فاتوه فنادوه فقالت امرأته ما طرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشئ ما نحب قال انهم حدثوني بحديثهم وشأنهم قال معمر فاخبرني أيوب عن عكرمة انه أشرف عليهم فكلمهم أترهنون أبناءكم وأرادوا أن يبيعهم تمرا قالوا انا نستحيي أن تعير أبناؤنا فيقال هذا رهينة وسق وهذا رهينة وسقين فقال أترهنوني نساءكم قالوا أنت أجمل الناس ولا نامنك وأي امرأة تمتنع منك لجمالك ولكنا نرهنك سلاحنا فقد علمت ما جئتنا الى السلاح اليوم فقال ائتوني بسلاحكم واحتملوا ما شئتم قالوا فانزل الينا نأخذ عليك ونأخذ علينا فذهب ينزل فتعلقت به امرأته وقالت أوسل الى أمثالهم من قومك يكونوا معك قال لو وجدني هؤلاء نائما ما أيقظوني قالت فكلمهم من فوق البيت فابى عليها فنزل اليهم يفوح ريحه قالوا ما هذا ريح يا فلان قال هذا عطر أم فلان امرأته فدنا اليه بعضهم يشم واعتنقه ثم اعتنقه ثم قال اقتلوا عدو الله فطعنه أبو عبس في خاصرته وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف فقتلوه ثم رجعوا فاصبحت اليهود مذعورين فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعه وما كان يحض عليهم ويحرض في قتالهم ويؤذيهم ثم دعاهم الى أن يكتب بينه وبينهم صلحا فكان ذلك الكتاب مع علي رضوان الله عليه ❁ القول في تاويل قوله (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) يعني بذلك تعالى ذكره واذ كر أيضا من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد اذ أخذ الله ميثاقهم ليبينن للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على

فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعيره وغاء يقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فاقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ومعنى الآية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين ما كان لنبي أن يخون أي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها أعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار في الآخرة كيف وانه أمين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات أفلا يكون أمينا في الارض هيبات وقيل اللام منقولة والتقدير وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله أن يتخذ من ولد أي وما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين فغيه وجهان

أحدهما يخان أي يؤخذ من غنيمته وفي تخصيصه بهذه الحرمة تحذير له على الاطلاق فانه منها ان المجني عليه كاملا كانت الخيانة في سعة أخس ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت

بيانه للناس فى كتابهم الذى فى أيديهم وهو التوراة والانجيل وانك لته رسول مرسل بالحق ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم يقول فتركوا أمر الله وضيعوه ونقضوا ميثاقه الذى أخذ عليهم بذلك فكتموا أمرك وكذبوا بك واشتروا به ثمنا قليلا يقول واتبعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوتك عوضا منه خسيسا قليلا من عرض الدنيا ثم جل ثناؤه شراءهم ما اشتروا به من ذلك فقال فبئس ما يشترون واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بهم اليهود خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة انه حدثه عن ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه الى قوله عذاب أليم يعنى فنحاص وأشيع وأشباههما من الاحبار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم كان أمرهم أن يتبعوا النبى الذى يؤمن بالله وكاما نه وقال اتبعوه لعلكم تهتدون فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال أوفوا بعهدى أوف بعهدكم وايای فارهبون عاهدهم على ذلك فقال حين بعث محمدا صدقوه وتلقون الذى أخبيتم عندى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس الآية قال ان الله أخذ ميثاق اليهود ليبيننه للناس محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى الجحاف عن مسلم البطين قال سأل الحجاج بن يوسف جلساءه عن هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب فقام رجل الى سعيد بن جبير فسأله فقال واذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب يهود ليبيننه للناس محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه فنبذوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال وكان فيه ان الاسلام دين الله الذى افترضه على عباده وأن محمدا يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وقال آخرون عنى بذلك كل من أوتى علما بأمر الدين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم الآية هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه وايا كم وكتمان العلم فان كتمان العلم هلكة ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين كان يقال مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وكان يقال طوبى لعالم ناطق وطوبى لمستمع واع هذا رجل علم علما فعلمه وبذله ودعا اليه ورجل سمع خيرا فحفظه ووعاه وانتفع به حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنى أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة قال جاء رجل الى قوم فى المسجد وفيهم عبد الله بن مسعود فقال ان أخاكم كعبا يقرئكم السلام ويبشركم ان هذه الآية ليست فيكم واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فقال له عبد الله وأنت فاقرأه السلام وأخبره انما نزلت وهو يهودى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة بنحوه عن عبد الله وكعب وقال آخرون معنى ذلك واذ أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال ثنى يحيى بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان أصحاب عبد

كانوا فى غابة الغفر فكانت تلك الخيانة وقتئذ أمرا ونابهة مما يحتمون أى ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد تقول العرب أكفرت الرجل جعلته كافرا أو نسبته الى الكفر قال الفتيبى لو كان هذا هو المراد لقيل يغل كما يقال يفسق ويكفر والاولى أن يقال هو من أغللته أى وجدته غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبى أن يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان أغل بمعنى وجده غالا وانما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وقد طعن بعضهم فى هذه القراءة وقال ان أكثر ما جاء من هذا القبيل فى التنزيل أسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان نشرك ما كان لنا أخذ ما كان لنضر أن تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى أبو عبيدة عن يونس انه قال ليس فى الكلام ما كان لك أن تضرب بضم التاء والحق ان القرآن حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روى انه صلى الله عليه وسلم لما وقعت غنائم هوازن فى يده غلهر جل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما أسباب النزول أكثرها يروى انه لما حرت قسمة الغنيمة فى بعض الغزوات لما نع لجامه قوم وقالوا ألا تقسم غنائمنا فقال صلى الله عليه وسلم لو كان لكم مثل أحد ذهبا لقسمت بينكم درهما درهما ثم لا تروننى أغللتكم ولا جدتمونى بخيلا ولا كذابا فنزلت وعن ابن عباس ان أشراف الناس طمعوا أن يخصهم النبى صلى الله عليه وسلم من الغنائم بشىء زائد فنزلت وقال الكلبى ومقاتل نزلت فى غنائم أحد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما

يقسمها يوم بدر فقال لهم صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع

الله يقرؤن واذ أخذ ربك من الذين أوتوا الكتاب ميثاقهم قال من النبيين على قومهم حدثنا أبو كريب قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد قال قلت لابن عباس ان أصحاب عبد الله يقرؤن واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واذ أخذ الله ميثاق النبيين قال فقال أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم وأما قوله لتبيننه للناس فانه كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثني أبي قال ثنا محمد بن ذكوان قال ثنا أبو نعامة السعدي قال كان الحسن يفسر قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ليتكلمن بالحق وليعملن به بالعمل واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه بالتاء وهي قراءة أعظم قراء أهل المدينة والكوفة على وجه المخاطب بمعنى قال الله لهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقرأ ذلك آخرون ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء جميعا على وجه الخبر الغائب لانهم في وقت اخبار الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك عنهم كانوا غير موجودين فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب والقول في ذلك عندنا انهما قراءتان صحيحتا وجوههما مستفيضتان في قراءة الاسلام غير مختلفتي المعاني فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب في ذلك غير أن الامر في ذلك وان كان كذلك فان أحب القراءتين الى ان أقرأ بهما ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء جميعا استدلالا بقوله فنبذوه انه اذا كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله فنبذوه حتى يكون متسقا كله على معنى واحد ومثال واحد ولو كان الاول بمعنى الخطاب لكان أن يقال فنبذتموه وراء ظهوركم أولى من أن يقال فنبذوه وراء ظهورهم وأما قوله فنبذوه وراء ظهورهم فانه مثل لتضييعهم القيام بالميثاق وتركهم العمل به وقد بينا المعنى الذي من أجله قيل ذلك كذلك فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا اعادته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا يحيى بن أيوب البجلي عن الشعبي في قوله فنبذوه وراء ظهورهم قال انهم قد كانوا يقرؤنه انما نبذوا العمل به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فنبذوه وراء ظهورهم قال نبذوا الميثاق حدثني محمد بن سنان قال ثنا عثمان بن عمر وقال ثنا مالك بن مغول قال نبئت عن الشعبي في هذه الآية فنبذوه وراء ظهورهم قال قذفوه بين أيديهم وتركوا العمل به وأما قوله واشتروا به ثمنا قليلا فان معناه ما قلنا من أنهم أخذوا على كتمانهم الحق وتحريفهم الكتاب كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واشتروا به ثمنا قليلا أخذوا طمعا وكتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وقوله فبئس ما يشترون يقول فبئس الشراء يشترون في تضييعهم الميثاق وتبديلهم الكتاب كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فبئس ما يشترون قال تبديل اليهود التوراة ❁ القول في تأويل قوله (لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ذلك فقال بعضهم عنى بذلك قوم من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا العدو فاذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سهل ابن عسكر وابن عبد الرحيم البرقي قالا ثنا ابن أبي مريم قال ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير قال ثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله واذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وأحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل

فنزلت مبالغة في النهي لرسوله يعني وما كان لنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا بصورة الامر وقيل نزلت في أداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه أن يترك ذلك فقيل ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس أو رهبة عنهم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة أكثر المفسرين أجروه على ظاهره ونظيره في مانع الزكاة يوم يحمى عليها في نار جهنم وبدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس انه قال يمثل له ذلك الشئ في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق ناقة مسك فتليت عليه هذه الآية فقال اذن أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت ذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك وقتئذ يكون أنتن من الجيفة وأثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال أمره ويرى نقيض مقصوده قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة وقال أبو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لوباله وتبعته والمراد انه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويقرر عليه يوم القيامة ويجازيه

لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشئ وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات للجزاء لكل كاسب على سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير مختص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهذا

أبلغ مما لو خص الغائب بتوفية الجزاء فقيل ثم يوفى ما كسب ثم فصل ما أجمل فقال أفمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أمن اتقى فاتبع قال الكلبي

ارادة انتقام لاجل الغلول وقال الزجاج أفمن اتبع رضوان الله باستثمال أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى دفع المشركين يوم أحد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والآخرون المنافقون وقيل أفمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول أقرب لتكون الآية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله ومأواه جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا يجوز في الحكمة أن يسوي بين المسيء والمحسن والا كان اغراء بالمعاصي واباحتها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل أي لهم درجات وحسن هذا الحذف لان اختلاف أعمالهم كانه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم في أنفسهم درجات لان لهم درجات وقيل المراد ذو و درجات ثم الضمير الى أي شيء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في أهل الثواب والدركات في أهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان مأواه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان ويؤيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا ولا يراد به عند ذي المكان لتنزهه تعالى عن ذلك الا انه يفيد في الجملة تشريفا وانه يليق باهل الثواب وقال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه أقرب لانهم متفاوتون في

الله تعالى فيهم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال هؤلاء المنافقون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم لو قد خرجت خرجنا معك فاذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم تخلفوا وكذبوا ويفرحون بذلك ويرون انها حيلة احتالوا بها وقال آخرون عني بذلك قوم من أحبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعني فنحاص وأشيع وأشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أن يقول لهم الناس علماء وليسوا باهل علم لم يحمدوهم على هدى ولا خير ويحبون أن يقول لهم الناس قد فعلوا حدثنا ابن كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن اسحق بنحو ذلك الا انه قال وليسوا باهل علم لم يحمدوهم على هدى وقال آخرون بل عني بذلك قوم من اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون ان يحمدوا بان يقال لهم أهل صلاة وصيام ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا فانهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا قد جمع الله كلمتنا ولم يخالف أحد منا أحدا انه نبي وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أهل الصلاة والصيام وكذبوا بل هم أهل كفر وشرك وافتراء على الله قال الله يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال قالت اليهود بعضهم لبعض فكتب بعضهم الى بعض ان محمدا ليس بنبي فاجمعوا كلمتكم وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذي معكم ففعلوا وفرحوا بذلك وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي قال كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة ونحن على دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من كتمان محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أحبوا أن تحمدهم العرب بما يزكون به أنفسهم وليسوا كذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي الجحاف عن مسلم البطين قال سأل الحجاج جلساءه عن هذه الآية لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا قال سعيد بن جبير بكتمانهم محمدا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال هو قولهم نحن على دين ابراهيم عليه السلام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فهم أهل الكتاب أنزل عليهم الكتاب فكموا بغيا الحق وحرفوا الكلام عن مواضعه وفرحوا بذلك وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فرحوا بانهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله وهم يزعمون انهم يعبدون الله ويصومون ويصلون ويطيعون الله فقال الله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تحسبن

العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه منها فحصها وعمر او قال ان أهون أهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلى من حرها دماغه ينادي يارب وهل يعذب أحد عذابي والاوجه أن يكون عائدا الى الكل لان درجات أهل الثواب متفاوتة وكذا دركات أهل العقاب حسب تفاوت أعمال الخلق وقد يستعمل الدرجات في مراتب أهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بمقدارها قوله عز من قائل لقد من الله على المؤمنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما بينهم ولم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق من هذا حاله الخيانة ومنها كأنه تعالى قال لا أكتفي في وصفه بان أنزهه عن الخيانة ولكني أقول ان وجوده فيكم من أعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم جاهلين فعلمكم وانما حصل لكم الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل أن يعينه باقصى ما يقدر عليه ويكون معه باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه والوجه في المنة اما أن يعود الى أصل البعثة واما أن يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول أن الخلق مجبولون على النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه دلائل الكمال ويزيح علتهم في كل حال وأيضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى أن يشرحها النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأيضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم أنواع الترغيبات والترهيبات فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة أنوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم يضم اليه ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الثاني ان هذا الرسول بعث

الذين يفرحون بما أتوا كفروا بالله وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصوم فقال الله جل وعز لمحمد صلى الله عليه وسلم فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقال آخرون بل معنى ذلك لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من تبديلهم كتاب الله ويحبون أن يحمدهم الناس على ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا قال يهود قال فرحوا بإعجاب الناس تبديلهم الكتاب وحمدهم اياهم عليه ولا تملك يهود ذلك وقال آخرون معنى ذلك انهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل ابراهيم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي المعلى عن سعيد بن جبير انه قال في هذه الآية ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال اليهود يفرحون بما أتى الله ابراهيم عليه السلام حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جبير قال ثنا شعبة عن أبي المعلى العطار عن سعيد بن جبير قال هم اليهود فرحوا بما أعطى الله تعالى ابراهيم عليه السلام وقال آخرون بل عنى بذلك قوم من اليهود سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه ففرحوا بكتمانهم ذلك اياه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة ان علقمة بن أبي وقاص أخبره ان مروان قال لرافع اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين فقال ابن عباس ما لكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه ان قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه مما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ثم قال واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني أخبرني عبد الله بن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره ان مروان بن الحكم قال لبوابه يا رافع اذهب الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن جميعا فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الآية انما نزلت في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال ابن عباس سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه ان قد أخبروه بما قد سألهم عنه فاستحمدوا بذلك وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه * وقال آخرون بل عنى بذلك قوم من يهود أظهروا النفاق للنبي صلى الله عليه وسلم محبة منهم لمحمد والله عالم منهم خلاف ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا ان أعداء الله اليهود يهود خيبر أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فزعموا انهم راضون بالذي جاء به وانهم متابعون وهم متمسكون بضلالتهم وأرادوا أن يحمدهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لم يفعلوا فانزل الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال ان أهل خيبر أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا انا على رأيكم وهيئتكم وانا لكم ردء كذبهم الله فقال لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآيتين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال جاء رجل الى عبد الله فقال ان كعبا يقرأ عليك السلام ويقول ان هذه الآية لم تنزل فيكم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال أخبروه انها نزلت وهو يهودي * وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية

من أنفسهم أى من جنسهم عربيا مثلهم أو من ولد اسمعيل كما أنهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من آمن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم أخذ ما يجب أخذه عنه واذا كانوا واقفين على أحواله فى الصدق والامانة كان ذلك أقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه أيضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك أن الافتخار بابراهيم صلى الله عليه وسلم كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتوراة والانجيل وما كان للعرب ما يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وأنزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الامم وقيل من أنفسهم أى من جنس الانس لا من الملك لان الجنس الى الجنس أميل ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة انهما قرآ من أنفسهم بفتح الفاء أى أشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون عاما ويحتمل أن يراد بهم العرب ويصح لان عدنان ذرية ولد اسمعيل ومضر ذرية نزار بن معد بن عدنان وخندف ذرية مضر ومدركة ذرية خندف وقريش ذرية مدركة وذرية قريش محمد صلى الله عليه وسلم وأما سائر أوصافه من قوله يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فقد مر تفسيرها فى البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين كما سلف فى قوله وان كانت لكبيرة ومعنى المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها أعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون أعم نفعا وأتم وقعا لما أجاب عن نسبة النبى صلى الله عليه وسلم الى الغلول حكى عنهم شبهة أخرى وهى قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله انى هذا وأجاب عنها الله بقوله قل هو من عند أنفسكم والواو فى قوله أولما أصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة أحد الا ان حرف الاستفهام قدم

قول من قال عنى بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جل وعز انه أخذ ميثاقهم ليبينن للناس من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه لان قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية فى سياق الخبر عنهم وهو شبيه بقصتهم مع اتفاق أهل التأويل على انهم المعنيون بذلك فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك وانك لى رسول مرسل بالحق وهم يجدونك مكتوبا عندهم فى كتبهم وقد أخذت عليهم الميثاق بالاقرار بنبوتك وبيان أمرك للناس وأن لا يكتموهم ذلك وهم مع نقضهم ميثاقى الذى أخذت عليهم بذلك يفرحون بمعصيتهم اياى فى ذلك ومخالفتهم أمرى ويحبون أن يحمدهم الناس بانهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم واتباع لوحيه وتنزيله الذى أنزله على أنبيائه وهم من ذلك أبرياء أخلياء لتكذيبهم رسوله ونقضهم ميثاقه الذى أخذ عليهم لم يفعلوا شيئا مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فلا تظننهم بمنجاة من عذاب الله الذى أعده لاعدائه فى الدنيا من الخسف والمسخ والرجف والقتل وما أشبه ذلك من عقاب الله ولا هم ببعيد منه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب قال بمنجاة من العذاب قال أبو جعفر ولهم عذاب أليم يقول ولهم عذاب فى الآخرة أيضا مؤلم مع الذى لهم فى الدنيا معجل ۞ القول فى تأويل قوله (ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير) وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء يقول تعالى ذكره مكذبا لهم لله ملك جميع ما حوته السموات والارض فكيف يكون أيها المفترون على الله من كان ملك ذلك له فقيرا ثم أخبر جل ثناؤه انه القادر على تعجيل العقوبة لقائلى ذلك ولكل مكذب به ومفتر عليه وعلى غير ذلك مما أراد ولكنه يتفضل بحلمه على خلقه فقال والله على كل شئ قدير يعنى من اهلاك قائلى ذلك وتعجيل عقوبته لهم وغير ذلك من الامور ۞ القول فى تأويل قوله (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك وعلى سائر خلقه بانه المدبر المصرف الاشياء والمسخر ما أحب وان الاغناء والافقار اليه وبيده فقال جل ثناؤه تدبر وا أيها الناس واعتبروا فيما أنشأته فخلقته من السموات والارض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم وفيما عقبت بينهما من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم تتصرفون فى هذا لمعاشكم وتسكنون فى هذا راحة لاجسادكم معتبر ومذكر وآيات وعظات فمن كان منكم ذا لب وعقل يعلم ان من تسنى الى انه فقير وهو غنى كاذب مفتر فان ذلك كله بيدى أقلبه وأصرفه ولو أبطلت ذلك له لكنتم فكيف ينسب فقرا الى من كان كل ما به عيش ما فى السموات والارض بيده واليه أم كيف يكون غنيا من كان رزقه بيد غيره اذا شاء رزقه واذا شاء حرمه فاعتبروا يا أولى الالباب ۞ القول فى تأويل قوله (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض) وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا من نعت أولى الالباب والذين فى موضع خفض ردا على قوله لاولى الالباب ومعنى الآية ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذاكرين الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يعنى بذلك قياما فى صلاتهم وقعودا فى تشهدهم وفى غير صلاتهم وعلى جنوبهم نياما كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا الآية قال هو ذكر الله فى الصلاة وفى غير الصلاة وقراءة القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذه حالاتك كلها يا ابن آدم فاذكره وأنت على جنبك يسرا من

على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومعقول القول انى هذا وأصابتكم فى محل الجر باضافة مثلى اليه والتقدير أقلتم حين أصابتكم ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ من أين (١٣١) أصابنا هذا وكيف نصروا علينا ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبى معهم والمراد بالمصيبة واقعة أحد وبمثليها وقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل أراد نسبة الضعف فى الهزيمة لا فى عدد القتلى والاسرى فالمسلمون هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم أيضا فى الاولى يوم أحد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة فخرج عن قوله قد أصبتم مثليها جواب ضمنى يعنى ان أحوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا أصبتم منهم مثلى ما نالوا منكم فما وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب آخر فقال قل هو من عند أنفسكم وفى تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك انهم عصوا الرسول فى أمور فى الخروج عن المدينة وكان رأيه فى الاقامة ثم فى الغنائم وفى التنازع وفى مفارقة المركز وفى الاشتغال بطلب الغنيمة الثانى ما روى عن على رضى الله عنه انه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك فى أخذهم الفداء من الاسارى وأمرك ان تخيرهم بين أن يقدموا الاسارى فيضربوا أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا فأخذ الفداء منهم فنتقوى به على قتال العدو ونرضى أن يستشهد منا بعددهم فقتل يوم أحد سبعون رجلا بعدد أسارى بدر فمعنى هو من عند أنفسكم هو باخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالآية على ان العبد مختار فى الفعل والترك وانه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله

الله وتحقيقا فان قال قائل وكيف قيل وعلى جنوبهم فعطف بعلى وهى صفة على القيام والقعود وهما اسمان قيل لان فى قوله وعلى جنوبهم فى معنى الاسم ومعناه ونياما أو مضطجعين على جنوبهم فحسن عطف ذلك على القيام والقعود لذلك من المعنى كما قيل واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فعطف بقوله أو قاعدا أو قائما على قوله لجنبه لان معنى قوله لجنبه مضطجعا فعطف بالقاعد والقائم على معناه فكذلك ذلك فى قوله وعلى جنوبهم وأما قوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض فانه يعنى بذلك انهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك فيعلمون انه لا يصنع ذلك الا من ليس كمثله شئ ومن هو مالك كل شئ ورازقه وخالق كل شئ ومدبره من هو على كل شئ قدير وبيده الاغناء والافقار والاعزاز والاذلال والاحياء والاماتة والشقاء والسعادة ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) يعنى بذلك تعالى ذكره ويتفكرون فى خلق السموات والارض قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا فترك ذكر قائلين اذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه وقوله ما خلقت هذا باطلا يقول لم تخلق هذا الخلق عبثا ولا لعبا ولم تخلقه الا لامر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة وانما قال ما خلقت هذا باطلا ولم يقل ما خلقت هذه ولا هؤلاء لانه أراد بهذا الخلق الذى فى السموات والارض يدل على ذلك قوله سبحانك فقنا عذاب النار ورغبتهم الى ربهم فى أن يقيهم عذاب الجحيم ولو كان المعنى بقوله ما خلقت هذا باطلا السموات والارض لما كان لقوله عقيب ذلك فقنا عذاب النار معنى مفهوم لان السموات والارض أدلة على بارئها لا على الثواب والعقاب وانما الدليل على الثواب والعقاب الامر والنهى وانما وصف جل ثناؤه أولى الالباب الذين ذكرهم فى هذه الآية بتفكرهم اذا رأوا المأمورين المنهيين قالوا يا ربنا لم تخلق هؤلاء باطلا عبثا سبحانك يعنى تنزيها لك من أن تفعل شيئا عبثا ولكنك خلقتهم لعظيم من الامر لجنة أو نار ثم فزعوا الى ربهم بالمسألة أن يجيرهم من عذاب النار وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره فيكونوا من أهل جهنم ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار) اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قالوا ولا يخزى مؤمن مصيره الى الجنة وان عذب بالنار بعض العذاب ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حفص الجيرى ومحمد بن بشار قالا أخبرنا المؤمل أخبرنا أبو هلال عن قتادة عن أنس فى قوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال من يخلد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن رجل عن ابن المسيب ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال هى خاصتهن لا يخرج منها حدثنى المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا قبيصة بن مروان عن الاشعث الجلى قال قلت للحسن يا أبا سعيد أرأيت ما تذكر من الشفاعة حق هو قال نعم حق قال قلت يا أبا سعيد أرأيت قول الله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها قال فقال لى انك والله لا تستطيع على شئ ان النار أهلا لا يخرجون منها كما قال الله قال قلت يا أبا سعيد فمن دخلوا ثم خرجوا قال كانوا أصابوا ذنوبا فى الدنيا فأخذهم الله بها فادخلهم بها ثم أخرجهم بما يعلم فى قلوبهم من الايمان والتصديق به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انك من تدخل النار فقد أخزيته قال هو من يخلد فيها وقال آخرون معنى ذلك ربنا انك من تدخل النار من يخلد فيها وغير مخلد فيها فقد أخزى بالعذاب ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحرث بن مسلم عن يحيى بن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة فانتهيت اليه أنا وعطاء فقلت له ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال وما اخزاؤه

ان الله على كل شئ قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله أن يقدر عليه اذ لا قدرة على ايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافى انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ويؤيده قوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس أى وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لان الرضا بالقضاء لازم وقيل بتخليته لان الاذن محمل بين المأذون له ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبر تم المصالح فذلك قد وقع ليعلم المؤمنين أى ليتميز واعن أهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصوير انهم شرعوا فى الاعمال اللائقة بالنفاق فى ذلك الوقت وأحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القائل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل هو أبو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى لما انخزل عبد الله بن أبى بثلث الناس تبعهم وقال أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله ان كان فى قلبكم حب هذا الدين أو ادفعوا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم ان لم يكن بكم هم الآخرة وطلب مرضاة الله أى كونوا من رجال الدين أو من رجال الدنيا وقال السدى وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان الكثرة أحد أسباب الهيبة والرعب ثم انه كأن سائلا سأل فاذا أجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعنا كم كانهم جحدوا أن يكون بين الفريقين قتال البتة أو المراد لو نعلم مايصح أن يسمى قتالا لوافقناكم عليه ولكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة وذلك ان رأى عبد الله كان فى الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم فى الجواب فاسد أما الاول فلان ظهور أمارات الحرب كاف فى وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن فى أمور الدنيا قائم مقام العلم ولا امارة أقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل أحد وأما الثانى فلانه تعالى لما وعدهم النصر

حين أخزاه بالنار وان دون ذلك خزيا وأولى القولين بالصواب عندى قول جابر ان من أدخل النار فقد أخزى بدخوله اياها وان أخرج منها وذلك ان الخزى انما هو هتك ستر المخزى وفضيحته ومن عاقبه ربه فى الآخرة على ذنوبه فقد فضحه بعقابه اياه وذلك هو الخزى وأما قوله وما للظالمين من أنصار يقول ومالمن خالف أمر الله فعصاه من ذى نصرة له ينصره من الله فيدفع عنه عقابه وينقذه من عذابه ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا انناسمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار) اختلف أهل التأويل فى تأويل المنادى الذى ذكره الله تعالى فى هذه الآية فقال بعضهم المنادى فى هذا الموضع القرآن ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب انناسمعنا مناديا ينادى للايمان قال هو الكتاب ليس كلهم لقى النبى صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا منصور بن حكيم عن خارجة عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى فى قوله ربنا انناسمعنا مناديا ينادى للايمان قال ليس كل الناس سمع النبى صلى الله عليه وسلم ولكن المنادى القرآن وقال آخرون بل هو محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انناسمعنا مناديا ينادى للايمان قال هو محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ربنا انناسمعنا مناديا ينادى للايمان قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول محمد بن كعب وهو أن يكون المنادى القرآن لان كثيرا ممن وصفهم الله بهذه الصفة فى هذه الآيات ليسوا ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم ولا عاينه فسمعوا دعاءه الى الله تبارك وتعالى ونداءه ولكنه القرآن وهو نظير قوله جل ثناؤه مخبرا عن الجن اذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم انهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد وبنحو ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا انناسمعنا مناديا ينادى للايمان الى قوله وتوفنا مع الابرار سمعوا دعوة من الله فاجابوها فاحسنوا الاجابة فيها وصبروا عليها ينبئكم الله عن مؤمن الانس كيف قال وعن مؤمن الجن كيف قال فاما مؤمن الانس فقال انا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا الآية وقيل انا سمعنا مناديا ينادى الى الايمان كما قال تعالى ذكره الحمد لله الذى هدانا لهذا بمعنى هدانا الى هذا وكما قال الراجز

أوحى لها القرآن فاستقرت * وشدها بالراسيات الثبت

بمعنى أوحى اليها ومنه قوله بان ربك أوحى لها وقيل يحتمل أن يكون معناه انناسمعنا مناديا للايمان ينادى ان آمنوا بربكم فتأويل الآية اذا ربنا سمعنا داعيا يدعو الى الايمان يقول الى التصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك وطاعته فيما أمر به ونهى عنه سماه به من عندك فآمنا ربنا يقول فصدقنا بذلك يا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا يقول فاستر علينا خطايانا ولا تفضحنا بها فى القيامة على رؤس الاشهاد بعقوبتك ايانا عليها ولكن كفرها عنا وسيئات أعمالنا فامحها بفضلك ورحمتك ايانا وتوفنا مع الابرار يعنى بذلك واقبضنا اليك اذا قبضتنا اليك فى عداد الابرار واحشرنا محشرهم ومعهم والابرار جمع بر وهم الذين بروا الله تبارك وتعالى بطاعتهم اياه وخدمتهم له حتى أرضوه فرضى عنهم ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) ان قال لنا قائل وما وجه مسئلة هؤلاء القوم ربهم أن يؤتيهم ما وعدهم وقد علمت ان الله منجز وعده وغير جائز أن يكون منه اخلاف موعد قيل اختلف فى ذلك أهل البحث فقال بعضهم ذلك قول

والعلة ان صبروا تقوالم يكن الخروج الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولو كانوا بهم قالوا هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان لانهم تباعدوا بهذا الجواب المنبئ عن الدخل والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم والمراد انهم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سود المسلمين بالانخزال تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال أكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان القرب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال الله أقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة ألف أو يزيدون فهذه الزيادة لاشك فيها وقال الواحدي فيه دليل على ان الآتي بكلمة التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يظهر القول بتكفيرهم يقولون بافواههم ماليس في قلوبهم أي لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد والله أعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجاري أحوالهم فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء الذين قالوا منصوب على الذم أو على البدل من الذين نافقوا أو مرفوع على الذم أي هم الذين أو على البدل من ضمير يكتمون وقيل يجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في أفواههم أو قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم أحد اخوة في النسب أو في سكنى الدار أو في الجنسية في النفاق واثمة تلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن أبي وأصحابه واعترض الاصم بانه قد خرج يوم أحد فكيف وصف بالقعود في قوله وقعدوا أي والحال انهم قد قعدوا عن القتال

قول خرج مخرج المسئلة ومعناه الخبر قالوا وانما تاويل الآية والكلام ربنا انا سمعنا منادي ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة قالوا وليس ذلك على أنهم قالوا ان توفيتنا مع الابرار فانجز لنا ما وعدتنا لانهم قد علموا ان الله لا يخلف الميعاد وان ما وعد على السنة رسله ليس يعطيه بالدعاء ولكنه تفضل بابتدائه ثم بجزيه وقال آخرون بل ذلك قول من قاله على معنى المسئلة والدعاء لله بان يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على السن رسله لانهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في أنفسهم ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدوهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم فيكون ذلك منهم مسئلة لربهم أن لا يخلف وعده قالوا ولو كان القوم انما سألوا ربهم أن يؤتيهم ما وعد الابرار لكانوا قد زكوا أنفسهم وشهدوا لها أنها ممن قد استوجب كرامة الله وثوابه قالوا وليس ذلك صفة أهل الفضل من المؤمنين وقال آخرون بل قالوا هذا القول على وجه المسئلة والرغبة منهم الى الله أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر والظفر بهم واعلاء كلمة الحق على الباطل فيعجل ذلك لهم قالوا ومحال أن يكون القوم مع وصف الله اياهم بما وصفهم به كانوا على غير يقين من أن الله لا يخلف الميعاد فيرغبوا الى الله جل ثناؤه في ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم في تعجيل ذلك لهم فما في تعجيله من سرور الظفر وراحة الجسد والذي هو أولى الاقوال بالصواب في ذلك عندي ان هذه الصفة صفة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه ودياره مفارقا لاهل الشرك بالله الى الله ورسوله وغيرهم من تباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رغبوا الى الله في تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم فقالوا ربنا آتنا ما وعدتنا من نصرتك عليهم عاجلا فانك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على اناءتك وحلمك عنهم فعجل حربهم ولنا الظفر عليهم يدل على صحة ذلك آخر الآية الاخرى وهو قوله فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا الآيات بعدها وليس ذلك مما ذهب اليه الذين حكيت قولهم في ثي وذلك أنه غير موجود في كلام العرب أن يقال افعل بنا يا رب كذا وكذا بمعنى افعل بنا لكذا الذي ولو جاز ذلك لجاز أن يقول القائل الآخر أقبل الى وكاني بمعنى أقبل الى لتكاني وذلك غير موجود في الكلام ولا معروف جوازه وكذلك أيضا غير معروف في الكلام آتنا ما وعدتنا بمعنى اجعلنا ممن آتيته ذلك وان كان كل من أعطى شيأ سنيا فقد صير نظير المن كان مثله في المعنى الذي أعطيه ولكن ليس الظاهر من معنى الكلام ذلك وان كان قد يؤول معناه اليه فتأويل الكلام اذا ربنا أعطنا ما وعدتنا على السن رسلك انك تعطي كلا منك كلمة الحق بتاييدنا على من كفر بك وعاداك وعبد غيرك وعجل لنا ذلك فانا قد علمنا انك لا تخلف ميعادك ولا تخزنا يوم القيامة فتفضحنا بذنوبنا التي سلفت منا ولكن كفرها عنا واغفرها لنا وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك قال يستعجز موعود الله على رسله

القول في تاويل قوله (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) يعني تعالى ذكره فاجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوه به ربهم بانى لا أضيع عمل عامل منكم عمل خير اذا كان العامل أو أنثى وذكر أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال الرجال يذكرون ولا تذكر النساء في الهجرة فانزل الله تبارك وتعالى في ذلك هذه الآية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة يا رسول الله تذكر الرجال في الهجرة ولا تذكر فنزلت أني لا أضيع عمل عامل منكم من

والجواب أن القعود عن القتال وهو الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لو أطاعونا في أمرنا اياهم بالقعود ما قتلوا لانهم قعدوا وما اكتفوا بذلك بل أرادوا وتثبيط غيرهم وذلك لما في الغياب من محبة الحياة وكراهة الموت ومن يسمع يخل فاعلم بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب في القعود

وتحذر طبيعة عن الجهاد فأجابهم الله تعالى بقوله قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين في ان الحذر يغني عن القدر وان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغير من أسباب النجاة وفيه استهزاء بهم أي ان كنتم رجالا دافعين لاسباب الموت فادفعوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا

ذكر أو أنثى الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت رجلا من ولد أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول قالت أم سلمة يا رسول الله لا أسمع الله يذكر النساء في الهجرة بشئ فانزل الله تبارك وتعالى والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى حدثنا الربيع بن سليمان قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة أنها قالت يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشئ فانزل الله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض وقيل فاستجاب بمعنى فاجابهم كما قال الشاعر

وداع دعانا من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

بمعنى فلم يجب عند ذاك مجيب وأدخلت من في قوله من ذكر أو أنثى على الترجمة والتفسير عن قوله منكم بمعنى لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والاناث وليست من هذه بالتي يجوز اسقاطها وحذفها من الكلام في الجحد لانها دخلت بمعنى لا يصلح الكلام الا به وزعم بعض نحوي البصرة انها دخلت في هذا الموضع كما تدخل في قولهم قد كان من حديث قال ومن ههنا أحسن لان النهي قد دخل في قوله لا أضيع وأنكر ذلك بعض نحوي الكوفة وقال لا تدخل من وتخرج الا في موضع الجحد وقال قوله لا أضيع عمل عامل منكم لم يدركه الجحد لانك تقول لا أضرب غلام رجل في الدار ولا في البيت فيدخل ولا لانه لم ينله الجحد ولكن من مغسرة وأما قوله بعضكم من بعض فانه يعني بعضكم أيها المؤمنون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم من بعض في النصرة والمسئلة والدين وحكمهم جميعكم فيما أتاكم فاعمل على حكم أحدكم في أني لا أضيع عمل ذكر منكم ولا أنثى ۞ القول في تاويل قوله (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) يعني بقوله جل ثناؤه فالذين هاجروا قومهم من أهل الكفر وعشيرتهم في الله الى اخوانهم من أهل الايمان بالله والتصديق برسوله وأخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة وأوذوا في سبيلي يعني وأوذوا في طاعتهم ربهم وعبادتهم اياه مخلصين له الدين وذلك هو سبيل الله التي آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهلها وقتلوا يعني وقتلوا في سبيل الله وقاتلوا فيها لاكفرن عنهم سيئاتهم يعني لامحونها عنهم ولا تفضلن عنهم بعفوي ورحمتي ولاغفرنها لهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا يعني جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وسبيله من عند الله يعني من قبل الله لهم والله عنده حسن الثواب يعني ان الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صرفه وذلك مالا يبلغه وصف واصف لانه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا اخطر على قلب بشر كما حدثنا عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال ثني عمرو بن الحرث ان أبا عشانة المعافري حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ثلثة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون الذين يتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا وأطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره وان الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادي الذين قتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتاتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب جل ثناؤه هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار واختلفت

ولما ذكر طلبة الجنة بالجهاد ذكر طلبة الدنيا بالتجارة فقال

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد

يا محمد فلا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بالتجارة والمكاسب فانما هو متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد

لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار

لكن الذين اتقوا ربهم بطاعته لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله يعني ثوابا من عند الله وما عند الله خير للابرار يعني ما عند الله من الثواب خير للابرار

وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب

وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب

ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحاق قال ثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال لما مات أصحمة النجاشي صاحب الحبشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بارض الحبشة أروا أخاكم فصلوا عليه فقالوا أنصلي على رجل أعجمي ليس يصلي قبلتنا فانزل الله عز وجل انا أبلغهم عنكم فانزل الله هذه الآية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالي أراك مهتما قلت يا رسول الله قتل أبي وترك دينا وعيالا فقال ألا أخبرك ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم أباك كفاحا فقال يا عبدي سلني أعطك فقال أسألك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يارب فابلغ من وراءي فنزلت وقال جماعة من أهل التفسير نزلت الآية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان أولياء الشهداء الذراء كانوا اذا أصابتهم نعمة أو سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وأبناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الآية تنفيسا عنهم

القراءة في قراءة قوله وقاتلوا وقتلوا افتقرأه بعضهم وقتلوا وقتلوا بالتخفيف بمعنى أنهم قتلوا من قتلوا من المشركين وقرأ ذلك آخرون وقاتلوا وقتلوا بتشديد قتلوا بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلهم المشركون بعضا بعد بعض وقتلا بعد قتل وقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلوا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وقتلوا بالتخفيف وقاتلوا بمعنى أن بعضهم قتل وقاتل من بقي منهم والقراءة التي لا أستجيز أن أعدوها احدى هاتين القراءتين وهي وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف أو وقتلوا بالتخفيف وقاتلوا لانها القراءة المنقولة نقل وراثة وما عداهما فشاذ وبأي هاتين القراءتين التي ذكرت أني لا أستجيز أن أعدوهما قرأ قارئ نصيب في ذلك الصواب من القراءة لاستفاضة القراءة بكل واحدة منهما في قراء الاسلام مع اتفاق معنييهما

القول في تأويل قوله (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) يعني بذلك جل ثناؤه ولا يغرنك يا محمد تقلب الذين كفروا في البلاد يعني تصرفهم في الارض وضربهم فيها كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد يقول ضربهم في البلاد فنهى الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاغترار بضربهم في البلاد وامهال الله اياهم مع شركهم وجحودهم نعمه وعبادتهم غيره وخرج الخطاب بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى به غيره من اتباعه وأصحابه كما قد بينا فيما مضى قبل من أمر الله ولكن كان بأمر الله صادعا والى الحق داعيا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال قتادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد والله ما غر وانبي الله ولا وكل اليهم شيأ من أمر الله حتى قبضه الله على ذلك وأما قوله متاع قليل فانه يعني أن تقلبهم في البلاد وتصرفهم فيها متعة يتمتعون بها قليلا حتى يبلغوا آجالهم فتختر مهم منايتهم ثم ماواهم جهنم بعد مماتهم والمأوى المصير الذي يأوون اليه يوم القيامة فيصيرون فيه ويعني بقوله وبئس المهاد وبئس الفراش والمضجع جهنم

القول في تأويل قوله (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار) يعني بذلك جل ثناؤه لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار يعني أن الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته في العمل بما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه لهم جنات يعني بساتين تجري من تحتها الانهار خالدين فيها يقول باقين فيها أبدا نزلا من عند الله يعني انزالا من الله اياهم فيها أنزلهموها ونصب نزلا على التفسير من قوله لهم جنات تجري من تحتها الانهار كما يقال لك عندي الله جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا وكما يقال هو لك صدقة وهو لك هبة وقوله من عند الله يعني من قبل الله ومن كرامة الله اياهم وعطاياه لهم وقوله وما عند الله خير للابرار يقول وما عند الله من الحياة والكرامة وحسن المآب خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا فان الذي يتقلبون فيه زائل فان وهو قليل من المتاع خسيس وما عند الله خير من كرامته للابرار وهم أهل طاعته باق غير فان ولا زائل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله وما عند الله خير للابرار قال لمن يطيع الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن خيثمة عن الاسود عن عبد الله قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها ثم قرأ عبد الله وما عند الله خير للابرار وقرأ هذه الآية ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق بن أبي جعفر عن فرج بن فضالة عن لقمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول ما من مؤمن الا والموت خير له وما من كافر الا والموت خير له ومن لم يصدقني فان الله يقول وما عند الله خير للابرار ويقول ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم

ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

من خلف مثلك ومن هذه الطائفة من قال مجاز هذه الحياة ان أجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة روى انه لما أراد معاوية أن يجري العين الى قبور الشهداء أمر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصاب المسحاة أصبع رجل منهم فانقطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يغسلون كما لا يغسل الاحياء وذهب طائفة من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون أحياء والغرض تكذيب منكري المعاد وزيف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر ثابت فالثواب أولى وبانه نهى عن حسبانهم أمواتا والذي يزيل هذا الحسبان هو اعتقاد انهم أحياء في الحال لا اعتقاد انهم أحياء في القيامة فان ذلك مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه وبما رويناه عن ابن عباس ان أرواحهم في أجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والاستبشار بمن يكون في الدنيا لابد أن يكون قبل يوم القيامة وذهب كثير من المحققين الى انهم أحياء في الحال لكن بحياة روحانية وان أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان أجزاء البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال والقوة والكلال وكلنا يجد من نفسه انه شيء واحد من أول عمره الى آخره والباقي مغاير المتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه حال ما يكون غافلا عن جميع أعضائه وأجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشيء المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان جسما مخصوصا سار يا أو جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا أو أماته الله فيعيده حيا وهذا يثبت

عذاب القبر وثوابه وتزول الشبهات ومن تأمل في الامور الواردة عليه وجد أحوال النفس مضادة لاحوال البدن ووجد قوة أحدهما مقتضية لضعف الآخر كما ان البدن يضعف وقت النوم وتقوى النفس على مشاهدة المغيبات وتقوش عالم الارواح واذا أعرضت النفس عن الطعام والشراب وأقبلت على مطالعة العالم العلوي زادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا واطلعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية وأكثر أرباب الشرع على انهم أحياء في الحال بحياة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد أجسادهم الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل أنواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها ومن الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة والحق في هذه المسئلة عندي خلاف ما يقوله أهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تقبل على بدن آخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الفلاسفة من أن النفس تنقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ أو تتألم هي بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة أو بالعقائد الباطلة والملكات الذميمة والذي أقوله ان النفس تبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها وليس ببدع أن يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال وللملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء وأعمال الجوارح والآلات وبعد الموت تجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء والحساب فكيف ينبغي ان يقاس أحدهما على الآخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى أن تقوم القيامة

ليزدادوا اثما ﴿ القول في تأويل قوله (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها أصحمة النجاشي وفيه أنزلت ذكر من قال ذلك حدثنا عصام بن زياد بن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا فصلوا على أخ لكم فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات فقال هذا النجاشي أصحمة فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط فانزل الله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه قالوا يصلي على رجل ليس بمسلم قال فنزلت وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله قال قتادة فقالوا فانه كان لا يصلي الى القبلة فانزل الله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في النجاشي وفي ناس من أصحابه آمنوا بنبي الله صلى الله عليه وسلم وصدقوا به قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم استغفر للنجاشي وصلى عليه حين بلغه موته قال لاصحابه صلوا على أخ لكم قد مات بغير بلادكم فقال أناس من أهل النفاق يصلي على رجل مات ليس من أهل دينه فانزل الله هذه الآية وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم قال نزلت في النجاشي وفي ناس من أصحابه ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم واسم النجاشي أصحمة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال قال عبد الرزاق وقال ابن عيينة اسم النجاشي بالعربية عطية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي طعن في ذلك المنافقون فنزلت هذه الآية وان من أهل الكتاب يؤمن بالله الى آخر الآية وقال آخرون بل عنى بذلك عبد الله بن سلام ومن معه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال نزلت يعني هذه الآية في عبد الله بن سلام ومن معه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن زيد في قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم الآية كلها قال هؤلاء يهود وقال آخرون بل عنى بذلك مسلمة أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم من اليهود والنصارى وهم مسلمة أهل الكتاب وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما قاله مجاهد وذلك ان الله جل ثناؤه عم بقوله وان من أهل الكتاب أهل الكتاب جميعا فلم يخصص منهم النصارى دون اليهود ولا اليهود دون النصارى وانما أخبر ان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وكلا الفريقين أعني اليهود والنصارى من أهل الكتاب فان قال قائل فما أنت قائل في الخبر الذي رويت عن جابر وغيره انها نزلت في النجاشي وأصحابه قيل ذلك خبر في اسناده نظر ولو كان صحيحا لا شك فيه لم يكن لما قلنا في معنى الآية خلاف وذلك ان جابرا ومن قال بقوله انما قالوا نزلت في النجاشي وقد تنزل الآية في الشيء ثم يعم بها كل من كان في معناه فالآية وان كانت نزلت في النجاشي فان الله تبارك وتعالى قد جعل الحكم الذي حكم به للنجاشي حكما لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشي في اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصديق

الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيأ وفي حديث عذاب القبر انه ليسمع قرع نعالهم ولعل السر في انه اكتفى بهذا القدر من التصرف انه ان كان أكثر من ذلك كما سيكون في القيامة الكبرى نافى تكليف سائر الاحياء وأفضى الامر الى الالجاء وهو السر في آخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وأما الشهداء فلا يبعد أن يجازيهم الله تعالى بمزيد التلذذ بنعيم الآخرة كما قتلوا تعجيلا للثواب كما عجلوا في الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغي أن يناسب عملهم فافهم هذه الاسرار فانها علق مضنة وبه يثبت جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله أعلم ومعنى عند ربهم انهم مقربون ذو وكرامة كقوله فالذين عندربك أو المراد بحيث لا يملك أحد سوى ربهم أو المراد في علمه وفي حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصصهم به من التفضيل على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية وفرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور ومصدر الكمال

بما جاءهم به من عند الله بعد الذي كانوا عليه قبل ذلك من اتباع أمر الله فيما أمر به عباده في الكتابين التوراة والانجيل فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية وان من أهل الكتاب التوراة والانجيل ان يؤمن بالله فيقر بوحدانيته وما أنزل اليكم أيها المؤمنون يقول وما أنزل اليكم من كتبه ووحيه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليهم يعني وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب وذلك التوراة والانجيل والزبور خاشعين لله يعني خاضعين لله بالطاعة مستكينين له بها متذللين كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن زيد في قوله خاشعين لله قال الخاشع المتذلل لله الخائف ونصب قوله خاشعين لله على الحال من قوله لمن يؤمن بالله خاشعين لله وهو حال مما في يؤمن من ذكر من لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا يقول لا يحرفون ما أنزل اليهم في كتبه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيبدلونه ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه لعرض من الدنيا خسيس يعطونه على ذلك التبديل وابتغاء الرياسة على الجهال ولكن ينقادون للحق فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل اليهم من كتبه وينتهون عما نهاهم عنه فيها ويؤثرون أمر الله تعالى على هوى أنفسهم ۞ القول في تأويل قوله (أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) يعني بذلك جل ثناؤه أولئك لهم أجرهم هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم لهم أجرهم عند ربهم يعني لهم عوض أعمالهم التي عملوها وثواب طاعتهم ربهم فيما أطاعوه فيه عند ربهم يعني مدخور ذلك لهم لديه حتى يصيروا اليه في القيامة فيوفيهم ذلك ان الله سريع الحساب يوسرعة حسابه تعالى ذكره أنه لا يخفى عليه شئ من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد ما عملوها فلا حاجة به الى احصاء عدد ذلك فيقع في الاحصاء ابطال فلذلك قال ان الله سريع الحساب ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن انه سمعه يقول في قول الله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قال أمرهم أن يصبروا على دينهم ولا يدعوه لشدة ولا رخاء ولا سراء ولا ضراء وأمرهم أن يصابروا الكفار وأن يرابطوا المشركين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا أي اصبروا على طاعة الله وصابروا أهل الضلالة ورابطوا في سبيل الله واتقوا الله لعلكم تفلحون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا يقول صابروا المشركين ورابطوا في سبيل الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج اصبروا على الطاعة وصابروا أعداء الله ورابطوا في سبيل الله حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا قال اصبروا على ما أمرتم به وصابروا العدو ورابطوهم وقال آخرون معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا وعدي اياكم على طاعتكم لي ورابطوا أعداءكم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول في هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا يقول اصبروا على دينكم وصابروا الوعد الذي وعدتكم ورابطوا عدوي وعدوكم حتى يترك دينه دينكم وقال آخرون معنى ذلك اصبروا على الجهاد وصابروا عدوكم ورابطوهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا على عدوكم حدثني المثنى قال ثنا مطرف بن عبد

ويستبشرون بالذين يأخوانهم من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم انهم يقولون بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم أى لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله يبشرهم بان من ترك خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيامة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم وانما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة أن يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبيه تألم فاكرمهم الله تعالى بازالة ذلك التعلق بان أعلمهم أمن اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سرور ان من قبل حالهم فى أنفسهم وذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم وأعزتهم وذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ثم كرر هذا المعنى لمزيد التاكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهى الثواب وفضل وهو التفضل الزائد وهذا هو سرورهم بسعادة أنفسهم وان الله أى وبان الله لا يضيع أجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالى مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة أحد تعرف أولاهما بغزوة حمراء الاسد والثانية بغزوة بدر الصغرى أما الاولى فلما روى ان أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد أن يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن أصحابه قوتهم فندب أصحابه الى الخروج فى طلب أبى سفيان وقال لا أريد الآن أن يخرج معى الا من حضر يومنا بالامس فخرج فى سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال فالقى الله الرعب فى قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شىء قدير ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا انا سمعنا منادى ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

الله المرى قال ثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب فذكر له جوعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر أما بعد فانه مهما نزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله يقول فى كتابه يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال آخرون معنى ذلك ورابطوا أى رابطوا على الصلوات أى انتظروها واحدة بعد واحدة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال ثنى داود بن صالح قال قال أبو سلمة بن عبد الرحمن يا ابن أخى هل تدرى فى أى شىء نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قال قلت لا قال انه يا ابن أخى لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد المقبرى عن جده عن شرحبيل عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يكفر الله به الذنوب والخطايا اسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلك الرباط حدثنا موسى بن سهل الرملى قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا محمد بن مهاجر قال ثنى يحيى بن يزيد بن أبى أنيسة عن شرحبيل عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب قال قلنا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء فى أماكنها وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا محمد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه * وأولى التأويلات بتأويل الآية قول من قال فى ذلك يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اصبروا على دينكم وطاعة ربكم وذلك ان الله لم يخصص من معانى الصبر على الدين والطاعة شيأ فيجوز اخراجه من ظاهر التنزيل فلذلك قلنا انه عنى بقوله اصبروا الامر بالصبر على جميع معانى طاعة الله فيما أمر ونهى صعبها وشديدها وسهلها وخفيفها وصابروا يعنى وصابروا أعداءكم عن المشركين وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان المعروف من كلام العرب فى المفاعلة أن تكون من فريقين أو اثنين فصاعدا ولا تكون من واحد الا قليلا فى أحرف معدودة واذ كان ذلك كذلك فانما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم حتى يظفرهم الله بهم ويعلى كلمته ويخزى أعداءهم والا يكن عدوهم أصبر منهم وكذلك قوله ورابطوا معناه ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك فى سبيل الله وأرى ان أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو كما ارتبط عدوهم لهم خيلهم ثم استعمل ذلك فى كل مقيم فى ثغر يدفع بمن وراءه من أراده من أعدائهم بسوء ويحمى عنهم من بينه وبينهم ممن بغاهم بشر كان ذا خيل قد ارتبطها أو ذا رجلة لا مركب له وانما قلنا معنى ورابطوا ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم لان ذلك هو المعنى المعروف من معانى الرباط وانما توجه الكلام الى الاغلب المعروف فى استعمال الناس من معانيه دون الخفى حتى يأتى بخلاف ذلك ما يوجب صرفه الى الخفى من معانيه بحجة يجب التسليم لها من كتاب أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو اجماع من أهل التأويل ۞ القول فى تأويل قوله لعلكم تفلحون يعنى بذلك تعالى ذكره واتقوا الله أيها المؤمنون واحذروه أن تخالفوا أمره وتتقدموا نهيه لعلكم تفلحون يقول لتفلحوا واتقبقوا فى

نعيم الابد وتجمعوا فى طلبتكم عنده كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول فى قوله واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا الله فيما بينى وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا التقيتم فى آخر تفسير سورة آل عمران القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها النساء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تاويل قوله عز وجل (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) قال أبو جعفر يعنى بقوله تعالى ذكره يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة احذروا أيها الناس ربكم فى أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم فيحل بكم من عقوبته ما لا قبل لكم به ثم وصف تعالى ذكره نفسه بانه المتوحد بخلق جميع الانام من شخص واحد وعرف عباده كيف كان مبتدأ انشائه ذلك من النفس الواحدة ومنبههم بذلك على ان جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة وان بعضهم من بعض وان حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الاخ على أخيه لاجتماعهم فى النسب الى أب واحد وأم واحدة وان الذى يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض وان بعد التلاقى فى النسب الى الاب الجامع بينهم مثل الذى يلزمهم من ذلك فى النسب الادنى وعاطفا بذلك بعضهم على بعض ليتناصفوا ولا يتظالموا وليبذل القوى من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله فقال الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى من آدم كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى اما خلقكم من نفس واحدة فمن آدم صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى آدم صلى الله عليه وسلم حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد خلقكم من نفس واحدة قال آدم ونظيرة قوله من نفس واحدة والمعنى به رجل قول الشاعر

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فقال ولدته أخرى وهو يريد الرجل فانث اللفظ الخليفة وقال تعالى ذكره من نفس واحدة لتأنيث النفس والمعنى من رجل واحد ولو قيل من نفر واحد وأخرج اللفظ على التذكير للمعنى كان صوابا

القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) يعنى بقوله جل ثناؤه وخلق منها زوجها وخلق من النفس الواحدة زوجها يعنى بالزوج الثانى لها وهو فيما قال أهل التاويل امرأته حواء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وخلق منها زوجها قال حواء من قصيرى آدم وهو نائم فاستيقظ فقال أنا بالنبطية امرأة حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخلق منها زوجها يعنى حواء خلقت من آدم من ضلع من أضلاعه حدثنى موسى بن هرون قال أخبرنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال اسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحشا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت تسكن الى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ألقى على آدم صلى الله عليه وسلم السنة فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبد الله بن العباس وغيره ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولام مكانه وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن اليها فلما

أحسنوا كلهم واتقوا لابعضهم وقال أبو بكر الاصم نزلت فى يوم أحد لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ودفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى أخيها حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردوها الثلا تجزع من مثلة أخيها فقالت قد بلغنى ما فعل به وذلك يسير فى جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امرأة أخرى قد قتل زوجها وأبوها وأخوها وابنها فلما رأت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حى قالت ان كل مصيبة بعدك نزر وأما الثانية فروى ابن عباس ان أبا سفيان لما عزم أن ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى القابل فنقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذاك ان شاء فلما حضر الاجل خرج أبو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب فى قلبه فبداله ان يرجع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا ان نلتقى بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ولكن ان خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندى عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأى أتوكم فى دياركم وقراركم فقتلوا أكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فوقع هذا الكلام فى قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن اليهم وحدى فخرج فى سبعين

وا كارهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهى ماء لبنى كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات فوافوا السوق وباعوا

كشف عنه السنة توهب من نومتها آها الى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم لحى ودمى وز وجنى فسكن اليها **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وخلق منها زوجها جعل من آدم حواء وأما قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء فانه يعنى ونشر منهما يعنى من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء قد رآهم كما قال جل ثناؤه كالفراش المبثوث يقال منه بث الله الخلق وأبثهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وبث خلق

القول فى تاويل قوله جل ثناؤه (واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة قراء أهل المدينة والبصرة تساءلون بالتشديد بمعنى تتساءلون ثم أدغم احدى التاءين فى السين فجعلهما سينا مشددة وقرأه بعض قراء الكوفة تساءلون بالتخفيف على مثال تفاعلون وهما قراءتان معروفتان ولغتان فصيحتان أعنى التخفيف والتشديد فى قوله تساءلون به وباى ذلك قرأ القارئ أصاب الصواب فيه لان معنى ذلك باى وجهيه قرئ غير مختلف وأما تاويله واتقوا الله أيها الناس الذى اذا سأل بعضكم بعضا سأل به فقال السائل للمسؤل أسألك بالله وأنشدك بالله وأعزم عليك بالله وما أشبه ذلك يقول تعالى ذكره فكما تعظمون أيها الناس ربكم بالسنتكم حتى تروا ان من أعطاكم عهده فاخفركموه أتى عظيما فكذلك فعظموه بطاعتكم اياه فيما أمركم واجتنابكم ما نهاكم عنه واحذروا عقابه من مخالفتكم اياه فيما أمركم به أو نهاكم عنه **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به قال يقول اتقوا الله الذى تعاقدون وتعاهدون به **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وا تقوا الله الذى تساءلون به يقول اتقوا الله الذى به تعاقدون وتعاهدون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تساءلون به قال تعاطفون به وأما قوله والارحام فان أهل التأويل اختلفوا فى تاويله فقال بعضهم معناه واتقوا الله الذى اذا سأل بينكم قال السائل للمسؤل أسألك به وبالرحم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذى تعاطفون به والارحام يقول الرجل يسئل بالله وبالرحم **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال هو كقول الرجل أسألك بالله أسألك بالرحم يعنى قوله اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال يقول أسألك بالله وبالرحم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم هو كقول الرجل أسألك بالرحم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال يقول أسألك بالله وبالرحم **حدثنى** المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن منصور ومغيرة عن ابراهيم فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال هو قول الرجل أسألك بالله والرحم **حدثنى** المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن الحسن قال هو قول الرجل أنشدك بالله والرحم قال محمد وعلى هذا التاويل قول بعض من قرأ قوله والارحام بالخفض عطفا بالارحام على الهاء التى فى قوله به كانه أراد واتقوا الله الذى تساءلون به وبالارحام فعطف بظاهر على مكنى مخفوض وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب لانها لا تنسق

وزيبا وما معهم واشتروا بها ادما وزبيبا وربحوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان الى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق وأنزل الله فى المؤمنين الذين قال لهم الناس يعنى نعيم بن مسعود كما ذكرناه وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولان الواحد اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله ويرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحسن قال نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس بابى سفيان فدسهم الى المسلمين ليخوفوهم وضمن لهم عليه جعلا حمل بعير من زبيب وقال السدى هم منافقو المدينة كانوا يثبطون المسلمين عند الخروج ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعنى أبا سفيان وأصحابه والمفعول محذوف أى جمعوا لكم الجموع والعرب تسمى الجيش جمعا فاخشوهم فزادهم نعيم أو قول المثبطين انما قالوا لانهم لم يسمعوا قولهم وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهر واحيته الاسلام فكان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم واستدل بالآية من قال ان الطاعات داخلة فى مسمى الايمان وانه يزيد وينقص بحسب زيادتها ونقصانها وأما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق قلنا ويله ان الزيادة فوقعت فى ثمرات الايمان ولكنها جعلت فى الايمان بظاهر مجازا وقدم تحقيق الكلام لنا فى هذا المعنى فى أوائل الكتاب وكانهم أضمروا ذلك بحسب الاعتقاد وانقوا الخليل عليه السلام حين ألقى فى

بظاهر على مكنى فى الخفض الافى ضرورة شعر وذلك لضيق الشعر وأما الكلام فلا شئ يضطر المتكلم الى اختياره المكروه من المنطق والردى فى الاعراب منه وبما جاء فى الشعر من رد ظاهر على مكنى فى حال الخفض قول الشاعر

تعلق فى مثل السوارى سيوفنا * وما بينها والكعب غوط تعانق

فعطف بالكعب وهو ظاهر على الهاء والالف فى قوله بينها وهى مكنية * وقال آخرون تاويل ذلك واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان تقطعوها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله واتقوا الارحام لا تقطعوها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله وصلوا الارحام فانه اتقى لكم فى الدنيا وخير لكم فى الآخرة حدثنى على ابن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قول الله اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن منصور عن الحسن فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الله الذى تساءلون به واتقوه فى الارحام حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن عكرمة فى قول الله الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الارحام أن تقطعوها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال هو قول الرجل أنشدك بالله والرحم حدثنا الحسين بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله وصلوا الارحام حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الارحام أن تقطعوها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله الذى تساءلون به والارحام قال يقول اتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال يقول واتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنا المثنى قال ثنا اسحق عن عبد الرحمن بن أبى حماد أخبرنا أبو جعفر الرازى عن جويبر عن الضحاك ان ابن عباس كان يقرأ والارحام يقول اتقوا الله لا تقطعوها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس اتقوا الارحام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام أن تقطعوها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها ولو قرأ الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل قال أبو جعفر وعلى هذا التاويل قرأ ذلك من قرأه نصبا بمعنى واتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها عطفا على الارحام فى اعرابها بالنصب على اسم الله تعالى ذكره قال والقراءة التى لا نستجيز القارئ أن يقرأ غيرها فى ذلك النصب واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام بمعنى واتقوا الارحام أن تقطعوها لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهر من الاسماء على مكنى فى حال الخفض الافى ضرورة شعر على ما قد وصفت قبل ۞ القول فى تاويل قوله (ان الله كان عليكم رقيبا) قال أبو جعفر يعنى بذلك تعالى ذكره ان الله لم يزل عليكم رقيبا يعنى بقوله عليكم على الناس الذين قال لهم جل ثناؤه يا أيها الناس اتقوا ربكم الخاطب

الآخرة لم يحسبهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراح وصفهم بانه حصل لهم الملائم ولم يحصل لهم المنافى وهذه غاية المطالب ونهاية الامانى وان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله سبحانه وتعالى ثم روى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله وليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلى فى ثواب المطيعين هو فضل ربهم ورحمته عليهم ولم ينج أحدا عمله الا ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف أحدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم المثبط هو الشيطان لعنه وتمرده واغوائه ثم بين شيطنته بقوله يخوف أولياءه أو الشيطان صفة اسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول الاول محذوف أى يخوفكم أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس الذين هم أولياء المثبطين والاولياء هم أبو سفيان وأصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالضمير فى فلا تخافوهم للناس فى قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باوليائه كقوله ويخوفونك بالذين من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وأبو على وزيفه ابن الانبارى بان التعويض قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا ضرورة الى اضمار حرف الجر الله حسبى * التاويل قد ذكرنا ان النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فلا يمتنع ان نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على تجمله اذا قة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا

والغائب اذا اجتمعا في الخبر فان العرب تخرج الكلام على الخطاب فتقول اذا خاطبت رجلا واحدا أو جماعة فعلت هي وآخرون غيب معهم فعلا فعلتم كذا وصنعتم كذا ويعني بقوله رقيبا حفيظا محصيا عليكم أعمالكم متقعدا رعايتكم حرمة أرحامكم وصلتكم اياها وقطعكموها وتضييعكم حرمتها كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان الله كان عليكم رقيبا حفيظا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد في قوله ان الله كان عليكم رقيبا على أعمالكم يعلمها ويعرفها ومنه قول أبي دؤاد الايادي * كقاعد ٧ لرقباء للصريا * أيديهم نواهد ٨ القول في تاويل قوله (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) قال أبو جعفر يعني بذلك تعالى ذكره أوصياء اليتامى يقول لهم وأعطوا يا معشر أوصياء اليتامى أموالهم اذا هم بلغوا الحلم وأونس منهم الرشد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب يقول ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم الحلال لكم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الحلال بالحرام حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا سفيان قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال مكان الحلال الحرام قال أبو جعفر ثم اختلف أهل التاويل في صفة تبديلهم الخبيث بالطيب الذي نهوا عنه ومعناه فقال بعضهم كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من ماله والرفيع منه ويجعلون مكانه لليتيم الردىء والخسيس فذلك تبديلهم الذي نهاهم الله تعالى عنه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال لا تعط زيفا وتاخذ جيدا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ومعمر عن الزهري قال يعطى مهزولا ويأخذ سمينا وبه عن سفيان عن رجل عن الضحاك قال لا تعط فاسدا وتاخذ جيدا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول شاة بشاة ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم وقال آخرون معنى ذلك لا تستعجل الرزق الحرام فتاكله قبل أن يأتيك الذي قدر لك من الحلال ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال لا تعجل الرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذي قدر لك وبه عن سفيان عن اسمعيل عن أبي صالح مثله وقال آخرون معنى ذلك كالذي حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا يورثون الصغار يأخذه الاكبر وقرأ وترغبون أن تنكحوهن قال اذا لم يكن لهم شيء والمستضعفين من الولدان لا تورثوهم قال فنصيبه من الميراث طيب وهذا الذي أخذه خبيث * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتاويل الآية قول من قال تاويل ذلك ولا تتبدلوا أموال أيتامكم أيها الاوصياء الحرام عليكم الخبيث لكم فتاخذوا رفائعها وخيارها وجيادها بالطيب الحلال لكم من أموالكم الردىء الخسيس بدلا منه وذلك أن تبدل الشيء بالشيء في كلام العرب أخذ شيء مكان آخر غيره يعطيه الماخوذ منه أو يجعله مكان الذي أخذ فاذ كان ذلك معنى التبديل والاستبدال فمعلوم ان الذي قاله ابن زيد من أن معنى ذلك هو أخذ أكبر ولد الميت جميع مال ميته ووالده دون صغارهم الى ماله قول لا معنى له لانه اذا أخذ الاكبر من ولده جميع ماله دون الاصاغر منهم فلم يستبدل مما أخذ شيئا

لا تبلى أجساد كثير منهم وتبقى غضة طرية وكلهم هم الشهداء في الحقيقة وهكذا أجساد الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا أنفسهم بسيوف الرياضات ومطارف الاذكار وأسنة السنة الطاعنين وتجرع هموم مخالفات النفس ومكايدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سيئا للمتالم بل بعضه سبب اللذة والابتهاج ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وكما ورد في حديث الشهداء من مبلغ اخواننا عنا انا في الجنة والذي جاء فيه ان أرواحهم في أجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن أن يخلق الله تعالى من ذلك جسما لطيفا شبه طائر ويكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى تحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى وأما كون الطير خضراء فاما لان بدن الميت يميل الى الخضرة واما أن يكون عبارة عن النضرة تعرف في وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة الى ما سؤل اليه أهل الجنة والنار يوم القيامة كالمتوسط بين الحالين اللذين يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذه المعاني ما وجدتها في كتب التفسير والتاويل وأرجو أن أكون مصيبا فيها الغرض والله تعالى ورسوله أعلم بمرادهما (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون

فما التبدل الذى قال جل ثناؤه ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولم يبدل الآخذ مكان الماخوذ بدلا وأما الذى قاله مجاهد وأبو صالح من أن معنى ذلك لا تتعجل الرزق الحرام قبل مجىء الحلال فانه حما أيضا ان لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذى روى عن ابن مسعود انه قال ان الرجل ليحرم الرزق بالمعصية يأتيها فغساده نظير فساد قول ابن زيد لان من استعجل الحرام فاكله ثم آتاه الله رزقه الحلال فلم يبدل شيأ مكان شئ وان كان أراد بذلك ان الله جل ثناؤه نهى عباده أن يستعجلوا الحرام فيأكلوه قبل مجىء الحلال فيكون أكلهم ذلك سببا لحرمان الطيب منه فذلك وجه معروف ومذهب معقول يحتمله التاويل غير أن الاشبه فى ذلك بتاويل الآية ما قلنا لان ذلك هو الاظهر من معانيه لان الله جل ثناؤه انما ذكر ذلك فى قصة أموال اليتامى وأحكامها فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية فاخرجها من أن يكون من غير جنسه ۞ القول فى تاويل قوله (ولا تاكلوا أموالهم الى أموالكم) قال أبو جعفر يعنى بذلك تعالى ذكره ولا تخلطوا أموالهم يعنى أموال اليتامى باموالكم فتاكلوها مع أموالكم كما حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا تاكلوا أموالهم الى أموالكم يقول لا تاكلوا أموالكم وأموالهم تخلطوها فتاكلوها جميعا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا زهير عن مبارك عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية فى أموال اليتامى كرهوا أن يخالطوهم وجعل ولى اليتيم يعزل مال اليتيم عن ماله فشكوا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسالونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم قال فخالطوهم واتقوا ۞ القول فى تاويل قوله (انه كان حوبا كبيرا) قال أبو جعفر يعنى تعالى ذكره انه كان حوبا كبيرا ان أكلكم أموال أيتامكم مع أموالكم حوب كبير والهاء فى قوله انه كناية تعالى اسم الفعل أعنى الاكل وأما الحوب فانه الاثم يقال منه حاب الرجل يحوب حوبا وحوبا وحباية ويقال منه قد تحوب الرجل من كذا اذا تأثم منه ومنه قول أمية بن الاسكن الليثى

وان مهاجرين تكنفاعدا * نبيذ القد خطيا وحابا

ومنه قيل نزلنا بحوبة من الارض وبحيبة من الارض اذا نزلوا بموضع سوء منها والكبير العظيم فمعنى ذلك ان أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم اثم عند الله عظيم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو وعمرو بن على قالا ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله حوبا كبيرا قال اثما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله انه كان حوبا كبيرا قال اثما عظيما حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى كان حوبا أما حوبا فاثما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله حوبا قال اثما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة انه كان حوبا كبيرا يقول ظلما كثيرا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله انه كان حوبا كبيرا قال ذنبا كبيرا وهى لاهل الاسلام حدثنا عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول حوبا كبيرا قال اثما والله عظيما ۞ القول فى تاويل قوله (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم) قال أبو جعفر اختلف أهل التاويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وان خفتم يا معشر أولياء اليتامى أن لا تقسطوا فى صداقهن فتعدلوا فيه وتبلغوا

بما تعملوا به يوم القيامة وتصيروا الى السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس

بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون فى أموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير) القراآت ولا يحزنك من الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه ومثله ليحزننى وليحزن الذين آمنوا وقرأ يزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاء ولا خلاف فى مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم رة يحسبن وثلاثة بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء فى تحسبنهم أبو عمرو وابن كثير وقرأ حمزة كلها بتاء الخطاب وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاولى بالياء على الغيبة والاخرى بالخطاب بميزا بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب عباس مخيرا الباقون بتخفيف بفتح الباء وكسر الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو لقد سمع وبابه مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام

بصداقهن صداقات أمثالهن فلا تنكحوهن ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي أحللهن الله لكم وطيبهن من واحدة الى أربع وان خفتم أن تجوروا فاذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة فلا تعدلوا فانكحوا منهن واحدة أو ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء فقالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بادنى من سنة صداقها فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن في اكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير انه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تبارك وتعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قالت يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه ماله وجماله فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن على سبيلهن من الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن قال يونس بن يزيد قال ربيعة في قول الله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال يقول اتركوهن فقد أحللت لكم أربعا حدثنا الحسن بن الجنيد وأبو سعيد بن مسلمة قالا أنبأنا اسمعيل بن أمية عن ابن شهاب عن عروة قال سألت عائشة أم المؤمنين فقلت يا أم المؤمنين أرأيت قول الله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بادنى من سنة صداق نسائها فنهوا عن ذلك أن ينكحوهن الا أن يقسطوا فيكملوا لهن الصداق ثم أمروا أن ينكحوا سواهن من النساء ان لم يكملوا لهن الصداق حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث قال ثني يونس عن ابن شهاب قال ثني عروة بن الزبير انه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثل حديث يونس عن ابن وهب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة مثل حديث ابن حميد عن ابن المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت نزل يعني قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الآية في اليتيمة تكون عند الرجل وهي ذات مال فلعله ينكحها لمالها وهي لا تجيبه ثم يضربها ويسيء صحبتها فوعظ في ذلك * قال أبو جعفر فعلى هذا التأويل جواب قوله وان خفتم ألا تقسطوا قوله فانكحوا وقال آخرون بل معنى ذلك النهي عن نكاح ما فوق الاربع حذرا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم وذلك أن قريشا كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والاكثر والاقل فاذا صار معدما مال على مال يتيمه الذي في حجره فانفقه أو تزوج به فنهوا عن ذلك وقيل لهم ان أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها فلا تعدلوا فيها من أجل حاجتكم اليها ما يلزمكم من مؤن نسائكم فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع وان خفتم أيضا من الاربع ألا تعدلوا في أموالهم فاقتصروا على الواحدة أو على ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت عكرمة يقول في هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال كان الرجل من قريش يكون عنده النسوة ويكون عنده الايتام فيذهب ماله فيميل على مال الايتام قال فنزلت هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى

سيكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة بجزء الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في وقتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب الحلواني عن هشام وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب غير رويس وأبو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم * الوقوف في الاخرج للابتداء بان ولاحتمال اعمال اللام أو الغاء شيئا ط في الآخرة ج لعطف المختلفتين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم ه شيئا ج لما ذكر في الآخرة ط أليم ه لانفسهم ط اثما ج لما ذكر أيضا لهين ه من الطيب ط ورسله ط عظيم ه خيرا لهم ط شرا لهم ط القيامة ط والارض ط خبيرا ه أغنياء م لئلا يصير ما بعده من مقولهم ومن قرأ بضم الياء فوقفه مطلق بغير حق ج لمن قرأ ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله أو يقول الزبانية فلا يتعلق على قوله سيكتب مع اتساق المعنى الحريق ه للعبيد ج لاحتمال الصفة وأن يكون المراد هم الذين والوقف أولى لانه لا يظلم العبيد مطلقا لا العبيد الموصوفة نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير صح تأكله الناوط صادقين ه المنير ه الموت ط يوم القيامة ط لابتداء شرط في أمر معظم فقد فاز ظ الغرور ه كثيرا ط الامور ه ولا تكتمونه زلان الجملتين وان اتفقتا لم يكن النبذ متصلا باخذ الميثاق فلم يضف الى ظرف اذ قليلا ط يشترون ه مع العذاب ج لما ذكر أليم ه والارض ط قدير ه * التفسير نزلت في كفار قريش وانه تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم وأباح العاقبة له وان جمعوا الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان كلها فانكحوا

وقيل في المنافقين ومسارعتهم هي انهم كانوا يخوفون المؤمنين بسبب واقعة أحد ويؤيسونهم من النصر والظفر وربما يقولون ان محمدا

لطالب ملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلبه أحد وقيل ان قوما من الكفار أسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي لذلك فبين الله تعالى ان ردتهم لا تؤثر في لحوق ضرر بالله ونصر بعضهم هذا القول بان المسارعة وهي شدة الرغبة في الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان المستمر على الكفر وبان ارادته أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة انما يليق بمن آمن فاستوجب الحظ ثم أحبط وبان الحزن انما يكون على فوات أمر مقصود وذلك هو ما قدر النبي من الانتفاع بايمانهم وانتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى أنه لا يلحق بسبب فوات ذلك ضرر بالدين وان وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الآية فان قيل الحزن على كفر الكافر وعلى معصية العاصي طاعة فكيف نهي نبي الله عن ذلك فالجواب أنه نهي عن الاسراف في الحزن بحيث يأتي عليه ونظيره لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين أو المراد لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله أي دينه شيأ من الضرر يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة فيه دليل على ان ارادة الله تتعلق بالعدم وتخصيص على ان الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم عذاب عظيم أنه كما لا حظ لهم من منافع الآخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفي الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الى حد أراد أرحم الراحمين أن لا يرحمهم وان الداعي الى تعذيبهم خلص خلوصا لم يبق معه صارف ألبتة ثم أنزل في اليهود خاصة وهو الاشبه أو في الكفار عامة ان الذين اشتروا الآية والغرض تأكيد تقوية قلب الرسول كأنه قيل ان أكثرهم ينازعونك في الدين لا لاجل شبهة لهم بل بناء على الحسد والمنازعة في منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر وهو أن يبيع بالقليل من الدنيا السعادة الكثيرة في الآخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق

فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم قال كان الرجل يتزوج الاربع والخمس والستة والعشر فيقول الرجل ما يمنعني ان أتزوج كما تزوج فلان فيأخذ مال يتيمه فيتزوج به فنهوا أن يتزوجوا فوق الاربع حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن طاوس عن ابن عباس قال قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فان الرجل كان يتزوج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى فنهى الله عن ذلك وقال آخرون بل معنى ذلك ان القوم كانوا يتحرجون في أموال اليتامى ألا يعدلوا فيها ولا يتحرجون في النساء ألا يعدلوا فيهن فقيل لهم كما خفتم أن لا تعدلوا في اليتامى فكذلك فخافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن ولا تنكحوا منهن الا من واحدة الى الاربع ولا تزيدوا على ذلك وان خفتم أن لا تعدلوا أيضا في الزيادة عن الواحدة فلا تنكحوا الا ما لا تخافون أن تجوروا فيهن من واحدة أو ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن سعيد بن جبير قال كان الناس على جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ أو ينهوا عنه قال فذكروا اليتامى فنزلت وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم قال فكما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا في النساء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الى أيمانكم كانوا يشددون في اليتامى ولا يشددون في النساء ينكح أحدهم التسوة فلا يعدل بينهن فقال الله تبارك وتعالى كما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة الى الاربع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء حتى بلغ أدنى ألا تعولوا يقول كما خفتم الجور في اليتامى هكذا فكذلك فخافوا في جمع النساء وكان الرجل في الجاهلية يتزوج العشرة فما دون ذلك فاحل الله جل ثناؤه أربعا الذي صيرهن الى أربع قوله مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن تعدلوا فواحدة وان خفت أن لا تعدل في أربع فثلاث والا فثنتين والا فواحدة وان خفت أن لا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد ابن جبير قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء يقول ما أحل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فخافوا في النساء مثل الذي خفتم في اليتامى أن لا تقسطوا فيهن حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال جاء الاسلام والناس على جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ فيتبعوه أو ينهوا عن شئ فيجتنبوه حتى سألوا عن اليتامى فانزل الله تبارك وتعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع حدثنا المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال بعث الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم والناس على أمر جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ أو ينهوا عنه وكانوا يسألونه عن اليتامى فانزل الله تبارك وتعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع قال فكما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى فخافوا أن لا تقسطوا وتعدلوا في النساء حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال كانوا في الجاهلية ينكحون عشرا

الضرر بالغير ولو قيل ان الآية في المرتدين فالمعنى أن اختيارهم بعده من ثم الارتداد على التعيين يدل على الاضطراب وضعف الرأي والانسان المضطرب الحال لا قدرة له على ايصال الضرر الى الغير ثم بين ان بقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء

أحد لا خير فيه فقال ولا يحسبن من قرأ بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما في حيزه سادمسد مفعوليه ومن قرأ بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول أول وان مع ما في حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يمض الا أحد المفعولين لان المبدل في حكم المنحى الا ترى انك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع الكون على متاعك والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا أن أملائي خير لهم على ان ما مصدرية ويجوز أن يقدر مضاف محذوف أي لا يحسبنهم الاصحاب ان الاملاء خير لهم أو لا يحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم قال الاصمعي يقال أملى عليه الزمان أي طال وأملى له أي طول له وأمهله قال أبو عبيدة ومنه الملا الارض الواسعة العريضة والملوان الليل والنهار ويقال أقمت عنده ملاءة من الدهر أي حينا وبرهة وانما نصب على التمييز وفي وصف العذاب أولا بالعظم ثم بالالم ثم بالاهانة تدرج من الاهون الى الاشق وفيه من الوعيد والسخط ما لا يخفى قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا محالة والآية دلت على أنها ليست بخير فيه دلالة على أنه سبحانه فاعل الخير والشر وأيضا انه نص على ان الغرض من هذا الاملاء أن يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وأيضا أخبر عنهم انه لا خير لهم فيه وأنهم لا يحصلون منه الا على ازدياد الغي والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا أنهم مجبورون على ذلك في صورة مختار بن أجابت المعتزلة بان المراد من هذا الاملاء ليس خيرا من

من النساء الايامى وكانوا يعظمون شأن اليتيم فتحققوا من دينهم شأن اليتيم وتركوا ما كانوا ينكحون في الجاهلية فقال وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ونهاهم عما كانوا ينكحون في الجاهلية *حدثت* عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء كانوا في جاهليتهم لا يرزؤن من مال اليتيم شيأ وهم ينكحون عشرا من النساء وينكحون نساء آبائهم فتحققوا من دينهم شأن النساء فوعظهم الله في اليتامى وفي النساء فقال في اليتامى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب الذي انه كان حوبا كبيرا ووعظهم في شأن النساء فقال انكحوا ما طاب لكم من النساء الآية وقال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء *حدثت* عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الى ما ملكت أيمانكم يقول فان خفتم الجور في اليتامى ونحو ذلك فكذلك فخافوا في جميع النساء قال وكان الرجل يتزوج العشر في الجاهلية فما دون ذلك وأحل الله أربعا وصيرهم الى أربع يقول فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة وان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك وقال آخرون معنى ذلك فكما خفتم في اليتامى فكذلك فخافوا في النساء أن تزنوا بهن ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساء ذكر من قال ذلك *حدثنا* محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى يقول ان تحرجتم في ولاية اليتامى وأكل أموالهم ايمانا وتصديقا فكذلك فتحرجوا من الزنا وانكحوا النساء نكاحا طيبا مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم *حدثني* المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل معنى ذلك وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى اللاتي أنتم ولايتهن فلا تنكحوهن وانكحوا أنتم ما حل لكم منهن ذكر من قال ذلك *حدثنا* سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال نزلت في اليتيمة تكون عند الرجل هو وليها ليس لها ولي غيره وليس أحد ينازعه فيها ولا ينكحها المال فيضربها ويسيء صحبتها *حدثنا* حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن في هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم أي ما حل لكم من يتاماكم من قراباتكم مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال التي ذكرناها في ذلك بتأويل الآية قول من قال تأويلها وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فكذلك فخافوا في النساء فلا تنكحوا منهن الا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهن من واحدة الى الاربع فان خفتم الجور في الواحدة أيضا فلا تنكحوها ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم فانه أحرى أن لا تجوروا عليهن وانما قلنا ان ذلك أولى بتأويل الآية بدلالة ان الله جل ثناؤه افتتح الآية التي قبلها بالنهي عن أكل أموال اليتامى بغير حقها وخلطها بغيرها من الاموال فقال تعالى ذكره وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا ثم أعلمهم انهم ان اتقوا الله في ذلك فتحرجوا فيه فالواجب عليهم من اتقاء الله والتحرج في أمر النساء مثل الذي عليهم من التحرج في أمر اليتامى واعلمهم كيف التخلص لهم من الجور فيه كما عرفهم المخلص من الجور في أموال اليتامى فقال انكحوا ان أمنتم الجور في النساء على أنفسكم ما أبحت لكم منهن وحللته مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أيضا الجور على أنفسكم في أمر الواحدة بان لا تقدروا على انصافها فلا تنكحوها ولكن تسروا من المماليك فانكم أحرى أن لا تجوروا عليهن لانهن أملاككم وأموالكم ولا يلزمكم لهن

من الشهداء اذ الآية من تتمة قصة أحد لا أنه ليس بخير مطلقا وزيف بان بناء المبالغة لا يجوز ذكره الا مع المفضل عليه لكنه لم يذكر فعلمنا أنه

من الحقوق كالذي يلزمكم للحرائر فيكون ذلك أقرب لكم الى السلامة من الاثم والجور وفي الكلام اذ كان المعنى ما قلنا متروك استغني بدلالة ما ظهر من الكلام عن ذكره وذلك ان معنى الكلام وان خفتم ألا تقسطوا في أموال اليتامى فتعدلوا فيها فكذلك فخافوا ألا تقسطوا في حقوق النساء اللاتي أوجبها الله عليكم فلا تتزوجوا منهن الا ما أمنتم معه الجور ومثنى وثلاث ورباع وان خفتم أيضا من ذلك فواحدة وان خفتم في الواحدة فما ملكت أيمانكم فترك ذكر قوله فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا في حقوق النساء بدلالة ما ظهر من قوله تعالى فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم فان قال قائل فاين جواب قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قيل قوله فانكحوا ما طاب لكم غيران المعنى الذي يدل على المراد بذلك ما قلنا ٧ قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى الاقساط في كلام العرب العدل والانصاف وأن القسط الجور والحيف بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما اليتامى فانها جمع ذكر ان الايتام وانا تهم في هذا الموضع وأما قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء فانه يعني فانكحوا ما حل لكم منهن دون ما حرم عليكم منهن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء ما حل لكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير في قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء يقول ما حل لكم فان قال قائل وكيف قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء ولم يقل فانكحوا من طاب لكم وانما يقال ما في غير الناس قيل معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت اليه وانما معناه فانكحوا نكاحا طيبا كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانكحوا ما طاب لكم من النساء فانكحوا النساء نكاحا طيبا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله فالمعنى بقوله ما طاب لكم الفعل دون أعيان النساء وأشخاصهن فلذلك قيل ما ولم يقل من كما يقال خذ من رفيقي ما أردت اذا عنيت خذ منهم ايراد تك ولو أردت خذ الذي تريد منهم لقلت خذ من رفيقي من أردت منهم وكذلك قوله أو ما ملكت أيمانكم بمعنى أو ما ملك أيمانكم وانما معنى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فلينكح كل واحد منكم مثنى وثلاث ورباع كقيل والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وأما قوله مثنى وثلاث ورباع فانهن ترك أجراهن لانهن معدولات عن اثنين وثلاث وأربع كما عدل عمر عن عامر وزفر عن زافر فترك اجراؤه وكذلك احاد وثناء وموحد ومثنى ومثنث ومربع لا يجري ذلك كله للعلة التي ذكرت من العدول عن وجوهه وعما يدل على ان ذلك كذلك وان الذكر والانثى فيه سواء قول في هذه السورة وسورة فاطر مثنى وثلاث ورباع يراد به الجناح والجناح ذكر وانه لا يضاف الى ما يضاف اليه الثلاثة والثلاث وان الالف واللام لا تدخله فكان في ذلك دليل على انه اسم للعدد معرفة ولو كان نكرة لدخله الالف واللام وأضيف كما يضاف الثلاثة والاربعة ومما يبين في ذلك قول تميم بن أبي بن مقبل

ترى النغرات الزرق تحت لعابه * أحاد ومثنى أضعفتها صواهله

فرد أحاد ومثنى على النغرات وهي معرفة وقد تجعلها العرب نكرة فتجريها كما قال الشاعر

قتلنا به من بين مثنى وموحد * بار بعة منكم وآخر خامس

ومما يبين ان ثناء وأحاد غير جارية قول الشاعر

ولقد قتلتم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس المدبر

(وقول الشاعر)

اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك ورد بان جعل اللام على لام العاقبة تعدول عن الظاهر على انا نعلم بالبرهان ان علمه تعالى بانهم مزدادون اثما على تقدير الامهال علة فاعلة لازديادهم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا في الكلام تقديم وتاخير وترتيبه لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر ان الاولى وفتح الثانية وردبان التقديم والتاخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع أن الواحدي أنكرها ثم انه تعالى أخبر أنه لا يجوز في حكمته أن يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل أحد الجنسين عن الآخر بالقاء الحوادث وابداء الوقائع كما في قصة أحد شعر

لله در النائبات فانها

ضد اللئام وصيقل الاحرار

فقال ما كان الله ليذر اللام لتاكيد النفي والخطاب في أنتم للمصدقين جميعا من أهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه ما كان في حكمة الله أن يترك المخلصين على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وهما الفتان. مزت الشيء بعضه من بعض أميزه ميزا وميزته تمييزا وفي الحديث من مازأذى عن الطريق فهو له صدقة ومجة ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفردا الا أنه للجنس والمراد جميع المنافقين من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه ليعلم انه المطرح من الشيئين الملقى لرداءته فان الميز يقع على الادون والاهون وبهم يحصل هذا الميز قيل بالمحن والمصائب كالقتل والهزيمة وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الخروج مع ما بهم من القروح فميز ذا يظهر الثابت من المتزلزل والساكن من

منت لك أن تلاقيني المنايا * أحاد أحاد في شهر حلال

ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز الرباع والمربع عن جهته لم يسمع منها خماس ولا المخمس ولا السباع ولا المسبع وكذلك ما فوق الرباع الا في بيت الكميت فانه يروى له في العشرة عشار وهو قوله

فلم يستر ثبوك حتى رميته * فوق الرجال خصالا عشارا

يريد عشرا عشرا يقال انه لم يسمع غير ذلك وأما قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة فان نصب واحدة بمعنى فان خفتم أن لا تعدلوا فيما يلزمكم من العدل ما زاد على الواحدة من النساء عندكم بنكاح فيما أوجبه الله لهن عليكم فانكحوا واحدة منهن ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالرفع كان جائزا بمعنى فواحدة كافية أو فواحدة مجزية كما قال جل ثناؤه فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وان قال لنا قائل قد علمت ان الحلال لكم من جميع النساء الحرائر نكاح أربع فكيف قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وذلك في العدد تسع قيل ان تاويل ذلك فانكحوا ما طاب لكم من النساء اما مثنى ان أمنتم الجور من أنفسكم فيما يجب لهما عليكم واما ثلاث ان لم تخافوا ذلك واما أربع ان أمنتم ذلك فيهن يدل على صحة ذلك قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة لان المعنى فان خفتم في الثنتين فانكحوا واحدة ثم قال وان خفتم ألا تعدلوا أيضا في الواحدة فما ملكت أيمانكم فان قال قائل فان أمر الله ونهيه على الايجاب والالزام حتى تقوم حجة بان ذلك على التاديب والارشاد والاعلام وقد قال تعالى ذكره فانكحوا ما طاب لكم من النساء وذلك أمر فهل من دليل على انه من الامر الذي هو على غير وجه الالزام والايجاب قيل نعم والدليل على ذلك قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة فكان معلوما بذلك ان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وان كان مخرجه مخرج الامر فانه بمعنى الدلالة على النهي عن نكاح ما خاف الناكح الجور فيه من عدد النساء لا بمعنى الامر بالنكاح فان المعنى به وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فتحرجتم فيهن فكذلك فتحرجوا في النساء فلا تنكحوا الا ما امنتم الجور فيه منهن ما أحللته لكم من الواحدة الى الاربع وقد بينا في غير هذا الموضع بان العرب تخرج الكلام بلفظ الامر ومعناها فيه النهي أو التهدد والوعيد كما قال جل ثناؤه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وكما قال ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون فخرج ذلك مخرج الامر والمقصود به التهدد والوعيد والزجر والنهي فكذلك قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء بمعنى النهي فلا تنكحوا الا ما طاب لكم من النساء وعلى النحو الذي قلنا في معنى قوله أو ما ملكت أيمانكم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم يقول فان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أو ما ملكت ايمانكم السراري حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم فان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثني يحيى بن أبي طالب قال حدثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك قوله فان خفتم ألا تعدلوا في الجامعة والحب ۞ القول في تاويل قوله (ذلك أدنى ألا تعولوا) يعني قوله تعالى ذكره وان خفتم ألا تعدلوا في مثنى أو ثلاث أو رباع فنكحتم واحدة أو خفتم ألا تعدلوا في الواحدة فتسررتم ملك أيمانكم فهو أدنى يعني أقرب ألا تعولوا يقول أن لا تجوروا ولا تميلوا يقال منه عال الرجل فهو يعول عولا وعيالة اذا مال وجار ومنه عول الفرائض لان سهامها اذا زادت دخلها النقص وأما من الحاجة فانما يقال عال الرجل يعيل عيلة وذلك اذا احتاج كما قال الشاعر

الله تعالى بعلمه لا يليق بكل أحد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول أيضا لا يعلم المغيبات بان يطلع عليها من تلقاء نفسه وبخاصية فيه ولكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه عليه ان هذا مؤمن وذلك منافق الثالثة ان هذا أيضا مختص ببعض الرسل وفي بعض الاوقات حسب مشيئته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله أن تعتقدوه وحده علاما الغيوب ومن جملة الايمان بالرسل أن تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب الا ما علمهم الله تعالى ووجه العظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلانا مؤمن وفلانا منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع احدا على غيبه ولا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي بمثلها يتميز الفريقان ويخلص أهل الوفاء من أهل الجفاء أو المراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن أقر بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم فان

السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي أمتي في صورها كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين

فاستهزؤا فقالوا زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال السكلبي قالت قريش ترجم يا محمد ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من أهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال أبو العالية نزلت حين سأل المؤمنون أن يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز من قائل لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب فقد مضافا أي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبي أو أحد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول محذوف للدلالة التقدير ولا تحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الآية نزلت في مانعي الزكاة لترتب الوعيد عليه وسوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لو عد بخيلا لم يخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي حكم الزكاة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد بالبخل كتمان العلم الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة أحد وذلك هو شرح أحوال أهل الكتاب وبغضه ان كثيرا من آيات بقية السورة فيهم وعلى هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل

فمايدري الفقير متى غناه * ومايدري الغني متى يعيل

بمعنى يفتقر و بنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن ذلك أدنى ألا تعولوا قال العول الميل في النساء حدثنا ابن حميد قال ثني حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله ذلك أدنى ألا تعولوا يقول لا تميلوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ذلك أدنى ألا تعولوا أن لا تميلوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان محمد بن الفضل قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة ألا تعولوا قال أن لا تميلوا ثم قال أما سمعت الى قول أبي طالب * بميزان قسط وزنه غير عائل حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد بن زيد عن الزبير عن عريب عن عكرمة في هذه الآية ألا تعولوا قال أن لا تميلوا قال وأنشد بيتا من شعر زعم ان أبا طالب قاله

بميزان قسط لا يخس شعيرة * ووازن صدق وزنه غير عائل

قال أبو جعفر ويروى هذا البيت على غير هذه الرواية

بميزان صدق لا يغل شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قوله ألا تعولوا قال أن لا تميلوا حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم مثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي اسحق الكوفي قال كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل الكوفة في شيء عاتبوه عليه فيه اني لست بميزان لا أعول حدثنا أبو كريب قال ثنا عباد بن علي قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك في قوله أدنى ألا تعولوا قال لا تميلوا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك أدنى ألا تعولوا أدنى أن لا تميلوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ألا تعولوا قال تميلوا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ذلك أدنى ألا تعولوا يقول أن لا تميلوا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ذلك أدنى ألا تعولوا يقول تميلوا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أدنى ألا تعولوا يعني أن لا تميلوا حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ذلك أدنى ألا تعولوا يقول ذلك أدنى أن لا تميلوا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك في قوله ذلك أدنى ألا تعولوا قال أن لا تجوروا حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون وعارم أبو النعمان قالا ثنا هشيم عن حصين عن أبي مالك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن يونس عن ابن اسحق عن مجاهد ذلك أدنى ألا تعولوا قال تميلوا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ذلك أدنى ألا تعولوا ذلك أقل لنفقتك الواحدة أقل من ثنتين وثلاث وأربع وجاريتك أهون نفقة من حرة أن لا تعولوا أهون عليك في العيال ۞ القول في تاويل قوله (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قال أبو جعفر يعني بذلك تعالى ذكره وأعطوا النساء مهورهن عليكم واجبة وفريضة لازمة يقال منه نحل فلان فلانا كذا فهو ينحله نحلة ونحلا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يقول فريضة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال

يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال أبو العالية نزلت حين سأل المؤمنون أن يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز من قائل لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب فقد مضافا أي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبي أو أحد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول محذوف للدلالة التقدير ولا تحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الآية نزلت في مانعي الزكاة لترتب الوعيد عليه وسوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لو عد بخيلا لم يخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي حكم الزكاة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد بالبخل كتمان العلم الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة أحد وذلك هو شرح أحوال أهل الكتاب وبغضه ان كثيرا من آيات بقية السورة فيهم وعلى هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل

في رقابهم طوقا من النار كقوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار والسر فيه أنهم لما لم ينطقوا بافواههم وألسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فالامر أن يكون محمولا على ظاهره وهو أن يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه

أخبرني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يعني بالنحلة المهر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال فريضة مسماة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال النحلة في كلام العرب الواجب يقول لا ينكحها الا بشيء واجب لها صدقة يسمي لها واجبة وليس ينبغي لاحد أن ينكح امرأة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا بصداق واجب ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذبا بغير حق وقال آخرون بل عنى بقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة أولياء النساء وذلك انهم كانوا يأخذون صدقاتهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن سيار عن أبي صالح قال كان الرجل اذا زوج أمته أخذ صداقها دونها فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك ونزلت وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وقال آخرون بل كان ذلك من أولياء النساء بان يعطي الرجل أخته لرجل على ان يعطيه الآخر أخته على ان لا كثير مهر بينهما فنهوا عن ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمي ان أناسا كانوا يعطي هذا الرجل أخته ويأخذ أخت الرجل ولا يأخذون كثير مهر فقال الله تبارك وتعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة * قال أبو جعفر وأولى التأويلات التي ذكرناها في ذلك التأويل الذي قلناه وذلك ان الله تبارك وتعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن ولا دلالة في الآية على ان الخطاب قد صرف عنهم الى غيرهم فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الذين قيل لهم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع هم الذين قيل لهم وآتوا النساء صدقاتهن وان معناه وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة لانه قال في الاول فانكحوا ما طاب لكم من النساء ولم يقل فأنكحوا فيكون قوله وآتوا النساء صدقاتهن مصروفا الى انه معني به أولياء النساء دون أزواجهن وهذا أمر من الله أزواج النساء المدخول بهن والمسمى لهن الصداق صدقاتهن دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسم لها في عقد النكاح صداق ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) يعني بذلك جل ثناؤه فان وهب لكم أيها الرجال نساؤكم شيئا من صدقاتهن طيبة بذلك أنفسهن فكلوه هنيئا مريئا كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عمار عن عكرمة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال المهر حدثنا محمد بن المثنى قال ثني حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة عن عمارة عن عكرمة عن عمارة في قول الله تبارك وتعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال الصدقات حدثني المثنى قال ثني الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال الازواج حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبيدة قال قال لي ابراهيم أكلت من الهنيء المريء قال ماذاك قال امرأتك أعطتك من صداقها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال دخل رجل على علقمة وهو يأكل من طعام بين يديه من شيء أعطته امرأته من صداقها أو غيره فقال له علقمة ادن فكل من الهنيء المريء حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا يقول اذا كان غير اضرار ولا خديعة فهو هنيء مريء كما قال الله جل ثناؤه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال الصداق فكلوه هنيئا مريئا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله فان طبن لكم عن

أكلت من الهنيء المريء حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا يقول اذا كان غير اضرار ولا خديعة فهو هنيء مريء كما قال الله جل ثناؤه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فان طبن لكم عن شيء منه نفسا قال الصداق فكلوه هنيئا مريئا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله فان طبن لكم عن

الى خدمة وتنفر رأسه ويقول أنا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم بامن رجل له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه شجاع أقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا تحسبن الذين يبخلون الآية وعن ابن عمر قال قال صلى الله عليه وسلم ان الذي لا يؤدي زكاة ماله يخيل اليه ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان فيلزمه أن يطوقه يقول أنا كنزك واما أن يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة أطواقا أي سيلزمون اثمه في الآخرة الزام الطوق وفي أمثالهم يقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به يوم القيامة ونظير ما روي عن ابن عباس انه كان يقرأ على الذين يطوقونه فدية قال المعسرون يكلفونه ولا يطيقونه أي يؤمرون باداء ما منعوه حتى لا يمكنهم الاتيان به فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كل الميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان اذا تفرد به بعد ان كان مشاركا له فيه ومثله وورث سليمان داود أي انفرد بذلك بعد مشاركة فيه أو غالبا عليه والله بما تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر أي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فلالتفات وهي أبلغ في الوعيد لان الغضب كأنه تناهى الى حد أقبل على الخطاب وشافهه بالعتاب ثم شرع في حكاية شبه الطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما أمر بالانفاق في سبيل الله قالوا لو كان محمد صادقا في ان الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن أغنياء لكن الفقير لله محال فمحمد غير صادق وأيضا لو كان نبيا لكان انما يطلب شيء

شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمي ان أناسا كانوا يتأثمون ان يرجع أحدهم في شئ مما ساق الى امرأته فقال الله تبارك وتعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا يقول لما طابت به نفسا في غير كره وهوان فقد أحل الله لك ذلك ان تأكله هنيئا مريئا وقال آخرون بل عنى بهذا القول أولياء النساء فقيل لهم ان طابت أنفس النساء اللواتي اليكم عصمة نكاحهن بصدقاتهن نفسا فكلوه هنيئا مريئا ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا سيار عن أبي صالح في قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال كان الرجل اذا زوج ابنته عمد الى صداقها فأخذه قال فنزلت هذه الآية في الاولياء فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا * قال أبو جعفر وأولى التأويلين في ذلك بالصواب التأويل الذي قلنا وان الآية تخاطب بها الازواج لان افتتاح الآية مبتدأ بذكرهم وقوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا في سياقه وان قال قائل فكيف قيل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وقد علمت ان معنى الكلام فان طابت لكم أنفسهن بشئ وكيف وحدت النفس والمعنى للجميع وذلك انه تعالى ذكره قال وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قيل أما نقل فعل النفوس الى أصحاب النفوس فان ذلك مستفيض في كلام العرب من كلامها المعروف ضفت بهذا الامر ذراعا وذرعا وقررت بهذا الامر عينا والمعنى ضاق به ذرعي وقرت به عيني كما قال الشاعر

اذا التقيا ذوو انعظلات قلنا * اليك اليك ضاق بها ذراعا

فنقل صفة الذراع الى رب الذراع ثم أخرج الذراع مفسرة ما وقع الفعل وكذلك وجه النفس في قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا اذ كانت النفس مفسرة لموقع الخبر وأما توحيد النفس من النفوس لانه انما أراد الهوى والهوى يكون جماعة كما قال الشاعر

بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

وكما قال الآخر * في خلقكم عظم وقد سجنا * وقال بعض نحوي الكوفة جائز في النفس في هذا الموضع الجمع والتوحيد فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وأنفسا وضفت به ذراعا وذرعا وأذرعا لانه منسوب اليك والى من تخبر عنه فاكتفى بالواحد عن الجمع لذلك ولم يذهب الوهم الى انه ليس بمعنى جمع لان قبله جمعا قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا ان النفس وقع موقع الاسماء التي تأتي بلفظ الواحد ومراده بها معناه اذا ذكر بلفظ الواحد وانه بمعنى الجمع عن الجمع وأما قوله هنيئا فانه ماخوذ من هنأت البعير بالقطران اذا جربته فعولج به كما قال الشاعر

متبدلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

فكان معنى قوله فكلوه هنيئا مريئا فكلوه دواء شافيا يقال منه هنأني الطعام ومرأني أي صار لي دواء وعلاجا شافيا وهنيني ومريني بالكسر وهي قليلة والذين يقولون هذا القول يقولون بهنأني ويمرأني والذين يقولون هنأني يقولون بهنيني ويمريني فاذا أفردوا قالوا قد أمرأني هذا الطعام مراءة ويقال هنأت اذا علتهم سمع من العرب يقول انما سميت هانيا لهنا بمعنى ليقول ويكفي ۞ القول في تأويل قوله (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) قال أبو جعفر واختلف أهل التأويل في السفهاء الذين نهى الله جل ثناؤه عباده أن يؤتوهم أموالهم فقال بعضهم هم النساء والصبيان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا اسرائيل عن عبد الكريم عن سعيد بن جبير قال اليتامى والنساء حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال

الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غني ولما روى عكرمة ومحمد ابن اسحق والسدي ومقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن تقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو من علمائهم أتزعم ان ربنا يستقرض أموالنا فهو اذن فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر ولطم في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله لابي بكر ما الذي حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال هذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الآية تصديقا لابي بكر وأيضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا فلا يبعد أن محمدا صلى الله عليه وسلم لما طلب منهم الاموال قالوا له لو كان الاله غنيا فأي حاجة الى أموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاصا وحده فانما يستقيم قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تعالى لم يحجبهم عن شبههم اما على قواعد أهل السنة فبان يقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد أن يأمر عبيده ببذل الاموال مع كونه أغنى الاغنياء وأما على قوانين المعتزلة فبان في هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تصغير البعض للبغض فبذلك يرتبط

أمور الناس و ينتظم أحوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة ورودها في القرآن لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة (١٥٢) وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق

حتى لا يحتاج في ذاته ولا في شئ من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك في كمال غناه في وجوده فقد عاد بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند أولى الالباب وانما يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة الوعيد سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة أو نحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فلا ينسى وفي التفسير الكبير سنكتب عنهم هذا الجهل في القرآن حتى يبقى على لسان الامة الى يوم القيامة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على أنهم كما لم يقدروا الله حق قدره حتى نسبوا اليه ما نسبوه فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء فقتلوا بعضهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق وهو من أسماء جهنم فعيل بمعنى مفعول كاليم بمعنى المؤلم أو سميت باسم صاحبها أي ذات حرقة والمعنى ينتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما أذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا القول يحتمل أن يقال عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة الكتب ويحتمل أن يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب أو الوعيد بما قدمت أيديكم من السب والقتل وذكر الايدي لان أكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان كان بعضه باللسان أو بسائر الجوارح والآلات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك منى كما في سورة الحج قال الجبائي قوله وان الله أي وبان الله ليس بظلام للعبيد فيه ابن

دلالة على أن فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير أن لا يقع منهم الذنوب وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز أن

ثنا هشيم عن يونس عن الحسن في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعطوا الصغار والنساء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا يزيد بن زريع عن يونس عن الحسن قال المرأة والصبي حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن شريك عن أبي حمزة عن الحسن قال النساء والصغار والنساء أسفه السفهاء حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال السفهاء ابنك السفيه وامرأتك السفيهة وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة حدثنا المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا حميد عن عبد الرحمن الرواسي عن السدي قال رده الى عبد الله قال النساء والصبيان حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أما السفهاء فالولد والمرأة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يعني بذلك ولد الرجل وامرأته وهي أسفه السفهاء حدثني يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال السفهاء الولد والنساء أسفه السفهاء فيكونوا عليكم أربابا حدثنا أحمد بن حازم الغفاري قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال أولادكم ونساؤكم حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك قال النساء والصبيان حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن جبد الاعرج عن مجاهد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء والولدان حدثنا أحمد قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن أبي عنبسة عن الحكم ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء والولدان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما أمر الله بهذا المال ان يخزن فيحسن خزانته ولا يملكه المرأة السفيهة والغلام السفيه حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل عن أبي مالك قال النساء والصبيان حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال امرأتك وبنيك وقال السفهاء الولدان والنساء أسفه السفهاء وقال آخرون بل السفهاء الصبيان خاصة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال هم اليتامى حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن شريك عن سالم عن سعيد قال السفهاء اليتامى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن الحسن في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يقول لا تخلوا الصغار وقال آخرون بل عنى بذلك السفهاء من ولد الرجل ذكر من قال ذلك حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال أخبرنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعط ولدك السفيه مالك فيفسده الذي هو قوامك بعد الله تعالى حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يقول لا تسلط السفيه من ولدك فكان ابن عباس يقول نزل ذلك في السفهاء وليسوا اليتامى من ذلك في شئ حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري انه قال ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال الله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه حدثنا يونس قال أخبرنا

ابن وهب قال سمعت ابن زيد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الآية قال لا تعط السفيه من ولدك رأسا ولا حائطا ولا شيئا هو لك فيمسك من مالك وقال آخرون بل السفهاء في هذا الموضع النساء خاصة دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمي ان رجلا عمد فدفع ماله الى امرأته فوضعته في غير الحق فقال الله تبارك وتعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حميد عن مجاهد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا سفيان عن الثوري عن حميد عن قيس عن مجاهد في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال هن النساء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما قال نهى الرجال أن يعطوا النساء أموالهم وهن سفهاء كن أزواجا أو أمهات أو بنات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا هشام عن الحسن قال المرأة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال النساء من أسفه السفهاء حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أبي عوانة عن عاصم عن مورق قال مرت امرأة بعبد الله بن عمر لها اشارة وهيئة فقال لها ابن عمر ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما * قال أبو جعفر والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا ان الله جل ثناؤه عم بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم فلم يخصص سفيها دون سفيه فغير جائز لاحد أن يؤتي سفيها ماله صبيا صغيرا كان أو رجلا كبيرا ذكرا كان أو أنثى والسفيه الذي لا يجوز له أن يؤتيه ماله هو المستحق الحجر بتضييعه ماله وفساده وسوء تدبيره ذلك وانما قلنا ما قلنا من ان المعنى بقوله ولا تؤتوا السفهاء هو من وصفنا دون غيره لان الله جل ثناؤه قال في الآية التي تتلوها وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم فامر أولياء اليتامى بدفع أموالهم اليهم اذا بلغوا النكاح وآنس منهم الرشد وقد يدخل في اليتامى الذكور والاناث فلم يخصص بالامر بدفع مالهم من الاموال الذكور دون الاناث ولا الاناث دون الذكور واذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم اليهم وأجير للمسلمين مبايعتهم ومعاملتهم غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم وحظر على المسلمين مداينتهم ومعاملتهم فاذ كان ذلك كذلك فبين ان السفهاء الذين نهى الله المؤمنين ان يؤتوهم أموالهم هم المستحقون الحجر والمستوجبون أن يولى عليهم أموالهم وهم من وصفنا صفتهم قبل وان من عدا ذلك فغير سفيه ملان الحجر لا يستحقه من قد بلغ وآنس رشده وأما قول من قال عنى بالسفهاء النساء خاصة فانه جعل اللغة على غير وجهها وذلك ان العرب لا تكاد تجمع فعيلا على فعلاء الا في جمع الذكور أو الذكور والاناث وأما اذا أرادوا جمع الاناث خاصة لا ذكران معهم جمعوه على فعائل وفعيلات مثل غريبة تجمع غرائب وغريبات فاما الغرباء فجمع غريب واختلف أهل التأويل في تأويل قوله أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم فقال بعضهم عنى بذلك لا تؤتوا السفهاء من النساء والصبيان على ما ذكرنا من اختلاف من حكينا قوله قبل أيها الرشداء أموالكم التي تملكونها فتسلطوهم عليها فيفسدوها ويضيعوها ولكن ارزقوهم أنتم منها ان كانوا ممن تلزمكم نفقته واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وقد ذكرنا الرواية عن جماعة ممن قال ذلك منهم أبو موسى الاشعري وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وحضرمي وسنذكر قول الآخرين الذين لم يذكر قولهم فيما مضى قبل

ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير عن نفسه وذلك يوهم ثبوت أصل الظلم له أجاب القاضي بان العذاب الذي توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكر أن ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين أقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وتحقيقه ما ذكرناه انه مالك الكل له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم أن تصدر عنه كأنه قال ان خيل اليكم أن في الوجود شرا بناء على ما في ظنكم من أن الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل بتبعية الخير الكثير فاعلموا اني منزه عن صدور الشر الكثير مني وان هذا من الشر القليل الذي في ضمنه خير كثير ونقول أراد نفي الشر القليل وأصل الظلم عنه ولكن القليل من الظلم بالنسبة الى وحدته الذاتية كثير فلهذا عبر عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهود او زيد بن التابوت وفنحاص بن عازورا وحيي ابن أخطب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وأنزل عليك الكتاب وان الله قد عهد الينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار

فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حوله

البيت فتنزل نار بيضاء لها دوى وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان وهو البر الذى يتقرب به الى الله وأصله مصدر كالكفران والرجحان ثم سمى به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله عليه السلام لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلاة قربان أى بها يتقرب الى الله ويستشفع فى الحاجات ديه والعلماء فيما ادعاه اليهود قولان (١٥٤) قال السدى ان هذا الشرط جاء فى التوراة مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول

حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها يقول لا تعط امرأتك ولدك مالك فيكونوا هم الذين يقومون عليك واطعمهم من مالك واكسهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا يقول لا تسلط السفيه من ولدك على مالك وأمره أن يرزقه منه ويكسوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعط السفيه من مالك شيئا هو لك وقال آخرون بل عنى ذلك ولا تؤتوا السفهاء اموالهم ولكنه أضيف الى الولاة لانهم قوامها ومدبروها ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم وقد يدخل فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أموال المنهيين عن ان يؤتوهم ذلك وأموال السفهاء لان قوله أموالكم غير مخصوص منها بعض الاموال دون بعض ولا تمنع العرب ان تخاطب خطابا فيخرج الكلام بعضه خبرا عنهم وبعضه عن غيب وذلك نحو ان يقولوا أكلتم يا فلان أموالكم بالباطل فيخاطب الواحد خطاب الجمع بمعنى انك وأصحابك أو وقومك أكلتم أموالكم فكذلك قوله ولا تؤتوا السفهاء معناه لا تؤتوا أيها الناس سفهاء كم أموالكم التى بعضها لكم وبعضها لهم فتضيعوها واذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد عم بالنهى عن ايتاء السفهاء الاموال كلها ولم يخصص منها شيئا دون شئ كان بينا بذلك ان معنى قوله التى جعل الله لكم قياما انما هو التى جعل الله لكم ولهم قياما ولكن السفهاء دخل ذكرهم فى ذكر المخاطبين بقوله لكم وأما قوله التى جعل الله لكم قياما وقيما وقواما فانى معنى واحد وانما القيام أصله القوام غير ان القاف التى قبل الواو لما كانت مكسورة جعلت الواو ياء لكسرة ما قبلها كما يقال صمت صياما وحلت حيالا وتقول منه فلان قوام أهل بيته وقيام أهل بيته واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ بعضهم التى جعل الله لكم قيما بكسر القاف وفتح الياء بغير ألف وقرأه آخرون قياما بالف قال محمد والقراءة التى نختارها قياما بالالف لانها القراءة المعروفة فى قراءة أمصار الاسلام وان كانت الاخرى غير خطأ ولا فاسد وانما اخترنا ما اخترنا من ذلك لان القراآت اذا اختلفت فى الالفاظ واتفقت فى المعانى فانجبها الينا ما كان أظهر وأشهر فى قراءة امصار الاسلام وبنحو الذى قلنا فى تاويل قوله قياما قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك أموالكم التى جعل الله لكم قياما التى هى قوامك بعد الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى أموالكم التى جعل الله لكم قياما فان المال هو قيام الناس قوام معايشهم يقول كنت أنت قيم أهلك فلا تعط امرأتك مالك فيكونوا هم الذين يقومون عليك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما يقول الله سبحانه لا تعمد الى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنيك ثم تنتظر الى ما فى أيديهم ولكن امسك مالك واصلحه وكن أنت الذى تنفق عليهم فى كسوتهم ورزقهم ومؤنتهم قال وقوله قياما بمعنى قوامكم فى معايشكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن قوله قياما

الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها فى كونها خارقة للعادة وآية لصحة النبوة سواء فأى فائدة فى تخصصها ولانه اما أن يكون فى التوراة أن مدعى النبوة وان جاء بجميع الآيات لا تقبلوا قوله الا أن يجىء بهذه الآية المعينة وحينئذ لا تكون سائر المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز فى هذه واما أن يكون فيها أن مدعى النبوة يطالب بالمعجزة أية كانت وحينئذ يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا نسبهم الله تعالى الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم أى بمثله ومؤداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين انما الاعنات يجب عند الاتيان بالقربان وانما ذكر مجىء الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجىء القربان ليتم الالزام وذلك أن القوم يحتمل أن يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة لا موجب لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث أضاف اليه البينات ثبت انهم أتوا بالموجب وبالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك فى أصل الشريعة والنبوة أو فى قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم بالبينات وبالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك وأى رسل والمصيبة اذا عمت طابت جاؤا بالبينات قال وهى الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هى الصحف جمع زبور بمعنى مزبور أى مكتوب وقال الزجاج الزبور كل كتاب ذى حكمة فيشبه أن يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمى زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير الموضح أو الواضح

المنير ويعلم من عطف الزبر والكتاب على الحكمة أن معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وانها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القرآن وعطف الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة أو الاستنارة أشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم اشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكال وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور ثم أكد (١٠٥) التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر

قال قيام عيشك حدثني للمثنى قال ثنا اسحق قال ثنا بكر بن شرود عن ابن مجاهد انه قرأ التي جعل الله لكم قياما بالالف يقول قيام عيشك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أموالكم التي جعل الله لكم قياما قال لا تعط السفيه من ولدك شيئا هو لك قيم من مالك وأما قوله وارزقوهم فيها واكسوهم فان أهل التاويل اختلفوا في تاويله فاما الذين قالوا انما عنى الله جل ثناؤه بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أولياء السفهاء لا أموال السفهاء فانهم قالوا معنى ذلك وارزقوا أيها الناس سفهاءكم من نسائكم وأولادكم من اموالكم طعامهم ومالا بد لهم منه من مؤنهم وكسوتهم وقد ذكرنا بعض قائلي ذلك فيما مضى وسنذكر من لم يذكر من قائليه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال أمروا أن يرزقوا سفهاءهم من أزواجهم وأمهاتهم وبناتهم من أموالهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وارزقوهم قال يقول أنفقوا عليهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وارزقوهم فيها واكسوهم يقول أطعموهم من مالك واكسهم وأما الذين قالوا انما عنى بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أموال السفهاء أن لا يؤتيهموها أولياؤهم فانهم قالوا معنى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وارزقوا أيها الولاة ولاة أموال السفهاء سفهاءكم من أموالهم طعامهم ومالا بد لهم من مؤنهم وكسوتهم وقد مضى ذكر ذلك * قال أبو جعفر وأما الذي نراه صوابا في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم من التأويل فقد ذكرناه ودللنا على صحته ما قلنا في ذلك بما أغنى عن اعادته فتاويل قوله وارزقوهم فيها واكسوهم على التأويل الذي قلنا في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم وأنفقوا على سفهائكم من أولادكم ونسائكم الذين تجب عليكم نفقتهم في طعامهم وكسوتهم في أموالكم ولا تسلطوهم على أموالكم فيهلكوها وعلى سفهائكم منهم ممن لا تجب عليكم نفقته ومن غيرهم الذين تاون أنتم أمورهم من أموالهم فيما لا بد لهم من مؤنهم في طعامهم وشرابهم وكسوتهم لان ذلك هو الواجب من الحكم في قول جميع الحجة لا خلاف بينهم في ذلك مع دلالة ظاهر التنزيل على ما قلنا في ذلك ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (وقولوا لهم قولا معروفا) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تاويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك عدهم عدة جميلة من البر والصلة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقولوا لهم قولا معروفا قال أمروا أن يقولوا لهم قولا معروفا في البر والصلة يعني النساء ومن السفهاء عنده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقولوا لهم قولا معروفا قال عدة تعدوهم وقال آخرون بل معنى ذلك ادعوا لهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقولوا لهم قولا معروفا ان كان ليس من ولدك ولا ممن يجب عليك أن تنفق عليه فقل لهم قولا معروفا قل لهم عافانا الله وإياك وبارك الله فيك قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال في ذلك بالصحة ما قاله ابن جريج وهو ان معنى قوله وقولوا لهم قولا معروفا أي قولوا يا معشر ولاة السفهاء قولا معروفا للسفهاء ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وخلينا بينكم وبينها فاتقوا الله في أنفسكم وأموالكم وما أشبه ذلك من القول الذي فيه حث على طاعة الله ونهي عن معصيته ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (وابتلوا اليتامى

الموت واستحضاره مما يزيل الغموم والاشجان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس ذائقة الموت كل ذات فالقضية لا يمكن اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وكذا كل الجمادات لان لها ذواتا ولقوله فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولا هل النار فالمراد المكلفون الحاضرون في دار التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روي عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة مات أهل الارض فلما نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة ميتنا وفي الآية دليل على أن المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لا بد أن يكون باقيا حال حصول الذوق قالت الحكماء الموت واجب الحصول عندهم هذه الحياة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية ثم الحرارة الغريزية تؤثر في تقليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا تزال تستمر هذه الحالة الى أن تفنى الرطوبة الاصلية فتنطفئ الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذه الحياة قالوا والارواح المجردة لا موت لها ونافسهم المسلمون فيه وانما توفون أجوركم يوم القيامة في ذكر التوفية اشارة الى أن بعض الاجور يعطى قبل ذلك اليوم كما قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار الزح التنحية والابعاد والزحزحة تكريره فقد فاز لم يقيد الفوز بشيء لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له هذان فقد فاز الفوز المطلق المتناول لكل ما يغبط به قال صلى

الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه فالاول رعاية حقوق الله والثانى محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته وذلك أن لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى (١٥٦) والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن على بن أبى طالب لبن مسها قاتل

سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظلمة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون فى أموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت الواو لالتقاء الساكنين ولم يحبلها قبلها من الضم والمراد ما نالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من الصلاة والزكاة والصوم والجهاد والذى كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن فى الدين الحنيف وأهليه واغراء المخالفين وتحريضهم عليهم واغواء المنافقين وتثبيطهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة أو تصبروا على أداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التى لا يترخص العاقل فى تركها لكونه جديرا لعاقبة بين الصواب أو هو من عزائم الله وما ألزمكم الاخذ به قال الواحدى كان هذا قبل نزول آية القتال وقال الفعال الظاهر انها نزلت بعد قصة أحد فلا تكون منسوخة بآية السيف والمراد الصبر على ما يؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مدارتهم فى كثير الاحوال والامر بالقتال لا ينافى الامر بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودى كان شاعرا وكان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش فى شعره وكان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة كان وأهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون أصحابه أشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك فنزلت الآية وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار وأردف اسامة بن زيد

حتى اذا بلغوا النكاح) يعنى تعالى ذكره بقوله وابتلوا اليتامى واختبروا العقول يتاما كم فى أفهامهم وصلاحهم فى أديانهم واصلاحهم أموالهم كما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن فى قوله وابتلوا اليتامى قالا يقول اختبروا اليتامى **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما ابتلوا اليتامى فجربوا عقولهم **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وابتلوا اليتامى قال عقولهم **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وابتلوا اليتامى قال اختبروهم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح قال اختبروهم فى رأيه وفى عقله كيف هو اذا عرف انه قد أنس منه رشد دفع اليه ماله قال وذلك بعد الاحتلام قال أبو جعفر وقد دللنا فيما مضى قبل على ان معنى الابتلاء الاختبار بما فيه الكفاية عن اعادته وأما قوله اذا بلغوا النكاح فانه يعنى اذا بلغوا الحلم كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا احتلموا **حدثنى** على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس حتى اذا بلغوا النكاح قال عند الحلم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى اذا بلغوا النكاح قال الحلم

القول فى تأويل قوله (فان آنستم منهم رشدا) يعنى بقوله فان آنستم منهم رشدا فان وجدتم منهم وعرفتم كما **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان آنستم منهم رشدا قال عرفتم منهم يقال آنست من فلان خيرا وقرئ بعد الالف اينا ساوأنست به آنس انسا بقصر الفعل اذا ألفه وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله فان أحسستم منهم رشدا بمعنى أحسستم أى وجدتم واختلف أهل التأويل فى معنى الرشد الذى ذكره الله فى هذه الآية فقال بعضهم معنى الرشد فى هذا الموضع العقل والصلاح فى الدين ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فان آنستم منهم رشدا عقولا وصلاحا **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان آنستم منهم رشدا يقول صلاحا فى عقله ودينه وقال آخرون معنى ذلك صلاحا فى دينهم واصلاحا لاموالهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنى أبى عن مبارك عن الحسن قال الرشد فى الدين وصلاحا وحفظا للمال **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان آنستم منهم رشدا فى حالهم والاصلاح فى أموالهم وقال آخرون بل ذلك العقل خاصة ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال لا تدفع الى اليتيم ماله وان أخذ بلحيته وان كان شيخا حتى يؤنس منه رشده العقل **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد آنستم منهم رشدا قال العقل **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن الشعبى قال سمعته يقول ان الرجل ليأخذ بلحيته وما بلغ رشده وقال آخرون بل هو الصلاح والعلم بما يصلحه ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فان آنستم منهم رشدا قال صلاحا وعلما بما يصلحه * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندى بمعنى الرشد فى هذا الموضع العقل واصلاح المال لاجماع الجميع على أنه اذا

وراءه يهود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبى وذلك قبل أن يسلم عبد الله فاذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفى المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبى أنفه بردائه وقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن (١٥٧) فقال عبد الله بن أبى أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به فى مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب النبى صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبى قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى نزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذى أعطاكه شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله هذه الآية ثم انه تعالى عجب من حال اليهود انه كيف يليق بحالهم ايراد الطعن فى نبوته مع أن كتبهم ناطقة به وأيضا من جملة ايذائهم الرسول انهم يكتمون نعته وصفته فلهذا قال واذ أخذ الله باضمار اذكر والضمير فى لتبيننه قيل لمحمد لانه معلوم وان كان غير مذكور أى لتبيين حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدى وقال الحسن وقتادة يعود الى الكتاب كأنه أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله ليفعلن ولا يكتمونه قيل الواو للحال أى غير كاتمين ويحتمل أن يكون للعطف وان لم يكن مؤكدا بالنون والامر بالبيان يتضمن النهى عن الكتمان لكنه صرح به للتأكيد فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشئ المطروح المترو ك وعن على ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا وقال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب فطوبى لعالم ناطق وليستمع واع هذا

كان كذلك لم يكن ممن يستحق الحجر عليه فى ماله وحوز ما فى يده عنه وان كان فاجرا فى دينه واذا كان ذلك اجماعا من الجميع فكذلك حكمه اذا بلغ وله مال فى يدى وصى أبيه أو فى يد حاكم قد تولى ماله لطفولته واجب عليه تسليم ماله اليه اذا كان عاقلا بالغا مصلحا لماله غير مفسد لان المعنى الذى به يستحق أن يولى على ماله الذى هو فى يده هو المعنى الذى به يستحق أن يمنع يده من ماله الذى هو فى يده ولى فانه لا فرق بين ذلك وفى اجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما فى يده فى حال صحة عقله واصلاح ما فى يده الدليل الواضح على أنه غير جائز منع يده مما هو له فى مثل ذلك الحال وان كان قبل ذلك كان فى يد غيره لا فرق بينهما ومن فرق بين ذلك عكس عليه القول فى ذلك وسئل الفرق بينهما من أصل أو نظير فلن يقول فى أحدهما قولا الا ألزم فى الآخر مثله فان كان ما وصفنا من الجميع اجماعا فبين ان الرشد الذى به يستحق اليتيم اذا بلغ فادفع اليه ماله اليه ما قلنا من صحة عقله واصلاح ماله ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا) يعنى بذلك تعالى ذكره ولاة أموال اليتامى يقول الله لهم فاذا بلغ أيتامكم الحلم فآنستم منهم عقلا واصلاحا لاموالهم فادفعوا اليهم أموالهم ولا تحبسوها عنهم وأما قوله فلا تأكلوها اسرافا يعنى بغير ما أباحه الله لكم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن ولا تأكلوها اسرافا يقول لا تسرف فيها حدثنا محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تأكلوها اسرافا قال يسرف فى الاكل وأصل الاسراف تجاوز الحد المباح الى ما لم يبح وربما كان ذلك فى الافراط وربما كان فى التقصير غير أنه اذا كان فى الافراط فاللغة المستعملة فيه أن يقال أسرف يسرف اسرافا واذا كان كذلك فى التقصير فالكلام منه سرف يسرف سرفا يقال مررت بكم فسرفتكم يراد منه فسهوت عنكم وأخطأتكم كما قال الشاعر

اعطوا هنيدة تحذوها ثمانية * ما فى عطائهم من ولا سرف

يعنى بقوله ولا سرف لا خطأ فيه يراد به أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطؤها ۞ القول فى تأويل قوله (وبدارا أن يكبروا) يعنى جل ثناؤه بقوله وبدارا ومبادرة وهو مصدر من قول القائل بادرت هذا الامر مبادرة وبدارا وانما يعنى بذلك جل ثناؤه ولاة أموال اليتامى يقول لهم لا تأكلوا أموالهم اسرافا يعنى ما أباح الله لكم أكله ولا مبادرة منكم بلوغهم وايناس الرشد منهم حذرا أن يبلغوا فيلزمهم تسليمها اليهم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله اسرافا وبدارا يعنى أكل مال اليتيم مبادرا أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن ولا تأكلوها اسرافا وبدارا يقول لا تسرف فيها ولا تبادره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وبدارا تبادرا أن يكبر وافيأخذوا أموالهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اسرافا وبدارا قال هذه لولى اليتيم خاصة جعلوا له أن يأكل معه اذا لم يجد شيأ يضع يده معه فيذهب بوجهه ويقول لا أدفع اليه ماله وجعلت تأكله تشتهى أكله لانك ان لم تدفعه اليه لك فيه نصيب واذا دفعته اليه فليس لك فيه نصيب وموضع ان فى قوله أن يكبروا نصب بالمبادرة لان معنى الكلام لا تأكلوها مبادرة كبرهم ۞ القول فى تأويل قوله (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) يعنى بقوله جل ثناؤه ومن كان غنيا من ولاة أموال

علم علما فبذلوه وهذا سمع خبرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا انهم كتموا الحق ليتوسلوا به الى وجدان حظ يسير من الدنيا فبئس ما يشترون هو يدخل فى الوعيد كل من كتم شيأ من أمر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم واستجذاب لمبارهم أو لتقية من غير ضرورة أو لبخل بالعلم وغيره (١٥٨) أن ينسب اليه غيره ثم ذكر نوعا آخر من ايذاء اليهود وأوعدهم عليه وسلى رسوله بذلك

فقال لا تحسبن الذين يفرحون من قرأ بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول أو لكل أحد وأحد المفعولين الذين يفرحون والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التأكيد ومن ضم الباء فى الثانى مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف أى لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فاثرين والثانى للتأكيد ومعنى بما أتوا بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ فريا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه أى بمكان الفوز وقال الفراء أى ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه فى الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس وقل له ان كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون فقال ابن عباس مالكم ولهذا انما دعا النبى صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه ان قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ثم قرأ ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآيتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتاب من اليهود فى الارض كلها أن محمدا ليس نبى الله فانبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقرآن ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذى جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن أهل الصوم والصلاة نحن أولياء الله فذلك قول الله يفرحون بما أتوا بما فعلوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الآية يعنى بما ذكروا من الصوم والصلاة والعبادة وعن أبى سعيد الخدرى أن رجالا من المنافقين كانوا اذا خرج

اليتامى على أموالهم فليستعفف بماله عن أكلها بغير الاسراف والبدار أن يكبروا وبما أباح الله له أكلها به كما حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش وابن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله ومن كان غنيا فليستعفف قال لغناه من ماله حتى يستغنى عن مال اليتيم وبه قال حدثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله ومن كان غنيا فليستعفف بغناه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال من مال نفسه ومن كان فقيرا منهم اليها محتاجا فليأكل بالمعروف * قال أبو جعفر ثم اختلف أهل التأويل فى المعروف الذى أذن الله جل ثناؤه لولاة أموالهم أكلها به اذا كانوا أهل فقر وحاجة اليها فقال بعضهم ذلك هو القرض يستقرضه من ماله ثم يقضيه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان واسرائيل عن أبى اسحق عن حارثة بن مضرب قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى أنزلت مال الله تعالى منى بمنزلة مال اليتيم ان أستغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن زهير عن العلاء بن المسيب عن جماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله فمن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال هو القرض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت يونس عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلمانى انه قال فى هذه الآية ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال الذى ينفق مال اليتيم يكون عليه قرضا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة عن قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال انما هو قرض ألا ترى انه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم قال فظننت انه قالها برأيه حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا هشام عن محمد عن عبيدة فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وهو عليه قرض حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن سلمة عن علقمة عن ابن سيرين عن عبيدة فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال المعروف القرض ألا ترى الى قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة مثل حديث هشام حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يعنى القرض حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يقول ان كان غنيا فلا يحل له من مال اليتيم أن يأكل منه شيأ وان كان فقيرا فليستقرض منه فاذا وجد ميسرة فليعطه ما استقرض منه فذلك أكله بالمعروف حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس قال سمعت أبى يذكر عن حماد عن سعيد بن جبير قال يأكل قرضا بالمعروف حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن سعيد بن جبير قال هو القرض ما أصاب منه من شئ قضاه اذا أيسر يعنى قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا حماد قال سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال ان أخذ من ماله قدر قوته قرضا فان أيسر بعد قضاه وان حضره الموت ولم يوسر يتحلله من اليتيم وان كان صغيرا يتحلله

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغرو تخلفوا عنه فلما قدم استغفروا له وحلفوا واحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فأنزل الله هذه الآية وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه ووصفه بسداد السيرة وحسن السريرة ونحن اذا أنطقنا من أنطقنا وجدنا أكثر مجاري أمورنا على هذه الحالة فنسأله العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك (١٥٩) السموات والارض والغرض أنه كيف يرجو النجاة من كان معذبه هذا القادر الغالب * التأويل هو خير لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والسخاء بمنزلة الاكسير حتى يجعل الخير شرا وبالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه يحيط بالقلب ومنه ينشأ معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب والبخل حب الدنيا رأس كل خطيئة ولله ميراث السموات والارض الانسان وارث الدنيا والآخرة أولئك هم الوارثون والوارث اذا مات من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه أن من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله ان الله فقير ونحن أغنياء فيه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فيعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة الصفات الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة أنا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن أغنياء بقربان تأكله النار قالت يهود لما صفات النفس البهيمية والسبعية والشيطانية لا تنقاد لرسول أي لخاطر رحماني أو الهام رباني حتى يأتينا بقربان هو الدنيا وما فيها يجعلها نسيكة لله عز وجل تأكله نار الله الموقدة التي تقدح من زناد محبتهم فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا وما فيها قربانا لله فلا تأكله نار الله قل يا أيها الحق قد جاءكم رسل من قبلي أي واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذي قلتم أي بجعل الدنيا قربانا فلم قتلتموهم غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق أثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء في الله ولا بد لهما من موت فمن كان موته بالاسباب يكون حياته بلا اسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من أهل العلم الظاهر ومن أهل الرياء أذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على

يتحلله من وليه حدثنا جيد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير فلا يأكل قرضا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال هو القرض حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن أبي قيس عن عطاء بن السائب عن الشعبي ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال لا يأكله الا أن يضطر اليه كما يضطر الى الميتة فان أكل منه شيئا قضاه حدثنا جيد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فليأكل بالمعروف قال قرضا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فليأكل بالمعروف قال سلفا من مال يتيمه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وعن حماد عن سعيد بن جبير فليأكل بالمعروف قالا هو القرض قال الثوري وقاله الحكم أيضا ألا ترى انه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا حجاج عن مجاهد قال هو القرض ما أصاب منه من شيء قضاه اذا أيسر يعني ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فليأكل بالمعروف قال القرض ألا ترى الى قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عاصم عن أبي وائل قال قرضا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن سعيد بن جبير قال اذا احتاج الولي أو افتقر فلم يجد شيئا أكل من مال اليتيم وكتبه فان أيسر قضاه وان لم يوسر حتى تحضره الوفاة دعا اليتيم فاستحل منه ما أكل حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف من مال اليتيم بغير اسراف ولا قضاء عليه فيما أكل منه واختلف قائلو هذا القول في معنى أكل ذلك بالمعروف فقال بعضهم أن يأكل من طعامه باطراف الاصابع ولا يلبس منه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدي قال أخبرني من سمع ابن عباس يقول ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال باطراف أصابعه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله الاشجعي عن سفيان عن السدي عن سمع ابن عباس يقول فذكر مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يقول فمن كان غنيا من ولي مال اليتيم فليستعفف عن الله ومن كان فقيرا من ولي مال اليتيم فليأكل معه باصابعه لا يسرف في الاكل ولا يلبس حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة عن عمارة عن عكرمة في مال اليتيم يدك مع أيديهم ولا تتخذ منه قلنسوة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء وعكرمة قالا تضع يدك مع يده وقال آخرون بل المعروف في ذلك أن يأكل ما يسد جوعه ويلبس ما واري العورة ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال ان المعروف ليس يلبس الكتان ولا الخال ولكن ما سد الجوع وواري العورة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم قال كان يقال ليس المعروف يلبس الكتان والخال

واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذي قلتم أي بجعل الدنيا قربانا فلم قتلتموهم غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق أثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء في الله ولا بد لهما من موت فمن كان موته بالاسباب يكون حياته بلا اسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من أهل العلم الظاهر ومن أهل الرياء أذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على

بجهاد النفس وتتقوا الله تماسوا فان ذلك من عزم الامور أى من أمور أولى الغرم فاصبروا كما صبر أولو العزم من الرسل والله أعلم (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا (١٦٠) سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا انا سمعنا منادا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) القراآت الابرار بالامالة أبو عمرو وحمزة غير خلاد ورجاء والكسائى والنجارى عن ورش وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء غير ابن مجاهد والنقاش فى جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا جزموا على وخلف وقرأ ابن كثير وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة ورويس الباقون بالتشديد نزلا حيث كان بالاختلاس عباس يلى

ولكن المعروف ما سد الجوع وورى العورة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن مغيرة عن ابراهيم نحوه حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو معبد قال سئل مكحول عن والى اليتيم ما أكله بالمعروف اذا كان فقيرا قال يده مع يده قيل له فالكسوة قال يلبس من ثيابه فاما أن يتخذ من ماله مالا لنفسه فلا حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله فليأكل بالمعروف قال ما سد الجوع وورى العورة اما انه ليس لبوس الكتان والحلل وقال آخرون بل ذلك المعروف أكل تمره وشرب رسل ماشيته بقيامه على ذلك فاما الذهب والفضة فليس له أخذ شئ منهما الا على وجه القرض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن القاسم بن محمد قال جاء رجل الى ابن عباس فقال ان فى حجرى أموال أيتام وهو يستأذنه أن يصيب منها فقال ابن عباس ألست تبغى ضالتها قال بلى قال ألست تهنأ جرباها قال بلى قال ألست تلط حياضها قال بلى قال ألست تغرط عليها يوم ورودها قال بلى قال فاصب من رسلها يعنى من لبنها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال جاء اعرابى الى ابن عباس فقال ان فى حجرى أيتاما وان لهم ابلا ولى ابل وأنا أمنح فى ابلى وأفقر فاذا يحل من ألبانها قال ان كنت تبغى ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حوضها وتسقى عليها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب حدثنى المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن أبى العالية فى هذه الآية ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال من فضل الرسل والثمرة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبى العالية فى والى مال اليتيم قال يأكل من رسل الماشية ومن الثمرة لقيامه عليه ولا يأكل من المال وقال ألا ترى أنه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت داود عن رفيع عن أبى العالية قال رخص لولى اليتيم أن يصيب من الرسل ويأكل من الثمرة وأما الذهب والفضة فلا بد أن تردثم قرأ فاذا دفعتم اليهم أموالهم ألا ترى أنه قال لا بد من أن يدفع حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن أنه قال انما كانت أموالهم ادخال النخل والماشية فرخص لهم اذا كان أحدهم محتاجا أن يصيب من الرسل حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن الشعبى فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا كان فقيرا أكل من الثمر وشرب من اللبن وأصاب من الرسل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ذكر لنا ان عم ثابت بن رفاعة وثابت يومئذ يتيم فى حجره من الانصار أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله ان ابن أخى يتيم فى حجرى فما يحل لى من ماله قال أن تأكل بالمعروف من غير أن تقى مالك بماله ولا تتخذ من ماله وقرا وكان اليتيم يكون له الحائط من النخل فيقوم وليه على صلاحه وسقيه فيصيب من ثمرته أو تكون له الماشية فيقوم وليه على صلاحها أو يلى علاجها ومؤنتها فيصيب من جزازها وعوارضها ورسلها فاما رقاب المال وأصول المال فليس له أن يستهلكه حدثت عن الحسن بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يعنى ركوب الدابة وخدمة الخادم فان أخذ من ماله قرضا فى غنى فعليه أن يؤديه وليس له أن يأكل من ماله شيأ وقال آخرون منهم له أن يأكل من جميع المال اذا كان

* الوقوف الالباب ج لاحتمال الذين صفة أو مستأنفا نصبا أو رفعا على المدح بتقدير أعنى الذين أو هم الذين والوصل أشهر والارض ج لتعلق المحذوف أى يقولون ربنا ما خلقت ج للابتداء بسبحانك تعظيما والا فالقول متحد وفاء التعقيب متعقب النار ه أخزيته ط أنصار

فامنا فغير قبيل والوصل أولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف على آمنا اى اذا آمنا فاغفر الابرار ه ج للآية والعطف يوم القيامة ط للميعاد ه أنثى ج لاتحاد الكلام والا فبعضكم مبتدأ من بعض ج والانهار ز لان ثوابا مفعول له أو مصدر من عند الله ط الثواب ه البلاد ه طلان التقدير لهم متاع أو ذلك متاع جهنم ط المهاد ه (١٦١) من عند الله ط للابرار ه لله لا لان ما بعده

يلي ذلك وان أتى على المال ولا قضاء عليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا اسمعيل بن صبيح عن أبي اويس عن يحيى بن سعيد وربيعة جميعا عن القاسم بن محمد قال سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عما يصلح لولي اليتيم قال ان كان غنيا فليستعفف وان كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبيه ان عمر بن الخطاب كان يقول يحل لولي الامر ما يحل لولي اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا الفضل بن عطية عن عطاء بن أبي رباح في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا احتاج فليأكل بالمعروف فان أيسر بعد ذلك فلا قضاء عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري فالا ذكر الله تبارك وتعالى مال اليتامى فقال من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ومعروف ذلك أن يتقي الله في يتيمه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم أنه كان لا يرى قضاء على ولي اليتيم اذا أكل وهو محتاج حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم فليأكل بالمعروف في الوصي قال لا قضاء عليه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم أنه قال في هذه الآية ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا عمل فيمن ولي اليتيم أكل بالمعروف حدثنا بشر بن محمد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول اذا احتاج أكل بالمعروف من المال طعمة من الله له حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن البصري قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان في حجري يتيما أفاضربه قال فيما كنت ضاربا منه ولدك قال أفاصيب من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن الزبير بن موسى عن الحسن البصري مثله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن عطاء أنه قال يضع يده مع أيديهم فيأكل معهم كقدر خدمته وقدر عمله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت والي اليتيم اذا كان محتاجا يأكل بالمعروف لقيامه بماله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قول الله تبارك وتعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال ان استغنى كف وان كان فقيرا أكل بالمعروف قال أكل بيده معهم لقيامه على أموالهم وحفظه اياها يأكل مما يأكلون منه وان استغنى كف عنه ولم يأكل منه شيأ * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال بالمعروف الذي عناه الله تبارك وتعالى في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة اليه على وجه الاستقراض منه فاما غير ذلك الوجه فغير جائز له أكلها وذلك ان الجميع مجمعون على ان والي اليتيم لا يملك من مال يتيمه الا القيام بمصلحته فلما كان اجماعا منهم أنه غير مالكه وكان غير جائز لاحد أن يستهلك مال أحد غيره يتيما كان رب المال أو مدركا رشيدا وكان عليه ان تعدى فاستهلكه بأكل أو غيره ضمانه لمن استهلكه عليه باجماع من الجميع وكان والي اليتيم سبيله سبيل غيره في انه لا يملك مال يتيمه كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضائه اذا أكل منه سبيله سبيل غيره وان

حال آخرة قليلا ط عند ربهم ط الحساب ه تفلحون ه *التفسير انه لما طال الكلام في تقرير القصص والاحكام عاد الى ما هو الغرض الاصلي من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة اخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجيب أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله ما تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض واعلم انه ذكر في

ان في خلق السموات والارض الى اربعة عشر نوعا من الدلائل وههنا اقتصر منها على الثلاثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لا بد له من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق في معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى آخر كالبصر اذا حدق الى مرئي امتنع تحديقه نحو آخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعني

المتقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادي قدس الوحدانية وانما وقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها أقهر وأجهر والعجائب فيها أكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله أيسر وانما قال في تلك السورة لآيات لقوم يعقلون وفي هذه السورة لآيات لاولى الالباب لان العقل له ظاهر ولب ففي أول الامر يكون عقلا وفي (١٦٢) كمال الحال يكون لبا وباقي التفسير قدمر هنا لك ثم بعد دلائل الالهية ذكر وظائف العبودية

وهي أن يكون باللسان وسائر الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الذين يذكرون اشارة الى عبودية اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو في موضع حال آخر أي معتمدين على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون في أغلب أحوالهم كما قال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلاة أي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود فان عجزوا ففي حال الاعتماد وهذا موافق لمذهب الشافعي في ترتيب صلاة المريض العاجز وموافق بحثا طبيا وهو ان الاستلقاء يمنع من استعمال الفكر والتدبير بخلاف الاضطجاع على الجنب والصلاة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت أولى ولان الاستغراق في النوم يكون في هيئة الاستلقاء أكثر فذلك وضع الغافلين وقال أبو حنيفة بل يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد وقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس من تفسير قوله وعلم آدم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال يذكرون الله لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والسبب فيه أن الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر في المخلوقات ممكن وفي الخالق غير ممكن كيف وان الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لابد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشيء عبارة عن حصول صورة الشيء في النفس فتكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها والمحيط بالواجب شيء الا انه تا

فارقه في ان له الاستعراض منه عند الحاجة اليه كما له الاستعراض عليه عند حاجته الى ما يستقرض عليه اذ كان قيما بما فيه مصلحته ولا معنى لقول من قال انما عنى بالمعروف في هذا الموضع أكل والي اليتيم من مال اليتيم لقيامه عليه على وجه الاعتياض على عمله وسعيه لان لوالي اليتيم أن يؤاجر نفسه منه للقيام بامور اذا كان اليتيم محتاجا الى ذلك باجرة معلومة كما يستأجره غيره من الاجراء وكما يشتري له من نصيبه غنيا كان الوالي أو فقيرا واذا كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد دل بقوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف على ان أكل مال اليتيم انما أذن لمن أذن له من ولاته في حال الفقر والحاجة وكانت الحال التي للولاة أن يؤجروا أنفسهم من الايتام مع حاجة الايتام الى الاجراء غير مخصوص بهم حال غنى ولا حال فقر كان معلوما ان المعنى الذي أبيح لهم من أموال أيتامهم في كل أحوالهم غير المعنى الذي أبيح لهم ذلك فيه في حال دون حال ومن أبى ما قلنا ممن زعم ان لولي اليتيم أكل مال يتيمه عند حاجته اليه على غير وجه القرض استدلالا بهذه الآية قيل له أفيجمع على ان الذي قلت تأويل قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فان قال لا قيل له فما برهانك على ان ذلك تأويله وقد علمت انه غير مال مال يتيمه فان قال لان الله أذن له باكله قيل له أذن له باكله مطلقا أم بشرط فان قال بشرط وهو أن يأكله بالمعروف قيل له وما ذلك المعروف وقد علمت القائلين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين ان ذلك هو أكله قرضا وسلفا ويقال لهم أيضا مع ذلك أرأيت المولى عليهم في أموالهم من المجانين والمعاتيه أولاة أموالهم أن يأكلوا من أموالهم عند حاجتهم اليه على غير وجه القرض لا الاعتياض من قيامهم بها كما قلتم ذلك في أموال اليتامى فالحقوهم به فان قالوا ذلك لهم خرجوا من قول جميع الحجة وان قالوا ليس ذلك لهم قيل لهم فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى وحكمهم وحكمهم واحد في أنهم ولاة أموال غيرهم فلن يقولوا في أحدهم شيئا الا ألزموا في الآخر مثله ويسئلون كذلك عن المحجور عليه هل لمن يلي ماله أن يأكل ماله عند حاجته اليه نحو سؤالنا هم عن أموال المجانين والمعاتيه ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم) قال أبو جعفر يعني بذلك جل ثناؤه واذا دفعتم يا معشر ولاة أموال اليتامى الى اليتامى أموالهم فاشهدوا عليهم يقول فاشهدوا على الايتام باستيفائهم ذلك منكم ودفعكموه اليهم كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم يقول اذا دفع الى اليتيم ماله فليدفعه اليه بالشهود كما أمره الله تعالى ۞ القول في تأويل قوله (وكفى بالله حسيبا) يقول تعالى ذكره وكفى بالله كافيا من الشهود الذين يشهدهم والى اليتيم على دفعه مال يتيمه اليه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وكفى بالله حسيبا يقول شهيدا يقال منه قد أحسبني الذي عندي يراد به كفاني وسمع من العرب لاحسبنكم من الاسودين يعني به من الماء والتمر والمحسب من الرجال المرتفع الحسب والمحسب المكفي ۞ القول في تأويل قوله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) يعني بذلك تعالى ذكره للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه وللاناث منهم حصة منه من قليل ما خلف بعده وكثيره حصة مفروضة واجبة معلومة موقتة وذكر ان هذه الآية نزلت من أجل ان أهل الجاهلية كانوا لا يورثون الذكور دون الاناث كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبر

معمر

بكل محيط لكنه اذا تفكر في مخلوقاته سيما السموات مع ما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف أولا ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعترف بان في كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس أحوال هذه المصنوعات الى صانعها علم أن ذاته تعالى منزه عن مشابهة شئ من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا في حيز وجهة فيقول سبحانك أي أنزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من الاستغراق في بحار العظمة وجهة الجلال هذا المبلغ وجد نفسه ذرة من ذرات الكائنات واقعة في حضيض عالم البشرية محاطة بالطبائع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض أن يخلصه من قيدا عناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته أي أبلغت في اخزائه نظيره قوله فقد فاز وفي كلامهم من أدرك مرعى الضان فقد أدرك ثم توسل الى ما سأل بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله ربنا انا سمعنا مناديا الآية فهذا بيان وجه النظم في هذه الكلمات والآيات على وجه ألقى في روعي والله أعلم باسرار كلامه

عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر فنظر الله اليه فغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب لان أحدا لا يقدر على أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل أهل الارض وعنه صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على أنه بمعنى المخلوق أو الى السموات والارض بتأويل المخلوق وفي كلمة هذا ضرب من التعظيم كأنه لعظم شأنه معقود به الهمم حتى صار حاضرا في خزانة الخيال وباطلا نصب على المصدر أي خلقا باطلا أو على الحال وقيل بنزع الخافض أي بالباطل أو للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على أن كل ما يفعله الله تعالى

معمر عن قتادة قال كانوا لا يورثون النساء فنزلت وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال نزلت في أم كحلة وابنة كحلة وثعلبة وأوس بن سويدهم من الانصار كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها فقالت يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورث فقال عم ولدها يا رسول الله لا تركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكي عدوا تكسب عليها ولا تكتسب فنزلت للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون قال كان النساء لا يرثن في الجاهلية من الآباء وكان الكبير يرث ولا يرث الصغير وان كان ذكرا فقال الله تبارك وتعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الى قوله نصيبا مفروضا قال أبو جعفر ونصب قوله نصيبا مفروضا وهو نعت للنكرة لخروجه مخرج المصدر كقول القائل لك علي حقا واجبا ولو كان مكان قوله نصيبا مفروضا اسم صحيح لم يجز نصبه لا يقال لك عندي حق درهما فقوله نصيبا مفروضا كقوله نصيبا فريضة وفرضا كما يقال عندي درهم هبة مقبوضة ❁ القول في تأويل قوله (واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في حكم هذه الآية هل هو محكم أم منسوخ فقال بعضهم هو محكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس قال محكمة وليست منسوخة يعني قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية **حدثنا** أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم والشعبي قالا هي محكمة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال واجب ما طابت به أنفس أهل الميراث **وحدثنا** أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم والشعبي قالا هي محكمة ليست بمنسوخة **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن عن سفيان وثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا فقال سعيد هذه الآية يتهاون بها الناس قال وهما وليان أحدهما يرث والآخر لا يرث والذي يرث هو الذي أمر أن يرزقهم ويعطيهم قال والذي لا يرث هو الذي أمر أن يقول لهم قولا معروفا وهي محكمة وليست بمنسوخة **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم بنحو ذلك وقال هي محكمة وليست بمنسوخة **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطرف عن الحسن قال هي ثابتة ولكن الناس بخلوا وشحوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور والحسن قالا هي محكمة وليست بمنسوخة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هي قائمة يعمل بها **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد ولاجل حكمة وغاية وقوله سبحانك جملة معترضة تنزيها له من العبث وان يخلق شيأ بغير حكمة فوجه حكمه النظام في قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق الارض والسموات أن يجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى (١٦٤) ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان أحد طرفي الممكن لا يترجح الا بمرجح عام وذلك المرجح لابد أن ينتهي الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن أن يعلل أفعال الله بمصالح العباد بل له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزائل الذي لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشي والاضمحلال والمراد ان خلقه اخلق محكم متقن كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهم في غاية شدة التركيب وبصدد البقاء الا انك غني عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف ذاته بالغنى أقر لنفسه بالعجز والحاجة اليه في الدنيا والآخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالآية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وأودع في كل واحد منهما قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلي قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن أن تعتبر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها في ذلك فلا تبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون في ذلك وقالوا ان الفلكيات أسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام أن وجود الوسائط لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب وان كون أفعال الله تعالى مستتبعة لصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم أن يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون أقرب الى الاستجابة كأنهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون أقرب الى الادب وأحرى بالاجابة وكل

في قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ما طابت به الانفس حقا واجبا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن والزهري قالا في قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال هي محكمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن قتادة عن يحيى بن يعمر قال ثلاث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس هذه الآية وآية الاستئذان يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم وهذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هي ثابتة وقال آخرون منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن سعيد انه قال في هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال كانت هذه الآية قسمة قبل المواريث فلما أنزل الله المواريث لاهلها جعلت الوصية لذوي القرابة الذين يحرمون ولا يرثون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد عن قتادة قال سألت سعيد بن المسيب عن هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال هي منسوخة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال كانت هذه قبل الفرائض وقسمة الميراث فلما كانت الفرائض والمواريث نسخت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي مالك قال نسختها آية الميراث حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن السدي عن أبي مالك مثله حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثنا عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى الآية الى قوله قولا معروفا وذلك قبل أن تنزل الفرائض فانزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الفرائض فاعطى كل ذي حق حقه فجعلت الصدقة فيما سمى المتوفى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال نسختها المواريث * وقال آخرون هي محكمة وليست بمنسوخة غير ان معنى ذلك واذا حضر القسمة يعني بها قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصي له به قالوا وأمر بان يجعل وصيته في ماله لمن سماه الله تعالى في هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن سعيد الاموي قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عبد الرحمن قسم ميراث أبيه وعائشة حية فلم يدع في الدار أحدا الا أعطاه وتلا هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال القاسم فذكرت ذلك لابن عباس فقال ما أصاب انما هذه الوصية يريد الميت أن يوصي لقرابته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة ان القاسم بن محمد أخبره ان عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم نحوه حدثنا عمر بن موسى الصغار قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب في قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال أمر أن يوصى بثلثه في قرابته حدثنا ابن المبارك قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب قال انما ذلك عند الوصية في ثلثه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال هي الوصية من الناس قال حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا

ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء بالمعاني متقاربة عن الزجاج أخزى الله العدو أي أبعده وقيل أهانه وقيل فضحه وقيل أهلكه وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف أو انقطاع حجة أو وقوع في بلاء قالت المعتزلة في الآية دلالة على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد أخزاه الله والمؤمن (١٦٥) لا يخزى لقوله يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه وأجيب بانه لا يلزم من أن لا يكون من آمن وهو مع النبي صلى الله عليه وسلم مخزى أن لا يكون غيره وهو مؤمن مخزى وأيضا الآية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من دخل النار فانه ليس بمخزى وعن سعيد بن المسيب والثوري ان هذا في حق الكفار الذين أدخلوا النار للخلود وأيضا انه مخزى حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله لا يخزى نفي الخزي على الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد ويحتمل أن يقال الاخزاء مشترك بين التفضيل وبين الاهلاك واذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتجت المرجئة بالآية على أن صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن لقوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزى الله النبي والمدخل في النار مخزى بهذه الآية والمقدمات باسرها يبطلها المنع أما الاولى فباحتمال أن لا يسمى بعد القتل مؤمنا وان كان قبله مؤمنا وأما الاخريان فبخصوص المحمول وجزئية الموضوع كما تقرر آنفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا في أن العذاب الروحاني أشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو التخجيل وهو أمر نفساني وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين أي الداخلين في النار من أنصار في نفي الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب أن الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وأيضا لا تاثير للشفاعة الا باذن الله فيؤل معنى الآية الى أن الامر يومئذ لله وعلى هذا فائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم انه وعد المتقين الفوز فلهم هذه الحجة بخلاف الفساق وأيضا

حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال القسمة الوصية كان الرجل اذا أوصى قالوا فلان يقسم ماله فقال ارزقوهم منه يقول أوصوا لهم بقول الذي يوصي وقولوا لهم قولا معروفا فان لم توصوا لهم فقولوا لهم خيرا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصحة قول من قال هذه الآية محكمة غير منسوخة وانما عنى بها الوصية لاولي قربى الموصي وعنى باليتامى والمساكين أن يقال لهم قول معروف وانما قلنا ذلك أولى بالصحة من غيره لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره ان شيئا من أحكام الله تبارك وتعالى التي أثبتها في كتابه أو بينها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم غير جائز فيه أن يقال له ناسخ لحكم آخر أو منسوخ لحكم آخر الا والحكمان اللذان قضى لاحدهما بانه ناسخ والآخر بانه منسوخ نافٍ كل أحدهما صاحبه غير جائز اجتماع الحكم بهما في وقت واحد بوجه من الوجوه أو يقوم وان كان جائزا صرفه الى غير النسخ بان أحدهما ناسخ والآخر منسوخ حجة يجب التسليم لها واذ كان ذلك كذلك لما قد دللنا في غير موضع وكان قوله تعالى ذكره واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه محتملا أن يكون مرادا به واذا حضر قسمة مال قاسم ماله بوصية أو لو قرابته واليتامى والمساكين فارزقوهم منه مرادا فاوصوا لاولي قرابتكم الذين يرثونكم منه وقولوا لليتامى والمساكين قولا معروفا كما قال في موضع آخر كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ولا يكون منسوخا بآية الميراث لم يكن لاحد صرفه الى انه منسوخ بآية الميراث اذ كان لا دلالة على انه منسوخ بها من كتاب أو سنة ثابتة وهو محتمل من التأويل ما بينا واذا كان ذلك كذلك وتأويل قوله واذا حضر القسمة قسمة الموصي له بالوصية أولو قرابته واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يقول فاقسموا لهم منه بالوصية يعني فاوصوا لاولي القربى من أصولكم وقولوا لهم يعني الآخرين وهم اليتامى والمساكين قولا معروفا يعني يدعى لهم بخير كما قال ابن عباس وسائر من ذكرنا قبل وأما الذين قالوا ان الآية منسوخة بآية المواريث والذين قالوا هي محكمة والمأمور بها ورثة الميت فانهم وجهوا قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يقول فاعطوهم وقولوا لهم قولا معروفا وقد ذكرنا بعض من قال ذلك ونذكر بقيته من قال ذلك ممن لم نذكره حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين أمر الله جل ثناؤه المؤمنين عند قسمة مواريثهم ان يصلوا أرحامهم ويتاماهم بالوصية ان كان أوصى وان لم تكن وصية وصل اليهم من مواريثهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية يعني عند قسمة الميراث حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة قال ان أباه اعطاه من ميراث مصعب حين قسم ماله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن ابن سيرين قال كانوا يرضخون لهم عند القسمة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطر عن الحسن عن حطان ان أبا موسى أمر ان يعطوا اذا حضر قسمة الميراث أولوا القربى واليتامى والمساكين والجيران من الفقراء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي ومحمد بن جعفر عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان بن عبد الله الرقاشي قال قسم أبو موسى بهذه الآية واذ

أدلة الشفاعة مخصصة لعموم الآية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصر الله وعورض بالآيات الدالة على الغفور بنا انا سمعنا منادیا ینادی تقول سمعت رجلا یتکلم بکذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اکتفاء بما وصفته به أو جعلته حالا عنه والمنادی عند الاکثرین هو رسول الله صلى الله علیه وسلم (١٦٦) لقوله ادع الى سبیل ربك أدعو الى الله وداعیا الى الله وقیل القرآن کما نسب الیه الهدایة فی قوله ان هذا القرآن یهدی کأنه یدعو الى نفسه وینادی بما فیه من الدلائل کما قیل فی جهنم تدعو من أدبر وتولى والفصحاء یصفون الدهر بانه ینادی ویعظ الدلائل تصاریفه قال یا واضع المیت فی قبره یخاطبك الدهر فلم تسمع ویقال ینادی الى کذا ولکذا ودعاه الیه وله وهداه الطریق والیه فیقام کل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال أبو عبیدة هذا على التقدیم والتاخیر أی سمعنا منادیا للایمان ینادی کما یقال جاءنا مناد للامیر فنادى بکذا وقیل معناه لاجل الایمان ولهذا الغرض. فسر بقوله ان آمنوا وان مفسرة أو مخففة معناه أی آمنوا أو بان آمنوا والفائدة فی الجمع بین المنادی وینادی للایمان هو فائدة الاطلاق ثم التقیید والاجمال ثم التفصیل من رفع شان المطلق والمجمل وکونه حینئذ أوقع فی النفس وأعز فاغفر لنا ذنوبنا وکفر عنا سیئاتنا أصل الغفر والتکفیر کلاهما الستر والتغطیة وأما الذنوب والسیئات فقیل هما واحد والتکرار للتاکید والالحاح ان الله یحب الملحین فی الدعاء وقیل الاول الکبائر والثانی الصغائر وقیل الاول أرید بها ما تقدم منهم والثانی المستانف وقیل الاول ما أتى به الانسان مع العلم بکونه معصیة وذنبا والثانی ما أتى به مع الجهل بکونه ذنبا وتوفنا مع الابرار أی معدودین منهم ومن أتباعهم أو مشارکین لهم فی الثواب أو على مثل أعمالهم ودرجاتهم کقول الرجل أنا مع الشافعی فی هذه المسئلة أی مساوله فی ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالآیة على ان العفو غیر مشروط بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذکر التوبة بل بدون التوبة بدلالة فاء التعقیب فی فاغفر بعد قولهم آمنا ثم انه تعالى أجابهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم ویعلم منه ثبوت شفاعة النبی صلى الله

حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد يعني بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان عن أبي موسى في هذه الآية واذا حضر القسمة الآية قال قضى بها أبو موسى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن العلاء بن بدر في الميراث اذا قسم قال كانوا يعطون منه النابوت والشيء الذي يستحيا من قسمته حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن الحسن وسعيد بن جبير كانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن عاصم عن أبي العالية والحسن قالا يرضخون ويقولون قولا معروفا في هذه الآية واذا حضر القسمة ثم اختلف الذين قالوا هذه الآية محكمة وان القسمة لاولى القربى واليتامى والمساكين واجبة على أهل الميراث ان كان بعض أهل الميراث صغيرا فقسم عليه الميراث ولي ماله فقال بعضهم ليس لولي ماله أن يقسم من ماله و وصيته شيئا لانه لا يملك من المال شيئا ولكنه يقول لهم قولا معروفا فاقالوا الذي أمره الله بان يقول لهم قولا معروفا هو ولي مال اليتيم اذا قسم مال اليتيم بينه وبين شركاء اليتيم الا أن يكون ولي ماله أحد الورثة فيعطيهم من نصيبه ويعطيهم من يجوز أمره في ماله من انصبائهم قالوا فاما من مال الصغير فالذي يولى عليه ماله لا يجوز لولي ماله ان يعطيهم منه شيئا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي سعيد قال سالت سعيد بن جبير عن هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال ان كان الميت أوصى لهم بشيء أنفذت لهم وصيته وان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كانوا صغارا قال وليهم انى لست أملك هذا المال وليس لي وانما هو للصغار فذلك قوله وقولوا لهم قولا معروفا حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قال هما وليان ولي يرث وولي لا يرث فاما الذي يرث فيعطى وأما الذي لا يرث فقولوا له قولا معروفا حدثني ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا ابن داود عن الحسن وسعيد بن جبير كانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث ان كان الميراث لمن قد أدرك فله أن يكسو منه وان يطعم الفقراء والمساكين وان كان الميراث ليتامى صغار فيقول الولي انه ليتامى صغار ويقول لهم قولا معروفا حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي سعيد عن سعيد بن جبير قال ان كانوا كبارا رضخوا وان كانوا صغارا اعتذروا اليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سليمان الشيباني عن عكرمة واذا حضر القسمة أولوا القربى قال كان ابن عباس يقول اذا ولي شيئا من ذلك يرضخ لاقرباء الميت وان لم يفعل اعتذر اليهم وقال لهم قولا معروفا حدثنا أحمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا هذه تكون على ثلاثة أوجه أما رجل فيوصي لهم وصية فيحضرون ويأخذون وصيتهم وأما الثاني فانهم يحضرون فيقسمون اذا كانوا رجالا فينبغي لهم أن يعطوهم وأما الثالث فتكون الورثة صغارا فيقوم وليهم اذا قسم بينهم فيقول للذين حضروا حقكم حق وقرابتكم قرابة ولو كان لي في الميراث نصيب لاعطيتكم ولكنهم صغار فان يكبروا فستعرفون حقكم فهذا القول المعروف حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رجل عن سعيد انه قال اذا حضر القسمة أولوا القربى

والیتامى

عليه وسلم لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى وبنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أى على تصديق رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادى للايمان وهو الرسول وعقيب قوله آمنا وهو التصديق فتكون على صلة للوعد كقولك وعدالله الجنة على الطاعة ويحتمل أن يتعلق بمحذوف أى ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فائما عليه ما حمل وقيل على السنة (١٦٧) رسلك والمتعلق كاذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعدمع علمهم بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به فى آخر الادعية لان معظم الغرض فى الدعاء اظهار سيماء العبودية أو المراد وفقنا للاعمال التى بها نصير أهلا لوعدك واعصمنا عما بها نكون أهلا لاخزائك أو طلبوا تعجيل النصرة على الاعداء أو المراد احفظ علينا أسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل على انهم طلبوا منافع الآخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة لان التفضيح يكدر صفو كل من وعطاء والحاصل من هذه الآيات انهم نظروا فى المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا ربنا ثم تفكروا فى عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا أن صانعه حكيم والحكيم لا تخلو أفعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تاملوا فى غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل ووجدوا عاقبة التكليف الجنة أو النار فتضرعوا الى معبودهم فى توفيق الوصول الى الجنة والاخلاص من النار ولان دفع الضرر أهم من جلب المنفعة جعلوا أول دعائهم وآخره الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحانى عند العقلاء أشد من العذاب الجسمانى فلاجرم وقع الختم على الاستعاذة من الاخزاء اللهم شاركنا فى هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين فى ملكوت الارض والسماء انك واهب العطايا وكاشف الغطاء عن جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أتنا أنجاه الله مما يخاف واعطاه ما أراد لان الله تعالى حكى عنهم فى هذه الآيات انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم أى أجابهم انى أى بانى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر

والينامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قال اذا كان الوارث عند القسمة فكان لانا ما والشئ الذى لا يستطاع أن يقسم فليرضخ لهم وان كان الميراث لليتامى فليقل لهم قولا معروفا وقال آخرون منهم ذلك واجب فى أموال الصغار والكبار لاولى القربى واليتامى والمساكين فان كان الورثة كبارا قولوا عند القسمة اعطاءهم ذلك وان كانوا صغارا تولى اعطاء ذلك منهم ولى مالهم ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه حدث عن محمد عن عبيدة أنه ولى وصية فامر بشاة فذبحت وصنع طعاما لاهل هذه الآية قال لولا هذه الآية لكان هذا من مالى قال وقال الحسن لم تنسخ كانوا يحضرون فيعطون الشئ والثوب الخلق قال يونس ان محمد بن سيرين ولى وصية أو قال أيتاما فامر بشاة فذبحت فصنع طعاما كما صنع عبيدة حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا هشام بن حسان عن محمد أن عبيدة قسم ميراث أيتام فامر بشاة فاشتريت من مالهم وبطعام فصنع وقال لولا هذه الآية لاحببت أن يكون من مالى ثم قرأ هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه الآية فكان من ذهب من القائلين القول الذى ذكرناه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومن قال يرضخ عنه قسمة الميراث لاولى القربى واليتامى والمساكين تاول قوله فارزقوهم منه فاعطوهم منه وكان الذين ذهبوا الى ما قال عبيدة وابن سيرين تأولوا قوله فارزقوهم منه فاطعموهم منه واختلفوا فى تاويل قوله وقولوا لهم قولا معروفا فقال بعضهم هو أمر من الله تعالى ذكره ولاة اليتامى أن يقولوا لاولى قرابتهم واليتامى والمساكين اذا حضروا قسمتهم مال من ولوا عليه ماله من الاموال بينهم وبين شركائهم من الورثة فيها ان يعتذروا اليهم على نحو ما قد ذكرناه فيما مضى من الاعتذار كما حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير وقولوا لهم قولا معروفا قال هو الذى لا يرث أمر أن يقول لهم قولا معروفا قال يقول ان هذا المال لقوم غيب أو ليتامى صغار ولكم فيه حق ولسنا نملك ان نعطيكم منه شيا قال فهذا القول المعروف وقال آخرون بل المامور بالقول المعروف الذى أمر رجل ثناؤه أن يقال له الرجل الذى يوصى فى ماله والقول المعروف هو الدعاء لهم بالرزق والغنى وما أشبه ذلك من قول الخير وقد ذكرنا قائلى ذلك أيضا بما أغنى عن اعادته فيما مضى ۞ القول فى تاويل قوله (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم وليخش الذين يحضرون موصيا يوصى فى ماله أن يامره بتفريق ماله وصيته فيمن لا يرثه ولكن ليأمره أن يبقى ماله لولده كما لو كان هو الموصى يسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده وأن لا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم عن التصرف والاحتيال ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الى آخر الآية فهذا فى الرجل يحضره الموت فيسمعه أن يوصى بوصية تضر بورثته فامر الله سبحانه الذى يسمعه أن يتقى الله ويوفقه ويسدده للصواب ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع لورثته اذا خشى عليهم الضيعة حدثنا على قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا

أو أنثى من فى منكم للتبعيض لان كل عامل فرد من أفراد المخاطبين وفى من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما أنثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من بعض أى يجمع ذكوركم وانا ثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أى من أصله أو المراد بعضكم كأنه من البعض الآخر لقرطا تصالكم واتحادكم (١٦٨) كما يقال فلان منى أى على خلقى وسيرتى قال صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل وروى ان أم سلمة قالت يا رسول الله انى أسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا أوطانهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعده باختيارهم وأخرجوا من ديارهم ألجأهم الكفار الى الخروج وأوذوا فى سبيلى يريد طريق الدين وقاتلوا وقتلوا من قرأ بالتشديد فللتكثير وتكرر القتل فيهم وقيل أى قطعوا ومن قرأ قتلوا وقاتلوا فاما لان الواو لا تفيد الترتيب والترتيب الطبيعى قاتلوا حتى قتلوا وأما من قولهم قتلنا وربّ الكعبة ذا ظهرت أمارات القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد أى قتلوا وقد قاتلوا لا كفرن جواب للقسم المقدر تهم سيئاتهم وهو الذى طلبوه بقولهم ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولاد خلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار وهو الذى طلبوه بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذى طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة أى ثوابا يختص به ويقدر به ويفضله لا يشيبه غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندى ما تريد أى أنا مختص به ومتملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا نصب على المصدر المؤكد أى اثابة أو تثويبا من عنده لان قوله لا كفرن ولادخلنهم فى معنى لاثيبنهم وقال الكسائى هو منصوب على حد ثنا القطع أى على الحال وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة أو بيعا أو صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات القاضى جميع الحاجات وفى تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق فى دينه والصبر على صعوبة تكاليفه

عليهم يعنى الذى يحضره الموت فيقال له تصدق من مالك وأعتق واعط منه فى سبيل الله فنهوا أن يامروه بذلك يعنى أنه من حضر منكم مريضا عند الموت فلا يامره أن ينفق ماله فى العتق أو الصدقة أو فى سبيل الله ولكن يامره أن يبين ماله وما عليه من دين ويوصى فى ماله لذوى قرابته الذين لا يرثون ويوصى لهم بالخمس أو الربع يقول أليس يكره أحدكم اذا مات وله ولد ضعاف يعنى صغارا أن يتركهم بغير مال فيكونوا عيالا على الناس فلا ينبغى أن تامروا بما لا ترضون به لانفسكم ولا أولادكم ولكن قولوا الحق من ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال يقول من حضر ميتا فليأمره بالعدل والاحسان وينهه عن الحيف والجور فى وصيته وليخش على عياله ما كان خائفا على عياله لو نزل به الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وليخش الذين تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال اذا حضرت وصية ميت فره بما كنت آمرا نفسك بما تتقرب به الى الله وخف فى ذلك ما كنت خائفا على ضعفتك لو تركتهم بعدك يقول فاتق الله وقل قولا سديدا ان هو زاغ حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا الرجل يحضره الموت فيحضره القوم عند الوصية فلا ينبغى أن يقولوا له أوص بمالك كله وقدم لنفسك فان الله سيرزق عيالك ولا يتركوه يوصى بماله كله يقول للذين حضروا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فيقول كما يخاف أحدكم على عياله لو مات أن يتركهم صغارا ضعافا لا شئ لهم الضيعة بعده فليخف ذلك على عيال أخيه المسلم فيقول له القول السديد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال ذهبت أنا والحكم بن عيينة الى سعيد بن جبير فسألناه عن قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية قال قال الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله صلهم أعطهم برهم ولو كانوا هم الذين يامرهم بالوصية لاحبوا أن يبقوا الاولادهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير فى قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال يحضر مريم اليتامى فيقولون اتق الله وصلهم وأعطهم فلو كانوا هم لاحبوا أن يبقوا الاولادهم حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية يقول اذا حضر أحدكم من حضره الموت عند وصيته فلا يقل أعتق من مالك وتصدق فيغرق ماله ويدع أهله عيلا ولكن مروه فليكتب ماله من دين وما عليه ويجعل من ماله لذوى قرابته خمس ماله ويدع سائره لورثته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الآية قال هذا يفرق المال حين يقسم فيقول الذين يحضرون أقلل زد فلانا فيقول الله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم فليخش أولئك وليقولوا فيهم مثل ما يحب أحدهم أن يقال فى ولده بالعدل اذا أكثر ابق على ولدك وقال آخرون بل عنى بذلك وليخش الذين يحضرون الموصى وهو يوصى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الضيعة من ضعفهم وطمعوا لهم أن ينهوه عن الوصية لاقربائه وأن يامروه بامساك ماله والتحفظ به لولده وهم لو كانوا من أقرباء الموصى لسرهم أن يوصى لهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال

دليل على أن حكمة الله تعالى اقتضت نوط الثواب والجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهملوا جانب العمل رأسا عن الحسن أخبر الله تعالى انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المؤمنين الثواب العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار (١٦٩) كانوا في التنعم أراد أن يسليهم ويصبرهم فقال

ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال ذهبت أنا والحكم بن عيينة فأتينا مقسما فسألناه يعني عن قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية فقال ما قال سعيد بن جبير فقلنا كذا وكذا فقال ولكنه الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله وأمسك عليك مالك فليس أحد أحق بمالك من ولدك ولو كان الذي يوصي ذا قرابة لهم لاحبوا أن يوصي لهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت قال قال مقسم هم الذين يقولون اتق الله وأمسك عليك مالك فلو كان ذا قرابة لهم لاحبوا أن يوصي لهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمي وقرأ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال قالوا حقيق أن يأمر صاحب الوصية بالوصية لاهلها كما ان لو كانت ذرية نفسه بتلك المنزلة لاحب أن يوصى لهم وان كان هو الوارث فلا يمنعه ذلك أن يأمره بالذي يحق عليه فان ولده لو كانوا بتلك المنزلة أحب أن يحث عليه فليتق الله هو فليأمره بالوصية وان كان هو الوارث أو نحوا من ذلك * وقال آخرون بل معنى ذلك أمر من الله ولاة اليتامى من أن يلوهم بالاحسان اليهم في أنفسهم وأموالهم ولا يأكلوا أموالهم اسرافا وبدارا أن يكبروا وأن يكونوا لهم كما يحبون أن يكون ولاة ولده الصغار بعدهم لهم بالاحسان اليهم لو كانوا هم الذين ماتوا وتركوا أولادهم يتامى صغارا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم يعني بذلك الرجل يموت وله أولاد صغار ضعاف يخاف عليهم العيلة والضيعة ويخاف بعده أن لا يحسن اليهم من يليهم يقول فان ولي مثل ذرية ضعافا يتامى فليحسن اليهم ولا يأكل أموالهم اسرافا وبدارا خشية أن يكبروا فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا يكفيهم الله أمر ذريتهم بعدهم ٧ ذكر من قال ذلك حدثنا ابراهيم بن عطية بن دريج بن عطية قال ثني عمي محمد بن دريج عن أبيه عن الشيباني قال كنا بالقسطنطينية أيام مسلمة بن عبد الملك فينا ابن محيريز وابن الديلمي وهانئ بن كلثوم قال فجعلنا نتذاكر ما يكون في آخر الزمان قال فضقت ذرعا بما سمعت قال فقلت لابن الديلمي يا أبا بشر بودي أنه لا يولد لي ولد أبدا قال فضرب بيده على منكبي وقال يا ابن أخي لا تفعل فانه ليست من نسمة كتب الله لها أن تخرج من صلب رجل الا وهي خارجة ان شاء وان أبى قال ألا أدلك على أمر ان أنت أدركته نجاك الله منه وان تركت ولدك من بعدك حفظهم الله فيك قال قلت بلى قال فتلا عند ذلك هذه الآية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا * قال أبو جعفر وأولى التأويلات بالآية قول من قال تأويل ذلك وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم العيلة لو كانوا فرقوا أموالهم في حياتهم أو قسموها وصية منهم بها الاولى قرابتهم وأهل اليتم والمسكنة فابقوا أموالهم لولدهم خشية العيلة عليهم بعدهم مع ضعفهم وعجزهم عن المطالب فليأمروا من حضروه وهو يوصي لذوي قرابته وفي اليتامى والمساكين وفي غير ذلك بماله بالعدل وليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وهو أن يعرفوه ما أباح الله له من الوصية وما اختاره المؤمنون من أهل الايمان بالله وبكتابه وسنته وانما قلنا ذلك بتأويل الآية أولى من غيره من التأويلات لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن معنى قوله وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فاوصوا لهم بما قد دللنا عليه من الادلة فاذا كان ذلك تأويل قوله

لا يغرنك والخطاب لكل مكلف يسمعه أي لا يغرنك أيها السامع أو للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غر وا نبي الله حتى قبضه الله أوله والمراد هو فلعل السبب في عدم اغتراره هو تواتر أمثال هذه الآيات عليه قبل ان مشركي مكة كانوا يتجرون و يتنعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد بتقلبهم تبسطهم وتصرفهم في المكاسب والمزارع والمتاجر ذلك التقلب أو الكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما وعد الله للمؤمنين من الثواب أو هو قليل في نفسه اذ لا نسبة لمدته الى ما بين أمدي الازل والابد مع قلته سبب للوقوع في نار جهنم أبد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة لم تكن في الحقيقة نعمة ولهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي. والنزل ما يعد للضيف و يعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شئ آخر يكون أصلا بالنسبة اليها قلت ويحتمل أن يكون قوله وما عند الله باق اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازيه شئ من نعيم الجنة وقيل المعنى وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل معنى الاستقرار في لهم أو هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء أو نصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمني أهل الكتاب

كلهم فقال وان من أهل الكتاب وهذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا عن جابر بن عبد الله وأنس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبريل الى رسول الله (١٧٠) صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاصحاب

أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم قالوا ومن هو قال النجاشي فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع وكشف له من المدينة الى أرض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذي يدخل على خبر ان أو على اسمه عند الفصل كما في الآية والمراد بما أنزل اليكم القرآن وما أنزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من أحبارهم ورؤسائهم أولئك أجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شان هذا الوعد حسبما أشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطي ما لكل أحد من جزاء الحسنات والسيئات أو المراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بسرعة حصول الاجر ثم ختم السورة بآية جامعة لاسباب سعادة الدارين وذلك أن أحوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامر فيه بالصبر وبندرج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على أداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا وآفاتها ومحاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع أهل المنزل أو المدينة فامر فيه بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الرديئة من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع أعداء الدين بالحجة وبالسيف وبالسنان

واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين الآية قالوا واجب أن يكون قوله تعالى ذكره وليخش الذين لو تركوا من خلفهم تأديبا منه عباده في أمر الوصية بما أذنهم فيه اذ كان ذلك عقيب الآية التي قبلها في حكم الوصية وكان أظهر معانيه ما قلنا فالحاق حكمه بحكم ما قبله أولى من اشتباه معانيها من صرف حكمه الى غيره بما هو له غير مشبه ومعنى ما قلنا في تاويل قوله وليقولوا قولا سديدا قال من ذكرنا قوله في مبتدأ تاويل هذه الآية وبه كان ابن زيد يقول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا قال يقول قولا سديدا يذكر هذا المسكين وينفعه ولا يجحف بهذا اليتيم وارث المؤدى ولا يضربه لانه صغير لا يدفع عن نفسه فانظر له كما تنظر الى ولدك لو كانوا صغارا اذا السديد من الكلام هو العدل الصواب ﴿القول في تاويل قوله (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يقول بغير حق انما يأكلون في بطونهم نارا يوم القيامة بأكلهم أموال اليتامى ظلما في الدنيا نار جهنم وسيصلون بأكلهم سعيرا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا قال اذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلما بعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه ومن أذنيه وأنفه وعينيه يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني أبو هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال ثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال هذه لاهل الشرك حين كانوا لا يورثونهم ويأكلون أموالهم وأما قوله وسيصلون سعيرا فانه مأخوذ من الصلا والصلا الاصطلاء بالنار وذلك السجن بها كما قال الفرزدق

وقائل كاب الحي عن نار أهله * ليربض فيها والصلا متكنف

وكما قال العجاج * والصاليان للصلا صلي * ثم استعمل ذلك في كل من باشر بيده أمرا من الامور من حرب أو قتال أو خصومة أو غير ذلك كما قال الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله * وانى لحرها اليوم صالى

فجعل ما باشر من شدة الحرب واجراء القتال بمنزلة مباشرة أذى النار وحرها واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والعراق وسيصلون سعيرا بفتح الياء على التاويل الذي قلنا وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض الكوفيين وسيصلون بضم الياء بمعنى يحرقون من قولهم شاة مصلية يعني مشوية قال أبو جعفر والفتح بذلك أولى من الضم لاجماع جميع القراء على فتح الياء من قوله لا يصلاها الا الاشقى ولدلالة قوله الا من هو صال الجحيم على ان الفتح بها أولى من الضم وأما السعير فانه شدة حر جهنم ومنه قيل أسعرت الحرب اذا اشتدت وانما هو مسعور ثم صرف الى سعير قيل كف خضيب ولحية دهين وانما هو مخضوب به صرفت الى فعيل فتاويل الكلام اذا وسيصلون نارا سعيرة أي موقودة مشتعلة

شديدا

شديدا جرها وانما قلنا ان ذلك كذلك لان الله جل ثناؤه قال واذا الجحيم سعرت فوصفها بانها مسعورة ثم أخبر جل ثناؤه ان أكلة أموال اليتامى يصلونها وهى كذلك فالسعير اذا فى هذا الموضع صفة للجحيم على ماوصفنا ۞ القول فى تاويل قوله (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) يعنى جل ثناؤه بقوله يوصيكم الله يعهد الله اليكم فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين يقول يعهد اليكم ربكم اذا مات الميت منكم وخلف أولادا ذكورا واناثا فأولاده الذكور والاناث ميراثه أجمع بينهم للذكر منهم مثل حظ الانثيين اذا لم يكن وارث غيرهم سواء فيه صغارولده وكباره واناثهم فى ان جميع ذلك بينهم للذكر مثل حظ الانثيين ورفع قوله مثل بالصفة وهى اللام التى فى قوله للذكر ولم ينصب بقوله يوصيكم الله لان الوصية فى هذا الموضع عهد واعلام بمعنى القول والقول لا يقع على الاسماء المخبر عنها فكانه قيل يقول الله تعالى ذكره لكم فى أولادكم للذكر منهم مثل حظ الانثيين وقد ذكر ان هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم تبيينا من الله الواجب من الحكم فى ميراث من مات وخلف ورثته على ما بين لان أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لاحد من ورثته بعده ممن كان لا يلاقى العدو ولا يقاتل فى الحروب من صغار ولده ولا للنساء منهم وكانوا يخصون بذلك المقاتلة دون الذرية فاخبر الله جل ثناؤه ان ما خلفه الميت بين من سمى وفرض له ميراثا فى هذه الآية وفى آخر هذه السورة فقال فى صغار ولد الميت وكبارهم واناثهم لهم ميراث أبيهم اذا لم يكن له وارث غيرهم للذكر مثل حظ الانثيين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين كان أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الصغار من الغلمان لا يورث الرجل من ولده الا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كحة وترك خمس أخوات فجاءت الورثة ياخذون ماله فشكت أم كحة ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تبارك وتعالى هذه الآية فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ثم قال فى أم كحة ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وذلك انه لما نزلت الفرائض التى فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والانثى والابوين كرهها الناس أو بعضهم وقالوا تعطى المرأة الربع والثمن وتعطى الابنة النصف ويعطى الغلام الصغير وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينساه أو نقول له فيغيره فقال بعضهم يا رسول الله أنعطى الجارية نصف ما ترك أبوها وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم ونعطى الصبى الميراث وليس يغنى شيأ وكانوا يتعاون ذلك فى الجاهلية لا يعطون الميراث الا من قاتل ويعطونه الاكبر فالاكبر وقال آخرون بل نزل ذلك من أجل ان المال كان للولد قبل نزوله وللوالدين الوصية فنسخ الله تبارك وتعالى ذلك بهذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو عطاء عن ابن عباس فى قوله يوصيكم الله فى أولادكم قال كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس مع الولد وللزوج الشطر والربع وللزوجة الربع والثمن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ

وبالجملة ثم انه لا بد للانسان فى تكميل أقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على أضدادذلك فامر بالمرابطة من الربط الشد فكل من صبر على أمر فقد ربط قلبه عليه وألزم نفسه اياه ثم لا بد فى جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتادا بها فلهذا أمر بتقوى الله ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه

فظهر ان هذه الآية مشتملة على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لآداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم فى هذه السورة من الاصول وهى تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والزكاة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع وصابروا عدوكم فلا تغشوا بسبب ما أصابكم يوم أحد وقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغى أن يكونوا أصبر منكم وقال الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى فى هذه السورة أمرهم بالصبر عليها ولما كثر ترغيب الله فى الجهاد فيها أمرهم بالمصابرة مع الاعداء أما المرابطة ففيها قولان أحدهما أن يربط هؤلاء خيولهم فى الثغور ويربط أولئك خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا للقتال الآخر قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينقتل عن صلاته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلاة بعد الصلاة لما روى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه قال لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة وفى حديث أبى هريرة ذكر انتظار الصلاة بعد الصلاة ثم قال فذلك الرباط ثلاث مرات والله أعلم * التاويل ان فى خلق سموات القلوب وأطوارها وخلق أرض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية وصغاتها ونهار الروحانية وأنوارها لآيات لاولى الالباب الذين عبروا بقدمى الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسمانى ووصلوا الى لب الوجود الروحانى فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا

بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا هذه المراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ويقولون ما خلقت هذا باطلا أي خلقته اظهارا للحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا باعدنا عن عذاب نار قهرك والبعد عنك ففيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم أخبر عن شرط

العبودية في استجلاب فضل الربوبية ربنا انا سمعنا منادي هاتف الحق في الغيب بالسمع الحقيقي منادي فاغفر لنا ذنوبنا أي كما أسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا قبل أن نخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا أضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر أو أنثى على قدر قيمتكم ووجوليتكم فالذين هاجروا عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة وأخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة وديارها الى عالم الحقيقة بسطوات تجلي صفات الربوبية وأوذوا في طلبي بانواع البلاء وقاتلوا مع النبيين وقتلوا بسيف الصدق لاكفرن عنهم سيئات وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والتطلب والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق تجري من تحتها الانهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند الجنة وغيرها وان من أهل الكتاب من علماء الظاهر علماء متقين يكون ايمانه من نتيجة نور الله الذي دخل قلبه ويؤمن بما أنزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما أنزل اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال صلى الله عليه وسلم اذا تجلى لشئ خضع له لا يشترون لما أوتوا ذكر

من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية قبل وفاتهم اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا في مراقبة القلب عند الابتلاآت ترابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله في الالتفات الى ماسواه لعلكم تفلحون فتفوزوا بالبقاء بالله وآخر

الانثيين قال كان ابن عباس يقول كان المال وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله تبارك وتعالى من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس مثله وروى عن جابر بن عبد الله ماحدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله قال دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض فتوضأ ونضح علي من وضوئه فافقت فقلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فكيف بالميراث فنزلت آية الفرائض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثني محمد بن المنكدر عن جابر قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه في بني سلمة ماشيان فوجداني لا أعقل فدعا بوضوء فتوضأ ثم رش علي فافقت فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي فنزلت يوصيكم الله في أولادكم الآية

❁ القول في تأويل قوله (فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) يعني بقوله فان كن فان كان المتروكات نساء فوق اثنتين ويعني بقوله نساء بنات الميت فوق اثنتين يقول أكثر في العدد من اثنتين فلهن ثلثا ما ترك يقول فلبنات الثلثان مما ترك بعده من ميراثه دون سائر ورثته اذا لم يكن الميت خلف ولدا ذكرا معهن واختلف أهل العربية في المعنى بقوله فان كن نساء فقال بعض نحوي البصرة بنحو الذي قلنا فان كان المتروكات نساء وهو أيضا قول بعض نحوي الكوفة وقال آخرون منهم بل عنى ذلك فان كان الاولاد نساء وقال انما ذكر الله الاولاد فقال يوصيكم الله في أولادكم ثم قسم الوصية فقال فان كن نساء وان كان الاولاد واحدة ترجمة منه بذلك عن الاولاد قال أبو جعفر والقول الاول الذي حكيناه عن حكيناه عنه من البصريين أولى بالصواب في ذلك عندي لان قوله وان كن لو كان معنيا به الاولاد لقيل وان كانوا لان الاولاد تجمع الذكور والاناث واذا كان كذلك فانما يقال كانوا لا كن

❁ القول في تأويل قوله (وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) يعني بقوله وان كانت المتروكة واحدة فلها النصف يقول فلتلك الواحدة نصف ما ترك الميت من ميراثه اذا لم يكن معها غيرها من ولد الميت ذكرا ولا أنثى فان قال قائل فهذا فرض الواحدة من النساء وما فوق الاثنتين فان فريضة الاثنتين قبل فريضتهم بالسنة المنقولة نقل الوراثة التي لا يجوز فيها الشك وأما قوله ولابويه فانه يعني ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس من تركته وما خلف من ماله سواء فيه الوالدة والوالد لا يزاد واحد منهما على السدس ان كان له ولد ذكرا كان الولد أو أنثى واحدا كان أو جماعة فان قال قائل فاذ كان كذلك التأويل فقد يجب أن لا يزاد الوالدة مع الابنة الواحدة على السدس من ميراثه عن ولده الميت وذلك ان قلته قول خلاف لما عليه الامة مجمعون من تصييرهم باقي تركة الميت مع الابنة الواحدة بعد أخذها نصيبها منها الوالده أجمع قيل ليس الامر في ذلك كالذي ظننت وانما لكل واحد من أبوي الميت السدس من تركته مع ولده ذكرا كان الولد أو أنثى واحدا كان أو جماعة فريضة من الله له مسماة فان زيد على ذلك من بقية النصف مع الابنة الواحدة اذا لم يكن غيره وغير ابنة للميت واحدة فانما يزيدها ثانيا لقرب عصبة الميت اليه اذ كان حكم كل ما أبقته سهام الفرائض فلاولى عصبة الميت وأقربهم اليه بحكم ذلك لها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاب أقرب عصبة ابنه وأولاهما به اذا لم يكن لابنه الميت ابن ❁ القول في تأويل قوله (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) يعني جل ثناؤه بقوله فان لم يكن له فان لم يكن للميت ولد

(بسم الله الرحمن الرحيم) يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (القراآت تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلي وخلف عباس مخيرا الباقون بالتشديد أي بادغام تاء التفاعل في السين والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ما طاب بالامالة حمزة فواحدة بالرفع يزيد الباقون بالنصب هنيئا مريئا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة في الوقف على أيهما وقف واذا انفرد هنيئا همزها كل القرآن يزيد قيما ابن عامر ونافع الباقون قياما ضعافا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعدان والهبلي وخلف نفسه وقتية على أمسله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وأبو بكر وحماد والمفضل الباقون بفتحها * الوقوف ونسائلون * لان الجملتين وان اتفقتا لا انه

ذكر ولا أنثى وورثه أبواه دون غيرهما من ولد وارث فلامه الثلث يقول فلامه من تركته وما خلف بعده ثلث جميع ذلك فان قال قائل فمن الذي له الثلثان الاخوان قيل له الاب فان قال قائل بماذا قلت بانه أقرب أهل الميت اليه وذلك ترك ذكر تسمية من له الثلثان الباقيان اذ كان قد بين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباده ان كل ميت فاقرب عصبته به أولى بميراثه بعد اعطاء ذوي السهام المفروضة سهامهم من ميراثه وهذه العلة هي العلة التي من أجلها سمي اللام ما سمي لها اذ لم يكن الميت خلف وارثا غير أبويه لان الام ليست بعصبة في حال للميت فبين الله جل ثناؤه لعباده ما فرض لها من ميراث ولدها الميت وترك ذكر من له الثلثان الباقيان منه معها اذ كان قد عرفهم في جملة بيانه لهم من له بقايا تركه الاموال بعد أخذ أهل السهام سهامهم وفرائضهم وكان بيانه ذلك معينا لهم على تدبير حكمه مع كل من قسم له حقا من ميراث ميت وسمي له منه سهما ﴿القول في تأويل قوله جل ذكره﴾ (فان كان له اخوة فلامه السدس) ان قال قائل وما المعنى الذي من أجله ذكر حكم الابوين مع الاخوة وترك ذكر حكمهما مع الاخ الواحد قلت اختلاف حكمهما مع الاخوة الجماعة والاخ الواحد فكان في ابانة الله جل ثناؤه لعباده حكمها فيما يرثان من ولدهما الميت مع اخوته غنى وكفاية عن ان حكمهما فيما ورثا منه غير متغير عما كان لهما ولا أخ للميت ولا وارث غيرهما اذ كان معلوما عندهم ان كل مستحق حقا بقضاء الله ذلك له لا ينتقل حقه الذي قضى به له ربه جل ثناؤه مما قضى به له الى غيره الا بنقل الله ذلك عنه الى من نقله اليه من خلقه فكان في فرضه تعالى ذكره للام ما فرض اذا لم يكن لولدها الميت وارث غيرها وغير والده لوائح الدلالة الواضحة للخلق ان ذلك المفروض هو ثلث مال ولدها الميت حق لها واجب حتى يغير ذلك الفرض من فرض لها فلما غير تعالى ذكره ما فرض لها من ذلك مع الاخوة الجماعة وترك تغييره مع الاخ الواحد علم بذلك ان فرضها غير متغير عما فرض لها الا في الحال التي غيره فيها من لزم العباد طاعته دون غيرها من الاحوال ثم اختلف أهل التأويل في عدد الاخوة الذين عناهم الله تعالى ذكره بقوله فان كان له اخوة فقال جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان ومن بعدهم من علماء أهل الاسلام في كل زمان عنى الله جل ثناؤه بقوله فان كان له اخوة فلامه السدس اثنين كان الاخوة أو أكثر منهما انثيين كانا أو كن اناثا أو ذكرين كانا أو كانوا ذكورا وان كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى واعتل كثير ممن قال ذلك بأن ذلك قالته الامة عن بيان الله جل ثناؤه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فنقلته أمة نبيه نقلا مستفيضا قطع العذر مجيئه ودفع الشك فيه عن قلوب الخلق وروده وروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يقول بل عنى الله جل ثناؤه بقوله فان كان له اخوة جماعة أقلها ثلاثة وكان ينكر أن يكون الله جل ثناؤه حجب الام عن ثلثها مع الاب باقل من ثلاثة اخوة فكان يقول في أبوين وأختين للام الثلث وما بقي فللاب كما قال أهل العلم في أبوين وأخ واحد ذكر الرواية عنه بذلك حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن أبي فديك قال ثني ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس انه دخل على عثمان رضي الله عنه فقال لم صار الاخوان يردان الام الى السدس وانما قال الله فان كان له أخوة والاخوان في لسان قومك وكلام قومك ليسا باخوة فقال عثمان رضي الله عنه هل أستطيع نقض أمر كان قبلي وتوارثه الناس ومضى في الامصار قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي ان المعني بقوله فان كان له اخوة اثنان من اخوة الميت فصاعدا على ما قاله أصحاب رسول الله صلى الله عليه

اعترضت المعطوفات والارحام ط رقيبا ه بالطيب ص الى أموالكم ط كبيرا ه ورباع ج اعمالكم ط أن لا تعولوا ط لابتداء حكم آخر نحلة ط لان المشروط خارج عن أصل الموجب مريئا ه معروفا ه النكاح ج أموالهم ج ان يكبروا ط لابتداء جملتين متضادتين فليستعفف ج بالمعروف (١٧٤) ط للعود الى حل الموجب بعد وقوع العارض عليهم ط حسيبا ه والاقربون الاول

وسلم دون ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما لنقل الامة وراثة صحة ما قالوه من ذلك عن الحجة وانكارهم ما قاله ابن عباس في ذلك فان قال قائل وكيف قيل في الاخوين اخوة وقد علمت أن الاخوين في منطق العرب مثالا لا يشبه مثال الاخوة في منطقها قيل ان ذلك وان كان كذلك فان من شأنها التأليف بين الكلامين بتقارب معنييهما وان اختلفا في بعض وجوههما فلما كان ذلك كذلك وكان مستفيضا في منطقها منتشرا مستعملا في كلامها ضربت من عبد الله وعمرو رؤسهما وأوجعت منهما ظهورهما وكان ذلك أشد استفاضة في منطقها من أن يقال أوجعت منهما ظهرهما وان كان مقولا أوجعت ظهرهما كما قال الفرزدق

بما في فؤادينا من الشوق والهوى * فيبرأ من هاض الفؤاد المشغف

غير ان ذلك وان كان مقولا فافصح منه بما في أفئدتنا كما قال جل ثناؤه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فلما كان ما وصفت من اخراج كلما كان في الانسان واحد اذا ضم الى الواحد منه آخر من انسان آخر فصارا اثنين من اثنين بلفظ الجمع أفصح في منطقها وأشهر في كلامها وكان الاخوان شخصين كل واحد منهما غير صاحبه من نفسين مختلفين أشبه معناهما معنى ما كان في الانسان من أعضائه واحد الاثنى له فاخرج أثنيهما بلفظ أثنى العضوين اللذين وصفت فقيل اخوة في معنى الاخوين كما قيل ظهور في معنى الظهرين وأفواه في معنى فوهين وقلوب في معنى قلبين وقد قال بعض النحويين انما قيل اخوة لان أقل الجمع اثنان وذلك ان ذلك ضم شيء الى شيء صارا جميعا بعد اذ كانا فردين فجمعا بالعلم أن الاثنين جمع وهذا وان كان كذلك في المعنى فليس بعلة تنبئ عن جواز اخراج ما قد جرى الكلام مستعملا مستفيضا على ألسن العرب لاتنيه بمثال وصورة غير مثال ثلاثة فصاعدا منه وصورتها لان من قال أخواك قاما فلا شك انه قد علم أن كل واحد من الاخوين فرد ضم أحدهما الى الآخر فصارا جميعا بعد ان كانا شتى عنوان الامر وان كان كذلك فلا تستجيز العرب في كلامها أن يقال أخواك قاموا فيخرج قولهم قاموا وهو لفظ للخبر عن الجميع خبرا عن الاخوين وهما بلفظ الاثنين لان لكل ما جرى به الكلام على ألسنتهم مغروفا عندهم بمثال وصورة اذا غيره بغيره ما قد عرفوه فيهم أنكروه فكذلك الاخوان وان كانا مجموعين ضم أحدهما الى صاحبه فلهما مثال في المنطق وصورة غير مثال الثلاثة منهم فصاعدا وصورتهم فغير جائز أن يغير أحدهما الى الآخر الا بمعنى مفهوم واذ كان ذلك كذلك فلا قول أولى بالصحة مما قلنا قبل فان قال قائل ولم نقصت الام عن ثلثها بصير اخوة الميت معها اثنين فصاعدا قيل اختلفت العلماء في ذلك فقال بعضهم نقصت الام عن ذلك وردته الام لان على الاب مؤنتهم دون أمهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس أنزلوا الام ولا يرثون ولا يحجبها الا الاخ الواحد من الثلث ويحجبها ما فوق ذلك وكان أهل العلم يرون انهم انما حجبوا أمهم من الثلث لان أباهم يلي نكاحهم والنفقة عليهم دون أمهم وقال آخرون بل نقصت الام السدس وقصرت بها على سدس واحد معونة لاخوة الميت بالسدس الذي حجبوا أمهم عنه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال السدس الذي حجبته الاخوة الام لهم انما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أمهم وقد روي عن ابن عباس خلاف هذا القول وذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن عيينة عن

ص أوكثر ط بتقدير جعلناه نصيبا مفروضا معروفا ه خافوا عليهم ص سديدا ه نارا ط سعيرا ه * التفسير لما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطيف على الاولاد والنساء والايتام وايصال حقوقهم اليهم وحفظ أموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلاة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرهن الى غير ذلك من السياسات ومكارم الاخلاق التي يناط بها صلاح المعاش والمعاد افتتح السورة ببعث المكلفين على التقوى ومن غرائب القرآن أن فيه سورتين صدرهما يا أيها الناس احداهما في النصف الاول وهي الرابعة من سورة والاخرى في النصف الثاني وهي أيضا في الرابعة من سورة ثم التي في النصف الاول مصدرة بذكر المبدأ اتقوا ربكم الذي خلقكم والتي في النصف الثاني مصدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة أما القيد الاول وهو أنه خلقنا فلا شك أنه علة لوجوب الانقياد لتكاليفه والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شأن العبد امتثال أمر مولاه في كل ما يأمره وينهاه وأيضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على أن مقابلة نعمته بالخدمة متحال لان توفيق تلك الخدمة نعمة أخرى منه وأما القيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق عمرو أشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير أشكالهم وتباين أمزجتهم واختلاف أخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة أو لعلة موجبة كان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم في هذا القيد فوائد أخر منها انه يأمر فقيه

بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم متفرعين من أصل واحد وأرومة واحدة أعون على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة وأظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر أمر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابا وأجمع

عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة لا ولد له ولا والد قال أبو جعفر وأولى ذلك بالصواب أن يقال في ذلك ان الله تعالى ذكره فرض للام مع الاخوة السدس لما هو أعلم به من مصلحة خلقه وقد يجوز أن يكون ذلك كان لما ألزم الآباء لاولادهم وقد يجوز أن يكون ذلك لغير ذلك وليس ذلك مما كلفنا علمه وانما أمرنا بالعمل بما علمنا وأما الذي روى عن طاوس عن ابن عباس فقول لما عليه الامة مخالف وذلك انه لا خلاف بين الجميع أن لا ميراث لاخ مع ميت مع والده فكفى اجماعهم على خلافه شاهدا على فساده ۞ القول في تاويل قوله تعالى (من بعد وصية توصون بها أو دين) يعني جل ثناؤه بقوله من بعد وصية توصون بها أو دين ان الذي قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت الذكور منهم والاناث ولابويه من تركته من بعد وفاته انما يقسمه لهم على ما قسمه لهم في هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذي مات وهو عليه من تركته ومن بعد تنفيذ وصيته في بابها بعد قضاء دينه كله فلم يجعل تعالى ذكره لاحد من ورثة الميت ولا لاحد ممن أوصى له بشئ الا من بعد قضاء دينه من جميع تركته وان أحاط بجميع ذلك ثم جعل أهل الوصايا بعد قضاء دينه شركاء ورثته فيما بقي لما أوصي لهم به مالم يجاوز ذلك ثلثه فان جاوز ذلك ثلثه جعل الخيار في اجازة ما زاد على الثلث من ذلك أو رده الى ورثته ان أحبوا أجاز والزيادة على ثلث ذلك وان شاؤا ردوه فاما ما كان من ذلك الى الثلث فهو ماض عليهم وعلى كل ما ظلنا من ذلك الامة مجمعة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خبر وهو ما حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن الحرث الاعور عن علي رضي الله عنه قال انكم تقرؤن هذه الآية من بعد وصية توصون بها أو دين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية حدثنا ابن بشار قال ثنا يزيد بن هرون قال ثنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحق عن الحرث عن علي رضوان الله عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبي اسحق عن الحرث عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن ابن مجاهد عن أبيه من بعد وصية توصون بها أو دين قال يبدأ بالدين قبل الوصية واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق توصون بها أو دين وقرأ بعض أهل مكة والشام والكوفة يوصى بها على معنى مالم يسم فاعله قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك من بعد وصية يوصى بها أو دين على مذهب ما قد سمى فاعله لان الآية كلها خبر عمن قد سمى فاعله ألا ترى أنه يقول ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فكذلك الذي هو أولى بقوله يوصى بها أو دين أن يكون خبرا عمن قد سمى فاعله لان تاويل الكلام ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد من بعد وصية يوصى بها أو دين يقضى عنه ۞ القول في تاويل قوله (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) يعني جل ثناؤه بقوله آباؤكم وأبناؤكم هؤلاء الذين أوصاكم الله به فيهم من قسمة ميراث ميتكم فيهم على ما سمى لكم وبينه في هذه الآية آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا يقول أعطوهم حقوقهم من ميراث ميتهم الذي أوصيتكم ان تعطوهموها فانكم لا تعلمون أيهم أدنى وأشد نفعا لكم في عاجل دنياكم وآجل أخراكم واختلف أهل التأويل في تاويل قوله لا تدرون فقال بعضهم يعني بذلك أيهم أقرب لكم نفعا في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله آباؤكم وأبناؤكم

ومنها ان خلق الشئ عن العدم المحض والنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شئ في صورة واحدة من المادة لحكمة أن يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف أي أنشأها وخلق منها أو معطوف على خلقكم والخطاب للذين بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي خلقكم من نفس آدم لانهم من جنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الغائبة للحصر أقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يفهم من خلق بني آدم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم دخول الواو الا ان المراد وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلاثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق والا كان الانسب أن يقال فبث بالفاء فدل العطف بالواو في الجميع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل

والترتيب موكول الى قضية العقل فافهم والله تعالى أعلم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال أتم فكانت كثرتهم أظهر وفيه تنبيه على ان اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج واللائق بحال النسوان الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفتين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسهما ثم ان هذا البث معناه محمول على ظاهره عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين فى صلب آدم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما أولادهما ومن أولادهما جما آخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام من قرأ بالنصب فالعطف على اسم الله أى واتقوا حق الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار أكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدى والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما العطف على محل الجار والمجرور كقوله

فلسنا بالجبال ولا الحديدا * وهو اختيار أبى على الفارسى وعلى بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء أى والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرأ بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور وفيه وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ما قبله ولاسيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة أخرى وهى انها تقتضى جواز الحلف بالارحام وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم والجواب ان المنهى عنه هو الحلف بالآباء وههنا حلف أولا بالله ثم قرن به الرحم فان أحدهما من الآخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم أيضا منهى عنه لكن لا نسلم انه نهى عنه مطلقا وانما المنهى عنه ما حلف على سبيل التعظيم وأما الحلف بطريق التاكيد فلا باس بها ولهذا جاء فى الحديث أفلح وأبيه ان صدق سلمنا انه منهى عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يتعاونه فى الجاهلية من قولهم فى الاستعطاف والتساءل وهو سؤال البعض البعض أسألك بالله وبالرحم وأنشدك الله والرحم وتقدير

لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا يقول أطوعكم لله من الآباء والابناء أرفعكم درجة يوم القيامة لان الله سبحانه يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض وقال آخرون معنى ذلك لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فى الدنيا ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أيهم أقرب لكم نفعا فى الدنيا **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال بعضهم فى نفع الآخرة وقال بعضهم فى نفع الدنيا وقال آخرون فى ذلك بما قلنا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال أيهم خير لكم فى الدين والدنيا الوالد أو الولد الذين يرثونكم لم يدخل عليكم غيرهم فرضى لهم المواريث لم يات بآخرين يشركونهم فى أموالكم ۞ القول فى تاويل قوله (فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما) يعنى بقوله جل ثناؤه فريضة من الله وان كان له اخوة فلامه السدس فريضة يقول سها ما معلومة مؤقتة بينها الله لهم ونصب قوله فريضة على المصدر من قوله يوصيكم الله فى أولادكم لذكر مثل حظ الانثيين فريضة فاخرج فريضة من معنى الكلام اذ كان معناه ما وصفت وقد يجوز أن يكون نصبه على الخروج من قوله فان كان له اخوة فلامه السدس فريضة فتكون الفريضة منصوبة على الخروج من قوله فان كان له اخوة فلامه السدس كما تقول هو لك هبة وهو لك صدقة عليك وأما قوله ان الله كان عليما حكيما فانه يعنى جل ثناؤه ان الله لم يزل ذا علم بما يصلح خلقه أيها الناس فانتهوا الى ما يامركم به يصلح لكم أموركم حكيما يقول لم يزل ذا حكمة فى تدبيره وهو كذلك فيما يقسم لبعضكم من ميراث بعض وفيما يقضى بينكم من الاحكام لا يدخل حكمه خلل ولا زلل لانه قضاء من لا يخفى عليه مواضع المصلحة فى البدء والعاقبة ۞ القول فى تاويل قوله (ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين) يعنى بذلك جل ثناؤه ولكم أيها الناس نصف ما ترك أزواجكم بعد وفاتهن من مال وميراث ان لم يكن لهن ولد يوم يحدث لهن الموت لا ذكر ولا أنثى فان كان لهن ولد أى فان كان لازواجكم يوم يحدث لهن الموت ولد ذكر أو أنثى فلكم الربع مما تركن من مال وميراث ميراثا لكم عنهن من بعد وصية توصين بها أو دين يقول ذلك لكم ميراثا عنهن مما يبقى من تركاتهن وأموالهن من بعد قضاء ديونهن التى يمتن وهى عليهن ومن بعد انفاذ وصاياهن الجائزة ان كن أوصين بها ۞ القول فى تاويل قوله (ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين) يعنى جل ثناؤه بقوله ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ولا زواجكم أيها الناس ربع ما تركتم بعد وفاتكم من مال وميراث ان حدث باحدكم حدث الوفاة ولا ولد له ذكر ولا أنثى فان كان لكم ولد يقول فان حدث باحدكم حدث الموت وله ولد ذكر أو أنثى واحدا كان الولد أو جماعة فلهن الثمن مما تركتم يقول فلازواجكم حينئذ من أموالكم وتركاتكم التى تخلفونها بعد وفاتكم الثمن من بعد قضاء ديونكم التى حدث بكم حدث الوفاة وهى عليكم ومن بعد انفاذ وصاياكم الجائزة التى توصون بها وانما قيل من بعد وصية توصون بها أو دين فقدم ذكر الوصية على ذكر الدين لان معنى الكلام ان الذى فرضت لمن فرضت له منكم فى هذه الآيات انما هو له من بعد اخراج أى هذين كان فى مال الميت منكن من وصية أو دين فلذلك كان سواء تقدم ذكر الوصية قبل ذكر الدين

والارحام بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف أى والارحام كذلك أى انها يتقى ويتساءل به فان قيل لم قال أولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا أما تكرار الامر فلتأكيد كقولك للرجل بجل بجل وأما تخصيص الرب بالاول واتقه بالثانى فلان الغرض فى الاول الترغيب بتذكير النعمة والاحسان والتربية وفى الثانى الترهيب ولفظ الله يدل على كمال القدرة (١٧٧) والقهر فكانه قيل انه ربك وأحسن اليك فاتق

و تقديم ذكر الدين قبل ذكر الوصية لانه لم يرد من معنى ذلك اخراج أحد الشيئين الدين والوصية من ماله فيكون ذكر الدين أولى أن يبدأ به من ذكر الوصية ﴿ القول فى تأويل قوله (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة) يعنى بذلك جل ثناؤه وان كان رجل أو امرأة يورث كلالة ثم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل الاسلام وان كان رجل يورث كلالة يعنى وان كان رجل يورث من يتكالل النسب فالكلالة على هذا القول مصدر من قولهم تكاله النسب تكالا وكلالة بمعنى يعطف عليه النسب وقرأه بعضهم وان كان رجل يورث كلالة بمعنى وان كان رجل يورث من يتكاله بمعنى من يتعطف عليه بنسبه من أخ أو أخت واختلف أهل التأويل فى الكلالة فقال بعضهم هى ماخلا الوالد والولد ذكر من قال ذلك حدثنا الوليد بن شجاع السكونى قال ثنى على بن مسهر عن عاصم عن الشعبى قال قال أبو بكر رضى الله عنه انى قد رأيت فى الكلالة رأيا فان كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له وان يكن خطأ فنى والشيطان والله منه برىء ان الكلالة ماخلا الولد والوالد فلما استخلف عمر رضى الله عنه قال انى لاستحيى من الله تبارك وتعالى ان أخالف أبا بكر فى رأى رآه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عاصم الاحول قال ثنا الشعبى ان أبا بكر رضى الله عنه قال فى الكلالة أقول فيها برأى فان كان صوابا فمن الله هو ما دون الولد والوالد قال فلما كان عمر رضى الله عنه قال انى لاستحيى من الله ان أخالف أبا بكر حدثنا أبو بشر بن عبد الاعلى قال أخبرنا سفيان عن عاصم الاحول عن الشعبى ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قالا الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن عمران بن حدير عن السميط قال كان عمر رجلا أيسر فخرج يوما وهو يقول بيده هكذا يديرها الا أنه قال أتى على حبر ولست أدرى ما الكلالة ألا وان الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن عامر عن أبى بكر قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدث عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد بن الحنفية عن ابن عباس قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن سليم بن عبد عن ابن عباس بمثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن سليم بن عبد السلولى عن ابن عباس قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة قال الكلالة من لم يترك ولدا ولا والدا حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الاحوص عن أبى اسحق عن سليم بن عبد قال ما رأيتهم الا قد اتفقوا انه من مات ولم يدع ولدا ولا والدا انه كلالة حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق بن يوسف عن شريك عن أبى اسحق عن سليم بن عبد قال ما رأيتهم الا قد أجمعوا أن الكلالة الذى ليس له ولد ولا والد حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن سليم بن عبد قال الكلالة ماخلا الولد والوالد حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن أبى اسحق عن سليم بن عبد قال أدركتهم وهم يقولون اذا لم يدع الرجل ولدا ولا والدا ورث كلالة حدثنا

ومخالفته والا فانه شديد العقاب فاتق سخطه قال العلماء فى الآية دليل على جواز المسئلة بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى ما فى الآية من تعظيم حق الرحم وتاكيد النهى عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال فى سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفى الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافى الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فاما هذا بنى أصحاب أبى حنيفة على هذا الاصل مسئلتين احداهما ان الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقى الملك حل الاستخدام بالاجماع لكن الاستخدام ايحاش وقطيعة رحم والثانية ان الهبة لذى الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها حذرا من الايحاش والقطيعة ثم انه ختم الآية بما يتضمن الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا مراقبا يحفظ عليكم جميع أعمالكم فيجازيكم

بحسبها ثم انه سبحانه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفة من له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى أموالهم وأصل اليتم الانفراد ومنه الدرة اليتيمة والمرأة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم فاليتيم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه فى عرف الشرع اختص بالذى لم يبلغ الحلم قال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم (١٧٨) والمراد انه اذا احتلم لا يجرى عليه أحكام الصغار لانه فى تحصيل مصالحه يستغنى بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوده بأمره فان قيل اذا كان اسم اليتيم فى الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون يتيما لا يجوز دفع أمواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى أموالهم فنى الجواب طريقان أحدهما ان المراد باليتامى الكبار البالغون سموا بذلك على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم كقوله فالقى السحرة ساجدين أى الذين كانوا سحرة قبل السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ وقال صلى الله عليه وسلم تستأمر اليتيمة فى نفسها ولا تستأمر الا وهى بالغة وعلى هذا يكون فى الآية اشارة الى ان لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يحاولوا ان آنس منهم الرشد وان لا يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وبوافقه ما رواه مقاتل والكلبى انها نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا ابن

بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة الكلالة الذى لا ولد له ولا والد لا أب ولا جد ولا ابن ولا ابنة فهؤلاء الاخوة من الام **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم قال فى الكلالة ما دون الولد والوالد **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الكلالة كل من لا يرثه والد ولا ولد وكل من لا ولد له ولا والد فهو يورث كلالة من رجالهم ونسائهم **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والزهرى وأبى اسحق قال الكلالة من ليس له ولد ولا والد **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن محمد عن معمر عن الزهرى وقتادة وأبى اسحق مثله * وقال آخرون الكلالة ما دون الولد وهذا قول عن ابن عباس وهو الخبر الذى ذكرناه قبل من رواية طاوس عنه انه ورث الاخوة من الام السدس مع الابوين وقال آخرون الكلالة ما خلا الوالد ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف عن شعبة قال سألت الحكم عن الكلالة قال فهو ما دون الاب واختلف أهل العربية فى الناصب الكلالة * فقال بعض البصريين ان شئت نصبت كلالة خبر كان وجعلت يورث من صفة لرجل وان شئت جعلت كان تستغنى عن الخبر نحو وقع وجعلت نصب كلالة على الحال أى يورث كلالة كما يقال يضرب قائما وقال بعضهم قوله كلالة خبر كان لا يكون الموروث كلالة وانما الموروث الكلالة * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن الكلالة منصوب على الخروج من قوله يورث وخبر كان يورث والكلالة وان كانت منصوبة بالخروج من يورث فليست منصوبة على الحال ولكن على المصدر من معنى الكلام لان معنى الكلام وان كان رجل يورث متكالة النسب كلالة ثم ترك ذكر متكالة اكتفاء بدلالة قوله يورث عليه واختلف أهل العلم فى المسمى كلالة فقال بعضهم الكلالة الموروث وهو الميت نفسه سمى بذلك اذا ورثه غير والده وولده ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى فى الكلالة قال الذى لا يدع والدا ولا ولدا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن سليمان الاحول عن طاوس عن ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر رضى الله عنه فسمعته يقول ما ثلاث وما قلت قال الكلالة من لا ولد له **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى ويحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبى اسحق عن سليمان بن عبد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد وقال آخرون الكلالة هى الورثة الذين يرثون الميت اذا كانوا اخوة أو أخوات أو غيرهم اذا لم يكونوا ولدا ولا والدا على ما قد ذكرنا من اختلافهم فى ذلك وقال آخرون بل الكلالة الميت والحى جميعا ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الكلالة الميت الذى لا ولد له ولا والد والحى كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله هؤلاء وهو أن الكلالة الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده وذلك لصحة الخبر الذى ذكرناه عن جابر بن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله انما يرثنى كلالة فكيف بالميراث وبما **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن عمرو بن سعيد قال كنا مع جميد بن عبد الرحمن فى سوق الرقيق قال فقام من عندنا ثم رجع فقال هذا آخر ثلاثة من بنى سعد حدثونى هذا الحديث قالوا مرض سعد بمكة مرضا شديدا قال فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فقال يا رسول الله لى مال كثير وليس لى وارث الا كلالة فاوصى بمالى كله فقال لا **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا اسحق

ان الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقى الوزر على والده قيل لانه كان مشركا الثانى ان المراد بهم الصغار أى الذين هم يتامى فى الحال آتوهم بعد زوال صفة اليتم أموالهم وآتوهم من أموالهم ما يحتاجون اليه

ابن سويد عن العلاء بن زياد قال جاء شيخ الى عمر رضى الله عنه فقال انى شيخ وليس لى ولد وارث الا كلالة اعرابيات من أقاصى بنى ثعلب أفاوصى بثلث مالى قال لا فقد أنبأت هذه الاخبار عن صحة ما قلنا من معنى الكلالة وانها ورثة الميت دون الميت ممن عدا والده وولده ۞ القول فى تأويل قوله (وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) يعنى بقوله جل ثناؤه وله أخ أو أخت والرجل الذى يورث كلالة أخ أو أخت يعنى أخا أو أختا من أمه كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن سعد انه كان يقرأ وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت قال سعد لامه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت القاسم بن ربيعة يقول قرأ على سعد وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت قال سعد لامه حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة بن كعب قال قرأت على سعد فذكر نحوه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة قال سمعت سعد بن أبى وقاص قرأ وان كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من أمه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وله أخ أو أخت فهؤلاء الاخوة من الام ان كان واحدا فله السدس وان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث ذكرهم وأنثاهم فيه سواء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فهؤلاء الاخوة من الام فهم شركاء فى الثلث سواء الذكر والانثى وقوله فلكل واحد منهما السدس اذا انفرد الاخ وحده أو الاخت وحدها ولم يكن أخ غيره أو غيرها من أمه فله السدس من ميراث أخيه لامه فان اجتمع أخ وأخت أو أختان لا ثالث معهما لامهما أو أختان كذلك أو أخ وأخت ليس معهما غيرهما من أمهما فلكل واحد منهما من ميراث أخيهما لامهما السدس وان كانوا أكثر من ذلك يعنى فان كان الاخوة والاخوات لام الميت الموروث كلالة أكثر من اثنتين فهم شركاء فى الثلث يقول فالثلث الذى فرضت لاثنتين اذا لم يكن غيرهما من أمهما ميراثا لهما من أخيهما الميت الموروث كلالة شركة بينهم اذا كانوا أكثر من اثنين الى ما بلغ عددهم على عدد رؤسهم لا يفضل ذكرهم على أنثى فى ذلك ولكنه بينهم بالسوية فان قال قائل وكيف قيل وله أخ أو أخت ولم يقل لهما أخ أو أخت وقد ذكر مثل ذلك لرجل أو امرأة فقيل وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة قيل ان من شأن العرب اذا قدمت ذكر اسمين قبل الخبر فعطفت باحدهما على الآخر بأو ثم أتت بالخبر أضافت الخبر اليهما أحيانا وأحيانا الى أحدهما واذا أضافت الى أحدهما كان سواء عندها اضافة ذلك الى أى الاسمين الذين ذكرتهما اضافته فتقول من كان عنده غلام أو جارية فليحسن اليه يعنى فليحسن الى الغلام وفليحسن اليها يعنى فليحسن الى الجارية وفليحسن اليهما وأما قوله فلكل واحد منهما السدس وقد تقدم ذكر الاخ والاخت بعطف أحدهما على الآخر والدلالة على أن المراد بمعنى الكلام أحدهما فى قوله وله أخ أو أخت فان ذلك انما جاز لان معنى الكلام ولكل واحد من المذكورين السدس ۞ القول فى تأويل قوله (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم) يعنى جل ثناؤه بقوله من بعد وصية يوصى بها أى هذا الذى فرضت لاخى الميت الموروث كلالة وأخته أو اخوته وأخواته من ميراثه وتركته انما هو لهم من بعد قضاء دين الميت الذى كان عليه يوم

الطيب وهو حفظها والتورع منها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان يأخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردىء قال صاحب الكشاف هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل يريد ان الباء فى بدل تدخل على المأخوذ وفى تبدل على المعطى ولما كان المأخوذ الطيب كان تبديلا ثم وجهه بانه لعله يكارم صديقه فيأخذ منه بعضا ويعطيه مكان سمينة من مال الصبى فيكون الباء فى موضعه وقيل معنى الآية ان يأكل مال اليتيم سلقا مع التزام بدله فيكون متبدلا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم منضمة الى أموالكم فى الانفاق تسوية بين المالين فى الحل انه أى الاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما والحوب مثلث والتركيب يدور على الضعف والمراد بالاكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل الى ههنا بمعنى مع والفائدة فى زيادة قوله الى أموالكم وأكل أموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح والتوبيخ لانهم اذا كانوا مستغنين عنها بأموالهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا فى مال اليتيم كانوا بالذم أحرى ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنهى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم وان خفتم ألا تقسطوا أقسط الرجل عدل وقسط جار وقال الزجاج أصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا أقسط فمعناه ظلم صاحبه فى قسطه من قولهم قاسطته فقسطته أى غلبته على قسطه واذا قالوا أقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل أنصف اذا أتى بالنصف فيلزمه العدالة والتسوية واعلم ان قوله وان خفتم شرط وقوله فانكحوا جواب له ولا بد من بيان ان هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط والمفسرين فيه وجوه الاول ما روى عن عروة انه قال قلت لعائشة ما معنى قول الله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فقالت

يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها وجمالها الا أنه يريد أن ينكحها بادنى من صداق امثالها فنهوا عن نكاحها معاملة رديئة لعلة بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج عنها فقال تعالى وان خفتم أن تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من العدد قالت (١٨٠) عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فانزل الله تعالى يستفتونك في النساء الآية فقوله فيهما وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد هذه الآية وهي قوله وان خفتم أن لا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة أخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويغرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم أن لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثاني وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي منقولا عن ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة وهي أكل أموال اليتامى من الحوب الكبير خاف الاولياء لحوق الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج وأكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى في العجز والضعف فقالوا عددا لمنكوحات لان من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فكأنه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا من الحرج خائفين من الزنا أيضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روى عن عكرمة كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده اليتيمة فاذا أنفق ماله على النسوة أخذ في انفاق أموال اليتامي عليهن فقيل ان خفتم أن تظلموا اليتامى بأكل أموالهم عند كثرة الزوجات فقد حظرت لكم أن تنكحوا أكثر من أربع ليزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع أيضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع

حدث به حدث الموت من تركته وبعد انفاذ وصاياه الجائزة التي يوصي بها في حياته لمن أوصى له بها بعد وفاته كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من بعد وصية يوصي بها او دين والدين أحق ما بدئ به من جميع المال فيؤدى عن أمانة الميت ثم الوصية ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم وأما قوله غير مضار فانه يعني تعالى ذكره من بعد وصية يوصي بها غير مضار ورثته في ميراثهم عنه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله غير مضار قال في ميراث أهله حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله غير مضار قال في ميراث أبيه حدثنا بشر بن معاذ قال ثني يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله غير مضار وصية من الله ان الله تبارك وتعالى كره الضرار في الحياة وعند الموت ونهى عنه وقدم فيه فلا تضار في حياة ولا موت حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا عبيدة بن حميد وثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية جميعا عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية غير مضار وصية من الله والله عليم حليم قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الحيف في الوصية من الكبائر حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي وعبد الاعلى قالا ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الضرار والحيف في الوصية من الكبائر حدثني موسى بن سهل الرملي قال ثنا اسحق بن ابراهيم أبو النضر قال ثنا عمرو بن المغيرة قال ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو عمرو التيمي عن أبي الضحى قال دخلت مع مسروق على مريض فاذا هو يوصي قال فقال له مسروق اعدل لا تضل ونصبت غير مضار على الخروج من قوله يوصي بها وأما قوله وصية فان نصبه من قوله يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وسائر ما أوصى به في الاثنين ثم قال وصية من الله مصدرا من قوله يوصيكم وقد قال بعض أهل العربية ذلك منصوب من قوله فلكل واحد منهما السدس وصية من الله وقال هو مثل قولك لك درهمان نفقة الى أهلك والذي قلناه بالصواب أولى لان الله جل ثناؤه افتتح ذكر قسمة المواريث في هاتين الآيتين بقوله يوصيكم الله ثم ختم ذلك بقوله وصية من الله أخبر أن جميع ذلك وصية منه بعباده فنصب قوله وصية على المصدر من قوله يوصيكم أولى من نصبه على التفسير من قوله فلكل واحد منهما السدس لما ذكرنا ويعني بقوله تعالى ذكره وصية من الله عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم والله عليم يقول والله ذو علم بمصالح خلقه ومضارهم ومن يستحق أن يعطى من أقربائه من مات منكم وانسابه من ميراثه ومن يحرم ذلك منهم ومبلغ ما يستحق به كل من استحق منهم قسما وغير ذلك من أمور عباده ومصالحهم حليم يقول ذو حلم على خلقه وذو أناة في تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضا في اعطائهم الميراث لاهل الجلد والقوة من ولد الميت وأهل الغناء والباس منهم دون أهل الضعف والعجز من صغار ولده واناثهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم

والثانى وهو الواحد ونبه بذلك على ما بينهما فكأنه قيل ان خفتم الاربع فثلاثا وان خفتم فاثنين وان خفتم فواحدة قال الظاهريون النكاح واجب لقوله فانكحوا وظاهر الامر الوجوب وعورض بقوله تعالى لمن تشتهى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بخوف العنت فلا يلزم منه الوجوب على الاطلاق وأيضا الآية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال طاب ولم يقل من طاب لانه أراد به الجنس تقول ما عندك فيقال رجل أو امرأة تريد ما ذلك الشئ الذى عندك أو ما تلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله أو ما ملكت أيمانكم ولان ما ومن يتعاقبان قال تعالى والسماء وما بناها أنهم من يمشى على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم أى ما حل لكم من النساء لان فيهن من يحرم نكاحها كما سيجىء واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا أمر اباحة فيؤل المعنى الى قوله أبحت لكم نكاح من هى مباحة لكم وهذا كلام مستدرك سلمناه لكن الآية تصير مجملة لان أسباب الحل والاباحة غير مذكورة فى هذه الآية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص وانه أولى من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص حجة فى غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة أصلا والجواب عن الاول ان ذكر الشئ ضمنا ثم صريحا لا يعد تكرارا بدليل قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثانى ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما بقى بعد ما أخرجته آية التحريم فلا اجمال وأما قوله مثنى وثلاث ورباع ولم يوجد فى كلام الفصحاء الا هذه وأحاد وموحد وجوزوا الى عشار ومعشر قياسا على قول الكميت ولم يستريثوا حتى ربيت * فوق الرجال خصالا عشارا فاتفق الكوفيون على ان فائدتها تقسيم أمر ذى أجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه فى غير العدد مكرر على الاطراد فى كلام العرب نحو قرأت الكتاب جزأ جزأ وجاء فى القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة وكان القياس فى باب العدد أيضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم

(المظيم) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تلك حدود الله فقال بعضهم يعنى به تلك شروط الله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى تلك حدود الله يقول شروط الله وقال آخرون بل معنى ذلك تلك طاعة الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله تلك حدود الله يعنى طاعة الله يعنى المواريث التى نهى الله وقال آخرون معنى ذلك تلك سنة الله وأمره وقال آخرون بل معنى ذلك تلك فرائض الله * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ما نحن مبينوه وهو ان حد كل شئ ما فصل بينه وبين غيره ولذلك قيل لحدود الدار وحدود الارضين حدود لفصولها بين ما حد بها وبين غيره فكذلك قوله تلك حدود الله معناه هذه القسمة التى قسمها لكم ربكم والفرائض التى فرضها لاحيائكم من موتاكم فى هذه الآية على ما فرض وبين فى هاتين الآيتين حدود الله يعنى فصول ما بين طاعة الله ومعصيته فى قسمكم مواريث موتاكم كما قال ابن عباس وانما ترك طاعة الله والمعنى بذلك حدود طاعة الله اكتفاء بمعرفة المخاطبين بذلك بمعنى الكلام من ذكرها والدليل على صحة ما قلنا فى ذلك قوله ومن يطع الله ورسوله الآية التى بعدها ومن يعص الله ورسوله فتأويل الآيتين اذا هذه القسمة التى قسم بينكم أيها الناس عليها رب كم مواريث موتاكم فصول نصل بها لكم بين طاعته ومعصيته وحدود لكم تنتهون اليها فلا تتعدوها فاسلم منكم أهل طاعته من أهل معصيته فيما أمركم به من قسمة مواريث موتاكم بينكم وفيما نهاكم عنه منها ثم أخبر جل ثناؤه عما أعد لكل فريق منهم فقال لفريق أهل طاعته فى ذلك ومن يطع الله ورسوله فى العمل بما أمره به وانتهائه الى ما حده له فى قسمة المواريث وغيرها ويجتنب ما نهاه عنه فى ذلك وغيره يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار فقوله يدخله جنات يعنى بساتين تجرى من تحت غروسها وأشجارها الانهار خالدين فيها يقول باقين فيها أبدا لا يموتون فيها ولا يظعنون ولا يخرجون منها ذلك الفوز العظيم يقول وادخال الله اياهم الجنان التى وصفها على ما وصف من ذلك الفوز العظيم يعنى الفلج العظيم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله الآية قال فى شان المواريث التى ذكر قبل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تلك حدود الله التى حد الله خلقه وفرائضه بينهم من الميراث والقسمة فانتهوا اليها ولا تعدوها الى غيرها ﴿ القول فى تاويل قوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) يعنى بذلك جل ثناؤه ومن يعص الله ورسوله فى العمل بما أمره به من قسمة المواريث على ما أمراه به بقسمة ذلك بينهم وغير ذلك من حدوده يدخله نارا خالدا فيها يقول باقيا فيها أبدا لا يموت ولا يخرج منها أبدا وله عذاب مهين يعنى وله عذاب مذل من عذب به مخزى له وبنحو ما قلنا فى تاويل ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده الآية فى شان المواريث التى ذكر قبل قال ابن جريج ومن يعص الله ورسوله قال من أصاب من الذنوب ما يعذب الله

الاغلب فلما وجد ثلاث مثلا غير مكرر لفظا حكم بان أصله لفظ مكرر وليس الا ثلاثة ثلاثة فعند سيبويه منع صرف مثل هذا العدل والوصف الاصلى فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل ان فيه عدلا مكررا من حيث اللفظ لان أصله كان ثلاثة ثلاثة حرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلاث أو مثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما فى الكشاف واذا جرى على النكرة فمحمول على البدل وضعف بعدم جريانه على المعرف ولو قوعه حالا (معنى الآية فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أو بعافان خفتم أن لا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة ثم قرأ بالنصب أراد فاختاروا أو انكحوا أو الزموا واحدة ومن قرأ بالرفع أراد فكفت واحدة ومن قرأ بالرفع أراد فان الامر كذلك يدور مع العدل فاينما وجدتموه فعليكم به ثم قال أو ما ملكت أيمانكم فى السوى فسوى فى السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شاء من الاماء لانهن أقل تبعة وأخف مؤنة من المهائر لا على المرء أكثر منهن أو أقل عدل بينهن فى القسم أم لم يعدل عزل عنهن أم لم يعزل ولما كانت التسوية بينها وبينهن احتج بها الشافعى فى بيان ان نوافل العبادات أفضل من النكاح وذلك للاجماع على ان الاشتغال بالنوافل أفضل من التسرى فوجب أن يكون أفضل من النكاح لان الزائد على أحد المتساويين يكون زائدا على المتساوى الآخر ولمانع أن يمنع التسوية فان قول الطبيب مثلا للمريض كل التفاح والرمان يحتمل أن يكون التسوية بينهما وقد يكون للمقاربة أى ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه فى دفع الحاجة للضرورة ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى ان أكثر الفقهاء على ان نكاح الاربع مشروع سيلا

عليه * فان قال قائل أو يخلد فى النار من عصى الله ورسوله فى قسمة المواريث قيل نعم اذا جمع الى معصيتهما فى ذلك شكا فى ان الله فرض عليه ما فرض على عباده فى هاتين الآيتين أو علم ذلك فجاد الله ورسوله فى أمرهما على ما ذكر ابن عباس من قول من قال حين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الى تمام الآيتين أو ورث من لا يركب الفرس ولا يقاتل العدو ولا يحوز الغنيمة نصف المال أو جميع المال استنكارا منهم قسمة الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه واناث ولده ممن خالف الله ما قسم من ميراث أهل المواريث بينهم على ما قسمه فى كتابه وخالف حكمه فى ذلك وحكم رسوله استنكارا منه حكمهما كما استنكره الذين ذكر أمرهم ابن عباس ممن كان بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين الذين فيهم نزلت وفى أشكالهم هذه الآية فهو من أهل الخلود فى النار لانه باستنكاره حكم الله فى ذلك يصير بالله كافرا ومن ملة الاسلام خارجا * القول فى تاويل قوله (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) يعنى بقوله جل ثناؤه واللاتى يأتين الفاحشة والنساء اللاتى يأتين بالزنا أى يزنين من نسائكم وهن محصنات ذوات أزواج أو غير ذوات أزواج فاستشهدوا عليهن أربعة منكم يقول فاستشهدوا عليهن بما أتين به من الفاحشة أربعة رجال من رجالكم يعنى من المسلمين فان شهدوا عليهن فامسكوهن فى البيوت يقول فاحبسوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت يقول حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا يعنى أو يجعل الله لهن مما أتين به من الفاحشة مخرجا وطريقا الى النجاة مما أتين به من الفاحشة ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعى عن محمد بن يزيد قال ثنا يحيى بن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت أمر بحبسهن فى البيوت حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا قال الحد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم قال الزنا كان أمر بحبسهن حين يشهد عليهن أربعة حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا والسبيل الحد حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم الى أو يجعل الله لهن سبيلا فكانت المرأة اذا زنت حبست فى البيت حتى تموت ثم أنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فان كانا محصنين رجما فهذا سبيلهما الذى جعل الله لهما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو يجعل الله لهن سبيلا فقد جعل الله لهن وهو الجلد والرجم حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واللاتى يأتين الفاحشة حتى بلغ أو يجعل الله لهن سبيلا فان هذا من قبل الحدود فكانا يؤذيان بالقول جميعا ويحبس المرأة ثم جعل الله لهن سبيلا فكان سبيل من أحصن جلد مائة ثم رجم بالحجارة وسبيل من لم يحصن جلد مائة ونفى سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبى رباح وعبد الله بن كثير الفاحشة الزنا والسبيل الحد والرجم والجلد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم الى أو يجعل الله لهن

الاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يتمكن من النكاح الا باذن مولاه وأيضا انه قال بعد ذلك فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لان هذه

سبيلا هؤلاء اللاتى قد نكحن وأحصن اذا زنت المرأة فانها كانت تحبس فى البيت ويأخذ زوجها مهرها فهو له فذلك قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف حتى جاءت الحدود فنسخت الجلد ورجمت وكان مهرها مسيرا فكان السبيل هو الجلد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول فى قوله أو يجعل الله لهن سبيلا قال الحد نسخ الحد هذه الآية حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى عن اسرائيل عن خصيف عن مجاهد أو يجعل الله لهن سبيلا قال جلد مائة الفاعل والفاعلة حدثنا الرفاعى قال ثنا يحيى عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الجلد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشى عن عبادة بن الصامت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحى نكس رأسه ونكس أصحابه رؤسهم فلما سرى عنه رفع رأسه فقال قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر أما الثيب فتجلد ثم ترجم وأما البكر فتجلد ثم تنفى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن حطان بن عبد الله عن عبادة بن الصامت قال قال نبى الله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب تجلد مائة وترجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله أخى بنى رقاش عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه ذات يوم فلقى ذلك فلما سرى عنه قال خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب جلد مائة ثم رجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة ثم نفى سنة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا قال يقول لا تنكحوهن حتى يتوفاهن الموت ولم يخرجهن من الاسلام ثم نسخ هذا وجعل السبيل التى ذكر أن يجعل لهن سبيلا قال فجعل السبيل اذا زنت وهى محصنة رجمت وجعل السبيل للبكر جلد مائة حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا قال الجلد والرجم حدثنا المثنى قال ثنا محمد بن أبى جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشى عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر الثيب تجلد وترجم والبكر تجلد وتنفى حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن اسمعيل بن مسلم البصرى عن الحسن عن عبادة بن الصامت قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذا حجر وجهه وكان يعرف ذلك اذا نزل عليه الوحى فأخذه كهيئة الغشى لما يجد من ثقل ذلك فلما أفاق قال خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكران يجلدان وينفيان سنة والثيبان يجلدان ويرجمان * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصحة فى تأويل قوله أو يجعل الله لهن سبيلا قول من قال السبيل التى جعلها الله جل ثناؤه للثيبين المحصنين الرجم بالحجارة وللبكر بن جلد مائة ونفى سنة لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم ولم يجلد واجماع الحجة التى لا يجوز عليها فيما نقلته مجمعة عليه الخطأ والسهو والكذب وصحة الخبر عنه انه قضى فى البكر بن بجلد مائة ونفى سنة فكان فى الذى صح عنه من ذلك من تركه

ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب أن يحصل للعبد نصفها لخبر الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج باى عدد أريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اطلاق فى جميع الاعداد لصحة استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا ينافى ثبوت الحكم فى الباقى بل نقول ذكرها يدل على نفى الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى البستان كان تصريحا فى ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وأيضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيه على حصول الاذن فى جميعها ولئن سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن فى جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها وأما السنة فلما ثبت بالتواتر انه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع وقد أمرنا باتباعه فى قوله فاتبعوه وأقل مراتب الامر الاباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فمن رغب عن سنتى فليس منى والمعتمد عند الجمهور فى جوابهم أمران أحدهما الخبر كنحو ما روى ان نوفل بن معاوية أسلم وتحته خمس نسوة فقال صلى الله عليه وسلم امسك أربعا وفارق واحدة وزيف بان القرآن دل على عدم الحصر ونسخ القرآن بخبر الواحد غير جائز وبان الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع النسب أو الرضاع وأقول ان القرآن لم يدل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وأيضا قوله امسك أربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على ان المانع هو الزيادة على الاربع لا غيرها وكذا فى نظائر هذا الحديث وثانيهما اجماع فقهاء الامصار وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب

ان المخالف اذا كان شاذا فلا يعبأ به والقرآن لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل على وجود ناسخ في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ولئن سلم ان القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي أن يقال مثنى أو ثلاث (١٨٤) أو رباع بالواو الفاصلة لانا نقول يلزم حينئذ أن لا يجوز النكاح الا على أحد هذه الاقسام فلا يجوز لبعضهم ان يأتي بالثنية ولغيره ثنان بالثلاث ولآخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع العصمة الذي دلت عليه الواو وذلك أدنى أن لا تعولوا أي اختيار الواحدة أو التسري أقرب من ان لا تميلوا أو لا تجوروا وكلا اللفظين مروي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه أن لا تفتقروا ورجل عائل أي فقير وذلك انه اذا قل عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي انه قال معناه أن لا تكثر عيالكم وطعن فيه بعض المعاصرين ان هذا في اللغة معنى تعيلوا والامعنى تعولوا يقال أعال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس أن لا تعيلوا وأيضا انه لا يناسب أول الآية وان خفتم أن لا تقسطوا وأيضا هب انه يقل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقال عند اختيار التسري ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى تفسير اللغة وانما زعم انه تعالى أشار الى الشيء بذكر لازمه أي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وقرر الكناية في الكشاف على وجه آخر وهو انه جعل قوله تعالى أن لا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يعونهم اذا أنفق عليهم ولا شك ان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه مشتركين

الحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم وهو الانفاق وأراد الملزوم وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور وأراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني ان جل الكلام على ما لا يلزم منه تكرار أولي وبتقدير التسليم

جلد من رجم من الزناة في عصره دليل واضح على وهي الخبر الذي روى عن الحسن عن حطان عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السبيل الثيب المحصن الجلد والرجم وقد ذكر ان هذه الآية في قراءة عبد الله واللاتي يأتين بالفاحشة من نسائكم والعرب تقول أتيت أمرا عظيما وبامر عظيم وتكلمت بكلام قبيح وكلاما قبيحا ۞ القول في تأويل قوله (واللذان يأتيانها منكم) يعني جل ثناؤه بقوله واللذان يأتيانها منكم والرجل والمرأة اللذان يأتيانها يقول يأتيان الفاحشة والهاء والالف في قوله يأتيانها عائدة على الفاحشة التي في قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم والمعنى واللذان يأتيان منكم الفاحشة فآذوهما ثم اختلف أهل التأويل في المعني بقوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فقال بعضهم هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير اللاتي عنين بالآية قبلها وقالوا قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم معني به الثيبات المحصنات بالازواج وقوله واللذان يأتيانها منكم يعني به البكران غير المحصنين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ذكر الجواري والنساء اللذين لم ينكحوا فقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللذان يأتيانها منكم البكران فآذوهما وقال آخرون بل عني بقوله واللذان يأتيانها منكم الرجلان الزانيان ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال الرجلان الفاعلان لا يكنى حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واللذان يأتيانها منكم الزانيان وقال آخرون بل عني بذلك الرجل والمرأة الا انه لم يقصد به بكر دون ثيب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن عطاء واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال الرجل والمرأة حدثنا محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى قوله أو يجعل الله لهن سبيلا فذكر الرجل بعد المرأة ثم جمعهما جميعا فقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء وعبد الله بن كثير قوله واللذان يأتيانها منكم قال هذه للرجل والمرأة جميعا قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في تأويل قوله واللذان يأتيانها منكم قول من قال عني به البكران غير المحصنين اذا زنيا وكان أحدهما رجلا والآخر امرأة لانه لو كان مقصودا بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال كما كان مقصودا بقوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم قصد البيان عن حكم الزواني لقيل والذين يأتونها منكم فاذوهم أو قيل والذي يأتيانها منكم كما قيل في التي قبلها واللاتي يأتين الفاحشة فاخرج ذكرهن على الجمع ولم يقل واللتان يأتيان الفاحشة وكذلك تفعل العرب اذا أرادت البيان على الوعيد على فعيل أو الوعد عليه أخرجت أسماء أهله بذكر الجمع أو الواحد وذلك ان الواحد يدل على جنسه ولا تخرجها بذكر اثنين فتقول الذين يفعلون كذا فلهم كذا والذي يفعل كذا فله كذا ولا تقول اللذان يفعلان كذا فلهما كذا الا أن يكون فعلا لا يكون الا من شخصين مختلفين كالزنا لا يكون الا من زان وزانية فاذا كان ذلك كذلك قيل بذكر الاثنين يراد بذلك الفاعل والمفعول به فاما ان يذكر بذكر الاثنين والمراد بذلك شخصان في فعل قد ينفرد كل واحد منهما به أو في فعل لا يكونان فيه

مشتركين فكذلك ما يعرف في كلامها واذا كان ذلك كذلك فبين فساد قول من قال عنى بقوله والذان يأتيانها منكم الرجلان وصحة قول من قال عنى به الرجل والمرأة واذا كان ذلك كذلك فمعلوم انهما غير اللواتي تقدم بيان حكمهن في قوله واللاتي يأتين الفاحشة لان هاتين اثنتان وأولئك جماعة واذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الحبس كان للثيبات عقوبة حتى يتوفين من قبل أن يجعل لهن سبيلا لانه أغلظ في العقوبة من الاذى الذي هو تعنيف وتوبيخ أو سب وتعيير كما كان السبيل التي جعلت لهن من الرجم أغلظ من السبيل التي جعلت للابكار من جلد المائة وتفي السنة ۞ القول في تأويل قوله (فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما) اختلف أهل التأويل في الاذى الذي كان الله تعالى ذكره جعله عقوبة للذين يأتيان الفاحشة من قبل ان يجعل لهما سبيلا منه فقال بعضهم ذلك الاذى أذى بالقول واللسان كالتعيير والتوبيخ على ما أتى من الفاحشة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فآذوهما قال كانوا يؤذيان بالقول جميعا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما فكانت الجارية والفتى اذا زنيا يعنفان ويعيران حتى يتركا ذلك وقال آخرون كان ذلك الاذى أذى باللسان غير انه كان سبا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فآذوهما سبا وقال آخرون بل كان ذلك الاذى باللسان واليد ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فكان الرجل اذا زنى أوذي بالتعيير فضرب بالنعال * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره كان أمر المؤمنين باذى الزانيين المذكورين اذا أتيا ذلك وهما من أهل الاسلام والاذى قد يقع بكل مكروه نال الانسان من قول ليس بالسان أو فعل وليس في الآية بيان ان ذلك كان أمر به المؤمنون يومئذ ولا خبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل الواحد ولا نقل الجماعة الموجب مجيئها قطع العذر وأهل التأويل في ذلك مختلفون وجائز أن يكون ذلك أذى باللسان واليد وجائز أن يكون كان أذى بهما وليس في العلم بان ذلك كان من أي نفع في دين ولا دنيا ولا في الجهل به مضرة اذ كان الله جل ثناؤه قد نسخ ذلك من حكمه بما أوجب من الحكم على عباده فيهما وفي اللاتي قبلهما فاما الذي أوجب من الحكم عليهم فيهما فما أوجب في سورة النور بقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وأما الذي أوجب في اللاتي قبلهما فالرجم الذي قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما وأجمع أهل التأويل جميعا على ان الله تعالى ذكره قد جعل لاهل الفاحشة من الزناة والزواني سبيلا بالحدود التي حكم بها فيهم وقال جماعة من أهل التأويل ان الله سبحانه نسخ بقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال كل ذلك نسخته الآية التي في النور بالحد المفروض حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية قال هذا نسخته الآية في سورة النور بالحد المفروض حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن

قلة الولد بالاضافة الى التزوج وآتوا النساء صدقاتهن أي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للنا كحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيأ ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيالك الناقة يعنون انك تأخذ مهرها ابلا فتضمها الى ابلك فتنفع مالك أي تعظمه وقال ابن الاعرابي الناقة ما يأخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وأمر بدفع الحق الى أهله وهذا قول الكلبي وأبي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل أن يكون المراد من الايتاء المناولة فيكونوا قد أمروا بدفع المهور التي سموها لهن ويحتمل أن يراد الالتزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد أي حتى يضمنوها ويلتزموها فيكون المعنى أن الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمي ذلك أو لم يسم الا ما خص به الرسول صلى الله عليه وسلم من الموهوبة قال ويجوز أن يراد الوجهان جميعا أما قوله نحلة فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد أي شريعة وديانة فيكون مفعولا له أو حالا من الصدقات أي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي أي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ايتاء

بالمطالبة لا يسمى نحلة أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيأ لان البضع في ملك المرأة بعد النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل

منافع النكاح من قضاء الشهوة والتوالد المشترك بين الزوجين ثم أمر الزوج بأن يؤتي الزوجة المهر وكان ذلك عطية من الله تعالى ابتدأ به ثم لما أمرهم بايتاء الصدقات أباح لهم جواز قبول ابرائها وهبتها وانتصب نفساعلى التمييز وانما وحد لانه لا يلبس ان النفس لهن لا أنهن أنفس ولو جمعت لجاز والضمير في منه للصداق أو للمذكور في قوله طبن وبناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون أن يقول سمحن أو وهبن وفي قوله عن شئ منه دون أن يقول عنه تنبيه على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعث لهن على تقليل الموهوب ولهذا ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها أو أكثر ومن هذا التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض اخراجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور لانه لا يجوز هبة كل الصداق (١٨٦) اذا طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من

عكرمة والحسن البصري قالا في قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية نسخ ذلك بآية الجلد فقال الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فانزل الله بعد هذا الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فان كانا محصنين رجما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الآية جاءت الحدود فنسختها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عتبة بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول نسخ الحد هذه الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فامسكوهن في البيوت الآية قال نسختها الحدود قوله واللذان يأتيانها منكم نسختها الحدود حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية ثم نسخ هذا وجعل السبيل لها اذا زنت وهي محصنة رجمت وأخرجت وجعل السبيل الذكر جلد مائة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت قال نسختها الحدود وأما قوله فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما فانه يعني به جل ثناؤه فان تابا من الفاحشة التي أتيا فراجعا طاعة الله بينهما وأصلحا يقول وأصلحا دينهما بمراجعة التوبة من فاحشتهما والعمل بما يرضى الله فاعرضوا عنهما يقول فاصفحوا عنهما وكفوا عنهما الاذى الذي كنتم أمرتكم أن تؤذوهما به عقوبة لهما على ما أتيا من الفاحشة ولا تؤذوهما بعد توبتهما وأما قوله ان الله كان توابا رحيما فانه يعني ان الله لم يزل راجعا لعبيده الى ما يحبون اذا هم راجعوا ما يحب منهم من طاعته رحيما بهم يعني ذا رحمة ورأفة ۞ القول في تأويل قوله (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة)

يعني بقوله جل ثناؤه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ما التوبة على الله لاحد من خلقه الا للذين يعملون السوء من المؤمنين بجهالة ثم يتوبون من قريب يقول مما الله راجع لاحد من خلقه الى ما يحبه من العفو عنه والصفح عن ذنوبه التي سلفت منه الا للذين يأتون ما يأتونه من ذنوبهم جهالة منهم وهم بربهم مؤمنون ثم يراجعون طاعة الله ويتوبون منها الى ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار وترك العود الى مثله من قبل نزول الموت بهم وذلك هو القريب الذي ذكره الله تعالى ذكره فقال ثم يتوبون من قريب وبنحو ما قلنا فيه في تأويل ذلك قال أهل التأويل غير انهم اختلفوا في معنى قوله بجهالة فقال بعضهم في ذلك بنحو ما قلنا فيه وذهب الى ان عمله السوء هو الجهالة التي عناها ذكر من

الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهني عما يستلذه الآكل والمري عما تحمل عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال المريء لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل أصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب والمريء الجلة فهو عبارة عن التحلل أو المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتان للمصدر أي أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هني مريء وقد يوقف على قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء أو على انهما قاما مقام مصدر بهما أي هنأ مرأ والمراد بالاكل التصرف الشامل للعين والدين قال بعض العلماء ان وهبت ثم طلبت علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة أعطت ثم أرادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم قال الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما أمر بايتاء اليتامى أموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم خفاف الاحلام وان بلغوا أوان التكليف فقال ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء فوردان الانسب ان لو قيل أموالهم وأجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الوحدة الشخصية كقوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل أنفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا هنا المال شئ ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية حسنت اضافة أموال السفهاء الى أوليائهم ويحتمل أن يضاف المال اليهم لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة أدنى سبب وقيل خطاب للآباء انهاهم الله تعالى اذا كان أولادهم سفهاء أن يدفعوا أموالهم أو بعضها اليهم فعلى

هذا تكون اضافة الاموال اليهم حقيقة والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب أجله يجب عليه أن يوصي بماله الى أمين يحفظه على ورثته وقد يرجح القول الاول بان ظاهر النهي التحريم وأجمعت الامة على أن لا يحرم عليه ان يهب من أولاده الصغار ومن النسوان ماشاء من ماله وأجمعوا على انه يحرم الولي أن يدفع الى السفهاء أموالهم وأيضا قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا هذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا الآباء وأقول لا يبعد حمل الآية على كلا القولين لان الاضافة في أموالكم لا تفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية أو اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انهم النساء أزواجا كن أو أمهات أو بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى أبو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء يعني ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة أطاعت قيمها وقد جمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم الاولاد الخفاف (١٨٧) العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير اذا علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله والصحيح ان المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يبني يحفظ المال ولا يدله باصلاحه وتثميره والتصرف فيه ويدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند أهل الدين والعلم بمصالح الدارين فيضع المال فيما لا ينبغي ويفسده ومعنى جعل الله لكم قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قياما فعلى حذف الالف من قياما وهو مصدر قام وأصله قوام قلبت الواو ياء لاعلال فعله فان لم يكن مصدرا لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان أحتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا مجد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا قال هي وان أدنتني فقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه ورب مار أوار جلا في تشييع جنازة فقالوا له اذهب الى مكانك وقال بعض الحكماء من أضاع ماله فقد ضار الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على أهله وفيه الفقر مخذلة والغنى مجذلة والبؤس مرزلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوي كل جرح وطيب بها كل صلح وقال أبو العتاهية أجلك قوم حين صرت الى الغنى * وكل غني في العيون جليل اذا مالت الدنيا على المرء غبت * اليه ومال الناس حيث تميل وليس الغنى الا غنى زين الغنى * عشية يقري أو غداة ينيل وقد اختلف أقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما أخرج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغنى معتدر والفقير عاجز والقدرة أفضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغنى ملابس وترك الدنيا أفضل من ملابستها وهذا قول من غلب عليه حب السلامة وقال

قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية انه كان يحدث ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله للذين يعملون السوء بجهالة قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شئ عصي به فهو جهالة عمدا كان أو غيره حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله للذين يعملون السوء بجهالة قال من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال كل من عمل بمعصية الله فذلك منه بجهل حتى يرجع عنه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ما دام يعصي الله فهو جاهل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل ابن غزوان عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال كل عامل بمعصية فهو جاهل حين عمل بها قال ابن جريج وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال الجهال كل امرئ عمل شيئا من معاصي الله فهو جاهل أبدا حتى ينزع عنها وقرأ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون وقرأ والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين قال من عصا الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته وقال آخرون معنى قوله للذين يعملون السوء بجهالة يعملون ذلك على عمد منهم له ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن مجاهد يعملون السوء بجهالة قال الجهالة العمد قال ثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال الجهالة العمد وقال آخرون معنى ذلك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا

الباقون خير الامور أوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين شعر
ومن كلفته النفس فوق كفافها ❊ فما ينقضي حتى الممات عناؤه والحاصل ان الانسان مالم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال فبذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا وفي آية المداينة حيث أمر بالكتاب والشهادة والرهان المقبوضة فمن أراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن أرادها لعينها فيالها من حسرة وندامة ثم انه سبحانه أمر بعد ذلك بثلاثة أشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو
عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل أن يقولوا اذا ربحت في سفري هذا فعلت بك كما أنت أهله وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك وبارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم أمر دينهم بما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر أي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها وعظوه ونصحه وحثه على الصلاة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما نفرت منه لقبحه فمنكر ثم بين ان السفهاء متى يؤتون أموالهم فشرط في ذلك شرطين أحدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح أن يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلبه هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني ويدخل وقت امكانه باستكمال تسع سنين قرية أو يبلغ خمس عشرة سنة تامة أبي
قرية عند الشافعي وثماني عشرة عند أبي حنيفة وهذان مشتركان بين الغلام والجارية ولها أمارتان أخريان الحيض أو الحبل وللطفل الكفار أمارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة وأما الايناس ففي اللغة الابصار والمراد في الآية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن هنا قال أبو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المأمور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا أذن له في البيع والشراء وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لان الاذن يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه موقوف على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله حسب بما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع والشراء بحضوره ثم باستكشاف ذلك البيع والشراء منه

الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال الدنيا كلها جهالة ❊ قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال تأويلها انما التوبة على الله للذين يعملون السوء وعملهم السوء هو الجهالة التي جهلوها عامدين كانوا للاثم أو جاهلين بما أعد الله لاهلها وذلك انه غير موجود في كلام العرب تسمية العامد للشيء الجاهل به الا أن يكون معنيا به انه جاهل بقدر منفعته ومضرته فيقال هو به جاهل على معنى جهله بمعنى نفعه وضره فأما اذا كان عالما بقدر مبلغ نفعه وضره قاصدا اليه فغير جائز من غير قصده اليه أن يقال هو به جاهل لان الجاهل بالشيء هو الذي لا يعلمه ولا يعرفه عند التقدم عليه أو يعلمه فيشبهه فاعله اذ كان خطأ ما فعله بالجاهل الذي يأتي الامر وهو به جاهل فيخطئ موضع الاصابة منه فيقال انه لجاهل به وان كان به عالما لاتيانه الامر الذي لا يأتي مثله الا أهل الجهل به وكذلك معنى قوله يعملون السوء بجهالة قيل فيهم يعملون السوء بجهالة وان أتوه على علم منهم بمبلغ عقاب الله أهله عامدين اتيانه مع معرفتهم بانه عليهم حرام لان فعلهم ذلك كان من الافعال التي لا يأتي مثله الا من جهل عظيم عقاب الله عليه أهله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة فقيل لمن أتاه وهو به عالم أتاه بجهالة بمعنى انه فعل فعل الجهال به لانه كان به جاهلا وقد زعم بعض أهل العربية ان معناه انهم جهلوا كنه ما فيه من العقاب فلم يعلموه كعلم العالم وان علموه ذنبا فلذلك قيل يعملون السوء بجهالة ولو كان الامر على ما قال صاحب هذا القول لوجب أن لا تكون توبة لمن علم كنه ما فيه وذلك انه جل ثناؤه قال انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب دون غيرهم فالواجب على صاحب هذا القول أن لا يكون للعالم الذي عمل سوأ على علم منه بكنه ما فيه ثم تاب من قريب توبة وذلك خلاف الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان كل تائب عسى الله أن يتوب عليه وقوله باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس من مغربها وخلاف قول الله عز وجل الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ❊ القول في تأويل قوله (ثم يتوبون من قريب) اختلف أهل التأويل في معنى القريب في هذا الموضع فقال بعضهم معنى ذلك ثم يتوبون في صحتهم قبل مرضهم وقبل موتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي ثم يتوبون من قريب والقريب قبل الموت ما دام في صحته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب قال في الحياة والصحة وقال آخرون بل معنى ذلك ثم يتوبون من قبل معاينته ملك الموت ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن

ومافيهما من المنافع والمفاسد وقد يدفع اليه شيأ ليبيع او يشترى فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولى بعد ذلك يتم العقد لو أراد والد الزارع يختبر فى أمر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف فيما يتعلق بحرفته والمرأة فى أمر القطن والغزل وحفظ الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفأر وما أشبهها ولا يكفى المرة الواحدة فى الاختبار بل لابد من مرتين وأكثر على ما يليق بالحالى ويفيد غلبة الظن انه رشد فوعا من الرشد يختص بحاله لا الرشد من جميع الوجوه وعلى أكمل ما يمكن وانهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه لابد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يقدر الغير على خديعته ثم ان أبا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله وقال الشافعى لابد مع ذلك من الاهتداء لمصالح الدين فان الفاسق لا يحلو من اتلاف المال فى الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عن فرعون فى قوله وما أمر فرعون برشيد مع انه كان يراعى مصالح الدنيا ويتفرع على القولين (١٨٩) ان الشافعى يرى الحجر على الفاسق وأبو حنيفة لا يراه ثم انه اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند أصحاب أبى حنيفة وعند الشافعى لا يدفع اليه أبدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الآية وعند أبى حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير أحوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس ثم قال ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومصدران فى موضع الحال أى مسرفين ومبادرين كبرهم أو مفعول لهما أى لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير وقد قصد والامساك والكبر فى السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا أى أسن وكبر بالضم يكبر كبرا وكبارة أى عظم نهاهم عن الافراط فى الانفاق كما يشتهون قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه وليتركه وفى السين زيادة مبالغة كأنه طلب مزيد العفة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وللعلماء خلاف فى ان الوصى هل له أن ينتفع بمال اليتيم قال الشافعى له أن يأخذ قدر ما يحتاج اليه بقدر أجرة عمله لان النهى فى الآية عن الاسراف مشعر بان له أن يأكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا ولما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال أفاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروى ان عمر بن الخطاب كتب الى عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم أما بعد فانى قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الا وانى قد أنزلت نفسى وايا كم من مال الله منزلة والى مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وأيضا قياسا على الساعى فى أخذ الصدقات وجمعها فانه يضرب له فى تلك الصدقات بسهم فكذا هنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وأبى العالية ان له أن يأخذ بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا أيسر قضاه وان مات ولم

أبى طلحة عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب والقريب فيما بينه وبين أن ينظر الى ملك الموت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران بن حدير قال قال أبو مجلز لا يزال الرجل فى توبة حتى يعاين الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال القريب ما لم ينزل به آية من آيات الله تعالى وينزل به الموت حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب له التوبة ما بينه وبين أن يعاين ملك الموت فاذا ناب حين ينظر الى ملك الموت فليس له ذلك وقال آخرون بل معنى ذلك ثم يتوبون من قبل الموت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن رجل عن الضحاك ثم يتوبون من قريب قال كل شئ قبل الموت فهو قريب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة ثم يتوبون من قريب قال الدنيا كلها قريب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم يتوبون من قريب قبل الموت حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة عن أبى قلابة قال ذكر لنا أن ابليس لما لعن وانتظر قال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال تبارك وتعالى وعزتى لا أمنعه التوبة مادام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة قال كنا عند أنس بن مالك ونحن أبو قلابة فحدث أبو قلابة قال ان الله تبارك وتعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فقال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم فقال الله تبارك وتعالى وعزتى لا أمنعه التوبة مادام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن أبى قلابة قال ان الله تبارك وتعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فانظره الى يوم الدين قال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح قال وعزتى لا أحجب عنه التوبة مادام فيه الروح حدثنى ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما رأى آدم أجوف قال وعزتك لا أخرج من جوفه مادام فيه الروح فقال الله تبارك وتعالى وعزتى لا أحول بينه وبين التوبة مادام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبى أيوب بشر بن كعب أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف

يقدر على القضاء فلا شئ عليه وأكثر العلماء على ان هذا الاعتراض انما يأتي في أصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما وأما التناول من ألبان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال وقال أبو بكر الرازي الذي نعرفه من مذهب أصحابنا انه لا يأخذه لا على سبيل القرض ولا على سبيل الابتداء سواء كان غنيا أو فقيرا واحتج بقوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وأجيب بانها عامة وقوله فليأكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما وأجيب بان محل النزاع هو ان أكل الوصي مال اليتيم ظلم أولا قال وأن تقوموا لليتامى بالقسط وهو أيضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على أن الوصي اذا دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط أن يشهد عليه اظهارا للامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال أبو حنيفة وأصحابه يصدق (١٩٠) بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وظاهر الامر الوجوب ولانه أمين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي ولا كمال الشفقة كالاب نعم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتغيره الناس عن قبول الوصاية وكفى بالله حسيبا أي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا كالشريب بمعنى الشارب وفيه تهديد للولي واليتيم أن يتصادقوا ولا يتكاذبوا والباء في بالله زائدة نظرا الى أصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم من ههنا شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس ان أوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كحة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت وصياه سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا ابنائه شيأ وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا يعطى الا من قاتل على ظهور الخيل وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة قال فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أوس بن ثابت مات وترك لي بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا لبناته من المال شيأ فدعاهما رسول الله فقالا يا رسول الله ولده لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكي عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى انظر ما يحدث الله لي فيهن فانصرفوا فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية فبعث اليهما ان لا تصرفا من مال أوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يتبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وسبب الاجمال في الآية ثم التفصيل فيما بعد هو ان العظام من المال وقع شديدا والتدريج في الامور أب الحكيم وهكذا تنزل الاحكام والتكاليف شيأ بعد شئ الى أن كملت الشريعة الحقة ثم الدين الحنيفي مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بتكرير العامل

عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال تاويله ثم يتوبون قبل مماتهم في الحال التي يفهمون فيها أمر الله تبارك وتعالى ونهيه وقبل أن يغلبوا على أنفسهم وعقولهم وقبل حال اشتغالهم بكرب الحشرجة وغم الغرغرة فلا يعرفوا أمر الله ونهيه ولا يعقلوا التوبة لان التوبة لا تكون توبة الا من ندم على ما سلف منه وعزم فيه على ترك المعاودة وهو يعقل الندم ويختار ترك المعاودة فاما اذا كان بكرب الموت مشغولا وبغم الحشرجة مغمورا فلا حالة له الا عين الندم على ذنوبه مغلوبا وذلك قال من قال ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر العبد بنفسه فان كان المرء في تلك الحال يعقل عقلا صحيحا ويفهم فهم العاقل الاديب فاحدث انابة من ذنوبه ورجعة من شروده عن ربه الى طاعته كان ان شاء الله ممن دخل في وعد الله الذي وعد التائبين اليه من اجرامهم من قريب بقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ۞ القول في تاويل قوله (فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما) يعني بذلك جل ثناؤه فاولئك فهؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب يتوب الله عليهم دون من لم يتب حتى غلب على عقله وغمرته حشرجة ميتته فقال وهو لا يفقه ما يقول اني تبت الآن خذا لما هو به ونفاقا في دينه ومعنى قوله يتوب الله عليهم يرزقهم انابة الى طاعته ويتقبل منهم أو بتهم اليه وتوبتهم التي أحدثوها من ذنوبهم وأما قوله وكان الله عليما حكيما فانه يعني ولم يزل الله جل ثناؤه عليما بالناس من عباده المنيبين اليه بالطاعة بعد ادبارهم عنه المقبلين اليه بعد التولي عنه بغير ذلك من أمور خلقه حكيم في توبته على من تاب منهم من معصيته وفي غير ذلك من تدبيره وتقديره ولا يدخل أفعاله خلل ولا يخالطه خطا ولا زلل ۞ القول في تاويل قوله (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن) يعني بذلك جل ثناؤه وليست التوبة للذين يعملون السيئات من أهل الاصرار على معاصي الله حتى اذا حضر أحدهم الموت يقول اذا حشرج أحدهم بنفسه وعاين ملائكة ربه قد أقبلوا اليه لقبض روحه قال وقد غلب على نفسه وحيل بينه وبين فهمه بشغله بكرب حشرجته وغمرته اني تبت الآن يقول فليس لهذا عند الله تبارك وتعالى توبة كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن يعلى بن نعمان قال أخبرني من سمع ابن عمر يقول التوبة مبسوطة ما لم يسق ثم قرأ ابن عمر وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ثم قال وهل الحضور الا السوق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات

ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص تقديره أعني نصيبا مقطوعا مقدرا لابد لهم أن يعطوه أو على المصدر للمؤكد كأنه قيل فسيفرض فرضة
احتج بعض أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال وأولاد البنات لان الكل من الاقربين
غاية ما في الباب ان مقدار انصبائهم غير مذكور وههنا الا أنا نثبت بالآية استحقاقهم لاصل النصيب ونستفيد المقادير من سائر الدلائل وأجيب
بانه تعالى قال نصيبا مفروضا والاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر وأيضا الواجب عندهم ما علم ثبوته بدليل مظنون والمفروض ما علم
بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا انه غير مراد من الآية وأيضا ليس المراد بالاقربين من له قرابة ما
وان كانت بعيدة والا دخل جميع أولاد آدم فيه فالمراد اذن أقرب الناس الى الوارث وماذا الا الوالدان والاولاد ودخول الوالدين في الاقربين
يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار والله تعالى اعلم قال المفسرون انه تعالى (١٩١) لما ذكر في الآية للنساء سهوة بالرجال في ان لهن

السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن قال اذا تبين الموت فيه لم يقبل الله له توبة
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أحمد بن فضيل عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن
عباس وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فليس
لهذا عند الله توبة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت ابراهيم
ابن ميمون يحدث عن رجل من بني الحرث قال ثنا رجل منا عن عبد الله بن عمر انه قال من تاب قبل
موته بعام تيب عليه حتى ذكر شهرا حتى ذكر ساعة حتى ذكروا فاقال فقال رجل كيف يكون هذا
والله تعالى يقول وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت
الآن فقال عبد الله أنا أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال
ثنا أبي عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم قال كان يقال التوبة مبسوطة ما أخذ بكظمه
واختلف أهل التأويل فيمن عنى بقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم
الموت قال اني تبت الآن فقال بعضهم عنى به أهل النفاق ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال
ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم
يتوبون من قريب قال نزلت الاولى في المؤمنين ونزلت الوسطى في المنافقين يعني وليست التوبة للذين
يعملون السيئات والاخرى في الكفار يعني ولا الذين يموتون وهم كفار وقال آخرون بل عنى بذلك أهل
الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن
سفيان قال بلغنا في هذه الآية وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال
اني تبت الآن قال هم المسلمون ألا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار وقال آخرون بل هذه الآية
كانت نزلت في أهل الايمان غير انها نسخت ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد
الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فانزل
الله تبارك وتعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله تعالى
المغفرة على من مات وهو كافر وارجأ أهل التوحيد الى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة * قال أبو جعفر
وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب ما ذكره الثوري انه بلغه انه في الاسلام وذلك ان المنافقين كفار فلو
كان معنيا به أهل النفاق لم يكن لقوله ولا الذين يموتون وهم كفار معنى مفهوم لانهم ان كانوا هم والذين
قبلهم في معنى واحد من أن جميعهم كفار فلا وجه لتفريق أحد منهم في المعنى الذي من أجله بطل أن

حظا من الميراث وعلم ان في الاقارب
من يرث وفيهم من لا يرث وربما
حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم
قال واذا حضر القسمة أولو القربى
الآية ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم
من قال باستحبابه وعلى الوجوب فعن
سعيد بن المسيب والضحاك انها
منسوخة بآية المواريث وعن أبي
موسى الاشعري وابراهيم النخعي
والشعبي والزهري ومجاهد والحسن
وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها
مما تهاون به الناس قال الحسن
أدركنا الناس وهم يقسمون على
القرابات واليتامى والمساكين من
الورق والذهب فاذا آل الامر الى
قسمة الارضين والرقيق وما أشبه ذلك
قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون
لهم ارجعوا بورك فيكم وعلى
الاستحباب وهو مذهب فقهاء
الامصار اليوم قالوا ان هذا الرضخ
يستحب اذا كانت الورثة كبارا أما
اذا كانوا صغارا فليس الا القول
المعروف كان يقول الولي اني لا أملك
هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء
الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق
وان يكبروا فسيعرفون حقكم

والضمير في منه اما أن يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى
والمساكين أمر الله الموصي أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل أولوا القربى الوارثون واليتامى
والمساكين الذين لا يرثون وقوله وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة
الشرطية وهي ما في حيزه صلة الذين والمعنى ليخش الذين من صفتهم وحالهم أنهم لو تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم وأما المخشي فغير
منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الاوصياء أمروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوهم
ضعافا وأمروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون على أولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد أي الصواب القصد هو أن
لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالقول الجميل ويدعوهم يا بني ويا ولدي وهذا القول الذي مما تقدم ذكره من الآيات

الواردة فى باب الأيتام تنبههم الله على حال أنفسهم وذريتهم اذا تصوروها ليكون ذلك أجدر وما يبعثهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القائل لقد زاد الحياة الى حبا بنائى انهن من الضعاف أخافوأن يرين البؤس بعدى ويان يشربن رنيقا بعد صاف وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيأ فقدم مالك ولا يزالون يامرونه بالوصية الى الاجانب الى أن يستغرق المال بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم ويخشوا على أولاد المريض خوفهم على أولاد أنفسهم لو كانوا وعلى هذا تكون الآية تنهيا للحاضرين عن الترغيب فى الوصية والقول السديد أن يقولوا للمريض لا تسرف فى الوصية فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة رضى الله عنهم يحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز أن تتصل الآية بما قبلها فيكون أمر الورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وأن يتصوروا انهم لو كانوا أولادهم خافوا عليهم

تكون توبة واحد مقبولة وفى تفرقة الله جل ثناؤه بين أسمائهم وصفاتهم بان سمى أحد الصنفين كافرا ووصف الصنف الآخر بانهم أهل سيئات ولم يسمهم كفارا ما دل على افتراق معانيهم وفى صحة كون ذلك كذلك صحة ما قلنا وفساد ما خالفه ۞ القول فى تاويل قوله (ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) يعنى بذلك جل ثناؤه ولا التوبة للذين يموتون وهم كفار فوضع الذين خفض لانه معطوف على قوله للذين يعملون السيئات وقوله أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما يقول هؤلاء الذين يموتون وهم كفار اعتدنا لهم عذابا أليما لانهم أبعدهم من التوبة كونهم على الكفر كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أبى النضر عن أبى صالح عن ابن عباس ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أبعد من التوبة واختلف أهل العربية فى معنى اعتدنا لهم فقال بعض البصريين معنى اعتدنا أفعلنا من العتاد قال ومعناها أعددنا وقال بعض الكوفيين أعددنا واعتدنا معناهما واحد فمعنى قوله اعتدنا لهم أعددنا لهم عذابا أليما يقول مؤلما موجعا ۞ القول فى تاويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة) يعنى تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يقول لا يحل لكم أن ترثوا نكاح نساء أقاربكم وآبائكم كرها فان قال قائل كيف كانوا يرثونهن وما وجه تحريم وراثتهن فقد علمت أن النساء موروثات كما الرجال مورثون قيل ان ذلك ليس من معنى وراثتهن اذا هن متن فتركن مالا وانما ذلك انهن فى الجاهلية كانت احداهن اذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها وان شاء نكحها وان شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت فحرم الله تعالى ذلك على عباده وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم ونهاهم عن عضلهن عن النكاح وبنحو القول الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسباط بن محمد قال ثنا أبو اسحق يعنى الشيبانى عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال كانوا اذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية فى ذلك وحدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الرحمن بن صالح قال ثنى محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن محمد بن أبى امامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لما توفى أبو قيس بن الاسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان ذلك لهم فى الجاهلية فانزل الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثنا ابن حميد قال

الحرمان وعن حبيب بن ثابت سألت مقسما عن الآية فقال هو الرجل الذى يحضره الموت ويريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وامسك على ولدك مالك مع ان ذلك الانسان يجب أن يوصى له وعلى هذا يكون نهيا عن النهى عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم أكد الوعيد فى باب اهمال مال اليتيم فقال ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أى ظالمين أو على وجه الظلم من ولاة السوء وقضاته لا بالمعروف انما يأكلون فى بطونهم أى ملء بطونهم نارا أى ما يجر الى النار وكأنه نار فى الحقيقة وقال السدى يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل فى أفواههم صخرا من النار يخرج من أسافلهم فقال جبريل هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو من صلى فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق ومن قرأ بالضم فمعناه الالقاء فى النار لاجل الاحراق من الاصلاء وقد يشدد من التصلية والمعنى واحد والسعير النار وسعرت النار والحرب هيجتها وألهبتها فهى سعير أى مسعورة والتنكير للتعظيم أى نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا الله قالت المعتزلة لا يجوز أن يدخل تحت هذا الوعيد آكل اليسير من ماله بل لا بد أن يكون مقدار خمسة دراهم لانه القدر الذى وقع عليه الوعيد فى آية الكنز فى منع الزكاة ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم من وجهين من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا أن نزيد فيه شرط عدم العفو وههنا نكتة وهى انه أوعد مانع الزكاة بالكى وآكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار ولا شك ان هذا الوعيد أشد والسبب فيه ان الفقير غير مالك لجزء من النصاب حتى يملكه المالك واليتيم مالك لماله فيكان منع اليتيم أشنع وأيضا

الفقير يقدر على الاكتساب من وجه آخر أو على السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه أظهر وهذا من كمال عناية الله تعالى بالضعفاء فنرجو أن يرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقوته التأويل ذكر الناسين بدو خلقهم بالاشباح والارواح خلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله روحي فهو أبو الارواح وخلق من الروح زوجه وهي النفس خلقها من أدنى شعاع من أشعة أنوار روح محمد صلى الله عليه وسلم وبث منهما رجالا كثيرا أرواحا كاملين ونساء أرواحا ناقصات واتقوا الله الذي تساءلون به أي اتقوه أن تساطوا به غيره والارحام ولا تقطعوا رحم رحمتي بصلة غيري وآتوا اليتامى أموالهم تزكية عن آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروءة وعلو الهمة والعافية ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن آفة الخيانة والخديعة وتحلية بالامانة وسلامة الصدر ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع هذه

ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذي قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد اليه صداقها فأحكم عن ذلك يعني ان الله نهاكم عن ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كانت الانصار تفعل ذلك كان الرجل اذا مات حميمه ورث حميمه امرأته فيكون أولى بها من ولي نفسها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال **ثني** حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الآية قال كان الرجل اذا مات أبوه وحميمه فهو أحق بامرأته ان شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي منه بصداقها أو تموت فيذهب بمالها قال ابن جريج فاخبرني عطاء بن أبي رباح ان أهل الجاهلية كانوا اذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيهم فنزلت لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الآية قال ابن جريج وقال مجاهد كان الرجل اذا توفي أبوه أحق بامرأته ينكحها ان شاء اذا لم يكن ابنها أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه قال ابن جريج وقال عكرمة نزلت في كبشة بنت معن بن عاصم من الاوس توفي عنها أبو قيس بن الاسلت فخبث عليها ابنه فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي ولا أنا تركت فانكح فنزلت هذه الآية **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان اذا توفي الرجل كان ابنه الاكبر هو أحق بامرأته ينكحها اذا شاء اذا لم يكن ابنها أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن عمرو بن دينار مثل قول مجاهد **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال سمعت عمرو بن دينار يقول مثل ذلك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها فان الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فاذا مات وترك امرأته فان سبق وارث الميت فالقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو ينكحها فيأخذ مهرها وان سبقته فذهبت الى أهلها فهم أحق بنفسها **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها كانوا بالمدينة اذا مات حميم الرجل وترك امرأة ألقى الرجل عليها ثوبه فورث نكاحها وكان أحق بها وكان ذلك عندهم نكاحا فان

فانكحوا ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفة ذلك أدنى أن لا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم وآتوا النساء صدقاتهن تزكية عن البخل والغدر وتحلية بالوفاء والكرم فكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارات الى تربية يتامى القلوب والنفوس بايتاء حقوق تزكيتهم عن هذه الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال ولا تؤتوا السفهاء وانما قال أموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادي الصالحون وارزقوهم فيها قدر ما يسد الجوعة واكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كنحو أكلت رزق الله فاري شكر نعمته بامتثال أوامره ونواهيه والا أذيبي طعامك بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم أذيبوا طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى أي قلوب

السائرين بادني توسع في المعيشة بعد ان كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان آنستم منهم رشدا بان يستمدوا بذلك التوسع على السير وزادوا في اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد أشبع الزنجي وكده فادفعوا اليهم أموالهم فالعبد في هذا المقام يكون جائز التصرف في مماليك سيده كالعبد المأذون ولهذا قال هنا أموالهم ولا تأكلوها اسرافا أي فان آنستم يا أولياء الطريقة من المريدين البالغين رشد التصرف في أصحاب الارادة فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخوخية ولا تجعلوا الشيخوخية ما كلة لكم غيرة وغبطة عليهم أن يكبروا بالشيخوخية ومن كان غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الى ولاية المريد فليأكل بالمعروف فليتنفع باعانته وليعزله بالشيخوخية مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم أموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخية فاشهدوا عليهم الله ورسوله وأرواح المشايخ وأوصوهم برعاية حقوقها

مع الله والخلق ثم أخبر عن نصيب كل نسيب فقال للرجال وهم الاقوياء من الطلبة وللنساء وهم الضعفاء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله وتركتهم بركتهم وأنوارهم نصيبا مفروضا على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة أي في محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم أولوا القربى المنتمون اليهم والمقتبسون من أنوارهم والمقتفون لآثارهم فارزقوهم من مواهب بركاتهم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتقريرهوان الدنيا عند الله وعزة أهل الله في الدارين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين أو المبتدئين خافوا عليهم آفات المفارقة بسفر أو موت فليتقوا الله أي يوصونهم بالتقوى وأن يقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى ومداومة الذكر خطوتان يوصلان العبد الى الله ان الذين يأكلون يضيعون اطفال الطريقة بعدم التربية ورعاية وظائف النصيحة انما يأكلون في بطونهم نار الحسرة والغرامة يوم لا تنفع الندامة (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف (١٩٤) ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو

فقد

شاء أمسكها حتى تفتدي منه وكان هذا في الشرك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان الوراثة في أهل يثرب بالمدينة هاهنا فكان الرجل يموت فيرث ابنه امرأة أبيه كما ترث أمه لا يستطيع أن يمنع فان أحب أن يتخذها اتخذها كما كان أبوه يتخذها وان كره فارقها وان كان صغيرا حبست عليه حتى يكبر فان شاء أصابها وان شاء فارقها فذلك قول الله تبارك وتعالى لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها وذلك أن رجالا من أهل المدينة كان اذا مات جيم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته فورث نكاحها فلم ينكحها أحد غيره وحبسها عنده حتى تفتدي منه بفدية فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثني ابن وكيع قال ثني أبي قال ثنا سفيان عن علي بن بذيمة عن مقسم قال كانت المرأة في الجاهلية اذا مات زوجها فجاء رجل فالقى عليها ثوبه كان أحق الناس بها قال فنزلت هذه الآية لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها فتأويل الآية على هذا التأويل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا آباءكم وأقاربكم نكاح نسائهم كرها فترك ذكر الآباء والاقارب والنكاح ووجه الكلام الى النهي عن وراثة النساء اكتفاء بمعرفة المخاطبين بمعنى الكلام اذ كان مفهوما معناه عندهم وقال آخرون بل معنى ذلك لا يحل لكم أيها الناس أن ترثوا النساء كرها قالوا وانما قيل ذلك كذلك لانهم كانوا يعضلون أيامانهن وهن كارهات للعضل حتى يمتن فيرثوهن أموالهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان الرجل اذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس فان كانت جميلة تزوجها وان كانت قبيحة حبسها حتى تموت فيرثها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال نزلت في ناس من الانصار كانوا اذا مات الرجل منهم فاولى الناس بامرأته وليه فيمسكها حتى تموت فيرثها فنزلت فيهم * قال أبو جعفر وأولى القولين بتأويل الآية القول الذي ذكرناه عمن قال معناه لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أقاربكم لان الله جل ثناؤه قد بين مواريث أهل المواريث فذلك لا هله نحو وراثتهم اياه الموروث ذلك عنه من الرجال أو النساء

الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) القراء آن واحدة بالرفع أبو جعفر ونافع الباقون بالنصب فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة وعلي

الباقون بالضم ووصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل وافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية الباقون مبنيا للفاعل يدخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وأبو جعفر الباقون بالياء وكذلك في سورة الفتح والتغابن والطلاق والملك بتشديد النون ابن كثير وكذلك قوله هذان وهاتان وأرنا الذين واشباه ذلك وأما قوله فذانك فابن كثير وأبو عمرو ويعقوب عباس مخيرا الباقون بالتخفيف كرها بالضم وكذلك في التوبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير وحماد وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب مبينة بالكسر مبينات بالفتح الباقون كلها بالكسر * الوقوف الانثيين ج ما ترك ج فلها النصف ط لانتهاء حكم الاولاد ان كان له ولد ج فلامه الثلث ج أودين ط وأبناؤكم ج لتقديرهم أبناؤكم ولاحتمال كون آباؤكم مبتدا وخبره لا تدرون نفعا ج من الله ط حكيما ٥ لم يكن لهن ولد ج دين ط منهما السدس ج دين ط لان غير حال عامله يوصى مضار ج لاحتمال نصب وصية به كما يجيء من الله ط حليم ٥ ط لان تلك مبتدأ حدود الله ط خالدين فيها ط (١٩٥) لان ما بعده اعتراض مقرر للجزاء العظيم ٥ خالدا فيها ص لان ما بعده من تتمة الجزاء مهين ٥ أربعة منكم ج لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا ٥ فآذوهما ج عنهما ط رحيما ٥ عليهم ط حكيما ٥ السيئات ط لان حتى اذا تصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت وتصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار ط أليما ٥ كرها ط للعدول عن الاخبار الى النهي مبينة ج للعارض بين المتفقين بالمعروف ج كثيرا ٥ شيا ط مبينا ٥ غليظا ٥ سلف ط ومقتا ط سبيلا ٥

فقد علم بذلك أنه جل ثناؤه لم يحظر على عباده أن يرثوا النساء ما جعله لهم ميراثا عنهن وانه انما حظر أن يكرهن موروثات بمعنى حظر وراثة نكاحهن اذا كان ميتهم الذي ورثه قد كان مالكا عليهن أمرهن في النكاح ملك الرجل منفعة ما استأجر من الدور والارضين وسائر ماله منافع فابان الله جل ثناؤه لعباده ان الذي يملكه الرجل منهم من بضع زوجه معناه غير معنى ما يملك أحدهم من منافع سائر المملوكات التي تجوز اجارتها فان المالك بضع زوجته اذا هو مات لم يكن ما كان له ملكا من زوجته بالنكاح لورثته بعده كما لهم من الاشياء التي كان يملكها بشراء أو هبة أو اجارة بعد موته بميراثه ذلك عنه وأما قوله تعالى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن فان أهل التاويل اختلفوا في تاويله فقال بعضهم تاويله ولا تعضلوهن أي ولا تحبسوا يا معشر ورثة من مات من الرجال أزواجهن عن نكاح من أردن نكاحه من الرجال كيما يمتن فتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أي فتأخذوا من أموالهن اذا متن ما كان موتاكم الذين ورثتموهم ساقوا اليهن من صداقاتهن وممن قال ذلك جماعة قد ذكرنا بعضهم منهم ابن عباس والحسن البصري وعكرمة وقال آخرون بل معنى ذلك ولا تعضلوا أيها الناس نساءكم فتحبسوهن ضرارا ولا حاجة لكم اليهن فتضاروا بهن ليفتدين منكم بما آتيتموهن من صداقاتهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تعضلوهن يقول لا تقهروهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضر بها لتفتدي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا تعضلوهن يقول لا يحل لك أن تحبس امرأتك ضرارا حتى تفتدي منك قال أخبرنا معمر قال وأخبرني سماك بن الفضل عن ابن السلماني قال نزلت هاتان الآيتان احداهما في أمر الجاهلية والاخرى في أمر الاسلام حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر قال أخبرنا سماك بن الفضل عن عبد الرحمن بن السلماني في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن قال نزلت هاتان الآيتان احداهما في الجاهلية والاخرى في الاسلام قال عبد الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء في الجاهلية ولا تعضلوهن في الاسلام حدثني المثنى قال ثنا الجاني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ولا تعضلوهن قال لا تحبسوهن حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال

* التفسير انه تعالى لما بين حكم مال اليتيم وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا ولم يكن ذلك الا ببيان جملة أحكام الميراث أو نقول أجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله أي يعهد اليكم ويامركم في أولادكم في شان ميراثهم واعلم ان أهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين النسب والعهد أما النسب فكانوا يورثون الكبار به ولا يورثون الصغار والاناث كما مر وأما العهد فالحلف أو التبني كما سيجيء في تفسير قوله والذين عاقدت أيمانكم فآتوهن نصيبهم وكان التوريث بالعهد مقررا في أول الاسلام مع زيادة سببين آخرين أحدهما الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان أجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان من أقاربه والثاني المؤاخاة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين اثنين منهم فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر في الاسلام ان أسباب التوريث ثلاثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء أن المعتق يرث بالعصوبة من المعتق روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث بنت حمزة من مولى لها وورا هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلاثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة كما يحملون عنه الدية قال صلى الله عليه وسلم أنا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وعن أبي حنيفة وأحمد انه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة لا ارثا لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال الضائع الذي لا يرجى ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده أشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع

مع أبوى الميت أما حال الانفراد فثلاث ذكور واناث معا أو اناث فقط أو ذكور فقط أما الحالة الاولى فبيانها قوله للذكر مثل حظ الانثيين أى الذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه أحكام ثلاثة أحدها خلف ذكرا واحدا وأنثى واحدة فله سهمان ولها واحد وثانيها خلف ذكورا واناثا لكل ذكر سهمان ولكل أنثى سهم وثالثها خلف مع الاولاد جمعا آخرين كالزوجين فهم يأخذون سهامهم والباقى بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب أنثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر أولا نثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما ضوعف حظه لذلك ولان الابتداء بما ينبئ عن فضل أحد أدخل فى الادب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكانه قيل لهم كفى الذكور تضعيف من النصيب فليقطعوا الطمع عن الزيادة وأما الحكمة فى انه تعالى جعل نصيب النساء من المال أقل من نصيب الرجال فلنقصان عقلهن ودينهن كما جاء فى الحديث ولان احتياجهن الى المال أقل لان أزواجهن ينفقون عليهن أو لكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجده (١٩٦) مفسدة للمرء أى مفسدة فكيف حال المرأة وعن جعفر الصادق رضى الله عنه ان حواء أخذت حفنة من الحنطة وأكلت وأخذت حفنة أخرى وخبأتها ثم أخذت حفنة أخرى ورفعتها الى آدم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل وأما الحالة الثانية فهن أكثر من اثنتين أو اثنتان أو واحدة وحكم القسم الاول مبين فى قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وحكم القسم الثالث فى قوله وان كانت واحدة فلها النصف فمن قرأ بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير فى كانت اما أن يعود الى النساء وجاز لعدم الالباس بدليل واحدة واما أن يعود الى غائب حكمى أى ان كانت البنت أو المولودة وقراءة النصب أوفق لقوله فان كن نساء وقراءة الرفع أيضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف فى عود الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير فى كن وكانت مبهمة وتكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة وأما القسم الثانى وهو حكم البنتين فغير مذكور فى الآية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما النصف كما فى الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بان النصف أيضا مشروط بالوحدة أقول ولعله نظر الى أن الاثنتين أقرب الى الواحد من الاعداد الغير المحصورة التى فوق الاثنتين سوى الثلاثة فحملوا على الاقرب أولى وقال الاكثرون من الصحابة وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالآية فيلزم أن يكون البنتين الثلثان وأيضا نصيب البنت مع الولد الذكر الثلث فلان يكون نصيبها مع ولد آخر أنثى هو الثلث أولى لان الذكر أقوى من الانثى وعلى هذا فكان قوله للذكر مثل حظ الانثيين دال على أنثيين فذكر بعد ذلك انهن وان بلغن ما بلغن من العدد لم يتجاوز الثلثين وقيل ان البنتين أمس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى يقول فى آخر السورة فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان أولى وهذا قياس جلى وانما بين فيه انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين

ثنا اسباط عن السدى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن اما تعضلوهن فيقول تضاروهن ليفتدين منكم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تعضلوهن قال العضل أن يكره الرجل امرأته فيضربها حتى تفتدى منه قال الله تبارك وتعالى وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وقال آخرون المعنى بالنهى عن عضل النساء فى هذه الآية أولياؤهن ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أن ينكحن أزواجهن كالعضل فى سورة البقرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل المنهى عن ذلك زوج المرأة بعد فراقه اياها وقالوا ذلك كان من فعل الجاهلية فنهوا عنه فى الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان العضل فى قريش بمكة ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه فيفارقها على أن لا تتزوج الا باذنه فيأتى بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد فاذا خطبها خاطب فان اعطته وأرضته أذن لها والا عضلها قال فهذا قول الله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الآية * قال أبو جعفر قد بينا فيما مضى معنى العضل وما أصله بشواهد ذلك من الادلة وأولى هذه الاقوال التى ذكرناها بالصحة فى تاويل قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قول من قال نهى الله جل ثناؤه زوج المرأة من التضييق عليها والاضرار بها وهو لصحبتها كاره وافراقها محب لتفتدى منه ببعض ما آتاها من الصداق وانما قلنا ذلك أولى بالصحة لانه لا سبيل الى عضل امرأة الا لاحد رجلين اما لزوجها بالتضييق عليها وحبسها على نفسه وهو لها كاره مضارة منه لها بذلك ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك أو لولها الذى اليه انكاحها واذا كان لا سبيل الى عضلها لاحد غيرهما وكان الولى معلوما انه ليس ممن آتاها شيأ فيقال ان عضلها عن النكاح عضلها لينهب ببعض ما آتاها كان معلوما أن الذى عنى الله تبارك وتعالى بنهيه عن عضلها هو زوجها الذى له السبيل الى عضلها اضرار التفتدى منه واذا صح ذلك وكان معلوما ان الله تعالى ذكره لم يجعل لاحد السبيل على زوجته بعد فراقه اياها وبينونتها منه فيكون له الى عضلها سبيل لتفتدى منه من عضله اياها أتت بفاحشة أم لم تأت بها وكان الله جل ثناؤه قد أباح للازواج عضلهن اذا أتين بفاحشة مبينة

وقيل لفظ فوق وهو صفة نساء أو خبر بعد خبر للتأكيد أو لخبر أقل الجمع وهو اثنان زائد كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتأخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها فقالت يارسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس أو قالت سعد بن الربيع قتل معك يوم أحد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي الله في ذلك ونزلت هذه الآية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعمهما اعطهما الثلثين واعط أمهما الثمن وما بقي فلك وأما الحالة الثالثة وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الآية لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا أكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم ولا ترجيح بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وأيضا قال صلى الله عليه وسلم وما أبقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص سئلت عن ولد الولد فقيل اسم الولد يقع على ولد الابن أيضا لقوله تعالى يابني آدم يابني

كولد الصلب في الارث والتعصيب ولكنه لا يستحق شيأ مع أولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب وأسا أولا ياخذ كما في مسئلة بنت واحدة وبنت ابن فانهما ياخذان الثلثين واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان ومنها ان القاتل لا يرث ومنها أنه لا يتوارث أهل ملتين والمرتد ماله في بيت المال سواء اكتسب في الاسلام أو في الردة وعند أبي حنيفة ما اكتسب في الاسلام يرثه أقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روى ان فاطمة رضي الله عنها لما طلبت الميراث احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب وبقوله وورث سليمان داود والاصل في التوريث للمال وورائة العلم أو الدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في أولادكم ولان

مبينة حتى يفتدين منه كان بيانا بذلك خطأ التأويل الذي تاوله ابن زيد وتاويل من قال عنى بالنهي عن العضل في هذه الآية أولياء الايامى وصحة ما قلنا فيه ولا تعضلوهن في موضع نصب عطفا على قوله أن ترثوا النساء كرها ومعناه لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن وكذلك هي في مصاحف ذكر في حرف ابن مسعود ولو قيل هو في موضع جزم على وجه النهي لم يكن خطأ ۞ القول في تاويل قوله (الا أن ياتين بفاحشة مبينة) يعني بذلك جل ثناؤه لا يحل لكم أيها المؤمنون أن تعضلوا نساءكم ضرارا منكم لهن وأنتم لصحبتهن كارهون وهن لكم طائعات لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداقاتهن الا أن ياتين بفاحشة مبينة فيحل لكم حينئذ الضرار بهن ليفتدين منكم ثم اختلف أهل التاويل في معنى الفاحشة التي ذكرها الله جل ثناؤه في هذا الموضع فقال بعضهم معناها الزنا وقال اذا زنت امرأة الرجل حل له عضلها والضرار بها لتفتدي منه بما آتاها من صداقها ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الحسن في البكر تفجر تضرب مائة وتنفى سنة وترد الى زوجها ما أخذت منه وتاول هذه الآية ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن ياتين بفاحشة مبينة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عطاء الخراساني في الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ ما ساق اليها وأخرجها فنسخ ذلك الحدود حدثنا أحمد بن ضيبع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال اذا رأى الرجل من امرأته فاحشة فلا باس أن يضارها ويشق عليها حتى تختلع منه حدثنا ابن حميد قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرني معمر عن أيوب عن أبي قلابة في الرجل يطلع من امرأته على فاحشة فذكر نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي الا أن ياتين بفاحشة مبينة وهو الزنا فاذا فعلن ذلك فقد وا مهورهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الكريم انه سمع الحسن البصري الا أن ياتين بفاحشة قال الزنا قال وسمعت الحسن وأبا الشعثاء يقولان فان فعلت حل لزوجها أن يكون هو يسألها الخلع لتفتدي وقال آخرون الفاحشة المبينة في هذا الموضع النشوز ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا أن ياتين بفاحشة مبينة وهو البغض

المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا علي وفاطمة والعباس وهؤلاء كانوا من أكابر الزهاد والعلماء في الدين وأما أبو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله أنه يرث الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها أشد الحاجة وأيضا يحتمل أن يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث ولعل فائدة تخصيص الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق بشيء فمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم أجابوا بان فاطمة رضي الله عنها رضيت بقول أبي بكر بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه أبو بكر واعلم ان جميع ما ذكرنا انما هو في حالة انفراد الاولاد أما حالة اجتماعهم بالابوين فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في أبويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا

البدل انه لو قيل ولابويه السدس لاوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي أو بالتفاوت ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدأ وخبره لابويه وقد توسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلاث أحوال الاولى أن يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر وعلى الانثى فههنا ثلاثة أوجه أحدها أن يحصل معهما ولد ذكر واحد أو أكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها أن يحصل معهما بنتان أو أكثر فالحكم كما ذكر وثالثها أن يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الآية والباقي للاب بحكم التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد مما لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الاولاد أكثر ونصيب الوالدين أقل فالجواب والله أعلم ان الوالدين ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا أما الاولاد فهم في زمان الصبي فاحتياجهم الى المال أكثر وأيضا كأنهما قالا بلسان الحال للاطفال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم (١٩٨) جزاء ولا شكورا وأيضا ولد الولد ولد وترفيه حال الولد أهم عند الوالدين من ترفيه حالهما الحالة الثانية ان لا يكون معهما أحد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله فان لم يكن له ولد وورثه أبواه أي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قيد فرضية الثلث للام بان يكون الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه أو الى الزوجة نصيبها واللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج أو الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب ليكون الذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكر والانثى فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا صار شيء منه مستحقا بقي الباقي بينهما على قدر الاستحقاق الاول وأيضا الزوج انما يأخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية بامانة في قسمة الباقي وعن ابن سيرين أنه وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث ونصف السدس أكثر مما للام وخالفه في الزوج والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث يبقى للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين هذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين الحالة الثالثة أن يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان واحدا من الاخوة أو الاخوات لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على أن ثلاثة منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى اثبات الحجب بهما كما في الثلاثة بناء على ان الاثنين جمع لوجود التعدد في التثنية فما فوقها فصح أن يتناول الاخوة للاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذلك الاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين بن العربي في الفتوحات انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسأله

والنشوز فاذا فعلت ذلك فقد حل له منها الفدية **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن علي بن جذيمة عن مقسم في قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين في قراءة ابن مسعود قال اذا عضلت وآذتك فقد حل لك ما أخذت منك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مطرف بن طريف عن خالد عن الضحاك بن مزاحم الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال الفاحشة ها هنا النشوز فاذا نشزت حل له أن يأخذ خلعها منها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال هو النشوز **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال هو النشوز **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن ان شئتم امسكوهن وان شئتم أرسلتموهن **حدثت** عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال عدل رسول الله تبارك وتعالى في القضاء فرجع الى النساء فقال الا أن يأتين بفاحشة مبينة والفاحشة العصيان والنشوز فاذا كان ذلك من قبلها فان الله أمره أن يضربها وأمره بالهجر فان لم تدع العصيان والنشوز فلا جناح عليه بعد ذلك أن يأخذ منها الفدية * قال أبو جعفر وأولى ما قيل في تأويل قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة انه يعني به كل فاحشة بزنية باللسان على زوجها وأذى له وزنا بفرجها وذلك ان الله جل ثناؤه عم بقوله الا أن يأتين بفاحشة الفواحش التي هي زنا أو نشوز فله عضلها على ما بين الله في كتابه والتضييق عليها حتى تفتدي منه باي معاني فواحش أتت بعد أن تكون ظاهرة مبينة بظاهر كتاب الله تبارك وتعالى وصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذي **حدثني** يونس بن سليمان البصري قال ثنا حاتم بن اسمعيل قال ثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وان لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف **حدثنا** موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا موسى بن عبيدة الترمذي قال ثنا صدقة بن يسار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان النساء عندكم عوار أخذتموهن

عن خلاف الاكثر ان أقل الجمع اثنان أو ثلاثة فعلمه ان أقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلاثة وقال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان فقال كيف ترد ها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا أستطيع رد شئ كان قبلي ومضى في البلدان فاشار الى اجماعهم قبل ان أظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين أو الثلاثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم حتى يبقى للاب الثلثان أو لا يكون لهم شئ من الميراث ويكون خمسة الاسداس للاب ذهب ابن عباس الى الاول وذهب الجمهور الى الثاني اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر الا بالحجب فوجب أن يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر ان هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء من بعد وصية يوصى بها أو دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق واذا لم يكن أو كان لكنه قضي وفضل بعده شئ فان أوصى الميت وصية أخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثا على فرائض الله تعالى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انكم لتقرؤن الوصية قبل الدين وان الرسول صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية والمراد انه لا عبرة بالتقديم في الذكر لان كلمة أو لا تفيد الترتيب البتة وانما استفيد الترتيب من السنة عكس الترتيب في اللفظ وفائدة هذا العكس أن الوصية تشبه الميراث في كونها ماخوذة من غير عوض فكان اداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوس الورثة مطمئنة الى اداءه فكان في تقديمها ترغيب لهم في اداءها ولهذا جاء بكلمة أو دلالة على التسوية بينهما في الوجوب ولان كل مال ليس يحصل فيه الامران فجيء بأو الفاصلة ليدل على انه ان كان أحدهما فالميراث بعده وكذلك ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة ان سهام أهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة انه متى هلك من المال شئ دخل النقصان في انصباء أصحاب الوصية كما في الارث بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال أبو البقاء أيهم مبتدأ وأقرب خبره والجملة في موضع نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لانها من أفعال القلوب وأقول من الجائز أن لا تكون من افعال القلوب بل تكون بمعنى المعرفة وكان أيهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة تحولنا نزعن من كل شيعة أيهم أشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض أن يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني ان من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصية فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فر فر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة وأحضر من عرض الدنيا ذها بالى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل عن ابن عباس ان الابن ان كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا لان أحدهما لا يعرف

بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا ولا يعصينكم في معروف واذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف فاخبر صلى الله عليه وسلم أن من حق الزوج على المرأة أن لا توطئ فراشه أحدا ولا تعصيه في معروف وأن الذي يجب لها من الرزق والكسوة عليه انما هو واجب عليه اذا أدت هي اليه ما يجب عليها من الحق بتركها ايطاء فراشه غير وتركها معصيته في معروف ومعلوم أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم احدا انما هو أن لا يمكن أنفسهن من أحد سواكم واذا كان هذا ونحوه في ذلك صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين أن لزوج المرأة اذا أوطأت امرأته نفسها غيره أمكنت من جماعها سواه أن له من منعها الكسوة والرزق بالمعروف مثل الذي له من منعها ذلك اذا هي عصته في المعروف واذا كان ذلك له فمعلوم أنه غير مانع لها بمنعه اياها ماله منعها حقا لها واجبا عليه واذا كان ذلك كذلك فبين انها اذا افتدت نفسها عند ذلك من زوجها فاخذ منها زوجها ما أعطته انه لم يأخذ ذلك عن عضل منهي عنه بل هو أخذ ما أخذ منها عن عضل له مباح واذ كان ذلك كذلك كان بينا انه داخل في استثناء الله تبارك وتعالى الذي استثناه من العاضلين بقوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة واذا صح ذلك فبين فساد قول من قال قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة منسوخ بالحدود لان الحد حق الله تعالى على من أتى بالفاحشة التي هي زنا وأما العضل لتفتدي المرأة من الزوج بما آتاها أو ببعضه فحق لزوجها كما عضله اياها وتضييقه عليها اذا هي نشزت عليه لتفتدي منه حق له وليس حكم أحدهما يبطل حكم الآخر فمعنى الآية ولا يحل لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم فتضيقوا عليهن وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداقكم الا أن يأتين بفاحشة من زنا أو بذاء عليكم وخلاف لكم فيما يجب عليهن لكم مبينة ظاهرة فحل لكم حينئذ عضلهن والتضييق عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق ان هن افتدين منكم به واختلفت القراء في قراءة قوله مبينة فقرأ بعضهم مبينة بفتح الياء بمعنى انها قد بينت لكم وأعلنت وأظهرت وقرأه بعضهم مبينة بكسر الياء بمعنى انها ظاهرة بينة للناس انها فاحشة وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة أمصار الاسلام فبأيتهما قرأ القارئ فصيب في قراءته الصواب لان الفاحشة اذا أظهرها صاحبها فهي ظاهرة بينة واذا أظهرت فباظهار صاحبها اياها ظهرت فلا

ان انتفاعه في الجنة بهذا أكثر أم بذاك وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي الى كمية تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الاموال في غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الانفاق والنسب عنه فلا يدري أن الابن سيحتاج الى أن ينفق الاب عليه أو الاب سيفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز أن يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الاول فريضة من الله نصب على انها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد أي فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيما لا يأمر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان ههنا مخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان ولكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كان كذلك أي لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا واعلم أن الوارث اما ان يكون متصلا بالميت بغير واسطة أو بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما أن يكون هو النسب أو الزوجية (٢٠٠) فهذه ثلاثة أقسام الاول قرابة التوالد الفروع والاصول وهو أشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة والشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا أردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك أزواجكم الى قوله توصون بها أو دين ثم بين أحوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وان كان رجل يورث كلالة فما أحسن هذا النسق ولما جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذلك جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وقد نبه في الآية على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني مرات وذكرهن على الغيبة أقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن ولا فرق في الولد بين الذكر والانثى ولا بين الابن وابن الابن ولا بين البنت وبنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لا يرث وههنا مسئلة قال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك أزواجكم وقال أبو حنيفة المال لا يجوز لانها لا تستزوجته ولو كانت زوجته لحل له وطؤها لقوله الا على أزواجهم وأجيب بانه لو لم تكن زوجته لكان قوله ما ترك أزواجكم مجازا ولو كانت زوجته مع انه لا يحل له وطؤها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص أولى كما بين في أصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطء كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلاة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن الوطء بالشبهة وأيضا حل الوطء ثابت على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شيء من تلك المصالح فعاد الى أصل الحرمة أما حل الغسل ففيه مصالح فوجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية أخرى التوقف وكان يقول ثلاثة لان يكون بينهن الرسول صلى الله عليه وسلم لنا أحب الي من

تكون ظاهرة بينة الا وهي مبينة ولا مبينة الا وهي مبينة فلذلك رأيت القراءة بايهما قرأ القارئ صوابا ۞ القول في تأويل قوله (وعاشروهن بالمعروف) يعني جل ثناؤه بقوله وعاشروهن بالمعروف وخالقوا أيها الرجال نساءكم وصاحبوهن بالمعروف يعني بما أمرتكم به المصاحبة وذلك امساكهن باداء حقوقهن التي فرض الله جل ثناؤه لهن عليكم اليهن أو تسريح منكم لهن باحسان كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي وعاشروهن بالمعروف يقول وخالطوهن كذا قال محمد بن الحسين وانما هو خالقوهن من العشرة وهي المصاحبة ۞ القول في تأويل قوله (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) يعني بذلك تعالى ذكره لا تعضلوا نساءكم لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من غير ريبة ولا نشوز كان منهن ولكن عاشروهن بالمعروف وان كرهتموهن فلعلكم ان تكرهوهن فتمسكوهن فيجعل الله لكم في امساكم اياهن على كره منكم لهن خيرا كثيرا من ولد يرزقكم منهن أو عطفكم عليهن بعد كراهتكم اياهن كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا يقول فعسى الله أن يجعل في الكراهة خيرا كثيرا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي في قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا الولد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ويجعل الله فيه خيرا كثيرا والخير الكثير ان يعطف فيرزق الرجل ولدها ويجعل الله في ولدها خيرا كثيرا والهاء في قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا على قول مجاهد الذي ذكرناه كناية عن مصدر تكرهوا وكان معنى الكلام عنده فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ولو كان تأويل الكلام فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله في ذلك الشيء الذي تكرهونه خيرا كثيرا كان جائزا صحيحا ۞ القول في تأويل قوله (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) يعني جل ثناؤه بقوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وان أردتم أيها المؤمنون نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها وآتيتم احداهن يقول وقد أعطيتم التي تريدون طلاقها من المهر قنطارا والقنطار

المال الكثير وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف أهل التأويل في مبلغه والصواب من القول في ذلك عندنا ولا تأخذوا منه شيئا يقول فلا تضاروا بهن اذا أردتم كالامهن لتفتدي منكم بما آتيتموهن كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج طلاق امرأة مكان أخرى فلا يحل له من مال المطلقة شئ وان كثر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) يعني بقوله تعالى ذكره أتأخذونه أتأخذون ما آتيتموهن من مهورهن بهتانا يقول ظلما بغير حق واثما مبينا يعني قد أبان أمر أخذه انه باخذه اياه لمن أخذه منه ظلم ۞ القول في تأويل قوله (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) يعني جل ثناؤه بقوله وكيف تأخذونه وعلى أي وجه تأخذون من نسائكم ما آتيتموهن من صدقاتهن اذا أردتم طلاقهن واستبدال غيرهن بهن أزواجا وقد أفضى بعضكم الى بعض فتباشرتم وتلامستم وهذا كلام وان كان مخرجه مخرج الاستفهام فانه في معنى النكير والتغليظ كما يقول الرجل لآخر كيف تفعل كذا وكذا وأنا غير راض به على معنى التهدد والوعيد وأما الافضاء الى الشئ فانه الوصول اليه بالمباشرة له كما قال الشاعر

بلى أفضى الى ليلى بسيرها * من باطن بعد ظاهر ؟

يعني بذلك ان الفساد والبلى وصل الى الحر والذي عنى به الافضاء في هذا الموضع الجماع في الفرج فتاويل الكلام اذ كان ذلك معناه وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض بالجماع ونحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التاويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الحميد بن سنان العتاد قال ثنا اسحق عن سفيان عن عاصم عن بكر بن عبد الله عن ابن عباس قال الافضاء المباشرة ولكن الله كريم يكني عما يشاء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن عاصم عن بكر عن ابن عباس قال الافضاء الجماع ولكن الله يكني حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن بكر بن عبد الله المزني عن ابن عباس قال الافضاء هو الجماع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقد أفضى بعضكم الى بعض قال مجامعة النساء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

(٢٠١) ثم اتبعها ذكر الكلالة وهذا الترتيب يقتضي أن يكون الكلالة لمن عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل وصفا للمورث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والاولاد ويمكن أن يحمل عليه بيت الفرزدق أي ما ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الآباء فسمى العم كلالة وهو ههنا مورث لا وارث وقد يجعل وصفا للوارث ومنه قول جابر مرضت مرضا أشفيت منه على الموت فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة وأراد به انه ليس له والد ولا ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة وقوم كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والجلالة واذا جعلت صفة للوارث أو المورث كانت بمعنى ذي كلالة كما يقال فلان من قرابتي أي من ذوي قرابتي ويجوز أن يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف أي أحمق وقوله تعالى وان كان رجل يورث فيه احتمالان الاول وهو قول عطاء والضحاك أن يكون ماخوذا من ورث الرجل يرث فيكون الرجل هو المورث منه وينتصب كلالة على الحال أو على انه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز أن يكون مفعولا له أي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد بن جبير أن يكون مبنيا للمفعول من أورث فالرجل حينئذ هو الوارث وينتصب كلالة على الوجه المذكور قيل ما السبب في انه قال وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة ثم قال وله أخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد التغيير الى أيهما أريد جاز اسناده اليهما أيضا تقول من كان له أخ أو أخت فليصله أو فليصلها والترجيح بالتذكير للشرف معارض بالتأنيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز أيضا ولعل التوحيد والتذكير في الآية أولى أما لان الرجال في الاحكام أصل والنساء تبع لهم واما بتأويل أحد المذكورين ثم ان المفسرين أجمعوا على أن المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت من الام ويدل عليه ما نسب الى أبي وسعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما أي من الاخ والاخت السدس من غير مفاضلة الذكر على الانثى هذا على

الاحتمال الاول وهو أن الرجل مورث منسوما على الاحتمال الثاني وهو أن الرجل وارث فالضمير عائد الى الرجل والى واحد من أخيه أو أختهما والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له أو لواحد من الاخ أو الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فبين أن نصيبهم كيفما كانوا لا يزداد على الثلث وقد يستدل الاجماع الى هذا ببيانه انه قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة ثم أثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا أثبت للاخوة والاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع فعلم أن المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الآية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم الاخياف وهناك الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان أو من الاب وهم أولاد العلات فالكلالة ان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا أنها في الآية خاصة كما بينا غير مضار حال أي يوصى بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور أي يوصى اذ علم أن ثمة موصيا والضمير فيه وهو ذو الحال يعود الى الرجل على تقدير انه المورث أو الى الميت الدال عليه سياق الكلام أي ان كان الرجل وارثا وضرار الورثة بان يوصى بازيد من الثلث أو بالثلث فما دونه ونية مضارة الورثة مغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا لوجه الله وقد يقر بان الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه أو يبيع شيأ بثمن بخس أو يشتري شيأ بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان أن ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان في المال قلة وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس أوصى على قانون العدالة وقد روى عن عكرمة عن ابن عباس أن الاضرار في الوصية من الكبائر ويروى مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة فاذا أوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله المثنى

نصب على المصدر المؤكد أو على انه مفعول مضار أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالاولاد أن لا يدعهم عالة يأمر الله في الوصية والله عليم بمن جار في وصيته أو عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لا يخفى ثم أكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من أحكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف أن يتجاوزها ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في هذه التكاليف وفي غيرها كما أن الوالد يقبل على ولده ويؤدبه في أمر مخصوص ثم يقول احذر مخالفتي ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال ولا يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونار لانهما جريا على غير من هما له فكان يلزم حينئذ أن يقال خالدين هم فيها وخالد هو فيها قالت المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك أن التعدي في جميع حدود الله محال

(٢٠٢)

مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض يعني المجامعة ❁ القول في تأويل قوله (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) أي ما وثقت به لهن على أنفسكم من عهد واقرار منكم بما أقررتم به على أنفسكم من امساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان وكان في عقد المسلمين النكاح قديما فيما بلغنا ان يقال لهم انكم الله عليك لتمسكن بالمعروف أو لتسرحن باحسان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ الذي أخذه للنساء على الرجال امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقد كان في عهد المسلمين عند انكاحهم الله عليك لتمسكن بمعروف أو لتسرحن باحسان واختلف أهل التأويل في الميثاق الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا فقال بعضهم هو امساك بمعروف أو تسريح باحسان ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال هو ما أخذ الله تبارك وتعالى للنساء على الرجال فامساك بمعروف أو تسريح باحسان قال وقد كان ذلك يؤخذ عند عقد النكاح حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي أما وأخذن منكم ميثاقا غليظا فهو ان ينكح المرأة فيقول وليها انكحتها اياها على أن تمسكها بالمعروف أو تسرحها باحسان حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال الميثاق الغليظ الذي أخذ الله للنساء امساك بمعروف أو تسريح باحسان وكانت في عقدة المسلمين عند انكاحهن لله عليك لتمسكن بمعروف ولتسرحن باحسان حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا بكر الهذلي عن الحسن ومحمد بن سيرين في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقال آخرون هو كلمة النكاح التي استحل بها الفرج ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح التي استحل بها فروجهن حدثني

لان من حدود ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية والتعدى فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فان المراد تعدى أى حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدى فى هذه الحدود وأجيب بأنه لم من ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فما مانع لنا من أن نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبان الآية لعلها مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصى يصح استثناؤها من هذا اللفظ أى ومن يعص الله فى كذا وفى كذا وذلك لا يتحقق الا فى حق الكافر نعم يخرج منه ما يخصصه دليل عقلى كما ذكرتم من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية وبما يؤكد كون الآية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصى فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده أيضا ذلك لزم التكرار وجب حمله على الكفر وان سلم أن المراد هو التعدى فى حدود المواريث فلعل المراد من التعدى هو اعتقاد كونه لا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر والله أعلم بمراده قوله عم طولا واللاتى يأتين الفاحشة الآية وجه النظم فيه أن التغليظ عليهن فى باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المأمور به فى الآيات المتقدمة وفيه أن مدار الشرع (٢٠٣) على العدل والانصاف والاحتراز فى كل

حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن أبى هاشم المكى عن مجاهد فى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال قوله نكحت حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد بن كعب القرظى وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال هو قولهم قد ملكت النكاح حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سالم الافطس عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال الميثاق النكاح حدثنا عمرو بن على قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنى سالم الافطس عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح قوله نكحت وقال آخرون بل عنى قول النبى صلى الله عليه وسلم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر وعكرمة وأخذن منكم ميثاقا غليظا قالا أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وأخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتاويل ذلك قول من قال الميثاق الذى عنى به فى هذه الآية هو ما أخذ للمرأة على زوجها عند عقدة النكاح من عهد على امساكها بمعروف أو تسريحها باحسان فاقر به الرجل لان الله جل ثناؤه بذلك أوصى الرجال فى نسائهم وقد بينا معنى الميثاق فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع واختلف فى حكم هذه الآية أحكم أم منسوخ فقال بعضهم محكم وغير جائز للرجل أخذ شئ مما آتاها اذا أراد طلاقها الا ان تكون هى المريدة الطلاق وقال آخرون هى محكمة وغير جائز له أخذ شئ مما آتاها منها بحال كانت هى المريدة الطلاق أو هو وممن حكى هذا القول عنه بكر بن عبد الله المزنى حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا عقبة بن أبى المهنا قال سألت بكرا عن المختلعة أيأخذ منها شيئا قال لا وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال آخرون هى منسوخة نسخها قوله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج الى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال ثم رخص بعد

باب من طرفى التفريط والافراط بلا ينبغى أن يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتى جمع التى وفيه لغات اللاتى بالهمزة واللواتى واللوائى فكأنهما جمعا الجمع وقد يحذف الياآت من الاربعة وقد يسهل همزة اللاء بين الهمزة والياء لسكونها مكسورة لقراءة ورش واللائى يئسن من المحيض وقد يقال اللابى بياء ساكنة بعد الالف من غير همز وقد يقال اللواء بحذف التاء والياء معا وقد يقال اللاآت كاللاغات قال ابن الانبارى العرب تقول فى الجمع من غير الحيوان التى ومن الحيوان اللاتى كقوله أموالكم التى جعل الله لكم قياما وقال فى هذه الآية واللاتى لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشئ الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يأتى هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتزايدة فى القبح مصدر كالعافية وأجمعوا على انها الزنى ههنا قال المحققون خص هذا العمل بالفاحشة لان القوى البدنية نطقية وغضبية وشهوية وفساد الاولى الكفر والبدعة وامثالهما وفساد الثانية القتل بغير حق ونحوه وفساد الثالثة الزنى واللواط والسحق وما أشبهها وهذه أخص الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم أو من الحرائر أو من نسائكم المؤمنات والثيبات أقوال فاستشهدوا عليهن أربعة منكم احتياطا للامر الزنى والمراد بقوله منكم أى من رجالكم قال الزهرى مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده أن لا تقبل شهادة النساء فى الحدود وان شهدوا مفصلا مفسرا كقولهم رأيناه أدخل فرجه فى فرجها كالمرود فى المكحلة أو كالرشاء فى البئر ولابد مع ذلك من الوصف بالتحريم لا بمعنى عرضى كالحيض ولا مع تحليل عالم كالتعنين ولا بشبهة فامسكوهن فى البيوت خلدوهن محبوسات فى بيوتكم حتى يتوفاهن الموت أى ملائكة الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن أو يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح أو بالحد واللذان يأتيانها منكم يعنى الزانى والزانية أو اللائطا والملوطا فآذوهما بضرب نعالهما أو بالتعيير أما ان تبتما أما ان كنتما فى النكاح منعوتة عن هذه

فان تابا وأصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ واللوم أو خوطب الشهود الذين عثروا على سرهما أن يهددوهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن العرض على الامام * واعلم أن العلماء اختلفوا في الآيتين فعن الحسن أن الثانية مقدمة في النزول أمروا بايذاء الزانيين أولا ثم أمروا بامساك النساء في البيوت الى أن يتبين أحوالهن وقال السدي المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء وبالآية الاولى الثيب وعن أبي مسلم ان الآية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا أن يخلصهن الله والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم أي من رجالكم كما في قوله أربعة منكم وأما الزنى من الرجل والمرأة فذلك في سورة النور وحده في البكر الحادو في المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شئ من الآيات ولا تكرار الشئ الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول أبي مسلم بانه قول لم يقل به أحد وبان الصحابة اختلفوا في أحكام اللواطة ولم يتمسك أحد منهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا (٢٠٤) الحكم دليل على ان الآية ليست في اللواطة وأجاب أبو مسلم بانه قول مجاهد وهو من أكابر المفسرين على انه بين في الاصول ان استنباط تاويل جديد جائز وأيضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وكيفية ذلك وليس في الآية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح للحدود جمهور المفسرين على ان الآيتين في الزنا وانهما منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه كرب لذلك وتربد لذلك وجهه فانزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر آخرا على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد وعن أصحاب أبي حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلائل الرجم وقال في الكشاف من الجائز أن لا تكون الآية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة

فقال لا تاخذوا مما آتيتموهن شيأ الا أن يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به قال فنسخت هذه تلك * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في ذلك قول من قال انها محكمة غير منسوخة وغير جائز للرجل أخذ شئ مما آتاها اذا أراد طلاقها من غير نشوز كان منها ولا ريبة أتت بها وذلك ان الناسخ من الاحكام ما نفى بخلافه من الاحكام على ما قدمنا في سائر كتبنا وليس في قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج نفي حكم قوله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به لان الذي حرم الله على الرجل بقوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا أخذ ما أتاها منها اذا كان هو المريد طلاقها وأما الذي أباح له أخذه منها بقوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فهو اذا كانت هي المريدة طلاقه وهو له كاره ببعض المعاني التي قد ذكرنا في غير هذا الموضع وليس في حكم احدى الآيتين نفي حكم الاخرى واذا كان ذلك كذلك لم يجز أن يحكم لاحداهما بانها ناسخة وللاخرى بانها منسوخة الا بحجة يجب التسليم لها وأما ما قاله بكر بن عبد الله المزني من انه ليس لزوج المختلعة أخذ ما أعطته على فراقه اياها اذا كانت هي الطالبة الفرقة وهو الكاره فليس بصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه أمر ثابت بن قيس بن شماس باخذ ما كان ساق الى زوجته وفارقها ان طلبت فراقه وكان النشوز من قبلها * القول في تاويل قوله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) قد ذكر ان هذه الآية نزلت في قوم كانوا يخلفون على حلائل آبائهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فحرم الله تبارك وتعالى عليهم المقام عليهن وعفا لهم عما كان سلف منهم في جاهليتهم وشركهم من فعل ذلك لم يؤاخذهم به ان هم اتقوا الله في اسلامهم وأطاعوه فيه ذكر الاخبار التي رويت في ذلك حدثني محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا مراد قال ثنا ابن عيينة وعمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم الامرأة الاب والجمع بين الاختين قال فانزل الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وان تجمعوا بين الاختين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله الا ان الرجل كان يخلف على حليلة أبيه ويجمعون بين الاختين فمن ثم قال الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف

وروي بامساكهن بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ أبو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك ان الآية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية أن يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا له وصار أيضا مخصصا لعموم آية الجلد والله تعالى عليم ثم أخبر عن المستحقين لقبول التوبة وعن المستحقين لعدم القبول فقال انما التوبة على الله اي قبول التوبة واجب وجوبا يستحق بتركه الذم الذين يعملون السوء بجهالة قال أكثر المفسرين كل من عصى الله فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لانه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكانه لا علم له وبهذا التفسير تكون المعصية مع العلم بانها معصية جهالة وقيل المراد انه يفعل عقاب المعصية وقيل المراد أن يكون جاهلا بكونها معصية

سلف

لكنه يكون متمكنا من تحصيل العلم بكونه معصية ولهذا أجمعنا على ان اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وان كان لا يعلم كون اليهودية معصية لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا ومعصية وان النائم أو الساهي لا يستحق العقاب لانه أتى بالقبيح غير متمكن من العلم بكونه قبيحا أما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الآية وانما يعرف حاله بطريق القياس وانه لما كانت التوبة على هذا الجاهل واجبة فلان يكون واجبا على العامد أولى لانه عالم بقبح تلك المعصية أما قوله ثم يتوبون من قريب فقد أجمعوا على ان المراد من هذا القرب قبل حضور زمان الموت ونزول سلطانه ومعاينة أهواله وانما كان ذلك لزمان قريبا لان الاجل آت وكل ما هو آت قريب ولان مدة عمر الانسان وان طالت اذا قيست الى طرفي الازل والابد كانت كالعدم ولان الانسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب ومن في من قريب اما للابتداء الغاية أي يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية أو للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا لما قلنا فقي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد ألا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القرب ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والفائدة في قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله ان الاول اعلام بانه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل والاحسان والثاني اخبار بانه سيفعل ذلك أو المراد بالاول توفيق التوبة والاعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليما بانه انما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد اذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت هو وقوعه في الشدائد بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في القولنج وفي حالة الطلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة بل التوبة حينئذ أولى بالقبول لقوله أمن يجيب المضطر اذا دعاه وانما المانع من قبوله معاينة سلطان الموت ومشاهدة أحواله وأهواله بحيث تصير معرفته بالله ضرورية كما لاهل الآخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يبق في يده زمام الاختيار وأفضى الامر الى حذ الالجاء والاجبار وههنا بحث للاشاعرة وهو ان أهل القيامة لا يشاهدون الا انهم صاروا أحياء بعد ان كانوا أمواتا ويشاهدون أيضا أهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف يكون ذلك العلم ضروريا أو بتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك ان العبد مع علمه الضروري بوجود الاله المثيب المعاقب قد يقدم على المعصية لعلمه بانه كريم وانه لا تنفعه طاعة العبد ولا يضره ذنبه وأيضا العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا للتكليف والضروري مانعا من التكليف فثبت ضعف هذا الفرق وانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد وقبل التوبة في بعض الاوقات وبعدله أخبر عن عدم قبول التوبة في وقت آخر وله أن يقلب الامر فيجعل المقبول مردودا والمردود مقبولا ولا

سلف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف فانزل الله في أبي قيس بن الاسلت خلف على أم عبيد بنت ضمرة كانت تحت الاسلت أبيه وفي الاسود بن خلف وكان خلف على بنت أبي طلحة بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار وكانت عند أبيه خلف وفي ناجية بنت الاسود بن المطلب بن أسد وكانت عند أمية بن خلف فخلف عليها صفوان بن أمية وفي منصور بن زبان وكان خلف على مليكة ابنة خارجة وكانت عند أبيه بيان بن سيار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء بن أبي رباح الرجل ينكح المرأة ثم لا يراها حتى يطلقها أتحل لابنه قال هي مرسلة قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء قال قلت لعطاء ما قوله الا ما قد سلف قال كان الابناء ينكحون نساء آبائهم في الجاهلية حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية يقول كل امرأة تزوجها أبوك وابنك دخل أو لم يدخل فهي عليك حرام واختلف في معنى قوله الا ما قد سلف فقال بعضهم معناه لكن ما قد سلف فدعوه وقالوا هو من الاستثناء المنقطع وقال آخرون معنى ذلك ولا تنكحوا نكاح آبائكم بمعنى ولا تنكحوا كنكاحهم كانكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الاسلام انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا يعني ان نكاح آبائكم الذين كانوا ينكحونه في جاهليتهم كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا الا ما قد سلف منكم في جاهليتكم من نكاح لا يجوز ابتداء مثله في الاسلام فانه معفو لكم عنه وقالوا قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء كقول القائل للرجل لا تفعل ما فعلت ولا تأكل ما أكلت بمعنى ولا تأكل كما أكلت ولا تفعل ما فعلت وقال آخرون معنى ذلك ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز كان عقدة بينهم الا ما قد سلف منهم من وجوه الزنا عندهم فان نكاحهن لكم حلال لانهن لم يكن لهم حلائل وانما كان ما كان من آبائكم منهن من ذلك فاحشة ومقتا وساء سبيلا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف الآية قال الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فزاد ههنا المقت * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب على ما قاله أهل التأويل في تأويله أن يكون معناه ولا تنكحوا من النساء نكاح آبائكم الا ما قد سلف

يسئل عما يفعل وأقول التحقيق فيه انه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وأمره حق وقد عين لعبيده حالين دنيا وعقبى وقد أخبر انه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه اعتراض انه لم لم يعكس الامر ثم ان اليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وليس ببعيد أن لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف ويكون عين اليقين منافيا له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما ان الماتت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة والمعنى انه كما أن التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الايمان لا يقبل عند القرب من الموت والمراد ان الكفار اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا تقبل توبتهم أولئك أعتدنا لهم أي أعددنا لهم وأعتدنا لواعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد لتبيين ان الامرين كائنان لا محالة قالت الوعيدية المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار فالاولون فساق لكنهما مشتركان في العذاب الاليم فثبت ان حكمهما واحد وأجيب بان أولئك اشارة الى أقرب المذكورين وبعضه ان الكفار أشنع قولا من الفساق أو الطائفة الاولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه كنمرود مثلا قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها من ههنا شرع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من ايذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك أنواع الاول قوله لا يحل لكم أن ترثوا وفيه قولان أحدهما الوراثة تعود الى المال أي لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوهن أموالهن وهن كارهات لامساككم وثانيهما انها ترجع الى أعيانهن وكانوا اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو بعض أقاربه فالقى ثوبه عليها وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي أصدقها الميت وان شاء تزوجها من انسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيأ فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال أكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الامر عليها حتى تفتدي منه بمالها وتخلع فنهوا عن ذلك وقيل انه خطاب للوارث بان يترك منعها من التزويج لمن شاءت وأرادت لتبذل امرأة الميت ما أخذت من الميراث كما كان يفعله أهل الجاهلية وقيل انه نهي للاولياء عن عضل المرأة أولا زواج كما مر في سورة البقرة قال في الكشاف اعراب تعضلوهن النصب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي قلت الظاهر انه النهي لعطف الامر وهو قوله وعاشروهن عليه وصاحب الكشاف نظر الى ما قبله وذهل عما بعده الا أن يأتين بفاحشة مبينة من قرأ بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي بينها أو الشهود الاربعة هم بينوها ومن قرأ بالكسر فلانها اذا تبينت وظهرت صارت أسبابا للبيان كقوله انهن أضللن كثيرا من الناس لما صرن أسبابا للضلال ثم انه استثناء مما ذا قيل من أحد

منكم فضي في الجاهلية فانه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فيكون قوله من النساء من صلة قوله ولا تنكحوا ويكون قوله ما نكح آباؤكم بمعنى المصدر ويكون قوله الا ما قد سلف بمعنى الاستثناء المنقطع لانه يحسن في موضعه لكن ما قد سلف فضي انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فان قال قائل وكيف يكون هذا القول موافقا لقول من ذكرت قوله من أهل التاويل وقد علمت ان الذين ذكرت قولهم في ذلك انما قالوا أنزلت هذه الآية في النهي عن نكاح حلائل الآباء وأنت تذكر انهم انما نهوا أن ينكحوا نكاحهم قيل له وان قلنا ان ذلك هو التاويل الموافق لظاهر التنزيل اذ كانت ما في كلام العرب لغير بني آدم وانه لو كان المقصود بذلك النهي عن حلائل الآباء دون سائر ما كان من مناكح آبائهم حراما ابتدئ مثله في الاسلام بنهي الله جل ثناؤه عنه لقيل ولا تنكحوا من نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف لان ذلك هو المعروف في كلام العرب اذ كان من لبني آدم وما لغيرهم ولا تقل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه يدخل فيما كان من مناكح آبائهم التي كانوا يتناكحونها في جاهليتهم فحرم عليهم في الاسلام بهذه الآية نكاح حلائل الآباء وكل نكاح سواه نهى الله تعالى ذكره ابتداء مثله في الاسلام مما كان أهل الجاهلية يتناكحونه في شركهم ومعنى قوله الا ما قد سلف الا ما قد مضى انه كان فاحشة يقول ان نكاحكم الذي سلف منكم كنكاح آبائكم المحرم عليكم ابتداء مثله في الاسلام بعد تحريمي ذلك عليكم فاحشة يقول معصية ومقتا وساء سبيلا أي بئس طريقا ومنهجا ما كنتم تفعلون في جاهليتكم من المناكح التي كنتم تتناكحونها ۞ القول في تاويل قوله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما) يعني بذلك تعالى ذكره حرم عليكم نكاح أمهاتكم فترك ذكر النكاح اكتفاء بدلالة الكلام عليه وكان ابن عباس يقول في ذلك ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن الثوري عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمر مولى ابن عباس عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم حتى بلغ وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف قال والسابعة ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم

المال أي لايحل له أن يحبسها ضرارا للتعدي الا اذا زنت فحينئذ يحل له بها أن يسألها الخلع وكان الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ماساق اليها وأخرجها وقيل استثناء من العضل نهوا عن حبسهن في بيوت الاولياء والازواج الا بعد وجود الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ بآية الجلد وقيل الفاحشة هي النشوز وشكاسة الخلق أي الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون حينئذ في طلب الخلع النوع الثالث من التكاليف المتعلقة باحوال النساء وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال في القول والانصاف في المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فهذه قد يقبل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على المواصلة منه الثناء في الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب ومال كثير لليمن في عصبتها قال صلى الله عليه وسلم الشؤم في المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان رغبتم في مفارقتهن فربما بعث الله تعالى في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بان تتخلص من زوج سيئ لعشر وتتجدد زوجا آخر (٢٠٧) أوفق منه النوع الرابع من التكاليف

أباؤكم من النساء حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن اسمعيل ابن رجاء عن عمر مولى ابن عباس عن ابن عباس قال يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم حدثنا ابن بشار مرة أخرى قال ثنا أبو أحمد الزهري قال ثنا سفيان عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمر مولى ابن عباس عن ابن عباس مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي ذئب عن الزهري بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال حرم عليكم سبع نسبا وسبع صهرا حرمت عليكم أمهاتكم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن علي بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم قال حرم الله من النسب سبعا ومن الصهر سبعا ثم قرأ وأمهات نسائكم وربائبكم وأخواتكم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مطرف عن عمرو بن سالم مولى الانصار قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ومن الصهر أمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وإياه قال والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فكل هؤلاء اللواتي سماهن الله تعالى وبين تحريمهن في هذه الآية محرمات غير جائز نكاحهن لمن حرم الله ذلك عليه من الرجال باجماع جميع الامة لا اختلاف بينهم في ذلك الا في أمهات نسائنا اللواتي لم يدخل بهن أزواجهن فان في نكاحهن اختلافا بين بعض المتقدمين من الصحابة اذا كانت الابنة قبل ان يدخل بها من زوجها هل هن من المبهمات أم هن من المشروط فيهن الدخول بينا تهن فقال جميع أهل العلم متقدمهم ومتأخرهم من المبهمات وحرام على من تزوج امرأة أمها دخل بامرأته التي نكحها أو لم يدخل بها وقالوا شرط الدخول في الربيبة دون الام فاما أم المرأة فمطلقة بالتحريم قالوا ولو جاز أن يكون شرط الدخول في قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن موضع موصولا به قوله وأمهات نسائكم جاز أن يكون الاستثناء في قوله والمحصنات من

وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وذلك انه لما أذن في مضارتهن اذا أتين بفاحشة بين تحريم الضرار في غير حالة الفاحشة روي ان الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج بامرأة أخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التي يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم وفيه دليل على جواز المغالاة في المهر روي ان عمر قال في المنبر ألا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنع وتلت هذه الآية فقال عمر كل الناس أفقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل أن يقال ذكر ايتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والغرض لا الرخصة وهو موضع الحال أي وقد آتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء أدى المال اليها أم لا واعلم ان النشوز ان كان من قبل الزوجة حل لزوجها أخذ مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا أنه يفيد الملك لو خالع كما أن البيع وقت النداء منهي عنه ثم انه يفيد الملك أتاخذونه استفهام بطريق الانكار بهتانا وهو أن يستقبل الرجل بامر قبيح يقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك أي يتحير وفي الحديث اللا واجهت أخاك بما ليس فيه فقد بهته وهو مصدر في موضع الحال أي باهتين وآثمين أو على انه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض أي ببهتان وقيل بضمير أي تصيبون بهتانا وسبب تسمية هذا الاخذ بهتانا انه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكأنه يقول ايس ذلك بفرض فيكون بهتانا أو انه عند العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وان لا يأخذه منها فاذا أخذه منها صار القول الاول بهتانا أي باطلا أو كان من عادتهم انهم اذا أرادوا تطليق الزوجة رموها بفاحشة حتى تفتدي فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه في الاغلب سيق الكلام على ذلك وبالحقيقة ان أخذ هذا المال طعن في ذاتها من حيث انه مشعر بانها قد أتت بفاحشة وقبض على مالها بهتان من وجهين وظلم من وجه آخر وقيل المراد عقاب البهتان واثما كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا ثم عجب من الاخذ مستفهما فقال وكيف تأخذونه وقد

أفضى بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدى واختاره الزجاج وابن قتيبة واليه ذهب الشافعي ان المراد بالافضاء الجماع اذا الفضاء الساحة يقال أفضيت اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة عند الجماع وقيل الافضاء أن يخلو بها وان لم يجامعها وهو قول الكلبي واختاره الفراء وهو اقعد مذهب أبي حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح مذهب الشافعي بان الكلام ورد في معرض التعجب وهو انما يتم اذا كان هذا الافضاء سببا قريبا في حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة وأيضا الافضاء لابد أن يكون مفسرا بفعل ينتهي منه البهالان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك اذ لم يحصل فعل من أفعال أحدهما الى الآخر فان قيل على هذا يجب أن يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا في تحقيق الافضاء وأنتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القائل قائلان قائل بتفسير الافضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وأيضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الافضاء وقد اشتبه معناه انه الخلوة أو الجماع فوجب الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة (٢٠٨) ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم أكد المنع من استرداد المهر بقوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال السدى وعكرمة والفراء هو قولكم زوجتك هذه المرأة على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان ومعلوم انه اذا أجاها الى أن بذلته المهر فقد سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقود على الصداق واليها أشار في أحد قولي الشافعي استحللتم فروجهن بكلمة الله وقال آخرون أخذن منكم بسبب افضاء بعضكم الى بعض ميثاقا غليظا وصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس من التكاليف المتعلقة بامور النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان أهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة خلافية قال أبو حنيفة يحرم على الرجل أن يتزوج بمزنية أبيه وقال الشافعي لا يحرم حجة أبي حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطء لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق اكان لا يحصل التحليل بمجرد العقد ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح أي الوطء لان أهلية العقد حاصلة أبدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية ولقوله صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون فيدخل في الآية المزنية لانها منكوحة أي موطوءة وعورض بالآيات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله وانكحوا الايامى منكم فانكحوا ما طاب لكم من النساء وبقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي ولا شك ان الوطء من حيث انه وطء ليس سنته وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبان من حلف من أولاد الزنى انهم ليسوا من أولاد النكاح لم يحنث سلمنا ان الوطء سمي بالنكاح لكن العقد أيضا سمي به فلم كان حمل الآية على ما ذكره أولى من حملها على ما ذكرنا مع اجماع المفسرين على ان سبب نزول الآية هو العقد لا الوطء قالوا حقيقة في الوطء مجاز في العقد لانه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل في الوطء الا في العقد وانما أطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب والحمل على الحقيقة أولى أو مشترك بينهما ويجوز استعماله في مفهوميه معا فتكون الآية نهيا عن الوطء وعن

النساء لا ما ملكت أيمانكم من جميع المحرمات بقوله حرمت عليكم الآية قالوا وفي اجماع الجميع على ان الاستثناء في ذلك انما هو مما وليه من قوله والمحصنات أبين الدلالة على ان الشرط في قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن مما وليه من قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن دون أمهات نسائنا وروي عن بعض المتقدمين انه كان يقول حلال نكاح أمهات نسائنا اللواتي لم ندخل بهن وان حكمهن في ذلك حكم الربائب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وعبد الاعلى عن سعيد عن قتادة عن جلاس بن عمرو عن علي رضي الله عنه في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أيتزوج أمها قال هي بمنزلة الربيبة حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة عن جلاس عن علي رضي الله عنه قال هي بمنزلة الربيبة حدثنا حميد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت انه كان يقول اذا ماتت عند وأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها واذا طلقها قبل أن يدخل بها فان شاء فعل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت قال اذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا باس أن يتزوج أمها حدثنا القاسم قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عكرمة بن خالد ان مجاهدا قال له وأمهات نسائكم وربائبكم التي في حجوركم من نسائكم أريد بهما الدخول جميعا قال أبو جعفر والقول الاول أولى بالصواب أعني قول من قال الام من المبهمات لان الله لم يشرط معهن الدخول بينانهن كما شرط ذلك مع أمهات الربائب مع ان ذلك أيضا اجماع من الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به متفقة عليه وقد روي ذلك أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر غير ان في اسناده نظرا وهو ما حدثنا به المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها دخل بالابنة أم لم يدخل واذا تزوج الام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج الابنة قال أبو جعفر وهذا خبر وان كان في اسناده ما فيه فان في اجماع الحجة على صحة القول به مستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لعطاء الرجل ينكح المرأة لم يرها ولا يجامعها حتى يطلقها أيحل له أمها قال لا هي مرسلة قلت لعطاء

العقد معا أو لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهيا عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون نهيا عن القسمين فان النهي عن التباين يكون نهيا عن التسويد والتبييض لامحالة وأجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبان استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه غير جائز وبان معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطء ولكن ما في قوله ما نكح لا نسلم انها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء وانما هي مصدرية والتقدير ولا تنكحوا نكاح آبائكم فان أنكحتهم كانت بغير ولي وشهود وكانت مرفيتو مهرية فنهوا عن مثل هذه الانكحة قاله محمد بن جرير الطبري سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح آباؤكم ولكنا لا نسلم ان من تفيد العموم إذ الم تفد العموم لم تتناول محل النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان النهي للتحريم لكن لا نسلم انه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد وفي صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا نا نستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن الى غاية نفى ايمانهن وهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد تلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت أو غيرها الا ما أخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا أبناءكم الا كفاء وبقوله صلى الله عليه وسلم الحرام لا يحرم الحلال ودخول التخصيص فيه بما لو وقع قطرة من الخمر في اناء من الماء فتحريمه لا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسئلة فوقع ختم الكلام على قول الشافعي وطء حدث به ووطء رجت به فكيف يشتبهان أما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه أحسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على المعنى فان النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب المنهي عنه فكانه قيل أنتم مؤاخذون بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان أمكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى أي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد سلف فانكم معذورون عليه قالوا انه صلى الله عليه وسلم أقرهم عليهن مدة ثم أمر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما أقر أحدا على نكاح امرأة أبيه وان كان في الجاهلية وروى انه صلى الله عليه وسلم بعث أبا بردة الى رجل عرس بامرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله انه أي ان هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة اعلم انه تعالى ان هذا الفعل كان أبدا ممقوتا عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب أمر قبيح ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار قال بعضهم مراتب القبح ثلاث في

أكان ابن عباس يقرأ وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن قال لا تبرو قال حجاج قلت لابن جريج ما تبرو قال كذا قال لا وأما الربائب فانه جمع ربيبة وهي ابنة امرأة الرجل قيل لها ربيبة لتربيته اياها وانما هي مربوبة صرفت الى ربيبة كما يقال هي قبيلة من مقبولة وقد يقال لزوج المرأة هو ربيب ابن امرأته يعني به هو ربلبه كما يقال هو جابر وجبير وشاهد وشهيد واختلف أهل التأويل في معنى قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقال بعضهم معنى الدخول في هذا الموضع الجماع ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن والدخول النكاح وقال آخرون الدخول في هذا الموضع هو التجريد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قلت لعطاء قوله اللاتي دخلتم بهن ما الدخول بهن قال أن تهدى اليه فيكشف ويغشى ويجلس بين رجليها قلت أرأيت ان فعل ذلك في بيت أهلها قال هو سواء وحبسه قد حرم ذلك عليه ابنتها قلت تحرم الربيبة ممن يصنع هذا بامها الا ما يحرم على أمتي ان صنعته بامها قال نعم سواء قال عطاء اذا كشف الرجل أمته وجلس بين رجليها أنهاه عن أمها وابنتها * قال أبو جعفر وأولى القولين عندي بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس من أن معنى الدخول الجماع والنكاح لان ذلك لا يخلو معناه من أحد أمرين اما أن يكون على الظاهر المتعارف من معاني الدخول في الناس وهو الوصول اليها بالخلوة بها أو يكون بمعنى الجماع وفي اجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأته لا يحرم عليه ابنتها اذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها أو قبل النظر الى فرجها بالشهوة ما يدل على أن معنى ذلك هو الوصول اليها بالجماع واذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الصحيح من التأويل في ذلك ما قلناه وأما قوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم فانه يقول فان لم تكونوا أيها الناس دخلتم بامهات ربائبكم اللاتي في حجوركم فما معتموهن حتى طلقتموهن فلا جناح عليكم يقول فلا حرج عليكم في نكاح من كان من ربائبكم كذلك وأما قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم فانه يعني وأزواج أبنائكم الذين من أصلابكم وهي جمع حليلة وهي امرأته وقيل سميت امرأة الرجل حليلته لانها تحل معه في فراش واحد ولا خلاف بين جميع أهل العلم أن حليلة ابن الرجل حرام عليه نكاحها بعقد ابنه عليها النكاح دخل بها أو لم يدخل بها فان قال قائل فما أنت قائل في حلائل الابناء من الرضاع فان

الله تعالى انما حرم حلائل أبنائنا من أصلابنا قيل ان حلائل الابناء من الرضاع وحلائل الابناء من الاصلاب سواء في التحريم وانما قال وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم لان معنا وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتموهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم قال تحدث والله أعلم انها نزلت في محمد صلى الله عليه وسلم حين نكح امرأة زيد بن حارثة قال المشركون في ذلك فنزلت وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ونزلت وما جعل أدعياءكم أبناءكم ونزلت ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وأما قوله وأن تجمعوا بين الاختين فان معناه وحرم عليكم أن تجمعوا بين الاختين عندكم بنكاح فانه في موضع رفع كأنه قيل والجمع بين الاختين الا ما قد سلف لكن ما قد مضى منكم فان الله كان غفورا لذنوب عباده إذا تابوا إليه رحيما بهم فيما كلفهم من الفرائض وخفف عنهم فلم يحملهم فوق طاقتهم يخبر بذلك جل ثناؤه انه غفور لمن كان جمع بين الاختين بنكاح في جاهليته وقبل تحريمه ذلك إذا اتقى الله تبارك وتعالى بعد تحريمه ذلك عليه فاطاعه باجتنابه رحيم به وبغيره من أهل طاعته من خلقه

(تم الجزء الرابع من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء الخامس أوله ﴿ القول في تأويل قوله والمحصنات من النساء)

الاقوال في الشرع وفي العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب شبيه الام والفاحشة اشارة الى القبح الشرعي وساء سبيلا اشارة الى القبح العادي وساء فعل ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده والله تعالى أعلم التأويل الوراثة الدينية أيضا سبب ونسب فالسبب هو الارادة بلبس خرقة المشايخ والتشبه بهم والنسب هو الغيبة معهم بالتسليم لتصرفاتهم ولا يتهم ظاهرا وباطنا مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية من صلب ولايتهم ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وانما يتوارث أهل الدين لحلى قدر تعلقاتهم السببية والنسبية والمذكورة والانوثة في الجذب والاجتهاد وحسن الاستعداد ويتوارثهم العلوم الدينية والدنية كقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وقول موسى للخضر هل أتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا والتي يأتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الامارات بالسوء فاستشهدوا عليهن (٢١٠) أربعة منكم أي من خواص العناصر الاربعة التي أنتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصها الحسة والقلة والملة ومن خواصها الطين والانوثة والشرة والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب وحب الرياسة فان شهدوا بان يظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن في البيوت في سجن الدنيا وأغلقوا عليهن أبواب الحواس الخمس حتى تموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها أو يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب والملذان يأتيانها أي النفس والقلب يأتيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة أي بصفة الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية تقتضي المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية بحسب فاعمل السوء اذا كان مصدره الجهولية بحسب يكون على عقيبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب أي عقيب المعصية قال عليه السلام اتبع السيئة بالحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل أن يقال من قريب أي قبل أن يموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم فيه اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها آباؤكم العلوية الا ما قد سلف من التدبير الالهي في ازدواج الارواح لضرورة اكتساب الكمالات فان الركون الى العالم السفلي يوجب مقت الحق والله أعلم (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما